
الجزء الثاني من
سلسلة قوارير العطار
بريّة أنت
بقلم كاردينيا73
بريّة أنت (130) بقلم الكاتبة كاردينيا73
أطلقي العنان ...
فروحك بريّة لاتفهم اللجام !
دعي شمسك تنير
وبدّدي الظلام
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com


بريّة أنت
بقلم كاردينيا73
أطلقي العنان ...
فروحك بريّة لاتفهم اللجام !
دعي شمسك تنير
وبدّدي الظلام
الجزء الثاني من
سلسلة قوارير العطّار
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com


بقلم كاردينيا73
بريّة أنتِ
حذيفة لـ خلود
تهاجم رجولتي ...
بشعر مجنون وانوثة كالمغناطيس !
وتلاحق روحي بسلاطة لسانها
التي تقطر حبا بل ...ايمانا بي !!
الجزء الثاني من
سلسلة قوارير العطّار
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com
روايتي





الجزء الثاني من

سلسلة قوارير العطار

بقلم الكاتبة :

كاردينيا73

تنقيح لغوي : كاردينيا73

المصمم الخارجي (الغلاف) : كاردينيا73

المصمم الداخلي(الصفحات): كاردينيا73

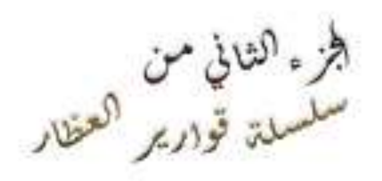
مصممة البنر الاعلاني : gege86

تصميم الفواصل : كاردينيا73

تجميع الرواية ككتاب الكتروني :

كاردينيا73







المقدمة

" رضا !! ...توقف عن محاولة التكلم نيابة عني !... ارجوك ...."

" قولي لاختك انك لن تعودي قبل اسبوع على الاقل ..." ليصبح صوته أجشا وهو يضيف " حتى ... نتأكد..." همست آسيا بنبرة غلب عليها الخجل الشديد " رضا !! "

تبسمت حبيبة وهي تستمع عبر الهاتف لشجار اقرب للمزاح العاطفي بين اختها الكبرى الخجول وزوجها الذي لم تعد تعرف تصنيفه !

لتسأل حبيبة بمناغشة

" تتأكدان من ماذا بالضبط ؟!! "

فتأتيها نبرة اختها حازمة تغطي على الخجل

" لاتتدخلي انت ..! "

ثم وصلت أذن حبيبة ضحكات زوج اختها العالية فيرتفع حاجباها ... عجبا !

اجل ... انها ما زالت تعاني البطئ في استيعاب شخصية رضا ! تلك الشخصية التي كانت بالنسبة لها ولسنوات طوال مبهمة غامضة لكن دون ان يثرها يوما لتستكشف غموضه !

انه موجود دائما واثره فيما حوله اكثر من موجود لكن هو كانسان وبشكل غريب يكاد يكون غير مرئي !







لقد اذهلها عندما أتى اليها قبل يومين فقط
ليخبرها انه قرر (اختطاف آسيا) !

يومها ظلت تحدق للحظات في صبيانية تعابيره
الثائرة العازمة والانشداه يلجم لسانها !

ثم ...ودون اسباب واضحة وجدت نفسها
تضحك من قلبها ولتكتمل الصورة الخارجة
عن نطاق المعقول عندما شاركها رضا
الضحك !

جاءها صوت اختها حانقا بعض الشيء ليقطع
عليها ذكرى ذلك اليوم القريب " ساغلق
الهاتف حبيبة فرضا .. اقصد انه لايدعني
اتكلم براحة ... "

ثم همهمة خافته ليأتي صوت اختها هذه المرة
ذائبا وهي تهمس بارتباك شديد

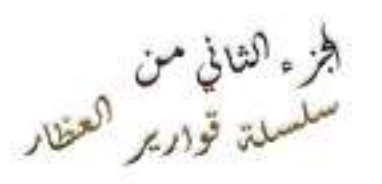
" ساكلمك فيـ..ما بعد.. حبيبة .. "

اغلقت حبيبة الخط بعد وداع اختها
والابتسامة تتسع على ثغرها ..

همست لنفسها وكأنها تفسر ما لم يُفسر من
حال رضا ....

" بل انه ببساطة العشق الصافي مع الشخص
الذي يكملنا .. هو من يغيرنا ويجعلنا نخرج
من حدود اعمارنا وقيود مكانتنا المهيبة في
عيون الآخرين .... انه من يجعلنا نرتكب
الحماقات فنبدو اكثر وسامة وجمالا
..و...منطقية !





انه من يجعلنا اقرب لماضي طفولتنا البعيدة حيث الاندفاع في التعبير دون تفكير بالعواقب وكأننا نتحرر فنعيش بقوانين لاتعترف بالقوانين ! "

ابتسمت مرة اخرى دون ان تدري حتى .. دون ان تعلم بما حملته ابتسامتها من شجن هذه المرة...!

عيناه مثبتتان في (اتجاه واحد) يعكس صورتها فلاتنزاحان عنها قيد أنملة ... !

وكأن عينيه نسيتا جانبي اليمين والشمال فلا تعرفان النظر خارج حدود تواجدها ...

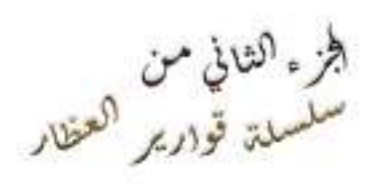
لاتعرفان النظر الا بها ولها وعليها ...!!

الغيرة تفتك به كمصارع شرس يتباطح معه في عراك لايهدأ .. فقط ..ليتمكن من السيطرة عليه فلا يدفعه لفعل مجنون ...!

كفى جنونا ... كفى تهورا ... كفى ما اضاعه منها ....

تنهد بحرقة ...... منذ نصف ساعة تتحدث بهاتفها النقال وهي تجلس على طارف مكتب موظفة الاستقبال وهو يقف في زاوية غير مرئية لها ، يلهث بمراقبتها وقلبه يتلوى قهرا وعشقا .....







تأوه اشتعل في احشائه وهو يحدق في تلك النظرة الساهمة التي تطل من عينيها الزرقاوين والابتسامة الحزينة التي تلامس شفتيها العاطفيتين ..

خنقته ذكرى تذوقه لتلك الشفتين فهمس وهو يبتلع ريقه بصعوبة

" يمزقني تباعدي القسري عنك يا حبيبة ! يكاد يحرق سفن صبري التي تناضل لتصل بر الامان حيث مرساك انت ..."

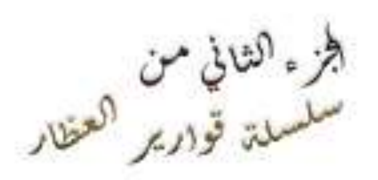
ثم توهجت عيناه بنيران تحمل معانٍ كثيرة ليضيف بنبرة غامضة

" لكنه الثمن .. ثمن يجب ان ادفعه كاملا...وسأدفعه ! "

" حبيبة .. جيد اني وجدتك هنا وتبدين متفرغة قليلا لتستغرقي في خيالاتك الغامضة وتبتسمين معها ولها .. ما رأيك بارجاء بعض هذه الخيالات لوقت اخر والقدوم لمكتبي الان لنحل وضعا عالقا كما يبدو ! "

لم ينظر اليها بينما يقول كلماته المستفزة ويحدق في الاوراق التي يحملها بيده ! اكتفى باشارة من رأسه لتلحق به وهو يتحرك امامها بخطواته الرشيقة ...





تبعته حبيبة وهي تطلق تأفف حانق !

فها هو مديرها المغرور بفضوله المشاكس يتطفل على صفحات حياتها !

فجأة اصبح له موضع قدم وبصمة في عدة صفحات ! فجأة اصبح عدة اشياء في شيء واحد محدد بشخصه !

هو مديرها المشاكس الذي يستوعب كل افكارها بذكاء متوقد !

هو المقرب جدا من رضا .. والذي يبدو عفويا جدا وهو يسألها عن اختها وزوجها الذي هرب بها في رحلة عسل جديدة يكتنفها الغموض !

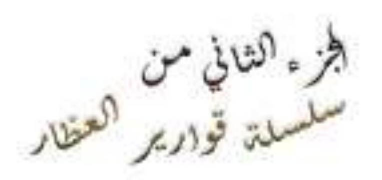
هو ... ما هو ؟!!

هو ببساطة شخص (غريب عنها جدا) دخل دون استئذان في عقر محيطها الخاص ويتصرف كـ(قريب لها جدا) !!

فتح باب مكتبه وبدا واضحا سيدخل قبلها عندما توقفت خطواته فجأة فاوشكت ان تصطدم به !

التفت اليها تبتسم زرقة عينيه قبل شفتيه ثم مد ذراعه بحركة مسرحية مغيظة فاسحا لها الطريق في دعوة لتسبقه الدخول وهو يرميها بنظرة مترقبة قائلا " السيدات اولا ...! "







ببنطاله الجينز الباهت القديم .. عاري الصدر .. حافي القدمين ..جالسا على ارضية الحمام بينما يمسك جسد صغيرته بحذر وهو يحممها بنفسه ....

تلوي شفتيها ببرطمة باكية .. تغمض عينيها اللتين تذرفان الدموع بينما يداها باصابعهما الصغيرة تتشبثان بكتفي والدها بتشنج ...

نادته برجاء جديد " بابا .."

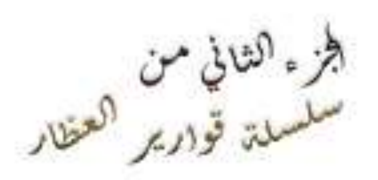
لكنه لم يتوقف عن تدليك جسدها الصغير بالليفة الناعمة وكل ما فعله ان انحنى ليقبل رقبتها البيضاء التي غطتها رغوة الصابون بكثافة ثم همس ببحة رجولية رقيقة

" حلوى بابا يجب ان تكون نظيفة دوما وعطرة مثل الزهرة ..."

اخذت تهز رأسها الجميل في علامة رفض بينما نشيجها يرتفع وجسدها الصغير يرتعش بين يديه فيتفتت قلبه لاجلها ....

اخيرا انتهت هذه المهمة التعذيبية لها وله ليسكب الماء على جسدها بترفق لكنها ترتعش اكثر وتكاد تختنق من بضع قطرات ماء دخلت فمها الاحمر !!







تنهدت بارتياح شقّ قلب والدها بينما يلفها
بمنشفة كبيرة ويرفعها لصدره العاري يضمها
اليه فتلقي برأسها على كتفه تمرغ وجهها
ببشرة والدها الرطبة فيتحمل دغدغتها تلك
بصبر وهو يبتسم بحنان ثم تطلق همهمات
وكأنها تشكوه فيهمس لها حذيفة بهمس
ناعم " حلوى بابا اصبحت الاجمل الآن بل ..
الاكثر لذة من كل الحلويات المسكّرة.."

جففها باعتناء والبسها ملابس نظيفة ثم اخذ
يمشط شعرها بينما تدندن هي باغنيتها
المفضلة ...

هذه الحلوى الصغيرة لاتعرف ما تفعله به
بدندنتها تلك .... !

انها تجعله يشعر بالحياة تتلون !

بامواج الفرح تتهور ...

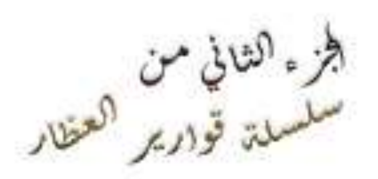
بقوارب النجاة تصطف على مرساه لتنقله الى
حيث يستعيد روحه من جديد ..

ضفر شعرها في ضفيرة واحدة خلفية لينحني
برأسه ويقبل تلك الضفيرة مبتسما بصفاء نادر
هامسا من اعماق روحه

" فداك قلبي ...كم احبك..... "







الفصل الاول

(المشتعلة حبيبة) تجلس امامه وكأنها تنين غاضب على أهبة الاستعداد لتنفث النار في وجهه في اية لحظة !

ضحك في سره وهو يتلاهى متعمدا بالاوراق امامه .. يحب استفزازها ! اجل يعترف بهذا ! يشعر انها عندما تُستفز بطريقة صحيحة تُخرج افضل ما فيها ..

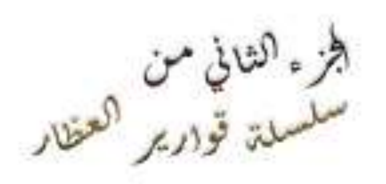
فتاة متفردة الشخصية ملفته لحد الفتنة ... ذلك الشعر الشقي يبدو كسنابل القمح تلاعبت به الريح حتى تشابكت !

والعينان الزرقاوان مسرحان حُرّان مفتوحان ليعرضا روحها المؤثرة الثائرة ... والفم الجميل يرتعش بتمرد ساحر كفرس بريّ يصعب على صاحبته كبح جماحه ! باختصار .... فاااتنة

تجمد للحظة وقد اتسعت عيناه مصدوما بافكاره... ! انها اماكن خطرة ينزلق اليها بسلاسة مربكة !

حبيبة العطار لم تعد مجرد فتاة صغيرة (مشتعلة) تثير اهتمامه الشديد بروحها الجامحة وشخصها الأخاذ .. فتاة قد تجعله يتهور ويترك لنفسه العنان فيتناسى فرق العمر بينهما ويرفع مستوى اهتمامه بها الى بعد جديد ... لا ... هي ... لم تعد كذلك ....





انها.. الان تملك تعريفا بسيطا جديدا .. تعريفا يمنحها حصانات وحصانات ضد اهتماماته .... انها ..

اخت زوجة رضا .. انها .. خط أحمر ...!

تنحنح وهو يرفع رأسه لينظر اليها بشكل مباشر عملي باحتراف فيقول " لماذا اعتذرتِ عن تصميم اعلان شركة منتجات التجميل وقد طلبوك بالاسم ؟! خاصة وانك وافقت في البداية على استلام الطلب لتعودي وترمي الاوراق في وجه زميلتك في التصميم لتستلم الطلب نيابة عنك وهذا .. لم يرض العميل! "

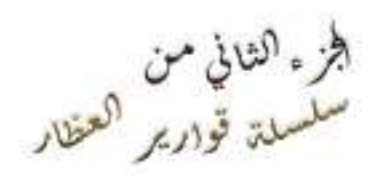
بينما يقول كلماته انسابت نظراته عفويا نحو يدها الملقاة على حافة مكتبه ...

انها لاتعتني باظافرها ! هذا اول ما خطر بباله وهو يراها تطرق باطراف اناملها على تلك الحافة المذهبة.. تطرق بتوتر عجزت عن مواراته !

اظافرها مميزة بشكل طبيعي ... مستعرضة نوعا ما .. وطويلة كاصابعها .. فتبدو يداها كأنهما لعازفة بيانو بالفطرة ! لكنها بتقليمها السخيف كيفما اتفق ومؤكد بمقص شبه اعمى فقد بدت كيد طفلة تقص اظافرها لاول مرة ولاتتقن العمل !







" (العميل) لم يكن يطلبني بالاسم لاصمم له الاعلان فقط بل لاكون انا (الاعلان) نفسه! "

جملتها الساخرة المتحدية كانت مختصرة ... ومفاجئة لدرجة الصدمة ! الا تكف عن صدمه هذه المشتعلة ؟!!

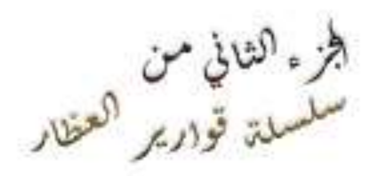
لكنه بطبيعته متأن .. لايتعجل الحكم ولا يقفز الى التفسير فسألها بهدوء " ماذا تقصدين بالضبط ؟ ارجو ان توضحي بكلمات مباشرة "

ردت وهي تشمخ بانفها " الكلمات المباشرة كانت منه شخصيا ! مباشرة لدرجة ان الابتذال عرّف عن نفسه بوضوح والعميل يعرض علي ان ارتدي ملابس (انثوية) مخففة كما وصفها واضع مساحيق تجميله الخليعة بالوانها المبهرجة ثم التقط لنفسي بضعة لقطات ثم اصممها في اعلانه التافه!! لذلك فليحمد اللّه اني اكتفيت برفض استلام طلبه! "

سنوات قضاها في امريكا .. سنوات تبدو له طويلة .. عميقة بأثرها عليه .. هذّبت بعضا من افكاره القديمة التقليدية المتوارثة من مجتمع يصنف النساء كـ(كائنات بشرية) من الدرجة الثانية في احسن الاحوال ليفرض عليهن حماية متناقضة الاوجه تبعا لهوية الحامي !







تغيرت فيه هذه الافكار واخذت اشكالا اكثر احتراما وارفع قيمة ... لكن ما لم يتغير ذلك الدم الحار الذي يضخ في عروقه كسيل منتقم عندما يتعلق الامر بالتعدي على الحرمات ولو بابسط انواع التحرش ...

انه موروث جيني اكثر منه اجتماعي ، موروث لم يتهذب بالحضارة الغربية التي عايشها لسنوات وتكيف معها ....

عيناه اصبحتا جليديتين وهو يناظرها بفم مشدود ليخرج صوته ببحة غريبة وهو يقول

" فهمت ؟ "

ثم اسبل اهدابه واحنى رأسه قليلا للاسفل ليقول بنفس النبرة مع لمحة حزم

" بامكانك الانصراف لعملك الآن .."

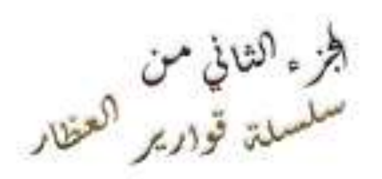
زفرة ملل اوشكت ان تخرج من صدرها لكنها تأدبا امسكتها قبل ان تفر من رئتيها ...

غادرت مقعدها لتغادر مكتبه وهي تمتم في سرها " السيطرة على الذات لعبة مرهقة ؟ "

في منتصف الممر ومن مسافة ليست بالبعيدة .. رأته عبر باب مفتوح .. يجلس على طارف مكتب لاحدى الموظفات الجديدات .. يضحك... يغمز ... والفتاة تتشجع اكثر لتقترب بجسدها منه مدعية الحديث الجدي ؟







لم تدرك حبيبة انها تعقد حاجبيها بقسوة بينما فاجأها مهند بأن التفت اليها على حين غرة ! ..

عيناه غامتا وابتسامته ذابت باحساس دغدغها ودون ارادة منها تتبعت عيناها عنقه تجذبها تلك الحركة الواضحة هناك وهو يبتلع ريقه ...

مازال ادراكها لحالها تائها بينما تهمس

" السيطرة على الذات لعبة ... خطرة ! "

خرجت من الحمام بخطى متعثرة .. تخنق شهقة بكاء بباطن كفها !!

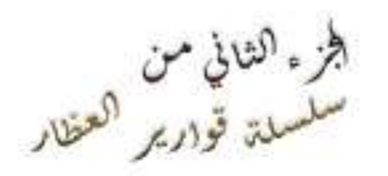
تحركت بخفيها نحو السرير تتلمس طريقها اليه على ضوء القمر الشاحب القادم عبر الستائر المفتوحة ...

خلعت خفيها وعيناها تجدان مآواهما بصفحة وجهه المستكينة لنوم عميق ...

شهقة ناعمة افلتت منها وهي تتسلل للسرير ومنها تتسلل لما بين ذراعه وجذعه فتحشر جسدها المرتعش طلبا لوصال المعشوق ...

تلهث بنعومة بينما لهاث القلب يتعالى وهي تستوعب نتيجة اختبار الحمل !







ان تستوعب ان حلمها بالبقاء لاخر عمرها مع رضا قد تأكد وتثبت بهذا الحمل ... حمل اراده هو بكل اصرار .... اراده وحققه وكأنه كان يحققه لهما معا ... لقد حررها ... حررها من مخاوفها واسوأ كوابيسها .. من التفكير بتضحية محتملة كانت .. كانت ....س....

خنقتها العبرة فمالت بوجهها قريبا من خده .. اسبلت اهدابها وهي تلامس لحيته بشفتيها .. كم تحب فعل هذا ؟!

تغير انفاسه اشعرها باستيقاظه من غفوته ، ذراعه التي دست نفسها فيها التفت حول خصرها بقوة تجذبها اليه اكثر ...

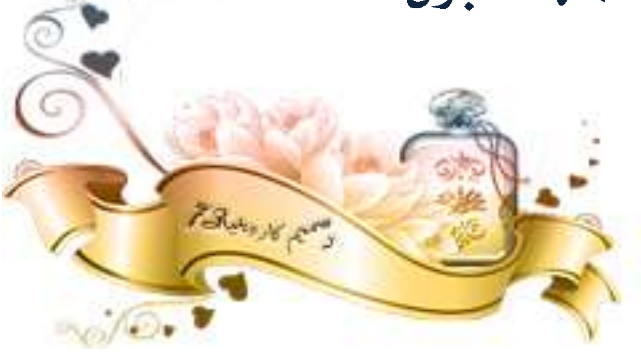
همسه الخشن جاءها ذائبا بالبهجة والرقة

" ما هذه الدعوة المغرية لنفض النوم ؟!"

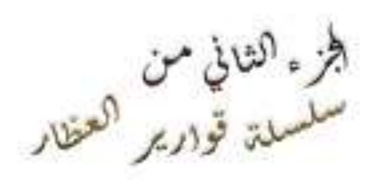
تحركت شفتاها بلهاث غريب لتلامسا شفتيه مباشرة في قبلة اودعتها كل قلبها الذي يملكه هذا الرجل الفريد ..

اودعتها كل عشقها الذي اشرق له وحده ... كل روحها التي تنتفض شوقا للتلاحم مع روحه ...

تنافس لهاثه العاطفي مع لهاثها ليحرك جسدها بعنف بين ذراعيه ويقلبها على ظهرها ويشرف فوقها محملقا فيها يلتقط بعض تعابيرها في تلك الظلمة الخجول ....







تنظر اليه باستسلام ولم تعد تريد اخفاء ما يعتريها اكثر !

همس في شغف وعيناه في عينيها

" اميرة البنات .... هل لي ان اعرف ما سر الرضا هذا الذي نزل في عمق الليل على المسكين المتيم رضا ؟!!"

تشكيكه .. او ربما عتبه الرقيق الحنون فجر الدموع في عينيها فقالت بتحشرج وهي ترفع

كفها لتلامس لحيته " كنت مزعجة في اليومين السابقين اليس كذلك ؟؟ لكنك لم تتوقف عن محاصرتي ...."

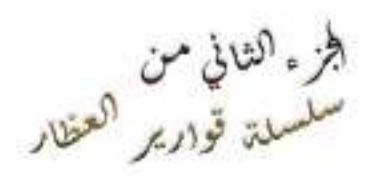
يقبل باطن كفها ثم يقول بعاطفية " بل انا من كنت محاصرا بالشوق المستعر بعد طول فراق .. سامحيني لاني لم ارد الكلام ...! "

تدافعت الدموع في اعتراض لتهمس بصوت مبحوح " وهل تتصورني كنت اقل شوقا اليك يا رضا ؟!! "

تنهد من اعماقه وهو يميل ليقبل وجنتيها المبللتين هامسا بحشرجة " لماذا البكاء يا توأمة القلب ؟! انا لاالومك على شيء "

تمرر اصابعها المرتعشة في خصلات شعره لترد له بالهمس الباكي " بل تلومني دون كلمات حتى ! لقد تركتني قبلها لاسابيع وتباعدت عني .. لاني .. لانك ... "







خنقتها عبرة البكاء فالتاع قلب رضا ليهمس بين قبلاته الشغوفة على وجهها " انا آسف ... آسف ... لاتبكي حبيبتي .. كنت احاول ترتيب الامور لااكثر ... لم اقصد بتباعدي ان اؤلمك ..."

فقالت من بين شهقات بكائها " لا ... رضا... بل كنت غاضبا جدا لاني لم ... ارد .. الحمل .. "

توقفت قبلاته !

رفع وجهه لينظر لوجهها ثم اخذت انامله تمسح دموعها بنعومة فائقة ...

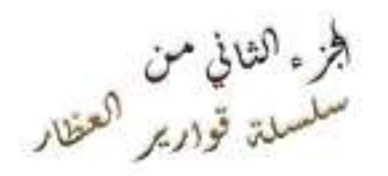
اسبلت اسيا رموشها تستسلم لرجولته العذبة انطلقت من بين شفتيها تنهيدة رقيقة ثم همست بعدها " لقد .. شككت بحبي لك يا رضا ... شككت ...اني اسعى للانفصـ...ال ... عنك لاني اريده !...وانا واللّه لم اسع لذلك !

بل كنت اتمزق واموت في داخلي بينما احاول ان اخفف عنك من حمل اتخاذ القرار .. لاني اعرف... اعرف ما تمثله لك عائلتك ... لم اكن اريد ان .. اثقل عليك بمزيد من الضغوط التي قد تربكك اكثر .. اردتك ان تتخذ القرار الاصلح دون ... ان تشعر ... بمزيد من .. القيود ... ان ...."

اسكتتها ضغطة من سبابته على شفتيها لتفتح عينيها فتواجها عينيه اللامعتين وهو يقول بابتسامته الصغيرة







" انا اعرف كيف تفكرين .. قد اكون غضبت منك بوقتها .. لكني اعرف !

ما لاتعرفينه انت يا توأمة القلب اني لن اكون رضا الذي ترتجيه عائلته بدونك انت ! لذلك .. كان يجب ان اجد حلا ... وقد وجدته ! وهذا الحل سنناقشه غدا صباحا .."

ثم ضحك بخفة وهو يميل ليقبل ذقنها هامسا " لقد اطال الشوق الاحمق بقاءه مسيطرا على العقل لاغيا وجوده ... حان الوقت يا اميرة البنات ... فالعمل قد بدأ فعلا لتجهيز (الحل) الذي اخترته ! "

عقدت حاجبيها قليلا وهي تسأل برقة

" ماذا تقصد ان العمل بدأ ؟!!"

قبلاته انسابت على رقبتها هامسا من بين انفاسه الدافئة " سنتناقش صباحا ... "

عندها ... ابتلعت اسيا ريقها لتهمس بحشرجة " هناك ... امر يجب ان تعرفه .. "

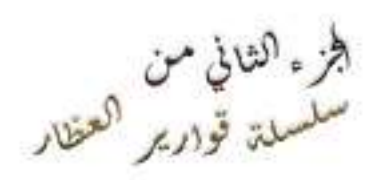
سألها ببعض التوجس دون ان يرفع رأسه

" اي أمر ؟! "

ارتعش صوتها وهي تهمس " منذ .. ايام .. وقبل ان .. تأتي بي الى هنا ... كنت .. قد اشتريت كاشف .. الحمل ... كان .. ما زال في حقيبتي ! "







صمت ! فاكلمت وقلبها يكاد ينفجر

" لم استخدمه الا ..قبل .. نصف ساعة .."

صوته كان أجشا وهو يهمس بحرف متسائل واحد " و ؟؟"

لم تحتمل وهي تبادر لتقبيله بعاطفة متدفقة هامسة بشغف " انا حامل ... رضا ... حاااامل "

لوثة فرح اصابته واعجزت لسانه ... في داخله كان يعرف !!

اجل كان يعرف لدرجة اليقين!

لم يسيطر على قوته وهو يكاد يحطم عظامها بين ذراعيه ... حتى تأوهاتها

المتوجعة بضحكات رقيقة لم تجعله يستعيد ولو النذر اليسير من سيطرته ......

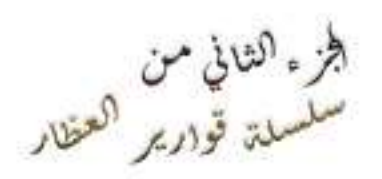
منتصف نهار اليوم التالي

" امي دعينا نرجع للبيت الاااااااااااان ! "

لايكف سامي عن تكرار نفس الجملة وشد قميصها من جانب الكتف .. وكم تكره منه هذا الالحاح كما تكره ان يشدها احدهم بهذه الطريقة خاصة وهي منهكة من حالة وحام لجوجة مستعصية تسيطر عليها منذ الصباح !







متى سينتهي هذا الصيف ؟! همست في داخلها بينما تمسح على جبينها براحة يدها وتمد يدها الاخرى لتأخذ قدح عصير البطيخ الاحمر من امها ...

قالت والدتها بحزم واه " توقف سامي عن ازعاج والدتك .. ولماذا تصر هكذا على العودة ؟! "

لكن سامي عبس بقوة ليقول بتمرد ومزاج حانق نادر " اريد العودة .. اريد العودة الآآآآآآآن"

زجرته امه باستياء بالغ " سامي ! احترم جدتك ولاتكن قليل التهذيب "

ولم يطل حزم (الجدة) لتقترب منه تقبل وجنتيه المتوهجتين من شدة الحنق فتهمس له بحنو خانع

" لاتغضب يا حبيبي ... اذهب والعب مع اخيك لبعض الوقت حتى ياتي والدكما ليقلّكم.."

لكن سامي ظل على عبوسه ليبعد رأسه عن مرمى قبلات جدته وهو يقول بتمرد متزايد

" عقيل لايحب اللعب ! انه يحب الرسم فقط ! اريد العودة لالعب مع سعاد .."

في انهاك حقيقي همست رحاب باستسلام

" حسنا يا صغيري ساتصل بوالدك الآن ليأتي ويقلنا .. اذهب الآن .."



انفرجت كل اسارير الصغير واخذ يقفز وهو يبتعد مهرولا عن امه وجدته وقد كان فخورا بنفسه انه حقق مراده ...

ارتشفت رحاب قليلا من شراب البطيخ فترحب حواسها بضيف عزيز تفتقده ... انه الانتعاااش

جلست امها على كرسي قريب ومالت ناحيتها بطريقتها الخاصة عندما تريد مكالمتها بأمر تعتقده شديد الاهمية لتقول الام من بين اسنانها دلالة على عدم رضاها

" هل بدأ العمل فعلا ؟! "

كتمت رحاب تأففها وهمست في سرها بدعاء

(يا الهي ألن تتوقف أمي عن تكرار نفس الموضوع ؟!!)

اخذت نفسا عميقا ثم ارتشفت مرة اخرى من العصير وقد ودعها (الضيف العزيز) مرتحلا الى غير رجعة !

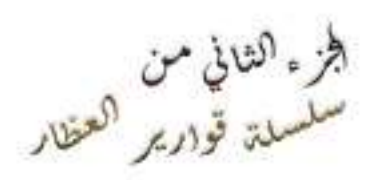
ثم قالت بصبر " لقد اعدّوا مكان السلم الخارجي من شرفة غرفة الجلوس والحدّاد ابتدأ العمل على السلم حسب علمي "

عقدت امها حاجبيها وهي تسأل بغيظ واضح

" وهل فصلوا الجناح فعلا ؟؟؟ "







شهيق زفير ... شهيق ... رفيييييييييييييير

ردت رحاب اخيرا " ليس بعد.. لكنهم مؤكد سيفصلونه حالما يثبتون السلم في مكانه.."

بتبرم اشد سألت الام " وهل سيضمون للجناح غرفة اخرى من البيت ؟"

دون ارادة منها وضعت رحاب قدح العصير ببعض الحدة على الطاولة امامها لتقول بضيق

" ارجوك امي توقفي عن الضغط علي ! انا مرهقة كفاية بسبب الحمل ..."

لم يعجب الكلام ام رحاب لتقول بلوم وعتب

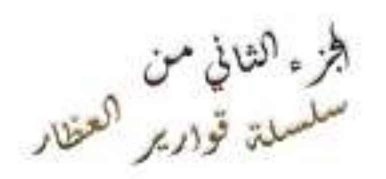
" تلومينني لاني ابحث عن مصلحتك ؟ ولماذا بفعلون هذا للعروس الجديدة بينما انت متزوجة من ولدهم منذ ثماني سنوات ولديك طفلين والثالث في الطريق ! انت اولى باعطائك جزء منفصل من البيت بل حتى شراء بيت خاص بك وبعائلتك التي تكبر ما شاء اللّه لاقوة الا باللّه ...."

واستمرت اعتراضات والدتها ونصائحها التي لاتنتهي حول هذا الموضوع تحديدا ...

لكن رحاب لم تعد تحتمل ... لم تعد تستطيع اقناع والدتها بضرورة عدم نقاش هذا الامر ..

لم تعد تستطيع ادعاء الراحة والتفهم وهي لاتفهم حقا !







لكن لا .. ما معنى ان تفهم ؟! وماذا سيفيدها الفهم في علاقتها مع زوجها ... انها تريد اسناد محسن .. اسناده بكل قوتها .. لقد وعدته .. كما وعدت نفسها ... وعليها ان تفي بوعدها وتكون الزوجة التي يرتضيها فيكون لها نعم الزوج الذي تعشقه ...

بحركات عصبية مدت رحاب يدها لتلتقط حقيبتها الملقاة جانبا ودون كلمة ترد بها على اعتراضات والدتها اتصلت بهاتف زوجها محسن ....

عند باب المطبخ المؤدي للمرآب يقف محسن يحدق في وجه اخيه المرتبك بشكل غريب .. لا ليس مجرد ارتباك .. !

قال بلطف

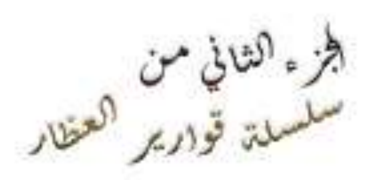
" اذهب لموعدك يا حذيفة ... ودع رحاب تفعل هذا بدلا عنك .. انا ذاهب الان لاقلها مع الولدين من بيت والدها "

مرر حذيفة اصابعه في شعره فبدا كمراهق مضطرب مع تعابيره الغريبة ....!!

ليقول بهذر غير مترابط " انا لم اصدق انها طلبت (لعبة الماء) بنفسها ... لااستطيع ترك هذه الفرصة ...يجب ان ...لكن .. "







لكن حذيفة صمت فجأة ! ونظرات عينيه تجمدتا بعجز !!!

رفع محسن حاجبيه في عجب ليسأله وهو يقترب بخطوة " لماذا التردد اذن ...؟! رحاب ممتازة في التعامل مع الاطفال "

كان دور حذيفة بالتحديق في اخيه وكأنه يطلب اثباتا على كلامه !

ليقول وكأنه يبرر مخاوفه وعدم ثقته

" سعاد .. لديها وضع خاص ..."

عندها اغتاظ محسن ليقول بنبرة تأنيب " وضع خاص ؟! اراها طفلة طبيعية جدا لولا هوسك بمراقبتها وحمايتها !"

تردد مرَّ كسحابة خجول على محيا حذيفة ليقول بجمل مقطعة " انا اقصد .. ان لها وضع خاص مع الاستحمام تحديدا .. انها .. لاتحبه لانها .. لم تعتد عليه .. "

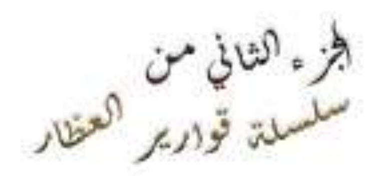
ضيّق محسن عينيه قليلا بينما حذيفة يسبل اهدابه ليضيف بصوت بارد

" امها ...كانت تهملها كثيرا ولاتعتني بها .."

ثم اخذ يشد قبضتيه فحاوطته امواج غير مرئية من العنف !

قال اخيرا بصوت يشع بمشاعر ابوة مخنوقة

" عندما .. سرقوها مني .. كانوا يتركونها قذرة ولايحممونها اصلا .. وعندما وجدتها.. اخذتها بين ذراعي ... رائحتها ..... كانت ...."





للحظة صمت تعتصره الذكرى ومحسن ينظر اليه ولايملك الا الألم معه والغضب لاجله بينما حذيفة يواصل ما بتره

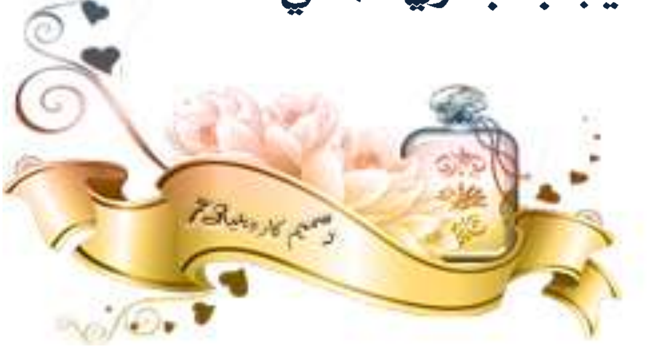
" رائحتها كانت عفنة وكأنها بيض فاسد !..."

كان صدر حذيفة يعلو ويهبط باضطراد وكأنه يعاني نفس اللحظة مرة اخرى ... لحظة وجد ابنته بتلك الحال ومع حثالات البشر ...

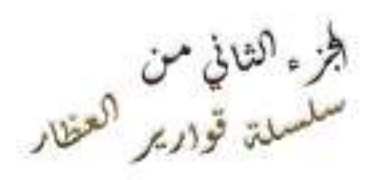
رفع حذيفة وجهه وملامحه لاتعبر الا عن الجمود ! هذا هو حذيفة يأبى الاعتراف بضعفه .. باحتياجه ... بانكساره !

قال بنفس الجمود الذي اتخذه قشرة تغلف مشاعره الداخلية " ومنذ ذلك الوقت وهي ترفض الاستحمام وتحتاج الي لاطمئنها ..."

مد محسن يده ليضغط على كتف اخيه بحركة مواسية ثم قال بنبرة متفهمة " انها تحتاج للشعور انها تعيش بشكل طبيعي يا اخي ... لاتعطي الامور اكبر من حجمها ! كره الاستحمام يحصل مع بعض الاطفال ولاسباب ابسط بكثير مما حصل مع سعاد كأن يمرض الطفل مثلا وبعض الامهات يرفضن تحميمه حتى يبرأ تماما خشية عليه من الانتكاس وهذا حصل مع ابني عقيل عندما كان بعمر الاشهر واصيب بالجدري المائي







لكن رحاب استطاعت اعادته لحب الاستحمام مرة اخرى .. لذلك انا اصر ان تدعها تحمم ابنتك .. فأنت ستبدأ عملا مضنيا وتحتاج لمن يساعدك في كل الاحوال ... ستكون تجربة جيدة صدقني..."

لمحة رفض لاحت على وجه حذيفة وأدها محسن بالقول اللين " دعها تجرب فقط ولو فشلت ساخرجها بنفسي من الحمام ... اعدك لن اجعلها تذرف دمعة واحدة ... "

استرخت عضلات جسد حذيفة ليزفر الكلمة المستسلمة " حسنا ..."

ربّت محسن على كتف اخيه وهو يحثه بالقول " اذهب لشأنك ولاتقلق .. سآخذ سعاد معي لنُقِّل رحاب والاولاد .."

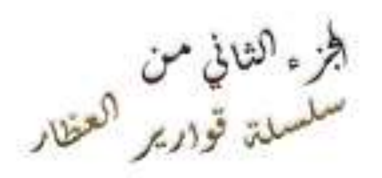
رفض قاطع افلت من لسان حذيفة حتى قبل ان يفكر " لا ..."

لكن محسن قال في هدوء " سعاد يجب ان تخرج قليلا يا حذيفة ، هذا سيساعدها لتتأقلم مع الحياة الطبيعية والناس .. لاتخف عليها وثق بي اخي .. ثق بنا لنساعدك ..."

صمت حذيفة ولم يعقب بينما توجه محسن للداخل وهو يقول " حسنا ساذهب لاخذها من عند امي .."

فجأة قال حذيفة " انتظر لحظة ..."





ثم تحرك بخطوات متسارعة ليغادر المطبخ

ثم عاد بعد ثوان حاملا بيده قنينة متوسطة

الحجم وذات الوان رمادية متدرجة ...

دون ان يفسر مد حذيفة يده بالقنينة ناحية

اخيه وبينما يلتقط محسن القنينة علم

محتواها ببساطة ليعبر بالكلمات وبتلقائية

" هذا غسول شعر لمعالجة .. القمل ! "

نظرة محسن ارتفعت من على القنينة لتستقر

على وجه اخيه الذي بدا و(يالا العجب)

مجروحا لكن بلغة جسد دفاعية !

وبنفس البساطة التي ادرك بها محسن محتوى

القنينة ادرك ما يشعر به اخوه !

فقال بابتسامة تتلبس المزاح " رحاب ستحب

القضاء عليهم واحدا واحدا ! لقد استمتعت

بفعل هذا مع سامي وهي تصارع غزو القمل

لرأسه بعد اسبوع فقط من دخوله لرياض

الاطفال "

ابتلع حذيفة ريقه وهو يحرك راسه متلاهيا

بكفكفة كم قميصه ليقول بصوت مبحوح

" انا .. اعالجها به منذ .. فترة .. وهي نظيفة

الآن تماما من القمل .. لكن الطبيب في

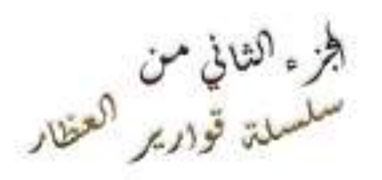
السويد قال ان استمر عليه لشهرين على

الاقل.. للتأكد ..."

مازحه محسن بالقول " هل اخذتها لطبيب من

اجل بضع قميلات مسكينة ؟ "







للحظة تجمدت يد حذيفة لتتوقف عن طيّ كمه ثم رفع رأسه لمحسن وعيناه تلمعان بشدة ليقول بصوت ميت " كان لديها اثر حرق في كتفها لاعرف مصدره بالضبط... وبضعة جروح متفرقة في جسدها ..."

كل ملامحه فقدت حيويتها فقط عيناه تبرقان بحدة مخيفة ليضيف حذيفة " كان يجب ان اطمئن انها بخير من كل النواحي.. وقد .. اطمأننت ... "

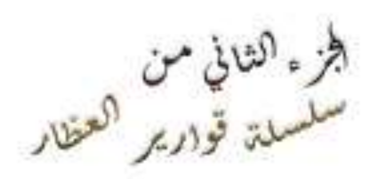
وقبل ان يعبر محسن عن شيء اضاف حذيفة وهو يعود لطيّ كمه الآخر " لااريد رحاب ان تعلم .. بما حصل مع سعاد ... عدني محسن .. عدني انك لن تخبر احدا ... انه أمر لااريد ان يعرفه غيرك انت ورضا .."

شعر محسن بحاجة اخيه لانهاء هذا الحوار الصعب فقال وهو يتحرك فعلا لمغادرة المطبخ " لاتخف اخي لقد وعدتك سابقا .. ساكتفي بأن اخبر رحاب ان والدة سعاد لم تكن تحممها دوما وتهملها بعض الشيء ..."

بينما تحرك حذيفة بالاتجاه المعاكس ليغادر المطبخ من الباب المطل على المرآب مخفيا حاجته الشديدة لاستنشاق الهواء وهو يقول بلامبلاة ظاهرية " حسنا ... ساذهب لموعدي مع صاحب الورشة .."

فلوح له محسن قائلا " بالتوفيق ..."







لكن حذيفة تراجع بخطواته ليقول بقلق

وهو يسبق محسن " لا .. لحظة ... يجب ان

اكلم سعاد بنفسي واخبرها ان اللعبة اليوم

ستكون مع الخالة رحاب ..."

ملفت خروج ذلك المتصابي !

ملامحه المكفهرة لاتجذب النظر كهيئته

المميزة ! سترة حمراء فاقعة في وضح النهار؟!!

ويلتمع صدره بسلسال قبيح غليظ يحاوط

عنقه ويبرز من فتحة قميصه المورد !

سوار ثقيل مماثل في معصمه الايمن يوازن

ثقله ساعة يد ضخمة ذهبية مزدان بها

معصمه الايسر ! ومع خصلات شعره المتطاولة

بشكل عشوائي وقد فرقها العرق المتصبب

منه اكتملت هيئته الكاريكتيرية !

" السيد مقداد يبدو غاضبا ! "

قالتها موظفة الاستقبال بينما يمر بهما ذلك

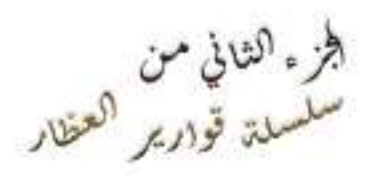
المتصابي ولعجب حبيبة كان يتجنب النظر

ناحيتها بشق الانفس !

حالما غادر الشركة قالت حبيبة بمشاكسة

طفولية " اجل .. انه يتعرق غضبا ! "







ضحكت موظفة الاستقبال بينما تحركت

حبيبة تبتسم بشقاوة وما ان ابتعدت بضعة

امتار حتى هفّ عليها من الجانب وصوته بدا

مرحا وهو يسأل بعفوية " من هذا الرجل

المضحك الذي غادر شركتنا كالملسوع ؟! "

ردت حبيبة ببرود ودون ان تتطلع اليه

" انه صاحب منتوجات تجميل وكان يريدني

ان اصمم له اعلان "

لم ييأس مهند وقد ادرك انه اخطأ بالتهور

لمكالمتها ! ماذا يفعل وهو يكاد يجن

ليقترب ....

قال برقة وانفاسه الدافئة تلفح جانب وجهها

" لااصدق ان تصميمك لم يعجبه ! "

ردت والبرود في داخلها يقاوم

" انا لم اصمم له لاني رفضت اصلا "

سأل ببساطة " لماذا ؟"

توقفت بخطواتها لتستدير اليه تشمخ بانفها

وتتحداه بالنظر لعينيه مباشرة قائلة وهي

ترفع حاجبيها بتعال " انا ... حرة ! "

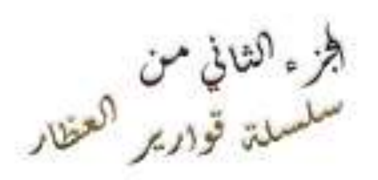
عيناه تأكلان صفحة وجهها أكلا وقلبه

يقصف في صدره فيهمس بصوت مبحوح

" انت محظوظة ! "

عبست وهي تتساءل " لماذا ؟"







فرد وصوته يذوب منغمسا باحساسه بها

" لانك ...حرة ! "

تنهدت وهي تستدير بعيدا عنه لتواصل سيرها

فتحرك مهند دون ارادته يقف في طريقها فلم

يفته ارتعادة جسدها الرافضة بينما صوتها

خرج من بين شفتيها كسهم مسموم وهي تأمره

" ابتعد عن طريقي مهند "

رد بفكاهة يدحر بها احباطه " لست حرا

لافعل هذا .. انا مقيد بك .. ألم اقل انك

محظوظة بحريتك .؟!!"

احساس داخلي اخبره ان تشنجها ليس بالسوء

الذي يخشاه او على الاقل ليس للاسباب التي

يخشاها فحبيبة العطار قوة هادرة تنبض من

الداخل .. من داخل الداخل !

جازف بالسؤال " لماذا غيرتِ طريقة ملبسك ؟

أ بسبب حماقتي معك ؟! "

ردت من بين اسنانها ودون ان تتطلع اليه

" انت جريء جدا لتذكرني ..! "

فقال بصدق " بل انا عجول لاصالحك ..."

عندها رفعت رأسها اليه لتواجهه بملامحها

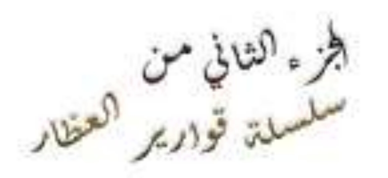
العاصفة وتقول بعنف مكتوم

" تتكلم ببساطة شديدة عن الموضوع !

تتكلم وانك لم تفعل الا شتمي مثلا ! هل

انت عديم الاحساس لهذه الدرجة ؟!







هل حقا لاتعطي اهمية لما فعلته معي ؟!! لما جعلتني اشعر به من قذارة وكره تجاه كل ما حولي بما فيهم شخصي انا !.. انت تراني واقفة على قدمي وصلبة لاني اخترت ان اقاوم ، هذا لايعني اني نسيت كما يبدو انك فعلت ! "

انها تحطمه لكنه عنيد ليستسلم .. كل ما قالته يقتله لكنه مصر على ان يقاوم نفورها منها ....

ابتلع ريقه ليصر على السؤال " لم تردي عليّ ... هل غيرتها بسبب حماقتي ؟ " ثم اضاف مفسرا بتسرع " هذا لايعني اني لم احب حشمتك لكني لااريد ان تكوني .."

عندها قاطعته بحدة لتقول بنيران تحترق في عينيها وتشتعل بها احرفها " انت...لاشيء بالنسبة لي ... انت.... لامعنى ولاقيمة لما تريده او لاتريده ... "

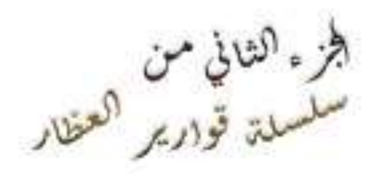
فتح فمه لكنها سبقته باضافة المزيد

" اياك ثم اياك يا مهند ان تتجرأ عليّ مرة اخرى ... اياك ان تختبر صبري فطول البال ليست من خصالي ..."

تركته في مكانه لتخطو بعيدا شامخة الرأس ...

داخله يتجمد اكثر من خارجه .. يكاد يرتعش من يأسه !







مرفوعة الرأس شامخة الملامح ثابتة الخطا ..
هكذا كان يراها من بعيد .. لكنه ابدأ لن ينخدع !

فما التقطه على وجهها لحظة رآها وهي تتجاوز زميلها ذاك كان لغزا محيرا !!

هل كان ألم .. حزن .. خيبة امل .. ام عاطفة اخرى لم يتبينها وهي تسارع لاخفائها خلف قناعها المفضل من الكبرياء الشامخ ...

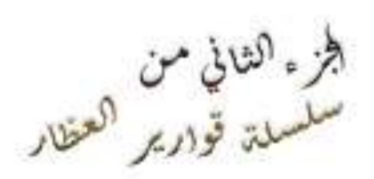
انه نفس الشاب المدعو مهند والذي رآه معها في اول يوم عادت فيه للشركة بعد الاجازة ..

ألم تكن ساعتها مرتعبة بشكل غريب ؟

همس يحيى في سره " ماذا بعد يا حبيبة العطار ؟! هل سالاحق خطواتك لادافع عنك هنا وهناك بينما يبدو ان ضحكاياك يستعذبون الدور ؟! كيف تستطيعين قلب الادوار هكذا والانتقال من الضحية الى الجانية ؟!! "

راقبها محسن وهي تخرج من باب الحمام ترتدي بنطالا قطنيا قصيرا ومضحكا تعلوه بلوزة بيضاء بالية ، تحمل سعاد بين ذراعيها وهي تلفها بمنشفة وردية وتهمس لها بكلمات رقيقة ،





أما سعاد فتبدو كمن افرج عنه من الحبس فتتنهد براحة وتتشبث بالبطة الصفراء المطاطية التي اعطتها اياها رحاب كرفيق الحمام الجديد الذي سيشاركها دائما (لعبة الماء) !

ابتسم باعجاب رجولي وهو يتطلع اليها تضاحك سعاد وهي تلبسها ملابسها بتأن محترف !

في النهاية اخذت تمشط شعرها والطفلة تدندن بترنيمتها التي اعتادها سكان بيت الحاج عقيل الصائغ ....

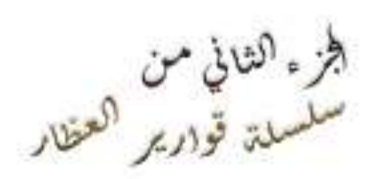
قال محسن بمناغشة " تبدين جميلة بشكل خاص وانت تعتنين بسعاد الصغيرة "

ضحكت رحاب بخفة لتميل حتى قبلت وجنة الطفلة البيضاء المشربة بحمرة ما بعد الحمام

ثم قالت ببشاشة " انها فتاة كالكريمة فوق قالب حلوى شهي " ثم همست لها وكأنها ستلعب معها لعبة جديدة " حسنا يا حبة الخوخ سنذهب بعد قليل الى الحديقة نلاحق ضوء الشمس قبل هروبه ونبحث عن تلك المتطفلات الصغيرات اللواتي اعجبهن جمال شعرك ..."







راق لمحسن مزاج زوجته وشعر بانجذاب غريب اليها .. انجذاب لامومتها الانثوية فقال

" يليق بك ان تكوني اما لفتاة "

التفتت رحاب نحوه وقد ظهر على ملامحه بعض العجب لكنها قالت بتردد " اتمنى ... ان نرزق بفتاة هذه المرة "

اقترب محسن وعيناه تلمعان ليمد يده يداعب وجنة زوجته المحمرة كوجنتي سعاد قائلا بهمس مبحوح " فيكون لها عيناك ونقاء بشرتك .."

رمشت رحاب ليظهر على ملامحها انزعاج طفيف .. كان قد لحظ انزعاجها هذا منذ ان كلمته عبر الهاتف لتستعجل حضوره بحجة احتياجها لاخذ الراحة في جناحها ...

اخذ يلامس خصلات شعرها بينما يسألها بهدوء

" هل هناك ما يزعجك ؟"

ردت بعد لحظة تردد " لا ..."

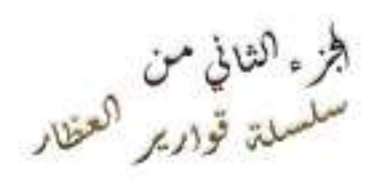
ضيّق عينيه بتركيز ليسألها بنفس النبرة

" كنت ساهمة خلال رحلة العودة من بيت والدك ، هل حدث امر هناك ؟"

فسارعت رحاب لتقول ببعض الحدة

" لم .. يحدث شيء .."







فتح فمه ليتكلم عندما اجفله قرع مباغت على باب الجناح وصوت سامي المتململ يقول بصوت عال من خلف الباب " امي ... الم تنهي سعاد حمامها ؟!! هل استطيع الدخول الآن ؟؟"

نادته رحاب ليدخل بينما رن هاتف محسن النقّال ولم يفاجأ محسن بصوت اخيه القلق فيرد محسن تحيته بنبرة هادئة بشوشة مطمئنة " مرحبا حذيفة .. كل شيء على ما يرام .. قلت لك ان لاتقلق ..."

تنهد حذيفة بقوة بينما يسأله ان يكلم ابنته بنفسه فجلس محسن على الارض بجانب الاريكة حيث تجلس رحاب وسعاد بينما سامي يحمحم حولهما ليبتسم محسن للطفلة الجميلة التي ما زالت تتشبث بالبطة الصفراء عند صدرها وتنظر اليه ملأ عينيها الزجاجتين قال لها بعذوبة

" مكالمة مهمة لك يا حبة الخوخ "

وما ان اخذت سعاد الهاتف حتى وضعته على اذنها الصغيرة فجاءها صوت والدها ليشرق صوتها بالهتاف " بابا ...."





صباح اليوم التالي

" هل انت مستعدة للعودة غدا يا اميرة البنات ؟"

كان يقرأ مخاوفها متجلية على وجهها الحبيب

بينما ترد عليه بابتسامة جميلة " نعم .."

سألها بثبات " هل انت متأكدة بأن حلّي يريحك ؟"

رغم كل تلك المخاوف التي تعكر صفاء تعابيرها الطبيعي الا انها ردت

" ا..أجل .."

لم يكن يريد الضغط عليها بهذه الطريقة ،

عندما اخبرها بفكرة الانفصال الجزئي

صمتت في البداية ثم نظرت اليه بوجل !

لكنها عادت وهدأت بشكل غريب لتقول

ببساطة (انا موافقة ..)

لكنه لم يقتنع بارتياحها حتى هذه اللحظة

وشعر ان عليه منحها المزيد ...

مد يده يمسد بظاهر انامله على جانب وجهها

فتسبل الرمشين الساحرين وتتنهد وكأنها

تنفث اللهب في صدره !

يعترف ان ضعفه ناحية آسيا اكبر مما يجب

....





قال وهو يتجاهل اعتراضات داخلية نحو ذلك الضعف " هل تثقين بي آسيا ؟"

هزّت رأسها بـ(نعم) فسألها بابتسامة حانية

" الى اي حد ؟؟"

فغامت عيناها بالعشق لتقول بصوت شجي

" لابعد مما ادركه من الحدود "

عندها قال بجدية وتركيز شديدين

" حسنا .. ثقي بي عندما اقول لك ... انه الآن شخص اخر ... "

في لحظة ضاع دفء من تعابيرها لكنها همست بتماسك " هل تغير لهذه الدرجة ؟ "

رد وهو يعاود ملامستها

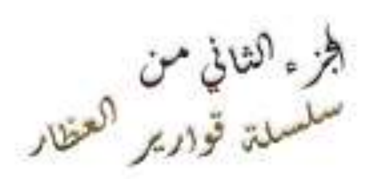
" بل واكثر مما تتخيلين..."

ظلت تحدق فيه ليضيف رضا بنبرة عميقة

" هناك من تتغير طباعهم بحكم السن والتجربة والنضوج ... وهناك من يتغير جزء مهم من جوهرهم .. من كيونونتهم ... من عمق روحهم ... وهذا لايحصل الا بعد معاناة شديدة وتجارب مضنية ..."

سكنت ملامح آسيا بالتفكير بينما يضيف رضا " لااقول انه اصبح رجلا تقيّا عابدا .. لكنه ببساطة تغير .. لم يعد نفسه حذيفة الا بملامح خجولة باهتة ... "





صمت لتقول اسيا بهدوء

" يفعل اللّه ما فيه الخير "

فرد بابتسامة حلوة " ونعم باللّه .."

" لااطيقها يا بدرية .. لااطيقها ...! "

جملة تردّدها الحاجة سعاد بين الفينة والاخرى بينما تجالس صديقتها المقربة ترتشفان القهوة ومعهما رفيدة التي تلتزم صمتا مريحا عابقا بالرضا ، بدت سارحة بملكوت آخر ومعالم السكينة تضفي عليها جمالا خاص ...

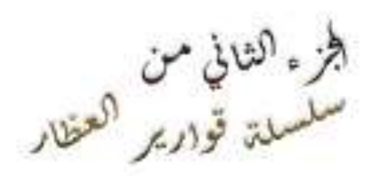
من طارف عينها كانت بدرية تراقب تلك السكينة وتدعو لها بتمامها بينما ترد على صديقتها المزعجة " ماذا فعلت لك آسيا لتشعري نحوها هكذا ؟!! هل هذه غيرة الحماوات لان رضا اخذها في رحلة جديدة ؟"

ردت سعاد بملامح عابسة " ليست غيرة حماوات ! لكني لااستطيع مسامحتها لانها فرقت بين الاخوين بل واخذت رضا منا ...! "

استغفرت بدرية اللّه وهي ترفع بقنوط عينيها للاعلى تحدق في السقف ! قالت بعدها وهي تعاود النظر لسعاد " اسمعي يا امرأة انت سيطول وقوفك كثيرا بين يدي خالقك ليحاسبك على افتراءاتك هذه ..."







تأففت سعاد وهي تشوح بيدها وتقول " كفي عن محاولة جعلي مخطئة وانت تعرفين جيدا اني لست كذلك "

شهقت بدرية وهي تقول " بل انت مخطئة وتظلمين المسكينة اسيا كثيرا عندما تحملينها وزر امور هي لاذنب لها فيها ... "

لكن سعاد لم تظهر الا تمسكا بوجهة نظرها عبر ملامحها الحانقة فقالت بدرية بملامح عابسة مهددة " اقسم باللّه يا سعاد ان ازعجت ولدي وزوجته بكلمة او حتى نظرة لآخذنهما معا عندي ! "

اخذت سعاد تتذمر لكن بدرية تجاهلتها لتميل ناحية رفيدة وتهمس قريبا من اذنها

" كيف كانت ليلتك الاولى مع سالم ؟! هل كل شيء كان على ما يرام ؟؟ "

احمرت رفيدة وهي تطرق برأسها وتهمس

" نعم .. بخير .. "

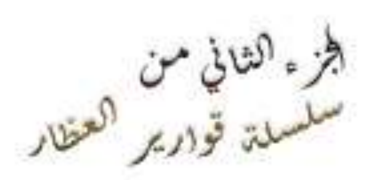
انشرح صدر بدرية واخذت تربت على كف رفيدة وهي تقول بدعاء

" اسعدك اللّه بنيتي "

اجفلت بدرية من صوت سعاد العالي وهي تسأل بغيظ " بماذا تتهامسين مع ابنتي ؟! "







وضعت بدرية يدها على صدرها وكأنها اجفلت لتقول " بسم الله الرحمن الرحيم ! ماذا حصل لك يا امرأة لتصرخي فينا هكذا؟! "

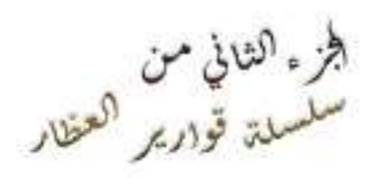
اخذت رفيدة تضحك من قلبها بينما امها تزمجر وتتوعد وبدرية تحرك حاجبيها باغاظة .....

في غرفة الضيوف يقف قرب الشباك المطل على الحديقة ، انه نفس الشباك ونفس الظلمة ! تماما كتلك الليلة التي كان ينتظر فيها اخاه حذيفة ليشاركه اللعب خفية عن الاخرين ....

صوت انفتاح باب البيت الخارجي الكبير جعله لوهلة يتصور ان الزمن عاد به ! ارتعدت اوصاله وقد عاد ابن العاشرة لكن مع معرفة مسبقة بمأساة تلك الليلة ...

وبدلا من تطابق صور الذكريات وتسلسلها مع الحاضر الذي يقف فيه الآن تشابكت في ذهنه الامور فرفض عقله ظهور حذيفة اولا بدلا من ان يكون رضا ! وقد اخذ يغرق بمزيد من الخداع الذهني وهو يبحث عن رضا ! لابد انه في مكان ما غاضب كالمجنون ينتظر حذيفة !!







نفض عبد الرحمن رأسه ليعود للنظر عبر الشباك بينما يقف حذيفة وسط المرآب في حالة سكون غريب ...

عندها فقط تنبه ان هناك شخص اخر يقف بباب البيت الخارجي ... انه رضا .. لقد عاد ... وبحذر شديد فعل ما فعله قبل ثمانية اعوام .. فتح الشباك ليسترق السمع !

التفت حذيفة ناحية اخيه الاكبر ليقول بنبرة لاتحمل معنى محدد

" الحمد للّه على السلامة "

رد رضا وهو يقترب " سلمك اللّه .."

يحدقان في بعض بشكل غريب ليبادر رضا للقول الهادئ

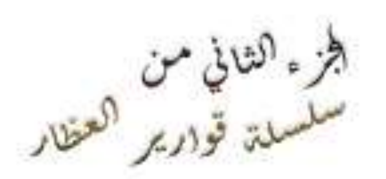
" تعال في الحديقة لنتحدث قليلا على انفراد..."

اومأ حذيفة موافقا ولم يلحظ ايّا منهم ذلك الظل المتواري خلف ستائر غرفة الضيوف ...

قدم حذيفة سيجارة لاخيه فرفضها رضا شاكرا وبينما يشعل حذيفة السيجارة لنفسه سأله رضا باسلوب مباشر

" هل قررت ما ستفعله بحياتك ؟ " رد حذيفة وهو يأخذ نفسا عميقا من سيجارته " نعم .."







فقال رضا " حسنا ارثك من والدك موجود فهل تريده كله الآن ؟"

اطلق حذيفة نفس الدخان ليتطلع لاخيه ويقول بنفس السلاسة والبساطة

" نعم .. كله ! "

لم يعبر رضا عن اي ردة فعل واكتفى بالقول

" حسنا قل لي كيف تريده بالضبط ؟ هل تريدني ان احوله لك كله كسيولة مادية؟ فانت تعرف ان لوالدنا املاك عقارية عدا المحلات فماذا تفضل ؟"

بدلا من ان يرد على سؤاله قال حذيفة بتفصيل مسهب " قررت افتتاح ورشة خراطة للحديد فانا ابرع في هذا النوع من الحرف الصناعية وسيكون للورشة ملحقا كمخزن واسع اتخذه بذرة مصنع للاسلاك الكهربائية مستقبلا .. ساقوم بنفسي بتصنيع المكائن المطلوبة بمساعدة بضعة عمال وحرفيين "

اعجب الامر رضا لكنه قال ببعض الاستغراب

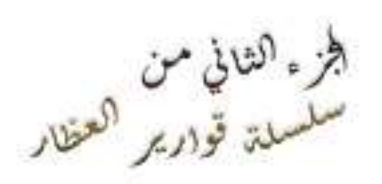
" لماذا لاتقوم بشراء المكائن مباشرة ؟! "

رد حذيفة وهو يأخذ نفسا آخر

" هذا سيكلفني الكثير "

تبسم رضا لاول مرة ليقول بتسامح " حذيفة .. والدنا رحمه الله كان غنيا جدا ! وانت الان قانونيا غني ايضا "







عندها نظر حذيفة لاخيه نظرة متقدة

كطارف السيجارة في يده ليقول بنبرة غريبة

" لن اخذ الا مبلغا بقيمة (......) حتى احقق

مبتغاي "

عبس رضا وقد عجز عن فهم حذيفة ليقول

" انه مبلغ تافه نسبة لارثك ! "

اكمل حذيفة وكأن رضا لم يعلق بشيء

" باقي ارثي اريده ان يتحول باسم سعاد

بالكامل .."

اتسعت عينا رضا واخذ يحدق في حذيفة

يستشف منه حقيقة الامر وعندما التزم

حذيفة جموده اللامبالي وان ظاهريا فقط قال

رضا بحاجبين معقودين " لماذا تفعل هذا ؟!

مؤكد ستتزوج يوما مرة اخرى وقد يرزقك

الله باطفال اخرين "

لكن حذيفة رد بهدوء شديد وثقة بالغة

" لن اتزوج ولن انجب اطفالا اخرين .. انها فقط

سعاد ... مهجة قلبي "

صمت رضا للحظات وهو يدرس التصميم على

ملامح حذيفة ثم قال " فكر جيدا يا حذيفة

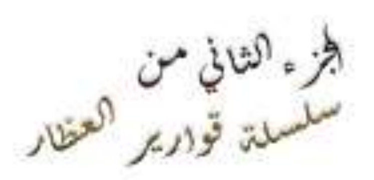
.. لاتتعجل ..."

لكن حذيفة اصر وهو يعاود اخذ الانفاس من

سيجارته " هذا قراري النهائي ..."







عندها تنهد رضا باستسلام ليقول " حسنا ...
في كل الاحوال انت ستكون الوصي عليها
ولو غيرت رأيك فبامكانك ..."

قاطعه حذيفة بنفس الهدوء ليقول

" لن اكون انا الوصي ..."

عبس رضا متسائلا " ماذا تعني ؟! مؤكد
ستكون انت .. فانت والدها .."

تطلع حذيفة لوجه اخيه العابس فتبسم
بطريقة جعلته يبدو وسيما بشكل خاص
ليقول بصوت أجش " انه انت يا اخي من
سيكون وصيا على اموال ابنتي ..."

اذا كان حذيفة قد فاجأه سابقا فالآن ...
صدمه !

كان يبتسم ويسحب الانفاس العميقة من
سيجارته وهو يراقب اخاه الاكبر وكأنه
يتسلى بالامر !

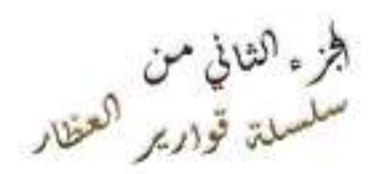
لكنه لم يخدع رضا فقال له

" لماذا تفعل هذا بنفسك ؟ "

بنفس الابتسامة وبنفس السخرية من الذات

قال " انا احمي ابنتي .. واخترتك انت
لتكون حارسا امينا على مستقبلها ... وهل
هناك افضل من شخص رضا الصائغ ؟!! "





لم يعر رضا اهتماما لسخرية حذيفة التي يداري فيها انفعالاته الداخلية ليقول له مؤنبا " المستقبل بيد الله يا اخي .. ثم تحميها من من ؟؟ منك ؟!! انت والدها ؟!! بالله عليك انت تعشقها.."

تلاشت السخرية لتحل المرارة ! ليقول حذيفة بصراحة مفجعة " لن اعرضها لهوى نفسي وتقلباتها .. اريدها آمنة ... "

زمّ رضا شفتيه بحنق وقد ايقن عدم جدوى مجادلته فيما يريد ...

آثر رضا مجاراته ليقول له بثبات

" يبدو انك حسمت امرك "

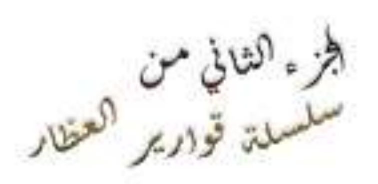
فرد حذيفة بنفس الثبات " نعم .. قضيت الايام الماضية اتنقل في المدينة الصناعية لاحدد ما يكفيني من المال وحددت الورشة والمخزن المناسب لها .. ستكون في اخر السوق .. اقرب للمدينة السكنية منها للمحلات الصناعية لكن لابأس فالسعر يناسبني اكثر ... "

ثم تطلع لرضا بملامح هادئة مضيفا " كل شيء جاهز وكنت .. بانتظار عودتك .."

رد له رضا " ساجهز لك المبلغ غدا صباحا باذن الله .. وساضيف له مبلغا لشراء سيارة خاصة لك "







اسقط حذيفة السيجارة على ارضية الحديقة

ودعسها بقدمه ودون اضافة كلمة استدار

ليغادر فناداه رضا " حذيفة .."

توقفت قدما حذيفة لكنه لم يلتفت لاخيه

وحدسه ينبئه بالقادم !

قال رضا بنبرة حملت الكثير من المعاني

" زوجتي ستعود الاسبوع القادم بانتهاء العمل

في جناحنا "

بصوت رجولي مبحوح قال حذيفة

" اعلم هذا .. اخبرتني امي .."

عندها اكتست كلمات رضا بمعاني محددة

وهو يقول بجدية شديدة وحزم واضح

" غير مسموح لك التكلم معها او التواجد

قربها .." ليتماهل قليلا قبل ان يضيف " الا اذا

.. قررت هي بنفسها ان تكلمك .."

صمت .. لحظات صمت طويلة مرت على

الرجلين في الحديقة والشاب اليافع المصغي

باهتمام شديد عبر شباك غرفة الضيوف ...

تحركت قدما حذيفة مكتفيا بالقول الصلب

" تصبح على خير ..."





بعد اسبوع...

" تلك الحقيرة ساعلمها درسا ... نتسلى بها كما نشاء ثم نضربها بما فيه الكفاية لتمتنع عن عرض جسدها لاسابيع واخيرا نرميها لكلاب الشارع في المنطقة غير المأهولة "

هذر لشاب احمق مع بضعة شباب اخرين من سنه استرعى انتباهه بينما يضع سيجارته عند جانب فمه ليخرج محفظته ويدفع ثمن المواد التي كان يشتريها من احدى محلات بيع الخردوات الحديدية والنحاسية ...

كان قد اتفق مع صاحب محل (بيع الجملة) على ما يريده ليرسلوه له في احدى سيارات الحمل الصغيرة ...

دفع المال للبائع الذي لم تثره ثرثرة الشبان الاربعة عند باب محله المفتوح.. كانوا مجرد شبان يافعين من فئة العمال على اكثر ترجيح ...

خرج حذيفة من المحل وهو يرمق الشبان بنظرة عابرة لكن لم تفته تلك الحبوب التي اعطاها احدهم لبقية (الزمرة)







بينما بدا واضحا ان المتكلم الغاضب عازم على اتمام فعلته وعيناه تجدحان بالنار وهو يوجهها لناحية معينة ...

تتبع حذيفة مسار نظراته ليجدها تتسلط على شابة ما .. (ان صح التعبير) ... فما يراه تماما لايعدو ان يكون الا جسدا لامرأة مثيرة وتدرك انها مثيرة .. غير هذا كانت منفرة !

شعرها مصبوغ باللون الاصفر الفاقع وقد تناثر حول وجهها المصبوغ بالوان مبهرجة تعكس هوية (حرفتها) !

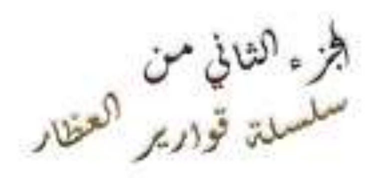
اخذته خطواته ليمر قريبا منها بينما هي تحاول مشاغلة احدهم ممن يركب سيارة ثمينة !

اعترف حذيفة انها تبدو اصغر سنا عن قرب !

بل حتى تكهن انها جميلة فعلا لولا الوان الصباغ المرعبة !

وصل لسيارته المتواضعة ليفتح الباب وعيناه تتنقلان بين بائعة الهوى وصيدها الثمين الذي ارتحل ليتركها خائبة الامل ثم انتقلت عيناه الى حيث يقف الشبان الاربعة وقد لاحت على وجوههم البائسة شراهة الرغبة وشراسة الانتقام واللهاث لمتعة وحشية ينوون الاتيان بها بشكل جماعي !





صعد حذيفة لسيارته بعد ان رمى عقب السيجارة ارضا وما ان شغل المحرك وانسابت السيارة بسلاسة حتى خفف بجانب تلك العاهرة ...

انزل نافذة السيارة ليتطلع اليها بنظرة مقيمة رجولية وابتسامة ساخرة على فمه ...

في البداية كانت عابسة قليلا وكأنها لم تعجب بصيدها المتمثل بتواضع سيارته ! لكن ما ان رأت صاحب السيارة حتى رفعت حاجبا واحدا باستمتاع العارفة بما يمكن ان يقدمه رجل مثله !

قال حذيفة باستخفاف ساخر

" ما رأيك بوجبة طعام خفيفة ...! "

تبخر الاستمتاع لتعبس متسائلة " خفيفة ؟! "

نظراته انسابت على طول الظاهر من جسدها ليقول بابتسامة حسية

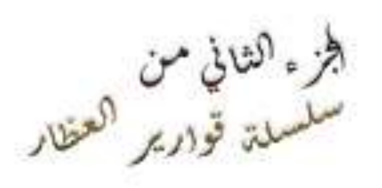
" سأدفع الثمن لاتخافي ... " ثم التمعت عيناه ليضيف " مر زمن لم احظَ بصحبة النساء ! "

بدا عليها التردد والتفكير بالعرض (المتاح) ليحثها حذيفة اكثر وهو يشير برأسه

" طاوعي عرضي البسيط والا ستكونين الليلة وجبة عشاء مجانية لمجموعة حثالة يقودهم منتقم حقير لم يرتض رفض غانية متطلبة الأجر ! "







التفتت الى حيث يشير لترى اربعة شبان تعرفت على احدهم وقد بدوا جميعهم بحالة تأهب وترقب !

وجوههم الجائعة اثارت في نفسها نوعا من الرعب بدأت تألفه كلما تعمقت اكثر في خبايا (عملها الجديد) !

بكل بساطة فتحت باب المقعد المجاور له وصعدت السيارة لتغلق الباب دون ان تقول كلمة ...

تحرك حذيفة بسيارته منطلقا وهو يبتسم قائلا

" ما اسمك ؟" ردت وهي تنظر اليه وتسبل اهدابها باغراء مضحك " اشجان ..."

انفجر حذيفة ضاحكا ثم علق ساخرا

" اسم يليق بمطلع اغنية رومانسية سخيفة لا محترفة بيع الهوى ! "

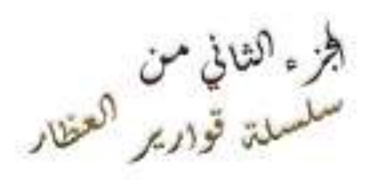
عبست وبدت طفولية وهي ترد عليه

" انا احب اسمي ..! لكن ... هل تشكك بقدراتي ؟! استطيع ان اجعلك تـ.."

قاطعها وهو يسأل ببساطة

" كم رجلا عاشرت ؟! " فتحت فمها لترد فحذرها بحركة من سبابته وابتسامته تتسع قائلا " ودون كذب ! "







ردت وهي تتفاخر بوقاحة " خمسة عشر .. "

ناظرها جانبيا ليقول بضحكة رجولية

" قلنا بدون كذب ! "

باحباط هتفت " عشرة .."

رفع حاجبيه وهو ينظر اليها باستهانة وعدم تصديق لتكز على اسنانها قائلة

" انت العاشر .... فلا تنظر الي هكذا ! "

بمزاح ساخر قاس قال " اذن فأنت مستجدة ! "

اثار غضبها وغيظها لتفقد السيطرة ويعلو صوتها دون وعيها " انا استطيع ان .. ان ... "

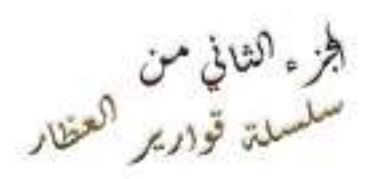
رفع يده في اشارة لتصمت بينما ارخى رأسه للخلف على ظهر مقعده وعيناه تتطلعان للطريق امامه بينما ملامحه تنبأ باحساس غريب يكتنفه ليقول بنفس السخرية مع لمحة هدوء وشرود ....

" وفري الوعود البراقة ... فكل ما اريده ... وجبة خفيفة ... معك ... ! "

تنظر لساعتها وهي توشك على مغادرة الشركة ، اليوم ستنتقل اسيا لبيتها بعد ان اعيد تنظيمه وعليها الذهاب للمساعدة ...







امها لم تفضل الذهاب والفتاتان لايجيدان المساعدة حقا واسيا متوترة منذ ليلة الامس بعد مغادرة رضا الذي اخبرها بانتهاء كل العمل وجهوزية المكان ....

ضغطت حبيبة زر طلب المصعد عندما شعرت به خلفها ...

اغمضت عينيها تطالب بالصبر بينما جاء صوته يحمل حنقا وغضبا لايضاهيان ...

" اريد التكلم معك .."

دون ان تلتفت اليه همست " لايوجد بيننا كلام خاص يا مهند .."

ليرد مهند من بين اسنانه " بل يوجد الكثير ... انا لم اعد اطيق معاملتك لي .. ولم اعد احتمل تهربك من التواجد معي في نفس المكان حتى ولو كان عفويا وبرفقتنا العديد من الموظفين والعاملين في الشركة ! انا اخطأت لكن استحق منك ان تسمعيني بشكل جدي .. اعرف اني لست صبورا وقد عاهدت نفسي على الصبر معك لكن .. انا لااطيق يا حبيبة .. لااطيق ..."

استدارت اليه تضغط على قلبها المرتعش بين اضلعها تخفي ضعفها بين خفقاته المتسارعة ... الى متى ستنكر الامر ... الى متى ستخنق كل هذه الانفعالات التي تنهكها ...





وتحت ستار سميك من السيطرة على النفس

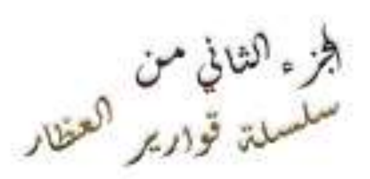
والبرود الشديد قالت

" حسنا مهند ... لننهي هذا الامر معك ..

كما انهيته مع نفسي ! "





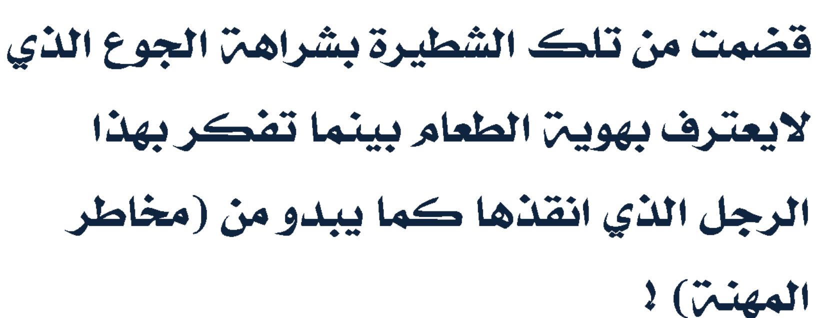


الفصل الثاني

تطلعت أشجان بحاجب واحد مرفوع للشطيرة التي اخرجها من الكيس الباهت ليقدمها لها هذا الرجل الذي بات مريبا بشكل غريب !

مطّت شفتيها بامتعاض بينما تلحظ ابتسامته الساخرة ونظراته المتسلية باستخفاف ...

تأففت بتعمد وهي تمد يدها لاخذ الشطيرة التي لاتحمل تعريفا محددا كمسمى لها وقد فاضت باوراق الخس المفروم والطماطم وبعض المخللات ...



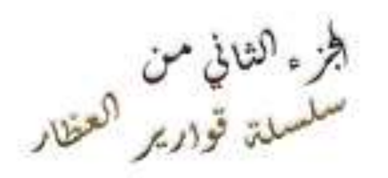
قضمت من تلك الشطيرة بشراهة الجوع الذي لايعترف بهوية الطعام بينما تفكر بهذا الرجل الذي انقذها كما يبدو من (مخاطر المهنة) !

ملامحه خشنة ومع الندب الطولية المتناثرة عشوائيا على وجهه هنا وهناك اصبحت هيئته تنبض برجولة فجّة جذبتها ! وهي قد تذوقت رجولة مشابهة من قبل جعلتها تطمع بالاستمتاع معه اكثر من طمع التربح من امتاعه !

قالت بتذمر ساخر وهي توشك على انهاء شطيرتها " هل هذه فكرتك عن (الوجبة الخفيفة) ناهيك عن صحبة النساء ؟!!"







ضحك عاليا بينما ينهي شطيرته ويخرج شطيرة اخرى ويبدأ بتناولها وهو يقول بتفكه " مؤكد هذه الوجبة هي الاخف بالنسبة لي ولاتعدو ان تكون مقبلات اتناولها قبل غداء دسم .."

انهت شطيرتها هي الاخرى لتمد يدها بأريحية نحو الكيس وتخرج لنفسها شطيرة اخرى ...

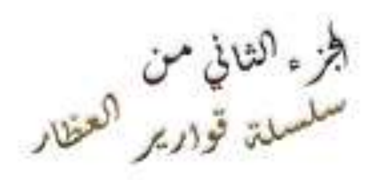
قال حذيفة وهو يوشك على انهاء شطيرته الثانية " ما اسمك حقا ؟"

ردت بامتعاض " قلت لك اسمي اشجان .. اشجاااااااااان "

تبسم وهو يرمقها بنظرة جانبية ليرد بصوت ساخر مبحوح " اذن من اسماك باشجان تنبأ لك بمهنة (عاطفية)؟!"

ثارت غاضبة لترمي باقي الشطيرة ناحية الكيس المستقر بين المقعدين فتناثر بعض الخس هنا وهناك ، طالعها حذيفة بلامبالاة والسخرية تنضح من نظراته وكل شيء فيه لتهدر اشجان بعنف شرس " اياك ان تتكلم عن امي هكذا مرة اخرى ! "

اسبل حذيفة اهدابه ثم مد يده ليلتقط حبات الخس المتناثرة ويضعها في الكيس بينما يرفع الباقي من شطيرتها ويقدمه لها قائلا بابتسامة رجولية " لن نتكلم عن امك ودعينا نتكلم عن اشجان ... ما رأيك ؟"





عقدت اشجان حاجبيها تحدق فيه باستغراب شديد وقد تراجع غضبها تماما !

لم تشعر به الا وقد اخذ يدها ليبسطها ويضع فيها باقي الشطيرة وهو يسأل بمرح غير حقيقي " اخبريني .. كم عمرك ؟ "

رمشت اشجان وابتلعت ريقها ! مضى زمن يبدو طويلا جدا لم تجري محادثة كهذه !!

لكنها تمالكت نفسها لترفع الشطيرة لفمها وهي تقول ببرود " انا في التاسعة عشرة "

فجاءها صوته ممطوطا نوعا ما " امممممممم ما زلت صغيرة جدا "

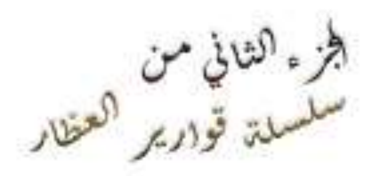
انتابها حنق لاتعرف مصدره لتهدر به " لست صغيرة ليطلبني الرجال للمعاشرة لقاء المال ! "

سكنت ملامحه وشابها الغموض وهو يسأل بهدوء غريب " منذ متى وانت تعملين بهذه المهنة ؟! "

ارتعش شيء في داخلها .. هل يظنها هذا الرجل غبية ليجعلها مصدرا لتسليته ؟! نعم انها تعلم بأنها لاتملك ذكاء حادا لكنها ليست غبية وليست صغيرة في هذه الدنيا التي نهشتها باكرا .. باكرا جدا ...

رفعت رأسها لترد بخيلاء فارغة " منذ ان اكتشفت انها المهنة التي يريدها لي الجميع! "



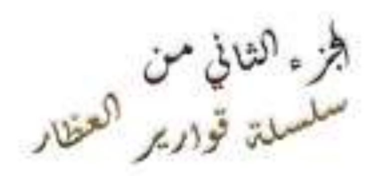




لم تتغير تعابير حذيفة وهو يراقبها ترفع يدها لتعدد على اصبعها يدها الاخرى " اول من احببته ووثقت به كان نذلا سافلا وعدني بالزواج اذا منحته نفسي وانا الغبية فعلت ما اراد بسذاجة ! وبعد ان اخذ مني ما اراد رماني قائلا انه لايتزوج حثالة مثلي ! لكنه هو من كان الحثالة ! "

هزّت كتفيها وهي تنزل يدها في حجرها قبل ان تعد رقم اثنين ! لتقول وهي تلامس قبة فستانها المهلهل " الثاني كان رجلا بعمر والدي ! شغلني في معمله وراعاني كثيرا حتى اثرت حسد العاملات ! لكنه في النهاية اخذ مني ما اراد ايضا وانا بغباء لم اخذ الا القليل منه قبل ان يطردني ! ..."

التفتت اليه بحدة وانفعال غريب يحوم في نظراتها ليتحرك فمها الكبير الذي لطخه احمر الشفاه الرخيص " وهكذا وجدت الرجل الثالث بنفسي او ربما هو من وجدني ! كان يجب ان آكل وقد قتلني الجوع فلم احصل على عمل لاسبوع كامل فما كان مني الا القبول بعرض رجل اربعيني رأيته في السوق يتبضع بينما انا كنت اتسكع ! اخذني بسيارته لمكان نظيف اظنها شقة مشتركة ... كان جيدا جدا معي لدرجة راقتني (مهنتي) الجديدة وبسببه قررت احترافها ! حتى انه طلب بأدب خدماتي لصديق له ....! "





للحظات طويلة ظل يحدق فيها بصمت بينما صدرها اخذ يعلو ويهبط وعيناها شردتا !

ارتعش رأسها ثم نفضته بقوة لتقول باختصار

" لنقل ان صديقه لم يكن جيدا مثله كما ولديه حب لصفع امثالي !"

فجأة ادارت وجهها لتلتهم ما تبقى من تلك الشطيرة دفعة واحدة !

قال حذيفة بينما يراها تعاني صعوبة المضغ

" هل لديك عائلة ؟ "

اوشكت ان تغص في لقمتها لكنها سيطرت على الامر لتبتلعها بصعوبة ثم تلتفت اليه

بوجه كالح.. عيناها مثقلتان بالمشاعر البشعة كبشاعة تبرجها الرخيص ... قالت بصوت مبحوح وكأنها على وشك الانخراط بالبكاء " نعم ... امي هي كل ما تبقى من عائلتي ... امرأة مقعدة مريضة .. "

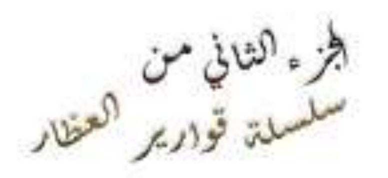
ضحكت ضحكة منفرة لتقول بعدها بسخرية مريرة " انها احدى الاسباب التي جعلتني ادرك قدري المكتوب وانا اسلك طريقي هذا اعرض جسدي او اترك له المهمة ليعرض نفسه بنفسه وقد برزت مفاتنه تلقائيا..."

كان صوت حذيفة هادئا وهو يسأل المزيد

" اذن فوالدك ميت ؟"







هزت اشجان كتفيها وهي تقول " لااعلم ! فقد هجرنا انا واخواتي وامي منذ سنوات طوال ..."

فعاد وسأل " لديك اخوات ؟"

ردت بلا مشاعر " اختان وانا الوسطى ...
الكبرى هربت مع عشيقها والصغرى ماتت قبل عامين بذات الرئة "

فاجأته بأن استعادت في لحظة مزاجها الاول حينما التقطها من الشارع لتقول بنظرات اغراء شديدة التصنع قليلة الخبرة " حسنا ... دعنا من هذا الهذر السخيف واخبرني اين سنقضي وقتنا ؟؟"

نظر اليها حذيفة ليبتسم ابتسامة جانبية غامضة ويهمس بصوت أجش مؤثر

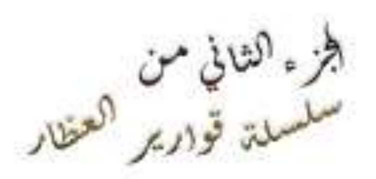
" في ورشتي الجديدة ! "

ثم شغل السيارة لينطلق بها ....

تستند الى سور الكورنيش الداكن تتطلع لصفحة الماء بينما لهاثه المنفعل يصلها قبل كلماته المتلاحقة فيوترها اكثر ويزعزع من جمودها الظاهري !

قال بحنق " لماذا لاتردين علي يا حبيبة ؟ ولماذا جعلتينا نأتي لهذا المكان بدلا من مقهى اكثر راحة وخصوصية "







ما زالت تحدق بامواج الماء المنسابة بنعومة مع تيار النهر الذي لايتغير بينما تكتفي باعطاء مهند وجها لايعبر عن شيء ! لايكشف عن هذا التأثر المجنون الذي يأبى الانصياع لارادتها ... ما الذي فيه جعلها تنجذب اليه بهذه الطريقة ؟ هل كان بطريقة ما يعكس روحها الجامحة التائهة بين ظلمات لاتعرف التحرر منها ؟؟

ام ان مهند تسلل لانوثتها ببساطة مستعينا بخبرته في جذب النساء ليحرك فيها و

-لاسباب مجهولة- عاطفة ظنت انها لاتملكها كباقي البنات؟!!!

انها حتى غير قادرة على كرهه بعد كل ما فعل ! وهذا ... يغضبها !! بل يجعلها مجنونة بالغضب الداخلي ... ! فحبيبة التي تعرفها يفترض ان تشعر وتتصرف بطريقة مختلفة .. ان تقتل اي مشاعر وليدة خلقها هو في عمقها ... لكن ... للاسف ... بمضي الايام وتباعد الحدث وجدت نفسها محاصرة بحنين متعطش !

اغمضت عينيها بقسوة رافضة .. مستنكرة !

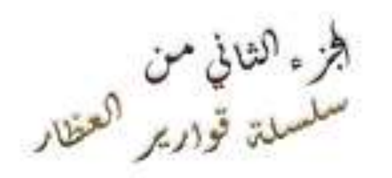
لا .. لقد انهت الامر .. مهند لامكان له معها ..

لا هو ولاغيره ... !

سمعت صوته يفيض قهرا " اسمعيني حبيبة .. انا لااعرف كيف اعبر عن نفسي بشكل صحيح ؟"







التفتت اليه بقناع ساخر ليتشنج هو مضيفا بحدة وعيناه تشعان " لاداعي لهذه السخرية ! انا اتكلم بجدية تامة ... اعرف اني غبي عندما اغضب .. متهور اهوج .. اؤذي من احب دون سيطرة او ذرة عقل ! قد اكون انانيا ايضا او حتى صفيني بطفل مدلل لكن هذا لايمنع اني احببتك .. واقسم بالله ما زلت احبك .."

ترتج جملته بالحب بين اضلعها لتعبر خلف اسوارها العميقة فيتردد صداها بجملة اخرى (السيطرة على الذات لعبة خطرة) فلا تملك الا ان تشحذ همتها من جديد لتقاوم امواج تأثرها الاحمق بكل ما يقول !!

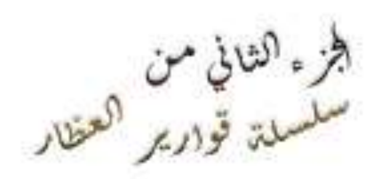
لكن مهند لم يتنبه لما تحاول اخفاءه وفاته ما افلت من مشاعرها ليضيف بالقول الحانق

" انا مجنون ايضا ! عندما احب اصبح مجنونا بالكامل ... كما اني متطلب الى درجة الاختناق .. اريد الكثير ممن احبهم وربما هذا مايجعلهم لايفهموني بشكل صحيح ..."

تنهد وقد بدا ضائعا بشكل مس قلبها بينما يحيد بنظراته للنهر فيقول بصوت مبحوح

" ذلك اليوم في المكتب... لم اكن ساتمادى.. قد لاتصدقين هذا الان وقد لاتصدقينه ابدا ولكن هذا لايمنعني ان اقولها لانها الحقيقة الخالصة ... "







تجمدت تماما بينما تخرج كلماتها مخنوقة

" تتكلم عن الحقائق مهند ؟!!! حسنا انا ساقول لك حقائق تتجاهلها عن تعمد واصرار ... الحقائق تقول انك تماديت فعلا ولو وصول شهاب في الوقت المناسب لكنت .."

قاطعها وهو يستدير نحوها بعنف " لا حبيبة ... لا ... اقسم لك انا لم أكن لافرض عليك الامر بهذه البشاعة .. قد يفلت مني فلا اسيطر على نفسي ولَكنتُ استمريتُ للنهاية ايضا لو تجاوبتِ معي ... لكن يستحيل ان استمر فيه اذا رفضته انت..."

قلبها يقصف في صدرها ووجهها يشحب للذكرى التي مازالت محفورة في ذهنها وان كانت تؤثر بها بشكل مختلف الآن ...

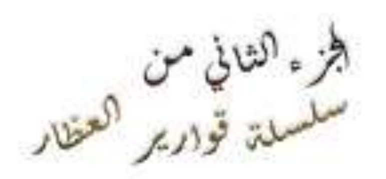
لقد اصبحت الذكرى .. اقل وحشية واكثر ضعفا .. ! اقل قساوة واكثر حميمة ....!!!

" يا الهي ! "

همستها خرجت رغما عنها بينما مهند قلبه يتمزق لشحوبها الذي يعتقد بادراك كل اسبابه .... لكنه لايعرف كل الاسباب !!







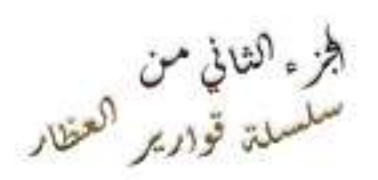
همس ببحة عاطفية لم يسيطر عليها " ما فعلته من حماقة كان بفعل الحب يا حبيبة ... انا احبك حقا .. احببتك حتى قبل تلك الليلة .. ثم رأيتك ليلتها... ضعيفة متألمة ...كنت تبكين بطريقة ممزقة لاتوصف ... لم اتمالك نفسي وانا اضمك لصدري مواسيا ثم افلتت مشاعري المكبوتة نحوك.. فعبرت ... عنها ..بطريقة ... لنقل انها كانت ردة فعل جسدية صرفة ؟!"

اشتعلت عيناها بالغضب الجامح فجأة ووجدت متنفسا لكل مشاعرها التي تواجه اشد الصعوبات في التعامل معها لتهدر فيه

" هذه هي المسألة الحقيقية في كل الامر يا مهند ! انت لاتعرف معنى الحب الحقيقي! الحب اسمى بكثير من اي ردود فعل جسدية كما تصفها بوقاحة .. لو كنت تحبني كما تدّعي لقدّرت في اي وضع كنت ساعتها ولما فقدت السيطرة من الاساس ! الحب عاطفة روحية عميقة لكنك لاتفهمها ابدا ! "

كالعادة يفاجئها بردود افعاله الغريبة ! ليبتسم بعذوبة ولمحة مشاكسة قائلا " كم تظهرك هذه الملاحظة قليلة الخبرة بالحب! الاثنان مرتبطان ببعض صدقيني ... الروح والجسد ..."







لم تصدق كيف يمكنه النظر ببساطة هكذا للموضوع !! بل وحتى يتجرأ على المزاح بهذه الطريقة !

احتدت عيناها وهي ترد عليه بتصلب

" المسألة لاتتعلق بالخبرة القذرة التي تقصدها! انت ..."

قاطعها بنبرة غريبة جمعت بين الغموض والبساطة

" لاتغضبي .. انا لااقصد ان اكون قليل الحياء معك .. لكن .. ربما هي طبيعتي انا .. "

لتلتمع عيناه مضيفا بنبرة رقيقة " لينا كانت تفهمني اكثر منك وتثق بي ثقة عمياء ... كانت تسمح لي احيانا بتقبيل شفتيها ولم اتجاوز معها اكثر من هذا .. كانت تعي تماما اني من ذوي الدم الحار وتحبني لتقدم لي تنازلا كهذا .."

الا يفترض ان تشعر بالقرف فتتركه وتسير مبتعدة ؟!! بل ان تبصق في وجهه ايضا وتنعته بكل انواع الشتائم ؟!!

اذا لماذا كل ما تريده الان هو اقتلاع عينيه لذكر مغامراته السخيفة مع تلك الـ(لينا)؟!!







ولانها في فترة صعبة من الوصول للسيطرة التامة على النفس اكتفت بادعاء بما يتوجب عليها الشعور به قائلة ببرود

" هذا الحوار بدأ يقرفني ! "

ضحك بخفة ليقول بصوت مبحوح " بل يخجلك لاكثر ! مهما بلغت تحرر افكارك الا انك عجزت عن تحرير خجلك من موضوع طبيعي كهذا "

عندها قالت له بقساوة الانتقام " طبيعي ؟؟ حقا ؟!!! هل تريد القول انك لو سمعتني يوما اتناقش بهذه الامور مع زميل لنا في الشركة فسيعجبك الامر ؟! "

تلاشت ابتسامته الدافئة تدريجيا لترتعش عضلة في خده بينما تضيف حبيبة المزيد امعانا في قهره " هل سيجعلك معجبا بي اكثر وبجرأتي وتحرري كما وصفت ؟! "

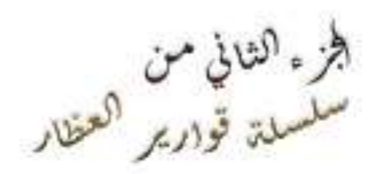
همس بصوت قاس " اياكِ ان تفعليها .."

شعرت بالتوهج والسيطرة لتشمخ وهي تقول بابتسامة ترفل برايات النصر وشهوة الانتقام

" انت منافق كبير لاكثر ! لذلك وصفتني يوما بالنفاق فالاناء ينضح بما فيه كما يقال!"

صمت وهو يشد قبضتيه الى جانبيه وملامح وجهه تنطق بالغضب المكبوت ...





قالت حبيبة بنظرات نارية وكبرياء واثق

" سألتني لماذا غيرت قليلا من ملبسي وتصورت بغرور انك الباعث الاساسي للامر ... فانت كعادتك لاتنظر الا لنفسك وعبر مرآتك الخاصة ! وكم اود تحطيم مرآة الانانية تلك لتضطر الى النظر لمن هم حولك ... ان تمعن النظر فيهم لعلك تهتم بمعرفة دواخلهم الحقيقة وكيف ينظرون لك ..."

صمتت للحظة تتشفى رغما عنها مما يعتريه ويظهر جليّا على وجهه لتضيف المزيد وبثقة زائفة " اعترف انك اثرت بي يوما ما لكنك كنت غبيا لتجازف بفعلتك تلك معي ! لتتمادى وانت تذكر ابي وامي بالسوء .."

فتح فمه ليدافع عن نفسه لكنها رفعت كفها في اشارة ليتوقف لتضيف " الامر انتهى مهند .. طريقك غير طريقي .. انت تريد فتاة ك(لينا) .. ناعمة سلسلة متفانية لاجابة متطلباتك ! وتنتظرك متى تقرر الارتباط بها رسميا او حتى تقرر عدم الارتباط اصلا ! وانا ابدا لن اكون هذه الفتاة التي تنشدها ...."

حدقا في بعض هو بنظرات مفكرة في غموض وهي بنظرات فارغة ..متألمة !

لتتحرك اخيرا تنوي الابتعاد عنه وهي تقول " وداعا مهند ..."





تركته واقفا مكتف الذراعين عند باب الورشة الخالية ودخلت وهي تتطلع حولها .. انها ورشة جيدة في الواقع وقد توسطتها ماكنة خراطة وعلى الجانب تكومت خردة الحديد وفي احدى الزوايا كان هناك هيكل لما يشبه الماكنة الضخمة !

لم يكن المكان نظيفا لكن لابأس به !

التفتت ناحيته لتقول بسلاسة ويدها على زر فستانها العلوي " هل تريدني ان اخلع ملابسي كلها ام تفضل ....."

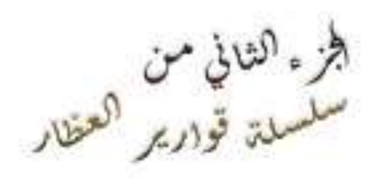
قاطعها وهو ما زال على وقفته المتكتفة ليقول " تخيلي هذا مكان عملك الجديد .. ستأتين منذ الصباح الباكر وستجدينني موجودا ومعي ثلاثة عمال حتى يلتحق المزيد .. مهمتك حاليا التنظيف واعداد الشاي لنا .."

اتسعت عيناها بغباء دون ان تستوعب حقا مقصده ليكمل حذيفة بهدوء " لكن في المستقبل سنعلمك كيف تلفين النحاس في بكرات "

اخذت تهز رأسها بلا معنى بينما تردد

" انا .. لاافهم ! "







استعدل في وقفته وارخى ذراعيه وهو يتقدم منها قائلا بلهجة تسلطية ساخرة " شعرك السخيف هذا تعيدي اليه لون طبيعي داكن ووجهك اريده خال تماما من اي نوع من انواع التبرج "

ارتفع حاجباها بينما تنساب نظراته لفستانها المهلهل الذي يظهر مفاتنها بشكل فج ليقول المزيد " قميص فضفاض طويل يستر كل مفاتنك وتحته تنورة بنفس المواصفات .."

عبست اخيرا ! فابتسم وهو يميل راسه ويتساءل بتفكه " اممممممم ماذا بعد ؟؟"

تفتح فمها ليسبقها هو بالرد على نفسه

" اجل .. شعرك لفيه بوشاح "

عندها قالت بعبوس شديد " هل انت مجنون ؟! تريدني ان اتحجب ؟!! "

اطلق حذيفة ضحكة رنانة ليقول بعدها

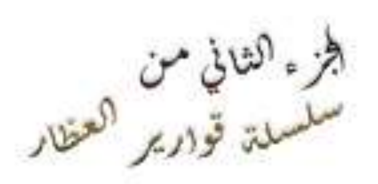
" انها ملابس عمل في مصنع وليست حجاب ! ستعملين في مكان يزخر باكوام النحاس والحديد وستكون هناك مكائن قريبا ان شاء الله لذلك يفترض ان تلبسي ما يلائم طبيعة المكان "

صمت ينتظر ردا منها .. لكنها لم ترد !

بل اخذت تتطلع اليه بنظرة متشككة ولعجبه اشفق عليها !







قال وهو يقترب منها اكثر ويشرف عليها بقامته الطويلة

" كل ما قلته الآن تستطيعين اعتباره عرض حقيقي قائم ابتداء من هذه اللحظة .. وردك عليه سيصلني غدا عند الصباح الباكر بحضورك او .. بتخلفك... لتقفي عند ناصية شارع ما تعرضين (بضاعتك) قبل ان تمضي السنون وتبور ثم ترمي طعاما مجانيا للكلاب الضالة في الشارع! "

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتطلع اليه بتيه بينما الرعب يكسو نظراتها ....

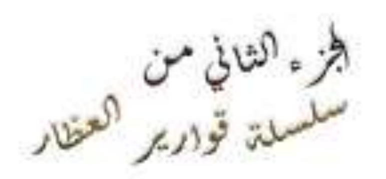
فاضاف حذيفة بجفاف " لاتقنطي هكذا ! فربما لن تنتظري طويلا لتذبلي فيتكفل احدهم بتشويهك او اصابتك بمرض خطير او ان يتسبب مباشرة وبكل بساطة في مقتلك! "

عيناها اتسعتا اكثر وشحوب وجهها تضاعف فاسبل حذيفة اهدابه ليقول وهو يستدير

" هيا لاعيدك لبيتك .. اتمنى انك حفظت طريق الوصول للورشة "

امسكت بذراعه فجأة فالتفت اليها ليراها تقول بتخبط " تعيدني ؟! لكن ... ألن ... اقصد .. انت لاتريد ان ...؟ "







كست القسوة والتهديد ملامحه ليقول بشكل مباشر

" هنا ... في هذه الورشة ... سيكون ممنوع عليك اغراء اي عامل من العمال ولو بالتباسط معهم فبعضهم شباب يافعين وقد يتاثرون بوجود امرأة قريبة منهم ، انسي تماما (مهنتك الرخيصة) ونظفي نفسك من قذراتها وانت ما زلت في البداية ، لكن اقسم باللّه اذا علمت بعودتك اليها ساطردك فورا وليكن في علمك لن اعطيك اجرا شهريا ولا اسبوعيا بل اجر يومي حتى تثبتي التزامك "

اخذت تهز ذراعها التي لازالت تمسك بها لتهمس له " لماذا !؟ .... لما..ذا تفعل ... هذا معي ...؟!!"

عيناه تسلطتا بغموض على وجهها لتهبط ناحية يديها التي تتمسكان بذراعه فقال

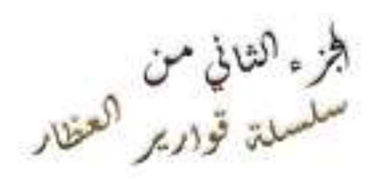
" من الامور التي لااحبها ولااجيدها اصلا هو المشاعر السخيفة ! فلا تبدأي بها وبدلا من تمسكك الاحمق بذراعي تمسكي بفرصة حياة شريفة نظيفة اعطيها لك واعلمي اني لااعطي فرصة مرتين .."

ابعد يديها عن ذراعه ليقول

" هيا بنا لاعيدك فلدي اعمال مهمة اقضيها "







بعد بضعة ايام

بملامح هادئة واثقة القت حبيبة تحية الصباح على الحارس الامني شهاب وهو رد التحية بنفس الهدوء والرسمية ..

لقد خسرت ابتسامته الطفولية التي كان يلقاها بها صباحا منذ تلك الليلة !

تلك الليلة ....! ترا كم عدد خساراتها فيها بالضبط لتحاول تداركها وتعويضها ....؟؟

قادها المصعد للطابق المطلوب .. عن ارادة صلبة وقناعة مترسخة لم تغير عادتها بالقدوم الباكر للشركة ..

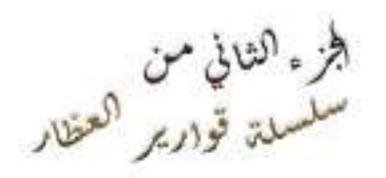
ان عملها مهم بالنسبة لها .. مهم جدا لتحافظ عليه وعلى كل ما يجعلها تبدع فيه ..

انه يمنحها فرصة لاتقدر بثمن للتعبير عن دواخلها المعقدة وقدرات عقلها الواسعة بالتخيل والاندماج بعوالم اخرى ...

استمرارها بالعمل هنا ... في هذه الشركة تحديدا ... يمنحها ايضا عزما على المواجهة .. مواجهة مشاعرها المتمردة ...

تحركت نحو غرفتها لتلقي التحية على العم صبري الذي كان يمسح الارضية كعادته فيبتسم لها ويرد التحية باشراق طيبة ملامحه فيمنحها توزاناً لايدركه هو !







اجل ان تحتاج لكل تفصيلة توازن في هذا المكان لتسيطر على الامور المنفلته فيها ..

حالما دخلت غرفة مكتب التصميم حتى واجهتها (احدى اهم الامور المنفلته) !

يقف عند الشباك يتطلع بشرود عبر الزجاج الشفاف ...

كان امرا جيدا انه لم يتنبه لوصولها فلم يلحظ ما قد يفلت منها من ارتعاشة تأثر به ..

لملمت شتات قلبها الذي تبعثر في ارتباك لتقول له بنبرة صلبة " ماذا تفعل هنا ؟!"

فاجأها باجفالته ! فارتفع حاجباها بينما يستدير اليها بنظرة دهشة ليقول بما يعبر عن سبب دهشته " لم اشعر بدخولك ! "

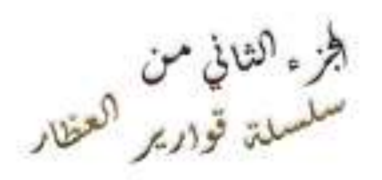
خطت خطوة لكنها اوقفت خطوة اخرى بينما عينا مهند تناسبان عليها بتقييم رجولي عفوي..

من قمة رأسها حيث لفت شعرها في كعكة بسيطة ليحدق في تقاطيعها بتبرج خفيف فينحدر بنظراته نحو قميصها الحريري الازرق وقد انساب برقة فوق بنطال كتاني اسود فضفاض ...

ابتلع ريقه بوضوح ليقول بصوت مبحوح " انت متأنقة اكثر من عادتك ! "







تخضبت وجنتاها وقد ادركت بحمق انهما تخضبتا !

كل ما استطاعت فعله لاخفاء ردة فعلها الانثوية ان اطرقت برأسها وهي تتقدم من مكتبها لتضع عليه اغراضها وتقول بصوت محايد " ساشارك في اجتماع مهم مع شركة اجنبية تنوي عرض منتوجاتها في اسواق البلد وتحتاج لفريق تصميم من اجل الاعلانات ..."

منذ ذلك اليوم عند سور الكورنيش ومهند يبدو شاردا ! كانت تراه وتراقبه خفية عندما لايتنبه لوجودها قريبة منه ...

انه مشغول البال فعلا لكنه لم يمتنع عن النظر اليها بتلك النظرة المؤثرة والتي لم يعد يحاول ان يخفيها عنها ...

هذه هي المرة الاولى التي يتكلم معها منذ ذلك اللقاء ...

" تبدين جميلة جدا ..."

ملاحظته اثارت حنقا في داخلها ! وكأنه يتعمد .. يتعمد ... ان ...

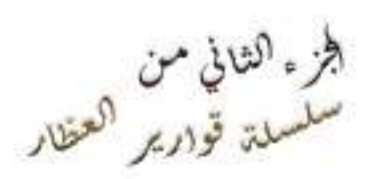
رفعت رأسها اليه لتواجهه بالقول العنيف " ماذا تريد يا مهند ؟! لماذا انت هنا ؟"

تبسم ...ثم اخذ يقترب باتجاهه فاتسعت عينا حبيبة ذعرا لتقول بصوت حاد صارم

" قف عندك ..."







تجمدت خطواته لتتلاشى ابتسامته ويشحب وجهه قليلا ثم قال بنبرة باردة

" لم اكن ساتهجم عليه يا حبيبة ! "

ردت بشراسة

" وحتى لو اردت فلن تسنح لك فرصة اخرى !"

غامت عيناه ليقول بصوت مبحوح

" اكسريها يا حبيبة ... اكسريها ...."

ابتلعت ريقها وقد تاه المعنى منها فقالت وقلبها يقرع كالطبل

" ماالذي تعنيه ؟! اكسر ماذا ؟!؟"

رد بنفس الملامح والنبرة " اكسري مرآة انانيتي ... اكسريها لاحبك كما ترتضين فاجعلك تحبينني كما ارتضي انا ..."

صدمها كلامه والجم لسانها لتذوب مشاعر العشق في عينيه وهو يقول " اجل حبيبة .. انا لااستطيع وداعك ببساطة كما فعلت معي عند سور الكورنيش .. لااستطيع التخلي عنك ... انه شيء لااستطيع فعله مهما حاولت.."

عجزت عن الرد وقلبها جنّ في صدرها !

يداها تقبضتا الى جانبيها بغضب لتقاوم ...







اطرق مهند برأسه ليقول بصوت غريب " قد لاتستطيعين تغييري عما انا عليه .. انه (شخصي) انا ببساطة ! لكني .. استطيع ان اسير خلفك لترشديني كيف انظر حولي .. كيف افهم حقيقة الاخرين كما يفترض لا كما افترضها انا ..."

رفع رأسه ليحدق في عينيها الرائعتين وقد بدتا غير مقروؤتين بشكل مغيظ ...

انتظر بقلب واجف حتى تحركت شفتاها بينما تشنجها الواضح يخفت لتقول ببعض التهكم

" حقا لقد اخترت الشخص الخطأ يا مهند ! انا نفسي بدأت اتعلم مؤخرا جدا كيف انظر بعمق اكبر حولي .. احاول ان اضع تفسيرات اكثر منطقية لتصرفات الاخرين .. اكثر تفهما ... اكثر انسانية ..."

ابتسم برقة ليسأل بشجن " لماذا اذن تستثنيني انا من محاولاتك تلك ؟! "

اتسعت عيناها قليلا وقد شعر انها تفاجأت من منطقية تساؤله ! فاضاف بهدوء " انا ايضا انسان يا حبيبة واخطأ على الدوام ... لي عيوبي الكثيرة وانا جاد بمحاولة تغييرها فقط لاجل ان احظى بك ... "





قالت بتردد

" لكني لن اكون ابدا كما تريد"

فرد بابتسامة حزينة " انت كل ما اريد ..
لكنك لاتصدقين هذا الامر واعترف اني
السبب بتصرفاتي الرعناء لاجعلك تتوجسين
من كل كلمة اقولها وتفترضين الاسوأ عني؟"

اربكها ! وارتباكها الواضح لعينيه انعشه !

انعش قلبه بالامل...

لكن صمتها استمر وارتباكها اخذ يتلاشى
سريعا ... نظراتها اصبحت باردة لتغمد
السكين في ذلك الامل الوليد ....

قالت بصوت عملي

" لدي عمل الان لو سمحت .."

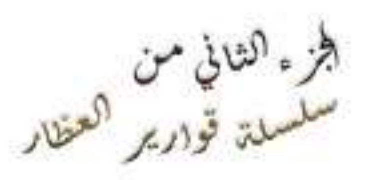
فورة غضب تزاحمت في صدره .. لايحتمل منها
هذا الرفض وقد احتمله طويلا ... طويلا جدا..

انها تتأثر به فهو ليس ابن البارحة ولكنها
ترفضه وتقاوم هذا التأثر..

لقد كشف نفسه امامها تماما واعترف بعيوبه
واخطائه ...

لقد طلب منها ما لم يطلبه من احد .. ان تغير
فيه نزعة الانانية .. نزعة الغضب عندما
يفشل في تملك ما يريد ...







كل الايام الماضية وهو لايكف عن التفكير بكلامها عند السور ... لقد اثرت به وجعلته يدرك امورا عن نفسه كان يعلمها لكنه رآها بعينيها هي ....

لن يستسلم .... مهما فعلت وقالت لن يستسلم ..

تحرك اخيرا كابتا غضبه ليقول بسلاسة ظاهرية

" ساتركك لعملك لكني واثق انك ستفكرين مليا بما قلت .. وانا سأكون دوما قريبا منك انتظر بل واسعى للوصول الى عمق قلبك فامتلكه كما ملكتِ قلبي بالضبط يا حبيبة "

وعند الباب التفت ليراها بوقفتها الشامخة ولولا استنادها لحافة مكتبها تبحث عن دعم واضح لخدعه هذا الشموخ اللذيذ منها !

همس في سره وهو يحدق في فتنتها

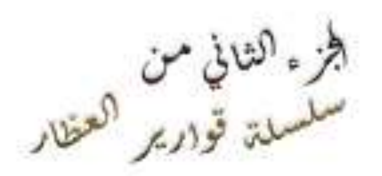
(يا اللّه كم اتعطش لرضاك)

اردف بابتسامة جذابة ونظرات غائمة

" انا مكشوف امامك تماما سيدتي فافعلي بي ما تشائين... "

ثم استدار مغادرا تماما ليعقبه دخول العم صبري بفنجان القهوة وحبيبة تكاد لاتسمع كلماته الابوية المعتادة فاذناها كانتا تطنااااان ....







الفصل الثالث

تفتح باب المرآب وهي تتذمر من طفولية رقية

وتدللها المزعج بينما تسحب كيس القمامة

الكبير مستخدمة ذراعها الايسر متحاشية

استخدام الايمن وقد فكت عنه الجبيرة قبل

يومين فقط ... ها هي تخرج الكيس الثقيل

بمفردها لسيارة جمع القمامة ..

تمتمت بحنق " هذه الفتاة لن ينصلح حالها

ابدا ! لاتفكر الا كيف تحافظ على انوثة

ونعومة بشرتها ! وماذا ان ساعدتني باخراج

كيس القمامة ؟!! هل ستتجعد بشرتها

الغالية ! "

رفعت رأسها لترى رجلا اشيب الرأس يرتدي

ملابس عمال النظافة يحدق فيها بفضول

فادركت ان تمتماتها الغاضبة وصلت اليه !

وقفت متخصرة عند باب المرآب الخارجي وهي

تنظر بعبوس لذلك الرجل تنتظر منه ان

يتقدم على الاقل ليساعدها بدلا من تحديقه

الفضولي هذا !

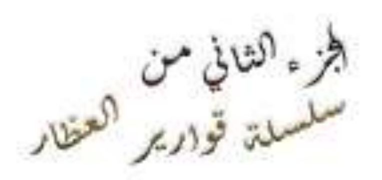
يبدو انه ادرك وقفته السخيفة فتقدم اليها

مسرعا وهو يمد يديه لتلتقطان كيس

القمامة منها .. حركة من خلف الرجل

جذبت نظرها ...







رأته ... هو هناك ... الكائن الكئيب !

يحمل كيس قمامة مماثل لحجم كيسها مع فارق انه لايجد أيّة صعوبة بحمله ووضعه بنفسه داخل مقلب سيارة جمع القمامة ..

لم ينظر ناحيتها ابدا وهي على يقين انه رآها بوضوح .. لكنه ببساطة وبوجهه الجامد وملامحه الكئيبة يتصرف كرجل آلي منذ ذلك اليوم الذي تصرفت معه بفظاظة في الشارع !

دافع اقوى منها جعلها تناديه وهو يوليها ظهره عائدا باتجاه بيته المقابل لبيتها ...

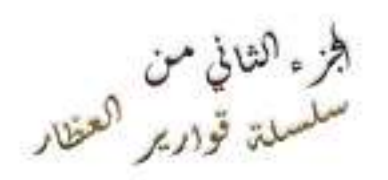
" عبد الرحمن ...."

اتسعت عينا رباب بوجل وترقب وهي تحدق في ظهره لتتسعا اكثر بالصدمة بينما خطواته تستمر بنفس السلاسة ونحو نفس الاتجاه دون ان لحظة تلكؤ ! لم تهتز فيه شعرة اهتمام بندائها ..!!

رحلت سيارة جمع القمامة ودخل عبد الرحمن لبيته دون ان ترف عيناه ناحيتها بينما رباب تقف بارتباك لايوصف !

انها واثقة ... اجل واثقة اشد الثقة انه سمع نداءها لكنه ببساطة تجاهلها وكأنها ... غير موجودة ....







استدارت رباب وهي تفكر ان كل ما ارادته هو الاعتذار عن فظاظتها معه ! شعور كريه تملكها وهي تتذكر ما حصل بينهما في الشارع قبل اسابيع ، والكلمات السخيفة التي قالتها له..

اغلقت باب المرآب خلفها وذلك الشعور الكريه اخذ ينتشر في كل حناياها !

كانت ستدخل عبر باب البيت حيث المطبخ عندما اجفلتها رقية الراكضة نحوها بانفعال وحماس !

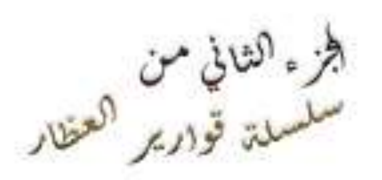
للحظة ارتبكت رباب وهي تنظر لاختها الصغيرة المتلهفة وقد فسرت لهفتها انها لابد رأت عبد الرحمن !

لكنها تنفست الصعداء بينما كل الرقة تقول لها بابتسامة محببة للقلب ووجنتين محمرتين " سيبدأ اليوم عرض المسلسل الرومانسي الذي كنت انتظره من اشهر ، كنت احلم بالبطل كل ليلة ...! "

تطلعت اليها رباب ما بين اشفاق وغيظ ! هذه الفتاة ستُحطِّم اعصابها حتى تنضج وتكبر !







على العشاء ليلا ...

ما ان خرج رضا من المطبخ لبعض شؤونه حتى اقتربت حبيبة من اسيا تهمس لها

" هل ما زالت الخالة سعاد باردة معك ؟! "

تنهدت اسيا قبل ان ترد ببعض الاحباط

" اجل .. "

فعقدت حبيبة حاجبيها قليلا وهي تقول

" حتى بعد ان علمت بحملك ؟"

اكتفت اسيا بهز رأسها بنعم ...

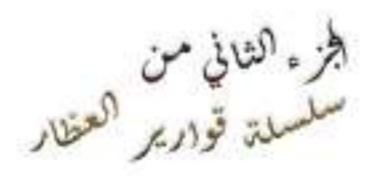
تأففت حبيبة وهي تبدأ باعداد السلطة بينما اسيا تطمئن على الدجاج بالفرن ..

ومع سماع صوت رضا وهو يقول بصوت عال انه سينزل لتحت ثم صوت اغلاق الباب حتى علا صوت حبيبة فجأة وهي تقول بغيظ

" الخالة سعاد هذه لاافهمها ! الا تحمد اللّه ان الامور بخير الآن وكل شيء عاد لمكانه الصحيح والجميع مرتاحون وسعداء ؟!!"

ردت اسيا بهدوء " انها تحملني مسؤولية قرار فصل الجناح عن البيت يا حبيبة وكأني انا من طلبته ...! وكأني حكمت بأن اقسم بيت الحاج عقيل لنصفين لافرق العائلة !.. انا ادرك جيدا كيف تفكر الخالة سعاد .."







التفتت حبيبة لاختها الكبرى تقول بعبوس حانق " وماذا ان كنت انت طلبت عزل جناحك ؟! وما الذي سيفرق لها ان نزل اليها رضا من داخل البيت ام من خارجه ؟!! انا لاافهم ابدا هذه الترهات والتدخلات ! "

لم ترد اسيا بشيء بينما تخرج بضع اقداح من الخزانة وحبيبة تواصل هذرها لتنتقل لموضوع اخر وهي تقطع الخيار " الفتاتان جنتا الليلة لان امي لم تسمح لهما بالمجيء معي عقابا لهما لانهما لم تغسلا المرآب "

ثم ضحكت بعذوبة وهي تضيف " كانتا حاقدتين علي ! تصوري هاتين الصغيرتين اصبحتا كبيرتين كفاية ليساويا رأسيهما برأسي ! "

ضحكت اسيا وهي تقول ببشاشة " لقد كبرتا يا حبيبة فتقربي اليهما اكثر واحتويهما.."

التفتت حبيبة برأسها نحو اسيا ترفع حاجبيها بطريقة مضحكة وتقول " انا احاول جهدي ان العب دورك يا حبة الهيل ! "

كانت اسيا قد بدأت باخراج الصحون عندما قالت اخذت حبيبة تتطلع من شباك المطبخ الصغير المطل على الحديقة الخلفية فاخذت تراقب بابتسامة جمهرة الذكور المتقاتلين بصخب على كرة القدم البيضاء ..







ووسط تلك الغلبة من تواجد الذكور توسطتهم تلك الصغيرة المتوهجة بالوانها المميزة النادرة.... تتحرك بعشوائية بين الاجساد والارجل وكلما تعثرت سارع والدها لاسنادها قبل ان تقع ارضا ...

قالت حبيبة ببشاشة

" تلك الشقراء الجميلة ابنة حذيفة تحظى بكل الدلال من والدها بل من الجميع ..."

كانت حبيبة منشغلة بمتابعة اللعبة الحماسية فلم تتبين صمت اختها ومؤكد لم تر شحوبها الطفيف !

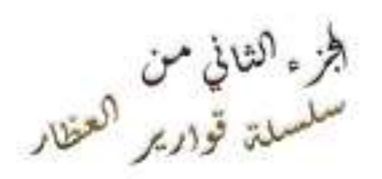
اضافت حبيبة بنفس البشاشة " محسن يبدو مضحكا وهو يتشاجر مع ابنه عقيل حول صحة الهدف الذي احرزه ! بينما يتخصر الصغير سامي عابس الوجه ! "

اطلقت حبيبة ضحكة رنانة بينما اسيا تحرك الصحون بعشوائية ...

واخيرا قالت حبيبة بنبرة لطيفة متأثرة

" حذيفة هذا غريب ! لااذكره جيدا قبل سفره.... اما الآن فأرى قساوة ملامحه التي قد تعطي انطباعا شريرا عنه تذوب تماما امام ابنته .. انظري كيف حملها على كتفيه الآن وهو يواصل لعب كرة القدم ... اعتقد انه يخاف عليها اكثر مما يجب !"







استدارت حبيبة فجأة نحو اختها لتسأل باستغراب " لماذا لايشاركهم عبد الرحمن اللعب ؟! انه موجود في البيت فهو من فتح لي باب البيت الخارجي عندما حضرت قبل ساعة.."

بسيطرة ثابتة على النفس ابتسمت اسيا قائلة " عبد الرحمن مشغول البال لسفره القريب .. لقد قرر رضا اطلاع الخالة سعاد على الموضوع غدا ان شاء اللّه "

همهمت حبيبة بتفهم بينما تعود لسلطتها التي لم تنجز لتكمل عملها وتقول " اذن الفتى سيسافر قريبا ليكمل تعليمه "

ردت اسيا وهي تشعر بالارتياح لانتقال الحديث لموضوع بعيد عن حذيفة " اجل .. كان يفترض ان يسافر خلال الاسبوعين القادمين لكن الامر سيتأخر لبضعة اسابيع اخر "

باحساس غريب مفاجئ راود حبيبة وسؤال اغرب الح بفرض نفسه على ذهنها " اسيا .... ما الذي جعل رضا يقرر فصل جناحه عن باقي البيت ؟!! "

صوت رضا وهو يدخل الجناح يكلم احدهم بترحاب انقذ اسيا من اختلاق كذبة ما ...

رفعت اسيا رأسها لتتساءل بهمس

" من هذا الذي يرحب به رضا ؟؟"





هزت حبيبة كتفيها كناية انها لاتعرف بينما يقترب صوت رضا من المطبخ ليطل بوجهه الضاحك تترقق نظراته وهو يتطلع لزوجته ويقول

" ارتدي حجابك يا اميرة وتعالي لتسلمي على الفتى المشاكس قبل ان يأخذوه منا في الاسفل ..."

وقبل ان تسأل آسيا عن هوية (الفتى المشاكس) التفت رضا ناحية حبيبة وقال ببشاشة " هيا .... تعالي انت ايضا ..."

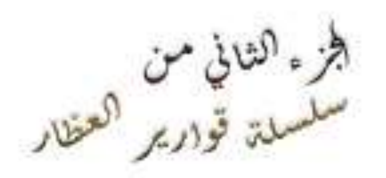
التقطت اسيا حجابها الذي تعلقه في المطبخ تحسبا دوما لزيارة احدهم او حضور مفاجئ اعتادته من محسن او عبد الرحمن ... بينما غادر رضا سابقا الاثنتين ....

كانت حبيبة تلحق بخطوات اسيا ، تتأخر عنها بخطوتين لااكثر ، تبتسم بلطف طبيعي استعدادا للسلام على الضيف ....

قامة اسيا القصيرة نسبيا لم تكن السبب الاول لاكتشافها هوية (الفتى المشاكس) مبكرا ! بل صوته وهو يكلم رضا اخترق اذنيها فتعرفت عليه حواسها .. لم تتبين ما كان يقوله لرضا بالضبط لكن اسم انثى تخلل مداركها من ضمن ما التقطته مسامعها... (سارة) ...!







كلماته بترت بحضورها مع اسيا لتتماهل عيناه الزرقاوان بلمعة شديدة عليها اولا ثم تنتقل بسلاسة الى اسيا وهو يقف على قدميه قائلا

" مرحبا بالعروس المخطوفة ! اخيرا وجدناك بعد طول عناء لنبارك لك قبل ان تُختطفي مرة اخرى ...."

ضحكت اسيا بخدين محمرين وهي ترحب به بينما رضا يضرب صديقه على كتفه مؤنبا بمرح " لاتشاكس معها ! سنوات في امريكا لم تغير من طباعك هذه .."

ضحك يحيى ملأ شدقيه بينما تنظر اليه حبيبة بمزيج مكبوت من الغضب والمفاجأة يبدو وسيما جدا .. مشاكسا جدا ... كعادته! واصغر سنا واكثر اريحية من طبيعته ...

قال رضا بابتسامة هادئة " هذه حبيبة يا يحيى ، اخت زوجتي وجارتنا ايضا ..."

اوشكت ان تعض حبيبة شفتيها من شدة الحنق بينما ترى يحيى يمد لها يده بملامح تدعي البراءة المطلقة ليقول

" تشرفنا ايتها الجارة ! "

حسنا .. يريد اللعب !؟ ستلعب ....





رسمت اكثر ابتسامة متصنعة تثير الاستفزاز لديها لتقول ببرود وهي تصافح يده

" مرحبا يسعدني التعرف بك ! "

ضغطة كفه على يدها انبأتها انه يكتم الضحك بشق الانفس !

لتفاجأ بانتهاء المسرحية قبل ان تبدأ بينما رضا يقول بذكاء فطري " لن تخدعني يا محتال ! من اين تعرف حبيبة ؟!! "

سحبت حبيبة يدها كالملسوعة بينما يقهقه يحيى لتهدأ ضحكاته ويتطلع لحبيبة بنظرات غامضة تفيض استمتاعا قائلا بمشاكسة محببة

" ألن تعرفيهما على مديرك الجديد ؟! "

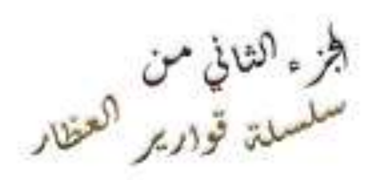
عندها قالت حبيبة وهي تهتز من شدة الحنق

" عرفهما بنفسك فأنت بارع بالمفاجأت ! "

لتتركهم جميعا وتتحرك ناحية المطبخ بخطوات نارية بينما اسيا تحدق بانشداه ورضا بدهشة ويحيى ... يحدق في اثرها الغارب وكله متحفز !

كان العشاء يسوده المرح وقد شاركهم يحيى فيه بعد ان غاب لفترة مع عائلة الصائغ في الاسفل ليعود تحت اصرار رضا ويتناول معهم العشاء ..







حبيبة وحدها من كانت طوال الوقت صامتة في غضب متفجر مكتوم ورفضت ان ترد على اسئلة اسيا !

التهام الطعام تحت انظاره المزعجة اصعب ما مرت به في هذه الليلة الكارثية !

لم تشاركهم الحديث ولم يحرجها احد بالسؤال مباشرة بينما تشعر رضا يراقب الاجواء المشحونة باستغراب طفيف !

لم تصدق انها انهت طعامها لتستأذن وهي تأخذ صحنها الفارغ للمطبخ وتعتزلهم هناك !

" لماذا انت غاضبة هكذا ؟!"

صوته أتى من عند باب المطبخ جعلها تنتفض وهي تستدير نحوه فبدت في قمة شراستها ...

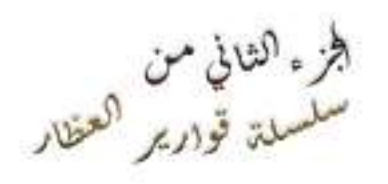
ابتسامة مرتعشة على شفتيه وهو يراها كم بدت في بساطة محببة بلباسها الرياضي وضفيرتها الطويلة ...

في الصباح جاءت كقنبلة انثوية حيوية متفجرة جذبت الوفد الاجنبي بكامله ...

لازال قميصها الحريري الازرق الذي يعكس لون عينيها مرافقا لخيالات غير مناسبة بالنسبة له .....

والانكى ان احدهم ابدى اعجابا واضحا بها لكنها رمقته بنظرة جليدية اوقفت مساعيه الواضحة للتودد ...







الرجل كان محظوظا لانه لم يتمادَ اكثر والا كان سيتصرف بنفسه معه ...

هل لهذا ازعجها وشاكسها بهذه الطريقة الليلة ؟! ماذنبها اذا كانت فاتنة بروحها قبل هيئتها الانثوية ؟!

هذه الـ(حبيبة) تخرج نوازع غير متمدنة من شخصه !

" لماذا لم تخبر رضا انك رئيسي بالعمل ؟"

رفع حاجبيه قليلا ليقول وكأنه يؤنب طفلة صغيرة " ولماذا لم تخبريه انت ! الم تكوني هنا منذ ساعات ؟!!"

تخصرت لتقول بعنف

" انا لم يخطر ببالي الموضوع .. لم اتعمد اخفاء الامر .. بينما انت .."

قاطعها رافعا كفه قائلا " لحظة يا فتاة ! ولماذا تحكمين علي انا اني تعمدت هذا ؟! لم اكن اعرف بوجودك هنا الليلة وقبلها لم اكن اريد احراجك بعلاقتي الحميمة مع رضا ..."

ثم اضاف بحركة مؤنبة مرحة من سبابته

" افكارك عني سوداء جدا يا فتاة "

كزّت على اسنانها لتقول بغيظ متفاقم

" لاتقل يا(فتاة) هذه !"





تحركت بخطى تشتعل تريد مغادرة المطبخ لتمر من جنبه فيتحرك بخفة عجيبة ليقف في طريقها ويقول بصوت رقيق " لاتخرجي اليهما هكذا وقد توسلت لرضا ان يمنحني الفرصة لاسترضيك بنفسي "

تطلعت اليه بتلك العينين الوحشيتين فخفق قلبه بقوة اذهلته !

ابتلع ريقه قائلا بمرح يغطي على تأثره " انا اعتذر ... فلنبدأ من جديد ونتفق اننا في محيط العائلة سنكون قريبين ودودين لطيفين وفي محيط العمل نتعامل كموظفة ومرؤسها دون الركون لاعتبارات عائلية ... ما رأيك ؟؟ اتفقنا ؟"

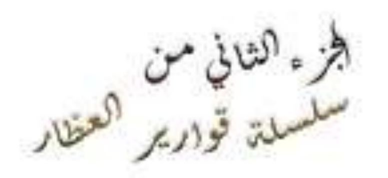
زمّت شفتيها لتقول بعدها من بين اسنانها

" حسنا يا قريب يا لطيف .. لدي عمل في الغد ومديري شخص متطلب مزعج للغاية لذلك انا انسحب مبكرا من الجلسة العائلية واقول تصبح على خير "

تجاوزته مغادرة ليسمع صوتها وهي تودع رضا واسيا فيلاحقها صوت اختها لعند الباب ترجوها البقاء اكثر ...







تحرك نحو غرفة المعيشة ليجد رضا جالسا على الاريكة يحتسي قهوته بجفنين مسبلين وحالما جلس يحيى بجانبه قال رضا بنبرة هادئة

" ما حكايتك يا فتى مع اخت زوجتي النارية؟!"

رد يحيى بابتسامة

" لاتشغل بالك واطمئن .. انها فقط ممتعة بطفوليتها الغاضبة دوما فاحب ان استفزها لاكثر..."

صمت رضا ولم يعقب بشيء ...

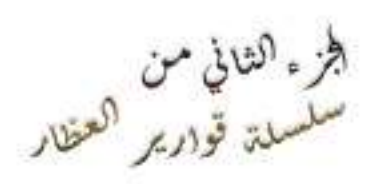
صباح اليوم التالي

" صباحك سكر..."

صوته الاجش الهامس تخلل غمامات النوم الكسول لتتسابق فراشات قبلاته تهفهف باجنحتها على وجهها وشفتيها الباسمتين فتستعذب احساسها به وجفناها مطبقان...

اصابعه تتلاعب بشعرها المشعث وهمسه المبحوح يتواصل بقصيدة نزار قباني " إذا مر يوم ولم أتذكر به أن أقول صباحك سكر .. فلا تحزني من ذهولي وصمتي.. ولا تحسبي أن شيئا تغير .. فحين أنا لا أقول أحب... فمعناه أني أحبك أكثر..."







تنهدت بشبع وهي تفتح عينيها اخيرا لترى وجهه قريبا من وجهها مبتسما لها بجذل مستمتعا بدلالها عليه ...

ردت برقة " صباحك سكر يا رضا القلب "

للحظات اخذ يحدد ملامحها بنظراته بنفس الابتسامة .. يده تحركت نزولا لبطنها يلامسها ويقول بصوته الرجولي

" اعتني بولدي في غيابي .. "

اعترضت بتحسر رقيق " هل ستذهب الآن للعمل ؟ ما زال الوقت باكرا ! "

قال بضحكة صغيرة " انها التاسعة يا كسول ! انا متأخر بما فيه الكفاية بسببك "

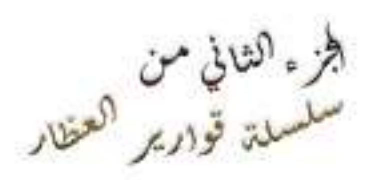
توردت وهي تنظر اليه باحساس الذنب " اسفة لم اشعر بنفسي كنت مرهقة ! هل اعد لك الافطار ؟"

رد رضا وهو يبتعد عنها بجسده ليقول بلطف

" لقد افطرت مع امي .."

صمتت اسيا بينما يقف رضا على قدميه ليقول وهو يلامس خدها بيده " بعد ان تفطري يا اميرة البنات اريد منك النزول والجلوس مع امي ورحاب والاطفال .. "







هزت راسها ببعض التردد ليضيف رضا بتأكيد

" من الضروري ان تفعلي هذا كل يوم اسيا واريدك ان لاتنفعلي من اي تصرف او كلام يصدر عن امي ..."

ردت بهدوء

" لاتقلق رضا .. خالتي سعاد في مقام والدتي..."

ابتعد رضا عن السرير ليقترب من منضدة الزينة يلتقط عطره قائلا بتأن " خالتك سعاد طيبة القلب جدا لكنها احيانا تتخذ مواقف معينة غير منطقية وتتصرف بمكر مزعج مشاكس على اساسها ..."

التفت اليها لتصلها نسائم مسك عطره فتمنحها شعورا لايضاهى بالاسترخاء بينما يضيف رضا " اريدك ان تتجاهلي هذه الامور وصدقيني انها فترة بسيطة فقط وستتعود على الوضع الجديد ..."

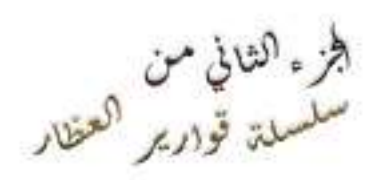
قالت اسيا وهي تستقيم بظهرها

" هل يفترض ان نتغدى معهم ؟ "

قال رضا وهو يعاود الاقتراب منها " اليوم نعم .. لكن ليس كل يوم .." ثم انحنى ليقبل شفتيها قبلة خاطفة قبل ان يضيف

" سأعود مبكرا اليوم لافاتح امي بموضوع عبد الرحمن لذلك اريدها راضية ومرتاحة.."







قالت اسيا بابتسامة " ستكون ان شاء اللّه"

ابتسم وهو يلوح لها مودعا ليغادر الغرفة ...

عند باب مكتب مجد ارتطمت به وبقوة مبالغ فيها لاتتناسب مع جسد انثوي بامتياز !

همستها الساحرة سبقت السحر المنادي في عينيها وهي تقول له بدلال " اسفة مهند ! .."

تطلع مهند لشفتيها المكتنزتين مباشرة عيناه تقرآن الدعوة الصريحة فقال بنظرات ملتمعة " لابأس هويدة .. "

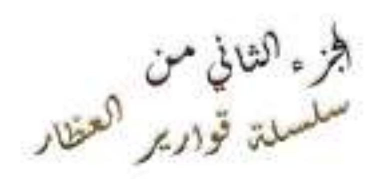
انحدرت عيناه لنحرها المشع باغراء تقبيله حتى الثمالة وقد كشفت عنه بلوزة سوداء حددت معالم انوثتها بتعمد واضح ليضيف بمزاح ساخر وعيناه لاتتنزاحان عن هذا الاغراء المعروض " تليق بك هذه البلوزة ..."

ضحكت غامزة وهي تشكره بميوعة لتتحرك مبتعدة عبر الباب حيث يقفان وقد تعمدت التمسح به بجسدها وهو لم يكلف نفسه عناء فسح المجال لها !

دخل مهند بضحكة متسلية ليجد صديقه مجد بوجه محمر يتصبب عرقا !







انفجر مهند ضاحكا وهو يقول بمشاكسة

" لو رأت خطيبتك وجهك الآن بعد خروج صاروخ الاغراء هذا من غرفتك لقتلتك على الفور ! "

رد مجد وهو يمسح جبينه قائلا بغضب حقيقي

" انها مبتذلة وحقيرة ! لااصدق كيف قبلوها كموظفة جديدة في شركتنا وهي بهذه القيمة الرخيصة ! "

رفع مهند حاجبا واحدا ليغمز قائلا

" ربما من وظفها حصل على ما رفضت انت الحصول عليه! "

اشمأزت ملامح مجد ليقول بقرف

" انها عاهرة لااكثر ! "

رد مهند بلامبالاة " بل انها مجرد مطلقة مجروحة في انوثتها المتفجرة ! تريد ان تثبت قدرتها على اغواء اي رجل خاصة لو كان مرتبطا فهذا يزيد من تشويقها وانتصارها .. " ليشوح بيدها مضيفا بابتسامة وقحة " وبنفس الوقت طبعا التمتع بما حرمت منه بطلاقها..."

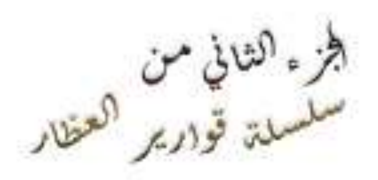
فتح مجد عينيه باستغراب قائلا

" هويدة مطلقة ؟! كيف علمت ؟"

رد مهند بلامبالاة " هي من اخبرتني بنفسها "







زفر مجد بقوة ليجلس على كرسيه ويقول

" ما زلت اراها منحطة ! لقد كانت دعوتها شبه صريحة لاضاجعها ! "

ضحك مهند غامزا " انك محظوظ ! يبدو انها معجبة بك فلم احصل انا على دعوة مماثلة "

هدر به مجد " اقرفك الله يا مهند ! الن تتوب عن حياتك الماجنة هذه ؟! وانا الذي ظننتك تكن مشاعر لحبيبة العطار.."

تلاشت ابتسامة مهند وحل الصمت الموحش فقال مجد ببعض الندم

" انا اسف مهند لم اقصد ..."

قاطعه مهند بالقول القاسي

" لاداعي للاعتذار .. ومشاعري نحو حبيبة احتفظ بفكرتك عنها لنفسك ..."

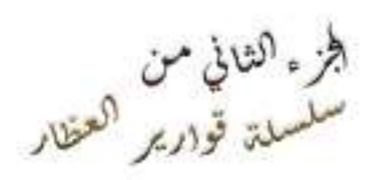
ثم وضع مهند اوراقا كان يحملها بيده على سطح المكتب ليقول بصوت بارد

" اطلع على هذه الاوراق وجد التصرف الملائم حيالها فقسم الانتاج حيث اعمل يحتاج لرد من قسمكم "

ثم تحرك مهند مغادرا بينما مجد يشعر بالحيرة اكثر حيال مهند !!







نظرت الحاجة سعاد بطارف عينها ناحية اسيا التي تجلس بجانب رحاب وقد انطلقتا في حديث ودود عن الحمل والاطفال ...

انها تشعر بالغيظ !

ابنة العطار تجلس براحة هناك بينما لاتهتم كيف فرقت بين الاخوين وجعلت علاقتهما باردة !

تنهدت في سرها وهي ترتشف قهوتها فتفكر في حال ابنها العائد بعد سنوات من غربته ...

انه يخرج منذ الفجر ولايعود الا بعد مغيب الشمس فيقضي اغلب وقته مع ابنته ....

ومنذ عودة اسيا وقد اتخذ من غرفته مكانه المفضل لقضاء الوقت مع الصغيرة سعاد ولايخرج منها الا بالحاح من محسن !

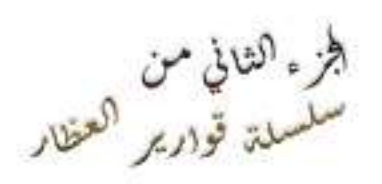
الحمد لله ان غرفة رفيدة التي اعدتها له كبيرة جدا ومناسبة لتكفيه مع ابنته ...

لكنها غير راضية ! اجل غير راضية ...

عادت وتطلعت نحو كنتيها ... عقدت حاجبيها قليلا وهي تفكر فجأة " ربما اذا تزوج حذيفة فستتحسن علاقته برضا ! اجل .. يجب ان يتزوج ويهنأ مع امرأة جميلة ... جميلة بحق .. اجمل من اسيا ورحاب حتى ! "







تذكرت ليلة الامس عندما كانت في المطبخ لترى حبيبة تقف في الباب ويسارع عبد الرحمن للخروج وفتح الباب لها ...

حبيبة ... تلك الفتاة جميلة جدا .. شابة مميزة تليق برجل كحذيفة .... اجل .. انها تليق بحذيفة ... وهي اخت اسيا ومؤكد ستعجبه كما اعجبته اسيا فيما مضى ...

نظرت لساعة الحائط وهي تتمتم في سرها بقلة صبر " متى ستاتي بدرية ؟! "

ضحكة رقيقة من اسيا اغاظتها اكثر !

يبدو ان سامي مبهور بتلك الـ(آسيا) ولايكف عن محاولة التقرب منها واضحاكها حتى انه اهمل ابنة عمه والتي اخذت تنظر بعبوس اليه الآن !

بانتقام متهور قالت سعاد لرحاب متجاهلة النظر لاسيا " حبيبتي رحاب اتم الله لك حملك فتنجبي لنا رجلا ثالثا يحمل اسم عقيل الصائغ ويرفعه عاليا ..."

تمتمت رحاب بملامح مندهشة من كلمات حماتها " ان شاء الله خالتي .. ان شاء الله .."

لتضيف سعاد بملامح شبه متعالية وهي تنظر باستخفاف لآسيا " انت ما شاء الله ولّادة للذكور .. وهذه نعمة تتحسر عليها النساء ! "

احمر وجه آسيا واحرجت رحاب !







لكن آسيا قالت بوجه هادئ بشوش " الحسرة على ما لانملك يا خالتي من فعل الشيطان .. نِعَمُ الدنيا نِعَمٌ زائلة لن تقربنا الى الله الا بالشكر عليها فالاولى ان نعدد كل ما اختار ان يمنحنا اياه رب العزة دون غيرنا لنشكر فضله ونسأله دوامه ماحيينا والتفضل بها على غيرنا من البشر ..."

احمرت سعاد وتضايقت اكثر انها وضعت نفسها موضع الشامتة هكذا !

استغفرت الله على فعلتها لكنها لم تستطع تجاوز احساسها بالضيق ... ضيق وغيظ !

اخذت سعاد ترتشف ما تبقى من قهوتها بينما تعاود النظر للساعة وتتمتم مرة اخرى

" لماذا تأخرتِ يا بدرية ؟!!"

ففاجأتها اسيا بالقول " خالتي سأعد الشاي اذا سمحت لي فهل تحبينه مع الهيل ؟ "

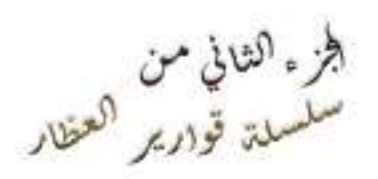
تطلعت اليها سعاد .. تحدق في ملامحها الهادئة .. هذه الفتاة لديها سحر .... سحرها رباني وقد مس بكرها في عمقه ... ترا هل سيجد حذيفة نفس السحر في اختها ؟!!

صوت اسيا جاء محرجا بعض الشيء" خالتي؟!!"

فقالت سعاد لاشعوريا وهي غارقة في افكارها

" مع الهيل يا ابنتي ...احبه مع الهيل ..."







بعد ساعات ......

اخذت سعاد تضرب بيدها على خدها وهي تنظر لرضا بعينين جاحظتين غير مصدقتين...

يجلس رضا بجانبها على السرير ويمسك بيدها يمنعها ان تضرب على خدها مرة اخرى بينما يقف عبد الرحمن عند باب غرفتها مضطربا اشد الاضطراب ومحسن يقف بجانبه يشد على كتفيه ويهمس في اذنه " لاترتعب هكذا يا فتى .. كنا نتوقع ردة فعلها .. انت تعرفها ستهدأ قبل اذان المغرب .. "

لكن عبد الرحمن وهو ينظر لوجه امه الذي ذبل في لحظة حالما اخبرها رضا لايظن ابدا انها ستتقبل فكرة سفره ابدا ... لا عند المغرب ولا غدا صباحا ولا بعد شهر ولا حتى بعد سنة !!

تطلع لاخيه الاكبر رضا الذي اخذ يقبل رأسها ويقول بحنان متدفق " امي لاتفعلي هذا باللّه عليك انه فأل سيء على الفتى ! فلنتمنَ له الخير وتحقيق الافضل لاجل حياته ومستقبله العلمي .."

لكن سعاد اخذت تبكي وتقول بقهر " كيف تريدني ان افرط بابني ؟! هل علي ان انتظر سنوات ليعود لنا مثلما فعل حذيفة !! وهل اضمن اني ساعيش حتى ذلك الوقت ؟! "





عندها قال رضا بابتسامة مطمئنة " حفظك الله وانعم عليك بالصحة والعمر المديد ...

يا حبيبة رضا هل تتصورين اني ساسمح له بالتغيب لسنوات هكذا ؟!! انه سينهي دراسته الجامعية هناك .. فقط لبضعة سنوات وخلالها سيأتي لزياتنا على الاقل مرتين او ثلاثة بالسنة .. "

قالت سعاد مفجوعة " مرتين .. ثلاثة بالسنة ؟!! يا الهي تمر اشهر ولاارى صغيري ؟!! "

ثم اخذت تولول وتقول " اين انت يا حاج عقيل لتاتي وترى ماذا يفعل بي اولادك ؟!! هذا رضا يريد ان يبعد صغيري عني ..."

اخذ رضا يحتضنها ويضحك قائلا بممازحة

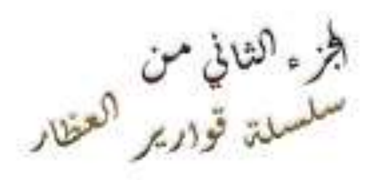
" ربما رضا يريد ان يكون هو يحتل مكان صغيرك المدلل.."

ظلت سعاد تبكي بتقطع على صدر رضا وهي تعنفه بالقول

" انا ادللك اكثر منهم جميعا يا ولد .."

عندها جاء صوت بدرية من عند الباب وهي تدفع عبد الرحمن ومحسن قائلة بحنق ظاهري " هل انا ابتليت بعائلة الصائغ ؟! اغيب صباحا فاجد امكم تولول عند العصر ! ماذا فعلتم لها هذه المرة ؟!! "





ابتعدت سعاد الباكية عن صدر ابنها لتنادي رفيقة عمرها قائلة بانكسار وتوجع " تعالي يا بدرية وانظري ماذا يريدون ان يفعلوا بي !"

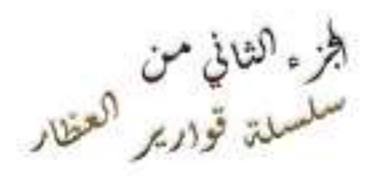
غمزت بدرية لرضا فوقف مبتعدا عن امه ليترك لها مكانه ويتحرك نحو اخويه مشيرا لهما بالمغادرة ...

بعد ثلاثة اسابيع

في حجرة خلفية صغيرة اقامها بنفسه من الواح الالمنيوم الضخمة ... يجلس القرفصاء وامامه على الارض حوض معدني كبير نسبيا وبتعوجات متعددة ، يملؤه كل يوم بالنفط ثم يغمر فيه كفيه الملطخين بسواد الزيوت والشحوم فيذيبها محلول النفط ...

حافي القدمين ...عاري الصدر ... لايرتدي الا بنطاله الكتاني القديم والذي يعود لسنوات بعيدة من حياته وقد تكفلت امه بتوسيعه قليلا ليناسب جسده الذي تضخم بعضلاته المفتولة بعد سنوات من العمل البدني المرهق ...

يحدق في سواد يديه الذي يستعصي على النفط اذابته تماما ! ورغم محاولاته لدعك يديه بعضهما ببعض عسى ان يتخلص من هذا السواد المقيت الا انه محاولاته تنتهي باستسلام ساخر منه !





يقف على قدميه في النهاية ويتحرك نحو صنبور الماء المعلق عاليا باحد الاعمدة التي يقام عليها هيكل الحجرة ..

يلتقط علبة مسحوق تنظيف الملابس الابيض وهو في طريقه لذلك الصنبور ...

وتحت الماء المنساب بصعوبة من صنبور شبه مفتوح يقف بذقن شامخ مرخيا جفنيه والماء ينساب فوق راسه ليسيل من وجهه الى رقبته منحدرا بهدوء على صدره وظهره فيبتل بنطاله القديم دون ان يبالي ...

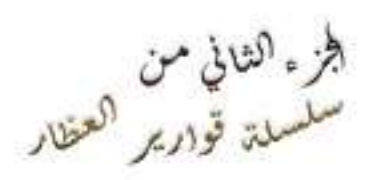
ففي النهاية سيخلعه ناشرا اياه على حبل عتيق ليرتدي بنطال جينز نظيف ....

لحظات وربما دقائق ويبدأ باستخدام مسحوق التنظيف داعكا به صدره وذراعيه فكفيه ... انها الطريقة الانجع لتنظيف الجسد من الصخام الاسود .. طريقة ناجعة حقا لكنها ... لاسعة !

كل هذه الخطوات المتسلسلة بنفس الروتين تقريبا تراقبها اشجان يوميا دون ملل !

تتسلل اخر النهار مدعية الذهاب لترتيب نفسها في حمام تابع للورشة لكنها في الحقيقة تدور حول الورشة لتأتي هنا تراقبه من احدى الشقوق بين صفائح الالمنيوم ..





كل يوم تفعلها وتراقبه بلهاث موجع لاتملك السيطرة عليه ! شغفها المكبوت بحذيفة يتزايد ويسيطر عليها بشكل رهيب ورغم هذه السيطرة المخيفة الا انها لاتبدي اي تأثر ظاهري ... فقد كان واضحا تماما ... اي محاولة اغراء ستكون نهايتها الطرد !

لكنه لايعلم .. لايعلم ابدا ان اسبابها معه ابعد من تكون مجرد اغراء ! انها حاجة خانقة لاتعرف كيف تصفها ولا تفهمها !

حاجة لان تكون معه وله ....

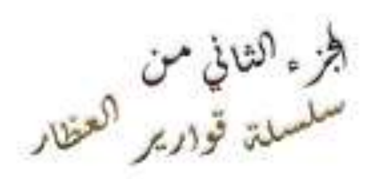
ترا هل لانها تذوقت مضاجعة الرجال فباتت تفتقدها ؟!! لكن لا ... انها لاتشعر بهذا الا مع حذيفة ... حذيفة فقط ...

اجفلت اشجان من صوت احد العمال الذي ارتفع فجأة بصراخ غاضب

" ما الذي اتى بكِ هنا ؟!!"

انه صوت خليل اصغر العمال هنا واحدثهم التحاقا بالورشة .. انه لايتعد السادسة عشرة ..

للحظة شحبت وارتدت للخلف باحساس من ضبطت بجرمها المشهود لكنها سرعان ما ادركت ان لااحد معها في نفس المكان وانما الصوت قادم من مقدمة الورشة !





سارعت اشجان للانسحاب وقد شعرت بالصراخ يتعالى مما جذب حذيفة ليغسل عنه سريعا رغوة مسحوق التنظيف ويخرج راكضا كما هو ! لايرتدي الا بنطاله القديم المبلل ككل جزء من جسده ...

تخفت اشجان عن مدى رؤية حذيفة بينما تراه يهرول وهو يشتم بحنق واصوات صراخ خليل يتعالى اكثر واكثر بكلام غير مفهوم لتتخله على حين غرّة صرخات انثوية غاضبة

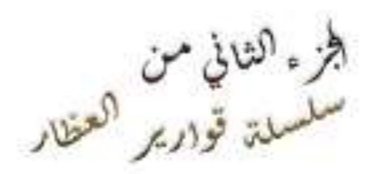
" اين المعتوه صاحب هذا المكان ؟! "

اخذ خليل يسب ويشتم وهو يمسك بعنف اخته الكبرى من اعلى ذراعها ويهدر بها بحنق وغضب غير عاديين " قلت لك ارحلي فورا يا خلود .. لايفترض ان تأتي لمكان عملي .. يكفيني ما نلت من فضائحك ! "

لكن خلود لم تبالي واخذت تعاود الصراخ وشعرها الاسود المشعث يعصف حولها وكأنه في هياج يماثل هياج مزاجها

" لن ارحل ! ولن تخيفني بعضلات الوليدة هذه! اريد ان اكلم صاحب هذه الورشة الحقيرة لاعرف كيف يسمح لنفسه بتدمير مستقبلك! "





تباينت ردود افعال العمال بين متسل ومذهول و....متحمس ! ومن وسط هؤلاء ظهر لها رجل مرعب ! جعل جميع العمال يتخذون تعبيرا واحدا على وجوههم الا وهو السكون والتوجس ...

وبينما خلود تراقب هذا المرعب بهيئته المبللة شبه عار الا من بنطال قديم ممزق ليجفلها بنظرة تقيمية من فوق الى تحت ! فيرتفع احد حاجبيه بسخرية قائلا بلهجة رجولية متفكهة " يكفي ان تنادي باسمي بدلا من ان تحدثي اعلانات صاخبة تلوث البيئة السمعية !"

تجمدت خلود كما تجمد اخوها الصغير ولو كان لكل واحد منهما اسبابه !

فبينهما هي مذهولة من هيئة هذا الرجل وتفكهه على حسابها بينما باقي العمال يضحكون بسخافة وهي متأكدة انهم لم يفهموا اصلا معنى جملته الساخرة كان اخوها متجمدا من شعور الغضب والخوف !

رددت خلود بغباء " الوث البيئة السمعية ؟!! "

فانفجر العمال بمزيد من الضحك ينما يتبجح بوقفته ذلك الفخور بامتلاكه العضلات ليستعرضها وهو يتخصر هكذا بينما شعره المبلل ينساب على جبينه بفوضوية ناظرا اليها باستهانة وابتسامة مزعجة !



لم تتمالك خلود نفسها وقد تمكن منها

طبعها العصبي المتهور فتقول بنبرة تدعي

السخرية

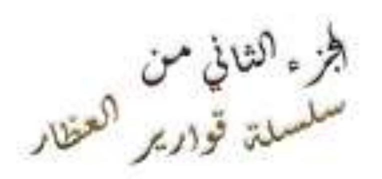
"هل طرزان هذا هو صاحب المكان ؟!! "

عندها انفجر (طرزان) بالضحك بينما اخوها

خليل يتمتم بخزي رهيب

" اخرسي خلود ..فقط اخرسي !"







الفصل الرابع

ضحكه الصاخب بدا وكأنها ينبع من صدر طفل مبتهج .. طفل بهيئة رجل ضخم مخيف!!!

تسمرت في مكانها تحدق فيه ببلاهة !
تكاد لاتشعر بقبضة اخيها التي تعتصر ذراعها بعنف ....

اصوات العمال الضاحكين معه لم يطغَ على ضحكه الذي اخذ بالتسربل رويدا رويدا حتى ارتحل تاركا شظايا رقيقة من الوهج تلتمع في عينيه .....

حدق فيها بابتسامة جانبية ساخرة لتنتقل نظراته نحو اخيها خليل فتشعر خلود للمرة الاولى كيف كان خليل يعتُها عتاً من كم فستانها الطويل !

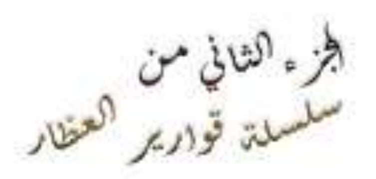
فارت دماؤها في عروقها بنوبة غضب جديدة خارج نطاق السيطرة لتدفع قبضة خليل بعنف وتتقدم نحو ذلك الـ(طرزان) وتقول

" اريد التكلم معك ! "

فصرخ بها خليل وهو يعاود امساك ذراع بعنف متفجر " قلت لك ارحلي ! "

بصوت حازم اوقف حذيفة ضحكات عماله الساخرة وهو يقول " ليذهب كل لشأنه.. "





ثم تقدم ليواجه كتلة الاعصاب المتشنجة

تلك فيقول لها بصوت ساخر " دقيقة واعود "

من مسافة ليست بالبعيدة كانت اشجان تراقب

بفضول انتهى الى ضيق !

كل تفكيرها انحصر بتلك (الدخيلة) اخت

خليل وقد شعرت بالقلق منها ! هل يعقل انها

قدمت عرضا مسرحيا لتجعل حذيفة يشغلها

كعاملة جنب اخيها ؟؟!!

لا ... لاتريدها ان تعمل هنا ... ابدا لاتريد ...

رجاء العاملة الجديدة لاتملك اي جمال

يذكر كما انها طوال الوقت بائسة الملامح !

لكن خلود هذه فيها جمال كما انها ناضجة

وليست مراهقة كرجاء !

عبست اشجان اكثر بينما يمر بها حذيفة

متجاهلا اياها ليذهب كما تتوقع الى تلك

الغرفة الخلفية حيث سيغير ملابسه ...

ستموت فضولا وقلقا حتى تطمئن ....

عاد حذيفة بملابس نظيفة بسيطة ليرى من

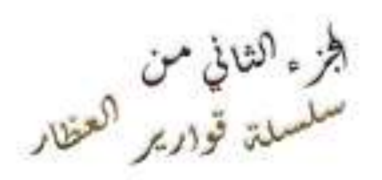
بعيد خليل وهو يتشاجر بصوت غاضب

مكتوم مع اخته ... تبسّم حذيفة وقد اشفق

على الفتى !

كم يذكره بعبد الرحمن !!







لوعة في القلب ... ككل اللوعات التي كُتِب عليه اختبارها وتحملها فلا ينطق حتى الـ(آه)...

التفتت اليه تلك المجنونة المدعوة خلود ويبدو انها شعرت بمقدمه لتلتفت اليه وتواجهه بالقول الاتهامي المباشر

" هل تدرك ان خليل لايتجاوز السادسة عشرة وهو طالب ثانوي ؟؟"

تكتف حذيفة ليقول ببساطة لاتخلو من الضجر " انت خلود اخته الكبرى اليس كذلك ؟ لقد حدثني عنك خليل .."

ففاجأته (المجنونة) بملامح مصدومة ! بل حتى مشدوهة ! ثم تتحول فجأة الى غضب ناري مشتعل وهي تلتفت بكليتها نحو اخيها وتصرخ به

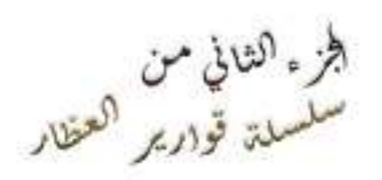
" ماذا قلت له عني ؟؟ انطق الان... ماذا قلت لهذا .. لهذا .. الـ....الـ..."

زجرها حذيفة بصرامة وقد بدأت تثير غضبه فعلا قائلا " اخفضي صوتك ولاتحرجي اخاك اكثر من هذا .. "

بينما بدا خليل متوردا باحساس ولد صغير يخشى انه سيساء فهمه ليقول بتلعثم

" انا .. لم اقل شيئا ! "







اغتاظ حذيفة فقال بسخرية لم يبذل جهدا لاخفائها

" حقا لقد صدق بكل ما قاله عنك ..! "

شهقت بشحوب تام فاضاف حذيفة وهو يرمقها بنظرة من اعلى لفوق

" عصبية لاتطاق ونكدية المزاج ! "

عادت خلود لتواجه اخاها بالاتهام

" هل قلت عني هذا ؟! "

طاطأ خليل رأسه لكنه كان يشد قبضتيه بينما خلود تهتف به " كيف تجرؤ ؟ اقسم اني لن اسامحك ابدا ... الآن تقدم امامي لنعود للبيت ..."

عندها رفع خليل رأسه وهو يقول بتشنج كامل

" انا لن اعود للبيت الآن ! اريد البقاء في الورشة لاتم بعض الاعمال المتبقية في ذمتي"

صرخت به بعصبية رهيبة

" هذه الورشة الحقيرة لن تعود اليها "

عاندها خليل منفجرا " بل ساعود يا خلود .. ساعود ... واريني كيف ستمنعيني "

تواجها معا وكأنهما سيتناطحان لتزمجر خلود

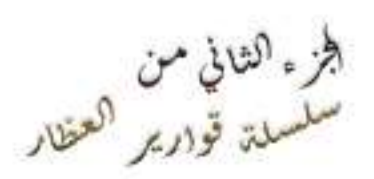
" خليل .. لاتدفعني لافقد اعصابي ..."

عندها سخر حذيفة منها بلؤم

" وهل ما زلت لم تفقديها بعد؟؟!!"







التفتت اليه وقد نفرت عروق رقبتها هادرة

" اخرس انت ..! "

صرخ خليل فيها " ماذا تريدين مني ؟! ها ...؟؟
ماذا تريدين ؟؟ انا اكره البيت واكره ضعف
امي الذي تكبلني به واكره نتانة زوجها
المقيت " ليضيف بغل وصدره يعلو ويهبط
باضطراد " واكرهك انت شخصيا بكل
الفضائح التي كدستها فوق رؤسنا ! "

فقدت خلود اعصابها تماما لترفع يدها
فتصفعه على خده بعنف فما كان من خليل
الا رفع قبضته ليضربها دون شعوره لكن
الضربة منه بدلا من ان تنال وجه اخته

سقطت على صدر حذيفة وقد توسطهما في
لحظة !

خرج صوت حذيفة ثابتا آمرا

" اهدأ يا فتى ! الرجل لايضرب النساء .."

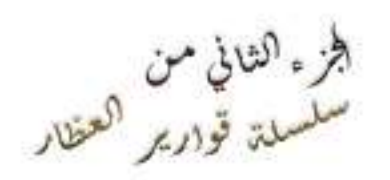
تجمعت دموع قهر في عيني خليل بينما تتقافز
خلود من خلف (الجدار البشري العازل)
المسمى حذيفة لتقول بعصبية مفرطة

" تجرؤ على محاولة ضربي يا خليل ؟!! هل هذا
ما تعلمته هنا ؟؟"

تأفف حذيفة وهو يلتفت برأسه وما زال يفصلها
عن اخيها قائلا

" لقد اصابني الملل حقيقة ! "





عندها هدرت خلود وهي تمسك بشعرها تشده بغيظ " الملل ؟!! هل هذا كل ما يهمك من .."

تأفف حذيفة مرة اخرى قاطعا جملتها ليعود بوجهه ناحية خليل المثبط الهمة يقول له بعاطفة حنان حازم

" اذهب واكمل عملك في الورشة يا فتى "

تمتم خليل وهو يشير لما خلف حذيفة قاصدا اخته الهستيرية " لكن ..؟"

اشتدت نظرات حذيفة حزما وهو يقاطعه بكلمة واحدة " الآن ..."

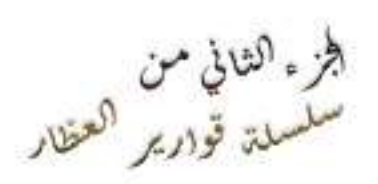
راقبت خلود بفم مفتوح اخاها العنيد العنيف وهو يحرك راسه كنعجة أليفة ويمتثل لاوامر هذا الـ(طرزان) ؟

عيناها تتابعان اخاها الذي تجاهلها ومضى لحاله فتمتمت بغيرة طفولية " ماذا فعلت له ليكون طيّعا لك بهذه الطريقة ؟! "

ثم عبست وهي توجه نظراتها المتهمة المهددة لحذيفة قائلة " اياك ان تكون تعطيه تلك المخدرات الرخيصة المتداولة هنا ؟ "

زفر حذيفة بملل واضح ليقول بعدها " هل انت دوما متسرعة وتنطقين قبل ان تفكرين ؟؟"





عادت لعصبيتها (الرفيقة التوأمية) لمزاجها كما يبدو لتصرخ به هادرة " احترم نفسك والا سأ..."

قاطعها حذيفة بملامح قاسية

" اخاك لم يعد طفلا لتأمريه بغباء فيطيعك؛ المراهق في سنه يحتاج ليشعر انه رجل مسؤول يعتمد عليه ويُثق به .. يحتاج ايضا لحنان ام اواخت تدلله فلا يُهمل ذلك الطفل الصغير الذي لم يكبر فيه بعد ؛ "

زفر مرة اخرى ليضيف بتمتة مفاجئة

" لله دره كيف يحتمل ؛ "

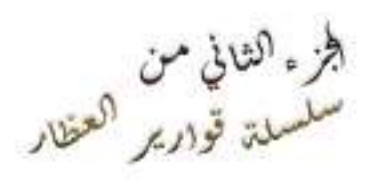
فتحت فمها بعجز فاكمل حذيفة بضجر متفاقم

" اذهبي لبيتكِ .. فخليل بامان معي هنا حيث لامخدرات ولا فتيات رخيصات وعندما تبدأ الدراسة سننظم له الوقت او يلتحق بالدوام المسائي ..."

اولاها ظهره وتحرك مبتعدا بينما خلود تقف مكانها تعيد الكلمات في رأسها وتستوعبها ببطء ... وتدرسه بتأنٍ ....







بيد غير ثابته وقهرا ضد ارادتها فتحت ذلك الدرج الاخير حيث تحتفظ هناك بـ..مغلف !

مغلف حالما استلمته نفته سريعا هناك .. في ذلك الدرج .. دون ان تقدر حقيقة على نفي تأثيره فيها ...

فقدت اخر ذرة من ارادتها وهي تسحب المغلف باحساس عارم بانتشاء عاطفي سافر !

تفتح وريقاته المطوية بحزم قديم ويداها ترتعشان وذهنها مغيب عن التعقل والمنطقية بينما عيناها الزرقاوان تلمعان بتوهج مميز وابتسامة ذائبة على شفتيها ...

هناك .. بين تلك الوريقات برز بحمرته الشفافة فتنهدت وهي تسحبه ببطئ مثير ...

وشاح اهداه لها منذ ...زمن... زمن لايبدو طويلا ولا حتى قصيرا !

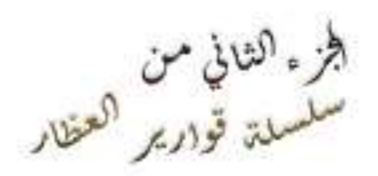
انه فقط زمن يتوهج بألفة حميمة يرحب بها القلب ويستعين بها على العقل والمنطق الرافض المتعنت ....

تلامس حبيبة الوشاح المطبّع بصور تصاميمها فتختبر احساسا لم تختبره من قبل ...

من يستطيع ان يجزم بحقيقة مشاعره ؟!! هل حقا هناك من يستطيع فهم هذه التعقيدات التي تعتريها ؟ ام انها ببساطة من صنف غريبي الاطوار !







حيث يشعرون بقوة ويرفضون ما يشعرون بقوة اكبر ثم ينهارون احيانا بقوة ليقاموا مرة اخرى بقوة اكبر !!!

ويظلون يتأرجحون بين بساطة المشاعر وتعقيد الايمان بها ....

قوة نبضات القلب ساعيا للتحرر لتتباطأ تلك النبضات فينحسر القلب متراجعا واجفا مرتديا قيوده من جديد ...

وسط الحيرة وكآبة الجبن والتراجع التي سادت تركت حبيبة الوشاح ينساب من يدها على سطح مكتبها لتحدق فيه بحاجبين معقودين فتطالبه بالهمس " اخبرني انت !

كيف شعر وهو يختارك لي ؟! كيف لامس تصميماتي التي طبعها عليك ؟؟ هل ابتسم بشغف كعادته ؟؟ هل أسرَّك باعتراف من القلب ؟؟ "

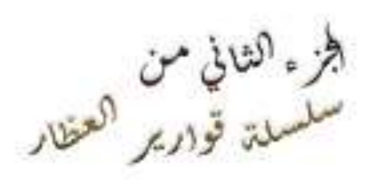
زفرت بقوة وقد شعرت بالبؤس !

اسابيع مرت وهو لايدخر وسعا لمعاملتها بكل عاطفة .. عاطفة لم ينطقها وقد توقف تماما عن قول كلمة (احبك) بلسانه ... ليستعيض عنها بابتسامة شوق عارم تداعب ثغره ونظرة طفولية تفيض من عينيه تتمنى الرضا منها ...

فنجان قهوتها الصباحية اصبح يسبق دخولها لتجد بجانبه وردة جورية حمراء ...







تفتح بعض تصاميمها الورقية فتجد رسالة قصيرة جديدة منه

(شاب احمق لايكف عن ملاحقة طيفك ..)

(كنت اتصور رؤيتك تكفيني ! فاتأكد انني احمق فعلا!)

(الاحمق نفسه يسألك متى .....؟؟؟)

ابتسمت دون ان تشعر ... هذا هو مهند ... يدعي الصبر ولايختبره حقا ...!

غابت ابتسامتها وصورة تفرض نفسها بتعبير حيواني بشع كسا وجهه وشفته السفلى الدامية ترتعش بالغضب الوحشي !!

اغمضت عينيها بشدة وهو تتمتم باختناق

" ما الذي افعله بنفسي ؟؟ ما الذي اعيشه بالضبط؟ هل هذا هو الحب ؟! يجعلنا نشعر بالغفران رغم ان فداحة الفعل لازالت تؤرقنا؟! ام ان الحب قاس فيفرض سلطانه بيد ضاربة من حديد!"

تنهدت وهي تسند رأسها لباطن كفها هامسة

" وماذا بعد ؟! لااكف عن التساؤل (الاحمق) وهو لايكف عن التسلل بـ(حمقه) الي ورغما عني ! "







تأفف من زحمة المطار وتلته زحمة طابور
طويل على مكان ختم جوازات السفر !

مزاجه سيء .. سيء جدا .. سارة كانت لجوجة
جدا هذه المرة وجعلت الايام العشرة التي
قضاها في امريكا اقرب للجحيم !

معه حق رضا .. هو اخطأ بما فعل منذ البداية
وعليه الان ان يتدارك خطأه ويصلح الامر
بشكل قاطع ...

تنفس الصعداء وهو يغادر منطقة الجوازات ..

عند باب المطار الخارجي تطلع بنزق يمينا
ويسارا بحثا عن سيارة اجرة ليعاجله احد
السواق مهرولا ناحيته وملوحا له ليحجزه
لنفسه قبل وصول سواق اخرين ..

وكان له ما اراد ...

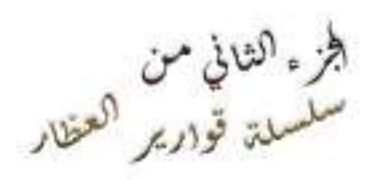
ارخى يحيى رأسه للخلف على ظهر المقعد
الخلفي لسيارة الاجرة ثم اغمض عينيه
باسترخاء ...

رحلة طويلة ما بين امريكا والوطن ... لكنه
لم ينزعج يوما من طول ساعات سفر تعود
عليها ...

هذه هي المرة الاولى التي يشعر انه نزق تماما
ليصل !







المضيفات اهتممن به جيدا كونه جالس في الدرجة الاولى لكنه بدا كشخص عابس متذمر لايطاق وقد قرأ بوضوح كل تلك الصفات تلتصق به في عيونهن الجميلة !

عيون جميلة ... وماذا تعرف عيونهن عن الجمال ؟!!! الجمال الحي النابض !

هل تزخر بزرقة تنتفض بامواج المد والجزر ؟ مد يغرقه فيصرعه و جزر يضنيه فيعذبه ! زرقة تروي الف حكاية وحكاية من التمرد والاباء والروح المتوهجة بتدرجات نارية شديدة الجاذبية ..

همس لاشعوريا وبمرح ساخر " (حبيبة المشتعلة) حقا اشتقت اليك "

منذ لقائه المستفز بها في بيت رضا قبل ثلاثة اسابيع وهو يعيش حالة مستعصية من الاعتراف والانكار !

من تهوين الامور وتهويلها !

تحصن في اسبوعها الاول بهيئة المدير الحازمة ليعاملها بفتور رحبت هي به...

للاسف !

تبسم باستمتاع لايمانع به .... فمع حبيبة كل انواع المشاعر المحفزة تنتابه ....





ثم جاء سفره المفاجئ لامريكا في منتصف الاسبوع الثاني .. عشرة ايام قضاها لايفتأ يفكر بها رغم كل ازعاجات سارة ...

يفكر ويفكر ويفكر ...

ومع كل فكرة نبضة تتسلل بين النبضات !

آه ... ها هي..! ها هي النبضة المشاكسة تقحم انفها مرة اخرى وتهلل في دعوة عشوائية للقلب حتى يعزف لنبضاته عزفه الراقص الخاص ...

" سيدي هل تمانع ان اسلك طريقا اطول فهذا الطريق مزدحم في هذا الوقت .."

فتح يحيى عينيه وتمتم ردا على السائق

" كما تشاء ..."

ثم اخرج هاتفه النقال من جيبه واتصل ...

جاءه صوت رضا مرحبا

" الحمد للّه على السلامة .."

تبسم يحيى قائلا " سلمك اللّه .."

سأله رضا " كيف كانت رحلتك ؟ "

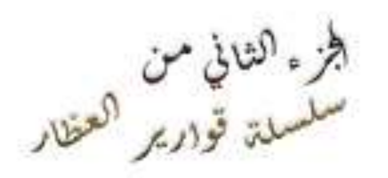
رد يحيى بضيق " قابلة للاحتمال ! "

تنحنح رضا قبل ان يقول بتوجس " هل انهيت الامر تماما مع سارة ؟ "

تأفف يحيى قائلا

" الا يفترض اني انهيته معها منذ سنة ! "







قال رضا بتفهم " حسنا بعض النساء يتعلقن بحبال الهواء الذائبة ..ولاتنسى انك تتحمل نصيبك من الخطأ ايضا ..."

عاد يحيى للتأفف وهو يتذكر انهيارات سارة اللامعقولة ! وكل ما خلقته له من مشاكل في امريكا استدعت ذهابه بنفسه لحلها ...

فاجأه صوت رضا المرح وهو يقول

" منذ متى لم تحضر عرسا حقيقيا ؟"

رد يحيى باسترخاء يجيد الحصول عليه بارادته " منذ زمن ... زمن طويل جدا ..."

قال رضا بسرور صادق

" اذن الليلة انت مدعو لعرس "

تساءل يحيى وهو يعود لارخاء رأسه للخلف مع اسدال جفنيه " من سيتزوج ؟"

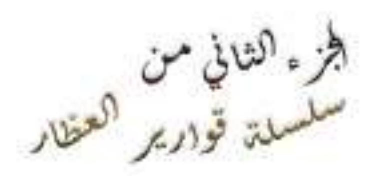
رد رضا بحيوية

" انه عبدالله اخي بالرضاعة .."

ضحك يحيى ضحكة شقية ليقول وهو ما زال على اغماضته " اجل تذكرت ... انت المحظوظ الذي حباك الله بأميّن تتبادلان الادوار للذود عنك ودفع الاشرار بعيدا عن طريقك ولو بقوة السلاح ! "

ضحك رضا من قلبه ثم قال من بين ضحكاته " هل ما زلت تذكر ؟!! "







فتح يحيى عينيه ليرفع حاجبا واحدا قائلا بتأهب مرح " وكيف انسى وجه الخالة بدرية وهي ترفع مقشتها في وجهي بتهديد جدي صريح فقط لاني اخذتك معي في جولة بريئة بسيارة ابي رحمه اللّه! "

ما زالت ضحكات رضا تتعالى ليقول اخيرا

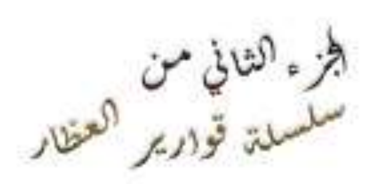
" كن عادلا ! من حقها ان تغضب وترتعب ... كنا مجرد مراهقين ، انا لم اتجاوز السابعة عشرة وانت في الخامسة عشرة فقط ! "

ضحك يحيى بينما رضا يكمل بخلو بال وفرح بهيج قديم " لقد حطمت السيارة بالكامل وكدنا نلقى حتفنا نحن الاثنان "

رد يحيى بنبرة مشاكسة مرحة " ايها المخادع المدلل ! فبينما انا اخذت نصيبي بعقاب (ساخن) من ابي وحرمان من كل شيء لشهر كامل انت أُخذتَ بالاحضان والطبطبة عليك من اميّك سعاد وبدرية ! وكأني كبّلتك من يديك وجررتك معي رغم ارادتك ! "

رد رضا وهو يضحك من قلبه " اجل رغم ارادتي! ما رافقتك الا خشية عليك من تهورك وقد عجزت عن ردعك ..."







يستمع ييحيى لضحكات رضا بحنين شديد
ليناديه فجأة بشجن

" رضا ..." رد عليه " نعم ..."

فقال يحيى بصوت أجش يعلوه غبار الندم البغيض " اسف لاني انقطعت عنك كل هذه السنوات .."

صمت رضا للحظة فقط ثم قال بتسامح

" لابأس عليك .."

فتنهد يحيى ليقول بانشراح

" انا سعيد بعودتي للوطن .."

ليرد عليه رضا ببشاشة " انا ايضا سعيد ...
افتقدت وجودك المرح وجرأتك وبساطتك
في التعامل مع اعقد الامور .."

فسال يحيى بمرح "اذن ... اين الحفل ؟ "

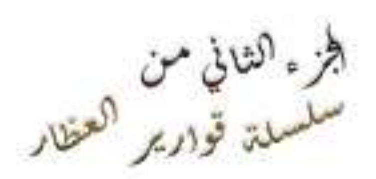
قال رضا " امي بدرية دوما تزوج ابناءها بحفل تقيمه على ارض حديقتهم الكبيرة ..."

اتسعت ابتسامة يحيى هو يقول باسترخاء تام

" حسنا .. سيكون امرا مبهجا ويبعث على الشعور بالالفة ان احضر حفلا كهذا "







ثم سأل يحيى وقد تذكر فجأة

" صحيح .. نسيت ان اسألك .. متى سيسافر عبد الرحمن ؟؟"

رد رضا ببعض الشجن الحزين

" ظهر الجمعة ان شاء الله "

اوقفها بمنتصف الممر رفعت رأسها اليه فقال بتهور ودون مقدمات " تزوجيني ! "

احمرت وجنتاها واتسعت عيناها ببعض الصدمة التي اخرست لسانها .. اتسع قلبه للزرقة الذائبة في تلك العينين ، كم يريد أسر تلك الزرقة لنفسه فقط .. ان يراقب بتهمل شديد كل انفعال حقيقي فيها ...

حبيبة فتاة لاتتكرر !

خلف كل العنفوان والكبرياء تختفي بحقيقتها في الظلال ... ظلال تحمي ضعفها الذي ترفضه بشراسة ...

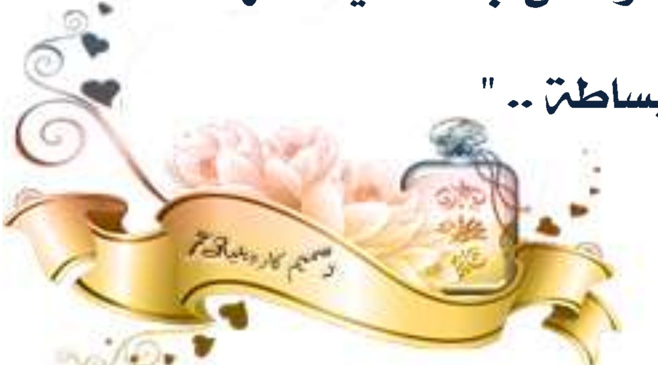
همست بصوت متحشرج

" انت لاتكف عن ادهاشي ! "

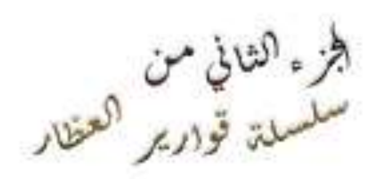
ابتلع ريقه وعيناه تتركزان على شفتيها ليهمس بجنون " انا اتعذب ! "

فتطرق براسها بينما ارتعاش جسدها يفضحها

" الامر ليس بهذه البساطة .. "







فيرد بنفس الهمس المعذب

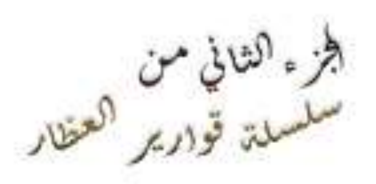
" انت من تصعبين الامور ولاتمنحينا فرصة حقيقية عادلة ! لماذا يا حبيبة تفعلين هذا؟! لاسابيع احاول ان اثبت لك احترامي لك تكفيرا عن خطيئتي بحقك دون ان اكف عن ابداء عاطفتي امامك .. لقد جردت نفسي من الكبرياء تماما دون ضمانة حقيقية! انا اشعر احيانا انك معي في نفس البقعة من المشاعر واحيانا ترعبني ارادتك التي تسعى لشدك بعيدا ! فاخشى رفضا منك لشخصي يدفعك لطمس اي شعور محتمل نحوي ... "

لم تبدي اي ردة فعل وحتى لم ترفع رأسها بينما يدها اليمنى تتلاعب بلقم ملون بين اصابعها ...

اردف مهند باختناق معبر " ماذا تريدين اكثر لاثبت لك اني اريدك حقيقة وبالحلال ... قولي لي ماذا افعل بعد ؟؟ لو كان هناك المزيد مني ترفضيه كوني معي لتساعديني حتى اغيره .. لكن ان ابقى هكذا معلقا فلم اعد احتمل ..."

بينما تطرق حبيبة مرت من جنبهما هويدة

غمزة من عينها اليمنى وعضة حسية على طارف شفتها السفلى قابلها هو بنظرة قاسية وشفتين مزمومتين !





لتواصل هويدة خطواتها كاتمة ضحكة استمتاع فيعاود مهند التحديق في رأس حبيبة المطرق ويكاد يفقد كل ذرة من تمالكه فيضمها لصدره بجنون !

انه يختبر صبرا غير اعتيادي !

كيف يمكنه ان يعرف بأن هذه الفتاة الرائعة تحمل له المشاعر دون ان يهاجم بقوة لانتزاع الحب منها ؟؟؟

لقد تعلم معها عذوبة الصبر ومتعة الانتظار ليحصل كل شيء في اوانه الصحيح ...

قال بتوسل بعد ان طال الصمت " فقط قولي انك ستفكرين ... ستنظرين لوجودنا معا انه قابل للتحقق ... انني (رغم اخطائي الكثيرة) اروق لك كرجل وكانسان ... انك تجدين بي ما يستحق "

انه لايصدق ! هل يتوسلها بهذه الطريقة المذلة ؟!! شيء في داخله انتفض !

لايعلم ماذا تفعل به تلك المختفية في ظلالها ؟! كيف يسحبها اليه ؟

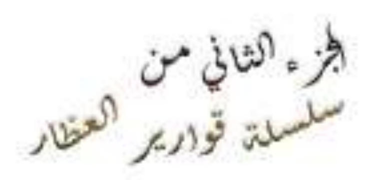
الغضب بدأ يتحشد في داخله وهي ما زالت تطرق برأسها وتتلاعب بالقلم اللعين في يدها !

فتح فمه ليقول ما يعرف انه سيندم عليه عندما جاءته همستها التي شلّت اطرافه

" سأفكر .." ثم تحركت بسلاسة وهو بكل غباء ظل مشلولا مكانه !







احساس غريب تملكه وهو يراهما متقاربين

هكذا !

انها ليست المرة الاولى ..

لكن هذه المرة بدت مختلفة ..

حدس غير مرحب به جعل كل فرحة برؤيتها

تتبخر !

ثم في لحظة توهجت عيناه الزرقاوان

ليكسوهما الغموض البارد في اللحظة التي

تليها .....!!

بنظرة متعالية وحاجبين كضلعي زاوية قالت

اشجان بأنفة مصطنعة "اذهبي واعدي الشاي "

رمت رجاء اكوام النحاس من يدها لتتخصر

وهي تواجه اشجان بالقول

" ولماذا لاتعديه انت ؟!"

صرخت بها اشجان " ايتها الطفلة المراهقة ..

يا سليطة اللسان يفترض ان تطيعيني .."

لكن رجاء كانت قد فاض كيلها من استبداد

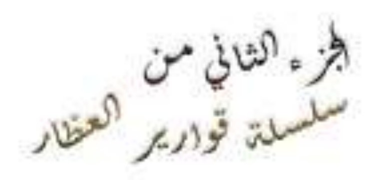
اشجان معها لتقول بأنفة تقلد بها اشجان

" ولماذا اطيعك ؟ انت لست رئيستي في العمل

.. نحن الاثنتان عاملتان هنا "







زمجرت اشجان وهي تتقدم منها توشك على ضرب تلك القبيحة عندما جاء صوت حذيفة حاسما " اذهبي رجاء واعدي الشاي "

شحبت رجاء خوفا من صاحب العمل ان يطردها لتسارع بالقول الذليل " امرك سيد حذيفة ساعده حالا ..."

تراخت ملامحه القاسية قليلا فقال

" بامكانك مناداتي حذيفة كباقي العمال فلاداعي لهذه الالقاب التي لامعنى لها هنا.. "

هزّت رجاء رأسها وما زال شحوب الخوف يفترش بشرتها ....

بغيظ شديد قالت اشجان من بين اسنانها

" لماذا تعاملها باريحية هكذا ؟! انها عاملة جديدة ويفترض ان نشد عليها حتى لاتتعود التسيب والتلاعب ..."

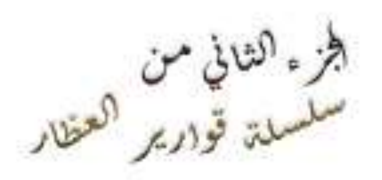
بسخرية قال حذيفة " منذ متى نصبت نفسك مرشدة عامة في الورشة ؟"

ضربت اشجان بقدمها الارض قائلة بتدلل سخيف لايليق بها " حذيفة لاتعاملني هكذا! انا لي حق الاقدمية "

بتأفف قال حذيفة " اسمعي اشجان لاوقت لدي ولا مزاج للتعامل مع حاجتك للشعور بالتسيد والاستبداد ! اتركي الفتاة لحالها انها مسكينة ولديها ما يكفي من الهموم "







اغتاظت اشجان اكثر من دفاعه عنها لتقول بطفولية " انا ايضا مسكينة..! ام هل نسيت كيف وجدتني ؟!! او نسيت امي المقعدة ؟!"

قال حذيفة بحزم منهيا الجدل العقيم" هذا الحوار انتهى ..اذهبي لعملك ولاتزعجي احدا.."

تحرك حذيفة ودون شعورها تحركت نحوه لكنها لم تجرؤ على اكثر من الوقوف في طريقه لتقول بصوت متقطع

" حذيفة ... انا .."

بخفة غير عادية ولايتوقعها احد من جسد ضخم كجسده تجاوزها حذيفة دون ان يتطلع اليها ليقول بصرامة ونبرة تحذير مبطن

" اهتمي بعملك اشجان ... هناك نحاس جديد قادم فساعدي العمال على رصّه في المعمل "

تمتمت اشجان بخضوع " حاضر ..."

اكمل وخطواته تتباعد عنها " ومواد المطاط الخام ستصل ايضا خصصي لها الركن الشمالي"

لاحقته تريد استحصال مكانة خاصة عنده

" سنبدأ التصنيع مع بداية الشهر ان شاء اللّه اليس كذلك ؟"



لم يرد بشيء ! بينما واصل سيره وهي تلاحقه لتسأل بنبرة متوسلة " هل احضر لك الشاي ؟"

رد ببرود " لا .. رجاء ستحضره لي .. "

عندها تملكها الاحباط التام لتتوقف عن ملاحقة خطواته ....

اخذت تلملم بضع قطع من الحديد وهي تتمتم بصوت هامس" منذ حضور هذه الفتاة البغيضة رجاء واشعر ان مكانتي اهتزت هنا ! اهتزت عنده ولم يعد يعتمد علي ..."

صوت فتيّ جاءها من الخلف " مرحبا اشجان .."

تخصرت وهي تلتفت اليه ترد بسخرية مبطنة " اهلا يا فتى ! "

عبس خليل ليعترض بالقول " لااحب ان تناديني فتى ! انا رجل شاب "

ضحكت اشجان ضحكة رنانة وقد راقها التلاعب به ومضايقته لتقول بعدها

" اضحكتني حقا ! اذن لماذا تأتي اختك لتثير الزوابع لاجلك وكأنك طفلها المختطف ؟! "

فرد خليل بتهور ونبرة دفاعية عن رجولته

" انها طبيعتها الهستيرية مع الجميع .."



رفعت اشجان حاجبا واحدا وهي ما زالت تتخصر

لتسأل بتفكه " حقا ؟؟ لماذا هي هكذا ؟؟

هل خدعها احدهم وغرر بها ؟"

احمر وجه خليل من شدة الغضب ليهدر بها

قائلا " لاتتكلمي عن اختي هكذا ! " ثم

اضاف دون ان يشعر " انها فقط ... مطلقة .."

اتسعت عينا اشجان فضولا لتقترب منه وتسأل

" مطلقة ؟!! لماذا ؟؟ هل تزوج عليها زوجها ام

ماذا ؟؟"

عندها تراجع خليل خطوات للخلف ليقول

بتشنج " لاحب الكلام عن هذا الموضوع ..."

نادته اشجان تحاول الاقتراب بنفس الوقت

" توقف يا فتى .. اقصد يا خليل ... توقف .."

لكن خليل ابتعد اكثر وهو يقول بوجه قاس

" لدي عمل كثير اقوم به ..."

يحدق بشراهة عبر خرم الباب .. عين واحدة

فقط تكفي الخرم اللعين لكنها لاتكفيه

هو ولاتروي رغباته المستعرة ..

يود لو كان لجسده الذي ينضح بالعرق القدرة

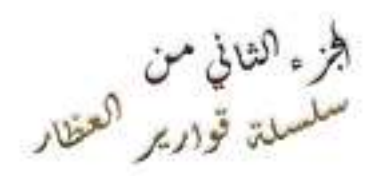
ان يحدق فيها بكليته !

عرقه يتصبب من كل خلية!

واعصابه تحترق !







ابنة زوجته جميلة حقا بملابسها الداخلية الرقيقة ! عض شفته السفلى حتى ادماها بينما عيناه تتسعان بفجور وهو يرى خلود تخلع عنها حتى تلك الملابس القليلة !

لحظات خنقته بالرغبة المتفاقمة ثم ارخت خناقها شيئا فشيئا لتترك له تنهيدة حسرة بينما خلود ترتدي ملابس اخرى وتستر جسدها الغض بطبقات وطبقات .....

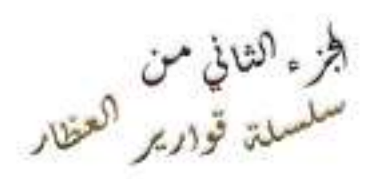
لولا تلك القبيحة العجوز في الحمام تغتسل ويخشى خروجها في اية لحظة لدخل عنوة عبر هذا الباب المقفل واطفأ ناره المشتعلة بتمزيق كل تلك الطبقات عنها !

لكن الصبر ... صبرا يا صبر ... منذ طلاقها وعودتها قبل اشهر وهو يتحين الفرص للاختلاء بها .. انه يشتهيها منذ كانت مراهقة وعندما كبرت واوشكت على التخرج من الجامعة تقدم لها فرفضه والدها الحقير بحجة فرق العمر بينهما والذي يصل لسبعة عشرة عاما كما انه غير متعلم بينما هي طالبة جامعية!

بتشفٍ سخر من الحال الذي آلت له (الطالبة الجامعية) !!

زوّجها والدها من شاب احبته ولكنه لايحمل الا شهادة معهد صناعي ولايملك الا ورشة حدادة سخيفة !







ذلك الحقير والدها ما ان زوّجها وجه الشؤم عزيز حتى مات بعد اشهر !!

لو بكّر في موته قليلا لكان استطاع ابتزازها والحصول عليها بدلا من الانتقام الذي يمارسه عليهم جميعا الآن...

ثلاث سنوات قضتها خلود مع وجه الشؤم بمشاكل يصل صوتها احيانا للقاصي والداني ما بين ضرب واهانات .....

لينتهي الزواج بطلاق و... فضيحة كبرى .....

استقام بجذعه وقد فقدت (المشاهدة) بهجتها المثيرة ! ليتحرك قليلا مستديرا بجسده ..

اجفل من مرآى زوجته العجوز القبيحة تقف امامه بملابس بيتيه اقبح منها وتلف رأسها بمنشفة بنية شبه مهترئة ...

كانت تحدق فيه بجمود وصدمة ! شحب واستبد به خوف طبيعي لانها اكتشفت تلصصه على ابنتها !

كان عقله يحاول ايجاد كلمات مبررة منطقية في برائتها عندما اعفته هي من ايجاد تلك المبررات !

ابتلعت صدمتها وارتحل عنها الجمود لترسم ابتسامة بلهاء وتقول بصوت مرتجف " لابد انك قلقت عليها اليس كذلك ؟ لاتخف انها قوية وستكون بخير "







تراجعت اخر ذرة خوف ولاإراديا فاضت نفسه بالاشمئزاز منها !

انها مجرد عجوز بائسة لاتريد الا رجلا في حياتها .... اذن فقد اختارت تجاهل ما رأته بأم عينها .... حسنا ... هذا جيد .. بل ممتاز ويلائمه تماما ... ولم يعد يقلقه الا ذلك الفتى المراهق المتعلق برقبة امه حاميا مدافعا عنها ....

ابتسم لها ابتسامة وضيعة ليقول بوقاحة

" ابنتك تغير ملابسها وكنت اتأكد انها لاتشعر بالبرد ! "

تحرك فواز بخطوات متراخية ونظراته مستهينة ومتحدية في آن واحد ...

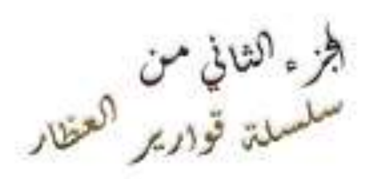
تجاوز زوجته والابتسامة الوقحة تمنحه هيئة منفرة ليتوجه نحو باب الشقة فيفتحها ويغادر...

امومة مخنوقة !

هذا ما تشعر به ... منذ تفجرت حاجاتها كانثى بعد وفاة زوجها بعام واحد ...وقد تضادت الحاجات مع الامومة ودحرتها لتنفيها في ركن مظلم بعيد .... بعيد حتى عن انسانيتها ...







هل هناك من يلومها ؟؟ لقد كانت بمفردها والوحدة تقتلها .... توفي زوجها فجأة ولم يكن قد مضى على زواج ابنتهما الا اشهر وخليل الصغير كان فتى في الثالثة عشرة يقضي وقته في اللعب بالشارع مع اولاد الحي...

ماذا كان يفترض ان تفعل ! ألم يكن فواز مرشحا جيدا ليملأ فراغ زوجها بعد ان ملأ فراغه في ورشة النجارة خاصته ؟؟

ألم يكن صبيه النجيب ...؟؟

وماذا ان كان يصغرها ببضعة اعوام ؟!!

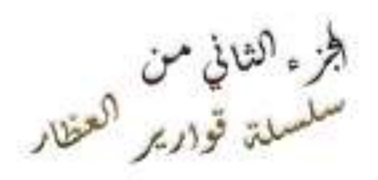
انها فقط سبع سنوات لااكثر ولكنه لايفتأ ان يعايرها به .. لايفتأ ان ينعتها بالعجوز !

ارخت له الحبل وتجاوزت عن معرفتها بعلاقاته النسائية القذرة مع بائعات الهوى بل كانت تعطيه من حر مالها ليرفه عن نفسه مدعية ان وسيلة الترفيه لن تتعدى سهرة شرب مع اصحابه ! مع انها واثقة تماما ان يعاشر تلك الاصناف من النساء ...

استمرت التنازلات لتشمل الورشة ايضا التي باعها بحجة الخسارات ثم استولى على المال ليشتري لنفسه ورشة باسمه !

التنازلات شملت حتى ابنها الوحيد خليل وقد اسرفت في التغاضي عن الاسراف في ضربه والقسوة عليه بسبب ومن غير سبب ! ولم يتوقف فواز حتى اوقفه خليل بنفسه ذات يوم وقد اشتد عوده وزادت شراسته ....





دمعتان فقط هطلت على خديها دون ان تشعر

والامومة المخنوقة تجلدها بالسياط ...

خليل الحبيب الذي لم يتخل عنها رغم تخليها

هي عنه ! كان يستطيع الهرب ببساطة لكنه

ظل كالشوكة في خاصرة فواز لاجلها هي ...

لاجل امه التي لاتستحق لقب الام ...

حادت عيناها نحو باب غرفة ابنتها ... ابنتها

المطلقة التي عادت بفضيحة اثارها زوجها

وهو يعيدها لاهلها متشحة بعار غير مألوف !

نظرت لذلك الباب المقفل وقد ادركت

متأخرا جدا لماذا كانت خلود تقفله بالمزلاج

الصغير الذي ركبته بنفسها بعد ان ضاع

مفتاح الغرفة فجأة !

يا الهي .. ماذا ستفعل ... ماذا ستفعل ؟؟

واذا شعر خليل بالامر ماذا سيفعل ؟؟؟

شحبت شحوب الموت !

اجل ... انه الموت من من يريد ضمها اليه حقا

لو فعلها خليل وقتل فواز في فورة غضب اهوج

طال كبته من سنوات!



ليلة عرس....

لم يعد من عمله في محل العطار الا منذ ساعة فاخذ حماما على عجل وغيّر ملابسه استعدادا للذهاب مع زوجته للعرس ....

" سالم ..هل ابدو جميلة .. هذه المرة الاولى التي اظهر فيها في حفل بعد زواجي .."

بثوب كريمي رأته هي شاحبا عليها التفتت رفيدة ناحية زوجها تسأله بتوجس ..

رد سالم بابتسامة حانية وهو يرتدي سترته

" في عيني اجمل جميلة .."

اشرق وجهها بالرضا والاطمئنان بينما تحركت ناحية منضدة الزينة تفتح علبة تبرجها وهي تجلس على الكرسي الصغير مواجهة المرآة البيضوية لمنضدة الزينة ...

عينا سالم تابعتا اختيارها لاحمر الشفاه ثم التقاطها لاحمر الخدود واقلام اخرى لاخبرة له فيها او حتى معرفة كنهها... فقال بلطف

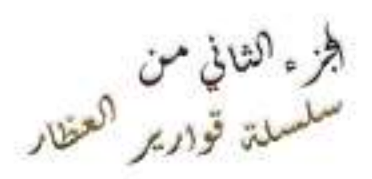
" لاتتبرجي كثيرا... لاحب هذا .."

نظرت رفيدة اليه عبر المرآة لتقول بتردد

" لكن امي قالت اني مازلت عروس ويجب ان اهتم بزينتي بشكل جيد"







تقدم منها ليقف بظهرها يميل لرأسها يقبل اعلاه ويقول برقة

" زوجك يريد زينتك له فقط "

تمرد اصبح يألفه منها ظهر بهيئة العبوس على ملامحها الصغيرة بينما تقول بعناد

" لكن سالم ..انها حفلة عرس وكل جيراننا سيحضرون ، يفترض ان ابدو متألقة امامهم والا سينتقدونني او يسمعوني كلاما سخيفا.."

بصبر تبسم لوجهها ثم امال وجهه الى جانب وجهها فيطبع قبلة على خدها ويقول بمغازلة

" ألا يسعدك اني اغار عليك ..؟ ما لك ومال الكلام السخيف ؟ هل رأيي انا اهم بالنسبة لك ام رأيهم ؟ "

احساس رائع ان تشعر بغيرته !

ان تشعر انها انثى ...

هذا يضمد الكثير من جروح روحها ...

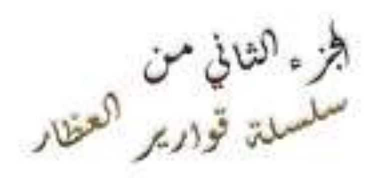
لم يكن يسرف بعاطفته فتشعره يدّعي مجاملا لها ولم يكن يبخل فتدرك انها فقط طبيعته الكريمة ..

بتنازل راض قالت " حسنا ..."

لامس خدها بين سبابته وابهامه قائلا

" سأنتظرك في الصالة حتى تنتهين "







راقب تشنجها مع الولدين بينما تطلب منهما بعصبية مبالغ فيها ان يلبسا حذائيهما ...

بفستانها السماوي الفضفاض هفهفت لتعود لغرفتهما الخاصة ..

لحق بها محسن وحالما دخل وجدها تتأفف وهي تفتح الادراج واحدا تلو الاخر بحثا عن شيء ما !

سألها محسن بهدوء " ما بك رحاب ؟"

التفتت اليه باجفال وهي تردد بتساؤل " ماذا ؟"

تقدم منها محسن ليقف قربها عيناه تنجذبان لبطنها ذو الانتفاخ البسيط ليرفع عينيه نحو وجهها الشاحب قليلا

" انك لست طبيعية منذ فترة .."

رددت بانفاس ضيقة وهي تمسح جبينها باطراف اصابعها البيضاء

" بسبب الحمل .. انت تعرف الوحام اشتد واشعر بالكآبة بسببه كما ان .."

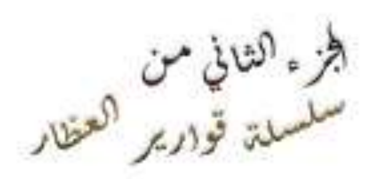
صمتت وهي تعاود التأفف ! عندما تتهرب من النظر اليه مباشرة هكذا يعلم انها تخفي مشاعرها فقال بنبرة تجمع الحزم واللين

" رحاب .. فقط اخبريني .."

عندها فاجأته بانفجار " ولماذا اخبرك ؟! وهل تهتم حقا ؟!!! انت لاتحتاج مني لتعرف الا ما يصب في تحقيق اهدافك الخاصة.."







صدمته ردة فعلها ! ليرفع حاجبيه للحظة ثم اخفضهما ببطئ وهو يتطلع لعينيها باستغراب

سألها بهدوء شديد

" هل تتهمينني بالانانية ؟! "

ارادت التحرك لتتجاوزه وهي تخفض رأسها وتتنهد قائلة

" محسن ... فقط ارجوك دعنا نذهب للعرس بسلام .."

لم يسمح لها بالتجاوز الذي ارادته ...

فوقف في طريقها تماما ومد كفه ليلامس بطنها بخفة ويقول " لن نذهب لاي مكان قبل ان تشرحي ما عنيته بالضبط ..."

رفعت عينيها الجميلتين اليه يلمع فيهما التردد فقال محسن ما يخطر في باله منذ فترة

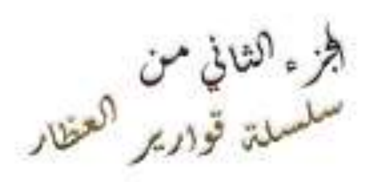
" انا الاحظ هذه الحالة كلما ذهبتِ لزيارة اهلك ..."

ابتلعت ريقها بوضوح ثم قالت بتخوف

" هل ستجد الاعذار الان لتمنعني عنهم ..؟!"

لم تعجبه محاولتها الدفاعية الاستباقية فقال بحاجبين معقودين " ماذا جرى لك ؟! انا احاول مساعدتك .."





رددت بارهاق مسّه " لن تستطيع .. مساعدتي .."

ثم اضافت على عجالى وهي تحاول تجاوزه من جديد " محسن .. لقد تأخرنا و ..."

دمعات غبية تجمعت في عينيها بينما ذراعاه تحاوطان كل جسدها لتضمانها اليه وهو يهمس لاذنها " ششششششششش..اهدأي.."

كلمة (اهدأي) منه كانت كتصريح افراج لدموعها المكبوتة !

اخذ يمسد على شعرها الطليق الذي استطال قليلا بينما تركها تبكي بنشيج ناعم فأتم كلامه السابق قائلا

" هل امك تضغط عليك بشأن فصل الجناح؟"

تشنجها وتقطع بكائها كان ردا غير مباشر بكلمة (نعم) ...

تبسّم بنوع من التفكه وهو يقول " هذا هو الامر اليس كذلك ؟ لم تستطيعي ان تقاومي ضغط الحاحها ولا وقف تدخلها .."

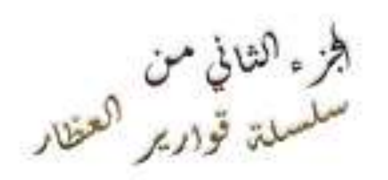
بقبضة متشنجة تتحرك على صدره قالت بتحشرج " ارجوك لاتتكلم عنها بانتقاد .. انها مجرد ام ولاتفهم السبب ! كما .. ان .. "

صمتت وقد قطعت كلماتها شهقة بكاء ..

قال بصوت أجش " اكملي .. ماذا بعد ؟"







لم تستطع رفع رأسها اليه بينما تقول بتوتر شديد " الجناح لن يكفينا يا محسن ! الولدان يكبران وهناك طفل ثالث في الطريق .."

علّق برقة " وربما طفلة ! "

تنهيدة منها وصمت ....

اخيرا رفع محسن رأسها اليه يمسك وجهها بين كفيه ويقول بتركيز وجدية " اسمعيني حبيبتي .. كل شيء في اوانه وانا قادر على حله وترتيبه .. فقط ثقي بي واصبري معي "

نظرت لعينيه عبر زجاج نظارته فشعرت بالراحة لردة فعله المتفهمة لتدرك انها لن تندم ابدا على اختيارها ...

منذ اول حضوره للعرس وهو لايقاوم البحث عن اي اشارة لوجودها ، ولما تأخرت اصابه احباط فظيع جعله عصبي المزاج !

ثم عندما حضرت مع امها واختيّها اصبح اكثر عصبية وضيقا !!!

تأفف وهو يشيح وجهه بتعمد بعيدا عن اي اتجاه قريب من مكان جلوسها مع عائلتها ..

تمتم في سره بغيظ " ما الذي يزعجك هكذا ؟؟ ها .....؟!!! ما الذي يجعل دماؤك تفور وقساوتك تنبض في جوفك ليغلف برود جليدي ردات فعلك ؟! "



تنهد ! ها هو يقف في ركن بعيد نسبيا
يمسك قدح عصير اصرت الخالة بدرية عليه
ان يشربه بينما امتنع تماما عن المشاركة في
رقص الشباب ....

غدا سيرحل ... سيسافر لبلد آخر .. في قارة
اخرى ... ولايعلم كم شهرا سيمر قبل ان يعود
في زيارة ... مجرد زيارة ... قد يراها وقد ....

احساس بالكآبة سيطر عليه ...

قد عادت تلك المتعجرفة تتلاعب بمشاعره

حدّث نفسه بغيظ " ماذا جرى لك يا عبد
الرحمن ؟! الم تعاهد نفسك انك لن تنظر
اليها قط ؟! انك ستجعلها تشعر بانها ليست
اكثر من طيف غير مرئي... بل غير محسوس
بالمرة ! ألم تنجح في فعلها ذلك اليوم عندما
تجاهلت حتى ندائها الصريح لك .."

كز على اسنانه وهو يتذكر كيف عانى
الامرين حتى لايستدير ويكمل مسرحية
التجاهل التام التي برع فيها ...

اغمض عينيه قليلا ....

لايعرف كيف لم يبدِ اي ردة فعل مكشوفة
عندما سمع صوتها ينادي اسمه ....

لقد اكتشف في نفسه قدرته على التماسك
والاخفاء واظهار عكس ما يبطنه ..





اسعده هذا الشعور بالسيطرة على نفسه وفي نفس الوقت لم يعجبه !

لايعرف لماذا ...لكنه لم يُعجب باكتشافه هذا !

تطالع صغيرها بوقفته في زاوية منعزلة عن الاخرين فتشعر بمزيد من الألم والحزن !

وكأنه يودعهم منذ الآن !! يعودهم على الفراق فيسقيهم اياه على جرعات ....

دموعها تنسكب بنشيج مكتوم وتوشك ان تهب على قدميها المتعبتين دوما لتصرخ هنا وسط الحفل قائلة بهستيرية

(انا تراجعت .. ! صغيري عبد الرحمن لن يفارقني!)

صوت بدرية جاء بهمس مغتاظ وهي تضع منديلا في حجرها

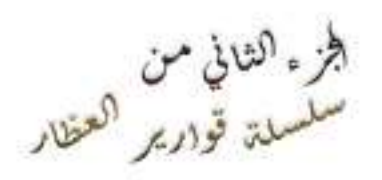
" كفي عن البكاء يا امرأة ! "

التفتت ناحية رفيقة عمرها لتقول لها بانكسار " ماذا افعل يا بدرية ؟؟ صغيري سيتركني في الغد .."

عضت بدرية على شفتها وقالت بسخط غير حقيقي " وهذا عرس صغيري انا ! فارحمينا من مشاعرك الفياضة نحو اولادك "







لم تفلح محاولات بدرية مع سعاد لتهطل المزيد من الدموع وقد اخذت سعاد تمسحها بالمنديل وتخفي وجهها عن المدعوين ...

وبينما بدرية تربت على ساقها بتعاطف صامت رفعت سعاد رأسها وقد جففت وجهها لتمر امام ناظريها حبيبة بثوب ذهبي باهت ..

همست سعاد على عجل وقد تبددت مشاعرها المهتاجة لفراق ابنها القريب " بدرية .. انظري اليها .. كم هي جميلة وفاتنة هذه الفتاة وتزداد جمالا كل يوم "

عبست بدرية حالما علمت اي فتاة تقصدها سعاد لتتساءل بحذر " من تعنين ؟؟ حبيبة ؟ "

ردت سعاد باثارة وهي تمسح اخر دمعة هاطلة

" اجل حبيبة ابنة ابتهال .. انظري اليها كم يليق بها الذهبي ... انها اجمل اخواتها .."

ضيّقت بدرية عينيها بارتياب لتسألها بحزم

" ما حكايتك سعاد ؟؟ "

اتسعت عينا سعاد وارتفع حاجباها متسائلة ببراءة " ماذا ؟!"

فزمت بدرية شفتيها قبل ان تحثها بلهجة صارمة " سعاد قولي ما عندك مباشرة "

ابتسمت سعاد بمكر لتقول ببشاشة

" لاتحدجيني هكذا .. انا اقول فقط انها عروس رائعة .."





خفق قلب بدرية توترا لتسأل بقلق داخلي

" عروس لمن بالضبط ؟؟"

ردت سعاد بابتسامة واسعة " طبعا حذيفة ! "

زفرت بدرية بقوة لترفع رأسها لسماء الليل

وتقول " يا مثبت العقل والدين يا رب ! "

عبست سعاد تتساءل بضيق

" مابك انت الآن ؟!! هل من الخطأ ان ابحث

عن عروس لولدي ؟!"

وقفت بدرية على قدميها لتقول بغيظ متفاقم

" سعاد ... عودي للبكاء على صغيرك فهذا

كل ما تجيدينه على ما يبدو مع اولادك !

كان خطأ مني الحاحي على قدومك! الافضل

لو جاريتك بتمسكك بحدادك طويل

الاجل على الحاج عقيل "

استدارت بدرية تاركة سعاد فاغرة الفم

وحالما تحركت بدرية فعلا نادتها سعاد بحيرة

" اين تتركيني وتذهبين ؟! "

التفتت اليها برأسها لتقول بابتسامة تنضح

بالغيظ " سأشرب بعض الماء البارد قبل ان

تهتاج عليّ القرحة ! "

ما زال يقف في نفس الزاوية شبه منعزل عن

الحفل لكن ما يحصل انه فقد القدرة على

ادعاء التجاهل فبات يراقبها من بعيد ...





لم تكن تراه .. اراحه هذا كثيرا ... اراحه واحزنه !

تضاحك اختيها حبيبة ورقية وامهن تحدجهن كل فترة ليخفضن اصواتهن كما يبدو لكن الخالة ابتهال احيانا تشاركهن الضحك ...

انها .. جميلة ....!

تأوه خرج من قلبه رغما عنه ... جميلة متلونة بالوان الطيف السبعة ومع كل لون تعطي بهجة بمذاق مختلف ...

همسة ساخرة خشنة جاءته من الخلف المظلم

" هل تعجبك ...؟"

ارتج قلب عبد الرحمن فاخفى ردة فعله وهو يرتشف من عصيره ويقول بثبات

" من تقصد ؟؟"

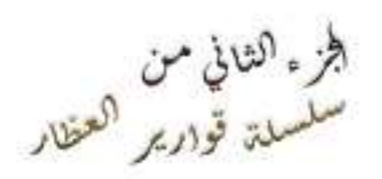
ضحك حذيفة من قلبه ليقول بعدها وهو يقف بموازاته " تلك العسلية الصغيرة .."

التفت عبد الرحمن بحدة نحو اخيه فاكتشف انه يحمل سعاد لتميل نحوه تلك الصغيرة بابتسامة حلوة اطفأت حنقه بينما تناديه بالاسم الذي اطلقته عليه (أبد) فاخذها عبد الرحمن من والدها الذي قال بنبرة مؤثرة

" سعاد تحبك .."







اخذ عبد الرحمن يقبل خديها الليّنين وهو يقول بابتسامة جذلى

" انها فتاة رائعة ...سافتقدها جدا.."

فقال حذيفة بنبرة هادئة

" وانا سافتقدك .."

ابتلع عبد الرحمن ريقه بصعوبة بينما يتلاهى بالنظر لوجه سعاد التي تراقب ما حولها باستمتاع كبير ، منذ تلك الليلة في الحديقة وهو لم يكلم حذيفة اطلاقا ..

رغم كل محاولات محسن ليجعله يعيد التفكير في موقفه ورغم نصائح رضا له ان يتعلم الغفران لكنه لم يستطع ...

هناك حاجز كبير يفصله عن قدوته في طفولته ... من كان بطله الاوحد !

لايعلم كيف يستطيع رضا التعامل مع هذا الامر ؟؟ كيف يستطيع النظر لوجه حذيفة دون ان يتذكر ما فعله مع اسيا !

اذا كان هو عبد الرحمن وكلما رآى اسيا يخفض نظره في خجل واحساس بالخزي لم يستطع تجاوزهما لحد الآن ...

احيانا يذهب لجناحهما زائرا لهما في محاولات مستمرة لكسر هذا الاحساس داخله لكنه لم يستطع ان يصل للعمق ويتجاوزه فعلا ....



عينا عبد الرحمن تحركتا عفويا بحثا عن رضا .. فرآه من بعيد يمسك بخصر زوجته ويستقبل يحيى الذي يبدو انه حضر للتو ...

وبينما يرى اخاه الاكبر يضحك بتعابير مرتاحة تمنى لو كان يملك بعضا من صفاته .. من حلمه .. من قدرته على احتواء اعظم الذنوب ..

دون كلمة يرد بها على كلمات الافتقاد التي اطلقها حذيفة قبل لحظات ناوله سعاد وتحرك ينوي المغادرة لكن نداء حذيفة اوقفه وقد فاض بلهفة لم يتصورها يوما سيسمعها في صوته

" عبد الرحمن ..."

توقفت خطوات عبد الرحمن ليقترب صوت حذيفة ويضيف بنبرة مختنقة

" انت دون الجميع .. اريدك ان ..تسا..محني .."

اتسعت عينا عبد الرحمن بصدمة ! هذه اول مرة يسمع حذيفة يطلب السماح من احد !!

تعثرت خطوات عبد الرحمن وهو يجبر قدميه على التحرك ، عيناه التقطتا رضا مرة اخرى ما زال يضاحك يحيى ويمسك باسيا فتمتم عبد الرحمن بشرود " ربما سأفعلها يوما ..."

ثم تركه وابتعد ..

من يرى ابتسامة حذيفة التي شقت شفتيه يظنه صغر عشر سنوات دفعة واحدة ...





فرح منير تتعثر خطواته وهو يزور اعماقه المظلمة منذ سنوات طوال عجاف ...

انحنى حذيفة نحو رقبة سعاد يقبلها ويهمس لها بصوت بشوش أجش

" هل سمعته يا جميلة ؟ قال سيفعلها يوما ..."

فاجأته سعاد بأن انحنت نحو رقبته لتقبله هناك كما فعل هو معها ..

هذه المرة الاولى التي تقبله هكذا ... شع الفرح اكثر وثبتت خطواته في طريقها بينما يهمس لها بحنان " سافتقد عمك الصغير هذا بكل أنفته وكبريائه .."

تعلقت برقبته بدلال لتهتف وكأنها تنشد اغنية " انا احب بابا .."

ضحك من قلبه وهمس

" وقلب بابا ملك لك وحدك .."

امسك بكفها الصغير يلثم باطنه ثم يدغدغها بخشونة لحيته النابتة وهي تضحك .. وعلى انغام الموسيقى اخذ يراقصها بابتهاج ..

" انظري لحذيفة هناك .. انه يراقص ابنته ، يا الهي كم يبدو وسيما ؟! "

نظرت رباب شذرا لاختها الصغرى المجنونة لتقول لها بغيظ :





" لاتقولي الآن انك معجبة بحذيفة ؟ انه يكبرك بعشرين عاما فلاتنسي هذا وانت تعيشين دور سندريلا في اولى خطواتها ؟ "

عبست رقية وقالت بتململ " ما بك رباب ؟! انا فقط اقول انه يبدو وسيما وهو يراقص ابنته ؟ هل اخطأت في هذا ايضا ؟!"

عندها جاء صوت حبيبة وهي تميل نحوهما هامسة بلهجة تآمرية " بصراحة انا ايضا اراه وسيما خاصة وهو يراقص ابنته كاميرة مدللة هكذا... "

ضحكت رقية بابتهاج واخذت ترقص حاجبيها تغيظ رباب ؟

تأففت رباب وكتمت الكثير مما ودت قوله لتشرح لحبيبة ان اختهن الصغرى (كارثة رومانسية متحركة) ؟

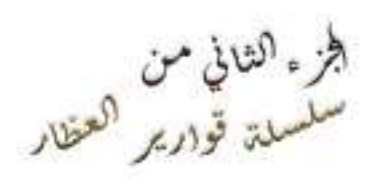
نظرت رباب لحبيبة بتمعن ، انها تبدو مختلفة اليوم ؟ فيها شيء متغير .. انها اكثر ابتهاجا .. اكثر تألقا ... والابتسامة الساحرة لاتفارق شفتيها ؟

رأتها الآن تميل ناحية امها تستاذن للذهاب للمساعدة في المطبخ ..

وهذا جعل رباب تستغرب اكثر واكثر ؟ ليس من طباع حبيبة تقديم مساعدات من هذا النوع ؟ همست في سرها

" ماذا يحصل معك يا اختي ؟!"





بارك للخالة بدرية بينما يتحرك بخفة بين المدعوين ، عيناه تلاحقان من اختارت الذهبي هذه الليلة لتظهر به ...

لونه مميز دون مبالغة في توهجه ، كما انه محير في تدرجه .. يعبر ببساطة عن مزاجها الغامض !

اجل ... هناك شيء فيها مختلف ...

نور ساطع من نظراتها التي تشرد دون تركيز على هدف محدد...

ابتسامة عالقة بشفتيها ابدا وكأن هناك من يلقي النكت على مسامعها خفية !

سنابل شعرها لاول مرة يراها طليقة لكنها بين الفينة والاخرى تجمعها بيديها في حركة عفوية ... ببساطة هي لم تتعود اطلاق سراح تلك السنابل المتشابكة ...

رآها تميل لامها تتمتم ثم وقفت على قدميها لتتحرك ...

اغاظه انها لم تتنبه لوجوده رغم تحركه هنا وهناك وكله كان في محيط رؤيتها...

لكنها سارحة ! سارحة تماما رغم استمتاعها بالحفل !!

بتحد مال بمسار خطواته ليتقاطع مع مسار خطواتها .. وقف امامها بطوله الفارع ليقول بنبرة غامضة " مساء الخير .."







مفاجأتها الصادقة لرؤيته اثرت به واغاظته اكثر ! هي فعلا لم تتنبه لوجوده على الاطلاق .....!!!

ثم قالت بابتسامة لطيفة

" مساء الخير سيد يحيى .."

يده اليمنى تتقبض في جيب بنطاله الكحلي بينما يتهكم قائلا

" سيد يحيى ؟! نحن في محيط العائلة ويمكنك مناداتي يحيى فقط.."

واضح انها ظنته يمازحها كعادته باسلوبه الاستفزازي ولعجبه لم تغضب !

بل قالت بتبسم مشرق

" حسنا ... متى عدت من سفرتك ؟"

رد بصوت اجش وهو يسبل اهدابه مخفيا تأثره بها " قبيل ظهر اليوم .."

فقالت بلطف طبيعي

" حمدا لله على السلامة .. مؤكد كنت مرهقا جدا لتأتي للشركة "

عندها لم يستطع المقاومة ... كشف نظراته اللامعة بالسخط قائلا بنبرة عكست الدهشة على وجهها

" في الواقع .. لقد ذهبت من المطار للشركة مباشرة "





عبست قليلا لتتابع دهشتها بالقول

" حقا ! لم ارك ..."

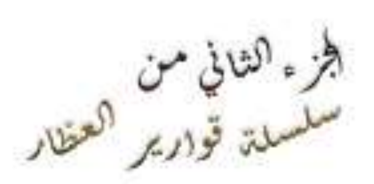
فردد بصوت اغرب ومعان خفية

" اجل لم ترينني ..."

ظلت تحدق فيه ليضيف يحيى بانفعال
مكبوت " لكني .. رأيتك "







الفصل الخامس

عبست قليلا لتتابع دهشتها بالقول

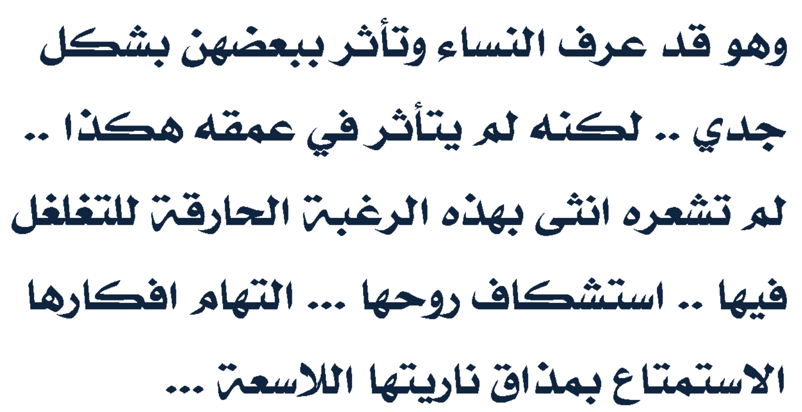
" حقا ! لم اركِ ..."

فردد بصوت اغرب ومعان خفية

" اجل لم تريني.."

ظلت تحدق فيه ليضيف يحيى بانفعال مكبوت " لكني .. رأيتك "

لم ينفعل يوما نحو امرأة هكذا !



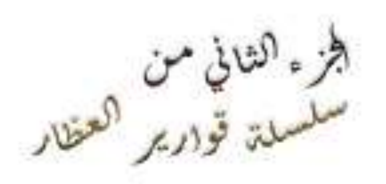
وهو قد عرف النساء وتأثر ببعضهن بشكل جدي .. لكنه لم يتأثر في عمقه هكذا .. لم تشعره انثى بهذه الرغبة الحارقة للتغلغل فيها .. استشكاف روحها ... التهام افكارها الاستمتاع بمذاق ناريتها اللاسعة ...

لايصدق ان مجرد فتاة صغيرة في الثالثة والعشرين تفعل به هذا ..!!

تأثيرها عليه اصبح يسلك طريقا واحدا لافائدة من تجاهل تعريفه كما لافائدة من التفكير في العودة عنه...

لكن .. ماذا عنها هي ؟ وما معنى وجود ذلك الـ مهند في الصورة ؟؟





تورد الوجنتين وارتباك الزرقة في العينين اربكه هو شخصيا ، وجعل كل الاحتمالات تتقافز امامه ...

لاشعوريا اقترب منها اكثر وتصرف بحدسه ليقول ببساطة وبصوت أجش " لكني اعترف ان رؤيتك هنا وبهذا الثوب مختلفة .."

كان يريد ابعاد ذهنها عن التفكير بسبب انفعاله المنفلت لرؤيتها ظهرا مع ذلك الشاب ، على الاقل ليس الآن ...

فالآن كل ما اراده ان يلمس انوثتها بطريقة خاصة والنظر بامعان لارتباكها المميز تأثرا بجملة غزل كهذه ..

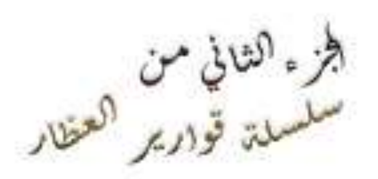
اراد بجوع اختبار هذا الاحساس معها ..

ان يرى انفعالا في منتهى الرقة على ملامحها الشرسة ...

بدت تائهة متخبطة ويعترف ان هذا خفف عنه وارضاه ... فحبيبة العطار انوثتها لاتُلمس بسهولة ...

لم يحتمل تخبطها ولا محاولاتها الذكية للتفسير فقال بهمس رجولي رائق مشاكس وابتسامة جذابة

" وفقاً للتقاليد ان قلت لك (تبدين فاتنة) فسأصنّف كمتجاوز لحدود الادب واللياقة لكنك ببساطة لست فاتنة وحسب بل تعريف خام ودقيق لمعنى الفتنة .."



احمرارها المتزايد تناقض مع اشتعال عينيها بالغضب والامران راقا له على حد سواء !

بدت كمن ستقول شيئا لكنها عادت وزمّت شفتيها بقوة تمنعهما البوح ...

قبضتاها متوتران وجسدها متصلب ..

انها فتاة بقوة بركان !

لم تخيب ظنه وهي تشمخ لتخطو جانبا وتتجاوزه ....

تشعر بنوع من التصلب كلما استشعرت وجوده، لاشعوريا تقترب اكثر مما يجب من رضا

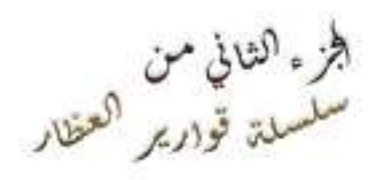
لكنها تعود وتتماسك لتفرد قامتها وهي تأخذ نفسا عميقا وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ...

هذه المرة اجبرت عينيها على النظر اليه مباشرة دون خشية ان تلتقي بعينيه .. في تلك الزاوية المظلمة نوعا ما والتي يركن اليها طوال الحفل .. وها هو يراقص طفلته ...

النظر اليه لم يكن امرا جديدا فقد عودت عينيها على هيئته الضخمة خلال الفترة الماضية وهي تراه احيانا عبر شباك المطبخ المطل على الحديقة الخلفية حيث يتشارك اللعب مع طفلته احيانا ومع محسن وولديه احيانا اخر ...







لكنها دوما كانت آمنة من نظراته .. في حجاب ساتر بعيدا عن مجال رؤيته ....

اما الآن ... انها ... في مواجهة مباشرة ولا حاجب بينهما ..

" هل أنت بخير يا اميرة البنات .."

تبسمت بارتعاش وهي تستدير بوجهها لتلاقي عيني رضا القلقتين ..

قد تكون بلا حاجب بينها وبين حذيفة لكن رضا منحها ما هو اكثر من مجرد حاجب يحميها .. منحها قوة مواجهة الماضي وشجاعة محاولة تجاوزه مهما كان ...

منحت رضا ابتسامة عاشقة لتهمس له

" انا احبك يا رضا القلب "

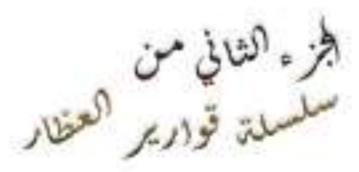
تألقت عيناه وهما تهبطان بالنظر لشفتيها ليأتيه صوت ثريا المشاكس وهي تقول بنحنحة " احم احم ... هل ستظل ملتصقا بابنة العطار طوال الليل ؟ اعلم انكما ما زلتما في اول شهور الزواج لكن ارحم النساء من حولك يا رجل! سيثرن الزوابع على ازواجهن حال عودتهن البيوت ..."

توردت اسيا وهي تضحك بينما اسبل رضا اهدابه ليقول بصوت أجش

" اذهبي لزوجك يا فتاة واخرجي طاقتك بالاغاظة فيه هو لا فيّ انا .."







ضحكت ثريا عاليا بينما تغمزه وتقول " من يراك الليلة لايراك في ليلة عرس ريم ! "

ضحك رضا بخفة بينما ثريا تلوح لهما بابتهاج وهي تبتعد فسألته اسيا بفضول

" ماذا تعني ثريا ؟؟ "

رفع نظراته اليها وقال بصوت مبحوح

" ساخبرك فيما بعد .."

عبست رباب وهي تنظر لاخر حبة من ملفوف ورق العنب يختفي امام ناظريها قبل ان تصل اليه يدها الممدودة ...

تطلعت بحنق لتلك المرأة التي ادّعت انها لم تتنبه لرباب وهي تمد يدها بحركة اسرع وتأخذ الحبة الشهية الاخيرة قبلها !

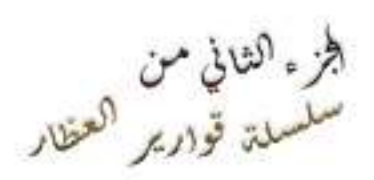
صحنها في يدها بينما تحدق في المرأة وتتمتم بنفس العبوس " الا يفترض النضوج في سن الخمسين ؟! ما معنى هذا التسابق ؟!!"

حبّتان بخضارهما الداكن اللامع وضعتا فجأة في صحنها ! وقبل ان تلتفت للظل الذي شمخ فوق قامتها النحيلة جاء صوته مبحوحا

" لم ألمسها حتى ...فكليها بالهناء والشفاء .."







لم تسيطر على حدة التفاتتها لتكشف
اجفالها وتوترها بينما تواجهه امامها ينظر
اليها مباشرة نظرات هادئة وابتسامة رقيقة
على شفتيه ...

ابتلعت ريقها بصعوبة بينما تشعر باحمرار
خديها ليخرج صوتها مخنوقا بالخجل

" شكرا لك ...لكن .. لاداعي .."

قاطعها بنفس الابتسامة قائلا " اعتبريه
اعتذارا مني على تجاهلي لك ذلك اليوم "

تخضبت وجنتاها اكثر واذناها تطنان بينما
تحاول التماسك لتقول بما جمعته من رباطة

جأش " انا من يجب ان تعتذر .. اولا .. لم اقصد
ان اكون فظة معك في الـ....شارع ... قبلها.."

كسا وجوم غريب ملامحه ثم اسبل اهدابه
ليقول بصوت أجش

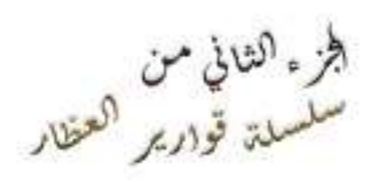
" لابأس رباب .. الحمد للّه اننا تصافينا قبل
سفري لااحب ان اترك الوطن وهناك .. من
اخطأت بحقهم ..."

انعصر قلبها باحساس مريع غير مفهوم لكنها
قالت بابتسامة تلونت ببشاشة غير حقيقية

" لاتقلق .. وسافر بحفظ اللّه .."







لم تحتمل وقوفها معه اكثر من هذا وشعور بالخطر يحاصرها من عدة اتجاهات ، احست بوجوب الانسحاب الآن حالا وبغريزتها هذه تحرك خطوة للخلف والابتسامة عالقة على شفتيها وهي تقول بعينين عسليتين لامعتين

" بالتوفيق في دراستك و ... نراك بخير ان شاء اللّه "

نظراته لم تفارق ملامح وجهها وقد بدا للحظة مشدوها"!

ثم اشتعلت عيناه وهو يتمتم بكلمات لم تستوعبها لتبتعد بخطى متسارعة اكثر مما يجب وهي تهز رأسها ببلاهة ! واخيرا عقلها يفسر لها تمتمته تلك وهي تجلس بجانب امها التي كانت تعنف رقية على امر ما ...

(ساعود كل بضعة اشهر في زيارة ... اتمنى ان اراك عندها رباب ..)

بحركة آلية غرزت شوكتها في حبة ورق العنب لترفعها نحو فمها وتقضمها بشرود كامل بينما السؤال يفرض نفسه على شرودها

" هل قال حقا (اتمنى ان اراك رباب) ؟!!!"

في رحلة العودة شعر سالم ان رفيدة لم تكن مبتهجة كما كانت في اول الحفل !

لم يكن فقط عبوسها بل تلك النظرة في عينيها ...







نظرة تفيض بمرارة .. وربما احساس بالنقص !

ما ان دخلا شقتهما حتى تمتمت برأس منكس

انها تريد الاستحمام ...

لكنه سبق ومد كفه ليمسك بمرفقها وهو

يقول بصبر " رفيدة .. مابك عزيزتي ؟ "

ما زال الرأس منكساً لكنه شعر بتنشنجها

يتزايد ..

عاد وسأل بصبر " هل ازعجك احدهم في

العرس ؟ اعلم ان بعض النسوة سخيفات

ويحشرن انوفهن فيما لايخصهن .."

عندها شعر بجسدها ينكمش !

اراد استيضاح الامر اكثر لكنها سحبت

مرفقها ببعض الحدة لتقول بفظاظة

" ليس بي شيء يا سالم فلا تكبر الامور .."

قالت هذا وهي ما زالت لاتواجهه لتتركه في

مكانه وتتوجه للغرفة بينما سالم ينظر اليها

بتفكير عميق ...

خلع سترته وعلقها ثم اخذ يخلع ربطة عنقه

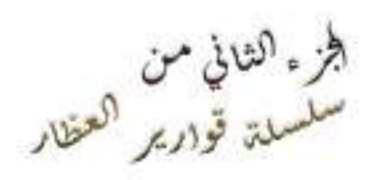
وعيناه لاتفارقان ... توأمة قلبه ...

يراها كيف تخلع خاتمها بسلاسة لتضعه

بشرود واضح في علبته .. خاتم من الفيروز

الاخضر يليق بفستانها الحريري من نفس

اللون...





رمى ربطة عنقه على الارض باهمال وروحه
تهفو اليها بشكل مختلف الليلة ...

ثريا جعلته يتذكر تلك الليلة في عرس ريم
عندما حضرت آسيا مع اختيها رباب ورقية ...

تذكر كيف جافاه النوم حتى الفجر وفكرة
واحدة سيطرت عليه .. انه يريد اسيا ...

التفت ذراعاه حولها فارتعشت برقة لتنظر اليه
عبر المرآة فتبتسم له بعينيها قبل شفتيها ....

انفاسه تشتاق لاستنشاق رائحتها بينما
تحركت يداه لتفك عنها حجابها وهو يقول
بتحشرج " اميرة البنات كانت فخري الليلة .."

تضاحكت وهي تسبل اهدابها ... وبينما هو
يفك عقدة شعرها ويغرق وجهه فيه همس لها
" ما الذي يشغل فكرك ؟! "

لم ترد لكن احساسه يتفاقم بوجود شيء ما !

سألها بصوت ثابت وهو يقبل رقبتها

" هل ازعجك وجود حذيفة ؟ "

لم يغفل عن تشنجها العفوي البسيط لكنها
قالت بهمس مريح

" لاازعاج يا رضا ... كما انه كان شبه منعزل
عن الاخرين ولم ألمحه الا وهو يراقص سعاد
الصغيرة "





قال رضا بحنان " اذن ماذا يشغلك ؟ "

سألته بحيرة

" هل لاحظت حالة حبيبة الليلة ؟!"

توقف عما يفعله ورفع رأسه ليحدق في انعكاس وجهها في المرآة ...

عيناها الداكنتان تفيضان بنفس الحيرة التي انعكست في صوتها ..

رد بلطف " كانت رائقة المزاج اكثر من عادتها لكن .. لماذا يقلقك هذا ؟"

تنهدت اسيا وهي تريح راسها على صدره وتنظر في عينيه وتقول " كانت رائقة جدا .. الى درجة بدت وكأنها تحلق بين الغيوم ! "

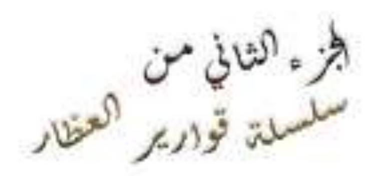
رفع رضا حاجبيه قليلا بينما تضيف اسيا وحيرتها تتشابك مع القلق

" انها ليست طباع حبيبة ! هي ابعد ما تكون عن الخيالات رغم ان اساس عملها هو الخيال لكنها تستخدمه باحترافية شديدة لاتمس مشاعرها العميقة ..."

قال رضا تفكير " ربما هناك من يشغل قلبها حقا يا اسيا وحبيبة تبقى فتاة وتتأثر كباقي الفتيات ..."







تعجب رضا وهو يرى اسيا تشحب قليلا وبدت اكثر قلقا وهي ترد بشرود " لكنها في نهاية الحفل بدت عبوس مشوشة ! وطلبت مني ان ازورهن في الغد لتكلمني على انفراد .."

لفّها رضا بين ذراعيه لتواجهه وقال بملامح جدية " تعاملي بالامور بسلاسة اكبر يا اسيا ، مع اني اشعر ان هناك امرا محددا يقلقك بشأن حبيبة لكن لابأس لن افرض عليك اخباري "

فتحت فمها لكنه لامس شفتيها بسبابته ليمنعها الكلام وهو يبتسم بعذوبة قائلا

" لاتبرري حبيبتي .. انا لااحاول اشعارك بالذنب ، اعلم ان هناك امورا تخص الفتيات فقط ولاينفع ان تخبريني بها رغم اني موجود دائما اذا شعرت بالحاجة لقولها لي واخذ رأيي"

تنهدت براحة وهي تضع خدها على صدرها تهدهدها ضربات قلبه هامسة بتعب

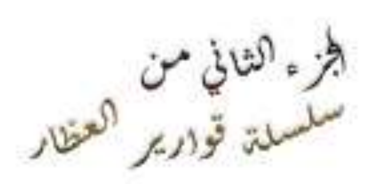
" متى سيسافر عبد الرحمن "

رد وهو يمسد شعرها

" في العاشرة صباحا ننطلق ان شاء الله .."

فقالت وهي تتثاءب " حسنا ساسلم عليه واذهب بعدها لبيت عائلتي "







انفاسه الدافئة تسارعت على خدها وهو يناغشها همسا مبحوحا

" اياك ان تقولي ستنامين الآن ! "

ضحكت بتعب ولم ترد بينما تشعر بفستانها يقع عنها ارضا ...

صباح اليوم التالي

" في امان الله يا عبد الرحمن .."

تطلع عبد الرحمن لزوجة اخيه الاكبر وعيناه تفيضان بشعور غريب بالامتنان !

تحشرج صوته وهو يرد عليها " ساشتاق لك اسيا .. كنت احب دوما التواجد معكم "

تبسمت اسيا بتأثر بينما تتمتم " وانت اخي الصغير يا عزيزي وسنشتاق اليك جدا وننتظر زياراتك دوما "

هزّ رأسه وقد خنقته العبرة بينما تضيف اسيا وهي تتحرك نحو باب المطبخ " حسنا ساتركك تودع الجميع .. انا ذاهبة لزيارة اهلي "

عندها ارتفع صوت الحاجة سعاد التي كانت منهارة بالبكاء في حضن رضا تارة وحضن محسن تارة اخرى " الغداء اليوم عندنا اسيا .."



تجمدت خطوات اسيا والتفتت بحذر لحماتها
بينما تنبه كل من محسن ورضا للموقف ..

الحاجة سعاد كانت تعني الامر حقا وهي
تعرف ان يوم الجمعة يتواجد حذيفة لذلك
تمتنع اسيا عن مشاركة الغداء العائلي ...

اضافت سعاد بصوت التمع فيه نوع من الاصرار
والتحدي " يجب ان تشاركينا الطعام يوم
الجمعة اسيا ولاتعزلي نفسك عنا وتعزلين
بكري عن اخوته ! "

شهقت اسيا واتسعت عيناها وهي تتجرع مرارة
هذا الاتهام بينما اخذت رحاب تحدق في
الجميع باحساس تراوح بين التوتر والغيظ !

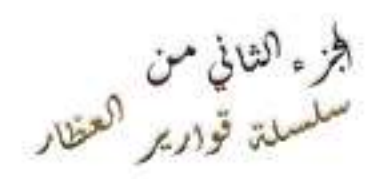
الغيظ لانها تشعر ان الجميع يعلم شيئا هي
لاتملك ادنى فكرة عنه !

جاء صوت رضا حاسما الموقف برمته

" اسيا لاتعزلني امي ولايوجد ما قد يعزلني
عن عائلتي او يجعلني اقصر معهم في شيء "
ارتبكت الحاجة سعاد لتقول بلهفة الشعور
بالذنب " لا يا حبيب امك حاشاك من
التقصير ، انت عزوتنا وفخرنا وابونا جميعا ..
كل ما اردته ان نطوي صفحة الماضي ليلتئم
شمل عائلتنا في جديد ونجتمع معا على الغداء
يوم الجمعة كما عودنا والدك رحمه الله "







عينا رحاب تحركتا نحو محسن لكنه لم يكن متنبها لها بل بدا متوترا وهو يتابع مجرى الحوار ليقول رضا بملامح هادئة ردا على امه " انا اشارككم الغداء كل جمعة يا امي تاركا اياها بمفردها ، لذلك هي غير مجبرة على شيء .. لاشيء على الاطلاق ... وستشاركنا الطعام متى ما ارادت وقررت ذلك..."

عبست سعاد وفتحت فمها لمزيد من التجادل عندما انهاه رضا بالقول " الامر منتهٍ امي ولن نتكلم فيه مرة اخرى ، ودعينا لو سمحت نودع عبد الرحمن كما يجب "

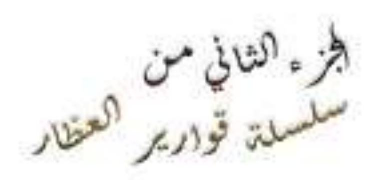
عندها تراخت ملامح الحاجة سعاد وعادت عيناها لتصبا الدموع وهي تقترب من صغيرها عبد الرحمن تضمه اليها وتجهش بالبكاء ...

تحرك رضا مبتسما لاسيا التي تسمرت عند باب المطبخ ليقول لها " اذهبي لعائلتك وانا سانتظرك بعد صلاة الجمعة .."

حركت اسيا رأسها موافقة وفتحت باب المطبخ مغادرة ...

اخذتها امها بالاحضان وهي تستقبلها وقد اعدت مائدة فطور خاصة ...







قالت ابتهال وهي تلامس وجه ابنتها الكبرى بحنان

" كيف وحامك هذا الصباح يا جوهرة ؟ تبدين شاحبة قليلا "

ردت اسيا بابتسامة واسعة " انا بخير امي ، فقط تأثرت بمغادرة عبد الرحمن "

اظهرت عينا ابتهال تعاطفا صادقا وهي تجلس ابنتها على احد الكراسي وتجلس بجانبها على كرسي اخر ثم قالت " فليصبر اللّه قلب امه على فراقه ، سعاد مسكينة حقا فما ان عاد حذيفة من غربته حتى بادر الصغير للمغادرة!"

اخذت اسيا تدعك جبينها في صداع متزايد فقالت الام ببعض القلق

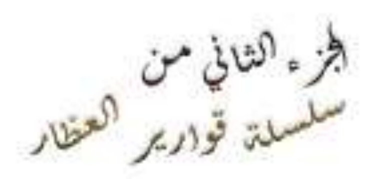
" هل لديك صداع صغيرتي ؟ "

هزّت اسيا رأسها بنعم فسارعت ابتهال نحو ابريق الشاي وهي تقول لها " ساصب لك بعض الشاي بالهيل وسيريحك .. اشربيه بينما انادي اخواتك لنفطر سوية .."

غادرت ابتهال تاركة اسيا ترتشف من كوبها بينما تفكيرها ينحصر بما قالته حماتها قبل قليل ...







بعد ساعة ..

" انظري رباب ... عبد الرحمن سيركب السيارة مغادرا مع رضا ومحسن ..."

ادّعت رباب انها مشغولة على حاسوبها فلم ترد بشيء بينما رقية تتقافز عند الشباك لتتابع الاحداث بفضول ...

" ها هو حذيفة ايضا يسحبه بقوة ليحتضنه .. يبدو .. يبدو عليه التأثر الشديد ، رفيدة ايضا تبكي بشدة والعم سالم يهدئها .. حتى الخالة بدرية موجودة .."

تنهدت رقية بانفعال لتلتفت اخيرا لاختها قائلة بصوت حزين " اذن لقد سافر عبد الرحمن ولن نراه لفترة طويلة ..."

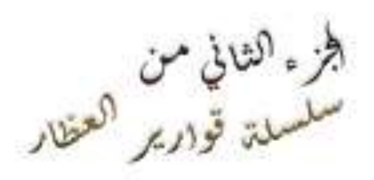
قلبها معصور منذ الامس وترفض الاعتراف حتى بهذا ! تشعر انها انها .... ستختنق !

ارتبكت اصابع رباب على لوحة المفاتيح بينما تبالغ باظهار انشغالها عندما جاءت رقية وجلست امامها على السرير ثم مالت بجذعها لتستلقي على ظهرها وتقول " لااعلم لماذا لااشعر كما يفترض ان اشعر ! "

نظرت اليها رباب من فوق الحاسوب قائلة بلامبالاة ظاهرية

" وكيف يفترض ان تشعري ؟"





ردت رقية وهي تتلاعب بشعرها الداكن

" لااعلم بالضبط .. كنت اتوقع نفسي ...سانهار ! "

تجمدت اصابع رباب تماما لتسألها بحذر

" اذن فكيف تشعرين الان ؟ "

هزت رقية كتفيها وقالت " حسنا .. بدأت ارى عبد الرحمن كما ترينه .. كائن كئيب ! .. حسنا .. لااعلم ولكنه لم يعد يثير اهتمامي "

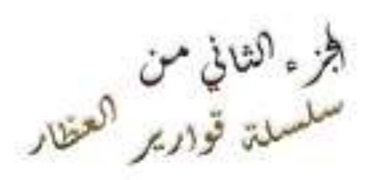
صمتت رباب بينما عقلها بدأ ياخذها بعيدا عن مشاعرها المتخبطة لتركز مع اختها الصغرى ويبدأ شعور بالقلق المتزايد يسيطر عليها ..

يجب ان تكلم اسيا وحتى حبيبة ... انها قلقة على رقية .. قلقة من انها اصبحت تولي اهتماما مضاعفا للرومانسية والحب .. قلقة من صديقات بدأن يتقربن اليها ولا كلام لهن الا حول موضوع واحد ... الفتيان .....!

هتفت اسيا وهي تهب على قدميها مواجهة حبيبة بالقول " أكاد لااصدق ...! كيف تفكرين حقا بالارتباط به ؟!! ترتعد فرائصي لمجرد الفكرة ..."

بدت حبيبة اكثر تيها وهي تضم ساقيها لصدرها في جلستها على سريرها بينما تواجه ردة فعل اسيا المشمئزة الرافضة ..







ابتلعت حبيبة ريقها لتقول بتشتت

" انا لاافكر ... انا ..."

فجأة قاطعتها اسيا وهي تعاود الجلوس قائلة بعينين متسعتين رعبا " يا الهي ....! هل فعل لك شيئا ذلك الوغد الحقير ؟؟ هل اعتدى عليك تلك الليلة ؟ هل هذا هو السبب ؟ "

تلاشى التشتت واحتدت نظرات حبيبة وهي تقول بصوت لاح فيه التأنيب

" اسيا كيف تفكرين بي هكذا ؟! "

تنهدت اسيا وهي تلامس جبينها وتقول بتعب

" انا اسفة ... اسفة .."

كان دور حبيبة لتغادر السرير وتتحرك بانفعال وهي تهذر بالقول

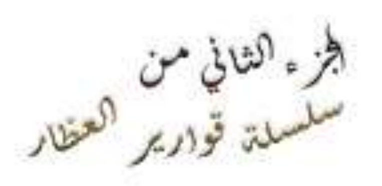
" انه لم يفعل اسيا .. ولم يكن سيفعل ! "

اخذت اسيا نفسا عميقا ثم اطلقته بهدوء لتربت بيدها على الفراغ بجانبها على السرير وتقول بتماسك ولطف " اجلسي حبيبة .."

للحظة تكتفت حبيبة وبدت وكأنها سترفض، لكنها تراخت بعدها لتتحرك وتعاود الجلوس بجانب اختها بينما تقول لها اسيا

" حسنا .. انا اسفة لاني لم اتلقَ الخبر كما يفترض من الهدوء والتفهم ..."







احمرت حبيبة قليلا بينما تعيد بعض الخصل الفالتة من ضفيرتها خلف اذنها ..

تساءلت اسيا بتأن " انت تميلين اليه ؟ "

زفرت حبيبة واحمرارها يتزايد ثم قالت بصوت مبحوح " انه يحرك فيّ احساسا لم اختبره من قبل في حياتي .."

فسرت اسيا بالقول " احساسك بانوثتك ؟"

ردت حبيبة وهي تدير وجهها بارتباك

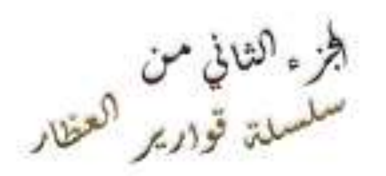
" نـ...عم..."

تنهدت اسيا وهي تقول باسف واضح " رحم اللّه ابانا ... اخطأ عندما عاملك كفتى وطمس فيك انوثتك فلم تشعريها كما يجب .. "

توترت حبيبة وقد عاد تشوشها لتقول ببعض النزق " لماذا تقولين هذا الآن ؟! "

اخذت اسيا تمسد على رأس اختها وتقول بهدوء " حبيبة في الفترة التي تقرب لك فيها مهند كنت ضعيفة بغضبك الجامح مما حصل مع امي وابي..."

شعرت بحبيبة ترتعش قليلا فاضافت اسيا برقة " ضعيفة جدا حبيبتي .. وانت تخليت بارادتك عن دعمنا نحن عائلتك لتظلي مكشوفة امام الجميع .."





غامت عينا حبيبة وكأنها تستعيد احساسها في ذلك الوقت بينما تكمل اسيا بحذر

" انا لااعرف مهند لكن ... حتى لو فرضنا انه يحبك حقا ونادم لما فعله معك ويريد اصلاح الخطأ او الاخطاء التي حصلت .. انت قلتِ بنفسك انه صاحب علاقات نسائية ويعيش بمفرده في شقة بعيدا عن عائلته ..

هل تجدين الامر سهلا لنتجاوز عن كل هذا ببساطة ونتقبله زوجا لك ؟؟ ان عيشه بمفرده وحده كافٍ وفيه دلالات خطيرة تجعلنا لانأمن جانبه ولانأمنه عليك .."

شعور بالاختناق تمكن من حبيبة ! انها تصارع في جبهتين وها هي اسيا تدخل على احدى هاتين الجبهتين وتنصرها على الجبهة الاخرى !

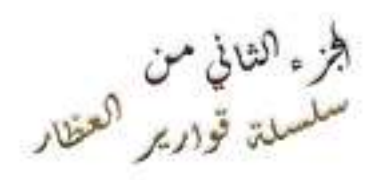
احست حبيبة انها محاصرة ولم تجد الراحة التي تنشدها في الكلام مع اسيا والاسوأ لم تفتأ تفكر طوال الليل برجل مستفز ازرق العينين جعلها تشعر انها طفلة صغيرة تثير رغبته بالمشاكسة والمزاح على حسابها!

بانفعال لحظي وانعكاسا لحالتها الداخلية قالت حبيبة بنزق شديد وتعنت

" انا لم اقل اني وافقت عليه ! لكن ان فعلت فستكون حياتي انا يا اسيا لاعيشها .."







عندها ردت اسيا بحزم

" بل حياتنا جميعا اختاه ..."

تطلعت حبيبة في عيني اسيا وشعرت ان انفاسها تنسحب منها ! هناك شيء يؤلمها في الصميم ولاتعرف كيف تعبر عنه ...

قالت اسيا بلطف " نحن عائلتك حبيبة وسمعة من سترتبطين به ستمسنا جميعا .. ستمس اختيك الصغيرتين ، امك ستتألم لهذا الاختيار وسيصيبها القلق بل الفزع لاجلك ولن تكون مطمئنة ابدا "

تمتمت حبيبة بشعور الذنب ناحية امها تحديدا " القلق ... الفزع ؟!"

ردت اسيا بثبات وعقلانية " اجل حبيبة ... واجهي المخاوف المحتملة والواردة جدا ، ماذا سيحصل لو عاد مهند لسيرته الاولى بعد اشهر من زواجكما ؟ وهذا يحصل كثيرا لامثاله ممن تعود على معاشرة النساء وقد يكون ادمنها اصلا والعياذ باللّه ... "

قالت حبيبة بتشتت " انه ...يحبني .. "

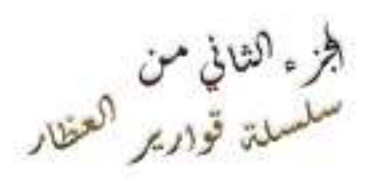
اخذت اسيا نفسا واطلقته وهي تقول " حبيبة الحب غير كاف لضمان الوفاء واكتمال المشاركة لبناء العائلة بكل مقوماتها الصحيحة بما يفترض للرجل والمرأة ... "

عقدت حبيبة حاجبيها لتقول باحساس مريع

" هل تقولين انه سيخونني حتما ؟!"







اشفقت عليها اسيا فقالت لها بحنان وهي تلامس خصلات شعرها الطويلة " انا اقول اعطي لنفسك فرصة لاختباره ولاتتعجلي بالانجراف خلف مشاعرك .."

ارتبكت حبيبة ولاشعوريا قالت بردة فعل دفاعية " انا لاانجرف .."

لكن اسيا اصرت بالقول الحكيم

" بل تفعلين ! الامر ليس لانك اكتشفت ان لك مشاعر نحوه وانما هو ارضاك بطلبه وكأنه طبّب الجرح الذي حصل عندما حاول الاعتداء عليك وكأنه يخبرك انك غالية جدا ويريدك بالحلال ..."

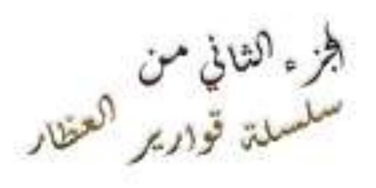
بهتت الزرقة في عيني حبيبة وبدت مجروحة وهي تطالع اسيا التي اضافت المزيد " انت نفسك غير واثقة به رغم ميلك لتصديقه وترك العنان لمشاعرك ، جزء منك يريد الشعور كفتاة افتقدتها طوال حياتك بسبب تربية والدنا لك والجزء الآخر يريد استعادة كرامتك التي هدرت باعتدائه عليك الذي اشعرك انك رخيصة ! "

ارتعشت شفتا حبيبة بينما اسيا تواجهها بمزيد من الحقائق " انت طلبتني اليوم لا لتخبريني فقط بعرض الزواج بل لاواجهك بما يدور في خلدك انت شخصيا .."

اتسعت عينا حبيبة قليلا وابتلعت ريقها قبل ان تقول همسا " نعم ..."







فتبسمت اسيا قائلة " قد تكونين احببته فعلا .. وقد تنجحين في جعله رجلا افضل فانت قوية الشخصية بما فيه الكفاية رغم انك ينقصك القدرة على التسامح "

للحظات طويلة صمتت حبيبة تفكر بكلمات اسيا ... تقلب الكلمات وتقارنها بحقيقتها هي .. هي حبيبة في عمقها ... ومدى انطباق الوصف عليها ....

اخيرا قالت حبيبة بنوع من الهدوء

" هل اخبر أمي ؟ "

فقالت اسيا " لو اردت رأيي لاتفعلي الآن .. انتظري حتى تتأكدي من جدية مهند في التغيير والاستقامة ..."

كانت ملامح حبيبة فيها نوع من الشجن الحزين فاضافت اسيا بأسى لاجلها

" اسفة اختي كنت اتمنى لو شجعتك وشاركتك فرحة ارتباطك برجل يناسبك.."

قالت حبيبة ببعض التوتر والارتباك

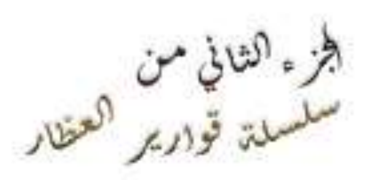
" بل انا التي تشكرك لانك ازحت تلك الغمامة التي كانت تشوشني .."

ازداد توترها وهي تتلكأ وتهمس

" انا ...احب..."







نهرتها اسيا وهي تقول بحزم " لاتقوليها

حبيبة .. لاتقوليها فتصدقيها قبل اوانها

الصحيح ! "

اقتربت من اخيها الصغير بينما يعد لنفسه

شطيرة من الجبنة الرخيصة قائلة بنوع من

التوسل " خليل .. دعنا نغادر هذه الشقة

البائسة... "

التفت اليها وهو عاقد الحاجبين قاضما من

شطيرته ليتساءل بعدها " ماذا تقصدين ؟"

تشجعت اكثر وهي تقول له بحماسة وليدة

" نتركها لهذا المتعفن ونؤجر شقة اخرى

نعيش فيها انا وانت .. "

انعقد جبينه اكثر وهو يتطلع لاخته بعجب

بينما هي تواصل هذرها الحماسي مخفية

ظلمات اليأس والاحباط

" سأعمل قريبا بائعة في مكتبه قريبة "

قضم مرة اخرى من شطيرته وهو يقول

" بائعة ؟! لكنك جامعية .. صحيح لم

تعملي ابدا في السابق لكن شهادتك تفتح

لك ابواب عمل افضل بالتأكيد ..."

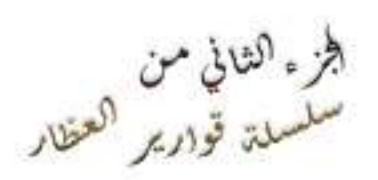
ابتلعت ريقها علّها تبتلع غصة في قلبها وروحها

ثم قالت بابتسامة ركيكة " ساحاول ان اجد

عملا افضل مستقبلا.."







لتضيف بما هو اهم من العمل

" المهم .... ان نخرج من هنا .."

عبس خليل وهو ينهي شطيرته قائلا برفض قاطع " لا خلود ... لا ... لن اترك امي بمفردها مع هذا الحقير .."

تقبضت يدا خلود لتقول بانفعال شديد

" لكني لااريد البقاء .."

عاد خليل لعبوسه القلق فيسألها

" ما بك خلود ؟ لماذا اصرارك هذا على الرحيل الآن ؟ "

للحظة خانها انفعالها واظهرت خليطا من الغضب والاشمئزاز و....الخوف !

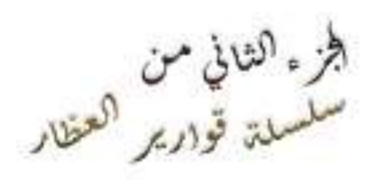
التمعت عينا خليل بغضب تدركه خلود وتعلم كم يمكن ان تكون ابعاده مريعة ومدمرة !

سارعت للقول وهي تحاول التشويش على غضب اخيها " لاشيء .. لكني امقت فواز ولااطيق رؤية وجهه كل اليوم والاسوأ خنوع امي له .."

لكن خليل لم ينخدع بسهولة ليسأل بغضب يوشك على الانفجار في اية لحظة

" اذا كان تعرض لك او حتى أزعجك بشيء فاخبريني وانا سأحطم وجهه القبيح في الحال بينما يشخر بقرف في سريره .."







ارتعشت تاثرا برغبة اخيها في حمايتها ،
ادمعت عيناها وهي تفكر ان خليل يستحق
منها ان تحميه من نفسه الفائرة بالغضب
المكبوت ... لذلك ما عليها الا الصبر اكثر
فربما سيرحل ذلك القذر فواز قريبا وتتخلص
من قذراته التي اصبح يحاصرها بها وامام مرآى
والدتها الصامتة !

قالت بحنان " لا يا صغيري .. انه لايجرؤ على
مضايقتي .. انت تعرفني ... انا مجنونة تماما
وهو يعرفني كفاية حتى لايفكر بازعاجي"

عينا خليل غرقتا بالحزن ليقول بنبرة قانطة

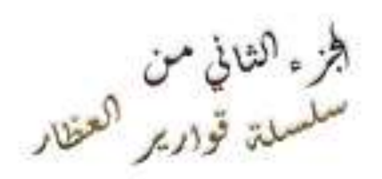
" فقط لو تعودي كما كنت يا اختاه .. عندما
كنت صغيرا اتذكرك مبتسمة
وتضاحكين ابي على الدوام .."

غامت عينا خلود بالبؤس واحساس مغرق
بالحرمان لتقول بنبرة باهتة " هناك ما يفوق
احتمالنا يا خليل فنضطر لخلع طباعنا ونرتدي
مجبرين طباعا جديدة بعيدة عن طبيعتنا
الاولى ..."

عادت لتتوسله بالقول " لذلك اريد الرحيل
معك يا خليل .. لااريدك ان تزداد عنفا ..
بقاؤك هنا سيجعل طباعك تستسلم لهذا
الغضب فتصبح عدوانيا لبقية حياتك .."







لكن خليل هز رأسه بالرفض ليقول باصرار

" لاستطيع تركها ... لاستطيع ... انا حمايتها .. وحمايتك انت ايضا اختي .."

رغم اليأس والمستقبل المظلم يجعلها خليل تشعر بالفرح لوجوده في حياتها فقالت له

" انت فتى طيب ..."

انجرحت نظراته وهو يرى حزنها الدفين يطفو فقال بتلكؤ " هل علمت .. ان عزيز ...تزوج .."

تجمدت ملامحها لتقول بنبرة ميتة

" نعم .... اعلم هذا .."

عندها تجرأ لاول مرة يسألها ما يجول في خاطره منذ اقل من عام .. منذ ان اعادها زوجها عزيز منكسة الرأس محملة بالعار ..

" هل .. حقا .. فعلت ما .. قال ؟ "

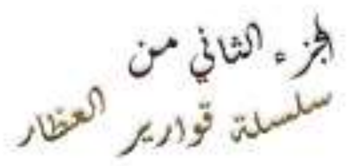
جمودها بدأ يتصدع ويظهر ما تحته من براكين غضب واحباط لايطاقان قائلة من بين اسنانها " نعم ... ذهبت للطبيب وفعلت شيئا غبيا جدا لاجل انسان لايستحق ! "

تورد خليل وهو يهرب بنظراته قائلا باحراج وخزي واضحين

" انه يقول .. فعلتها ... دون علمه .. "







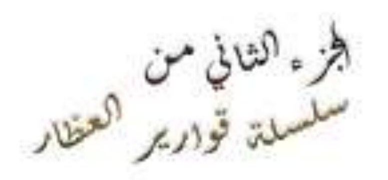
هتفت بانفعال متفجر " كاذب ... انه حقير وكاذب ... لقد اخبرته وهو رحب ليتحقق له ما يريد ... لكنه ... تراجع بتأثير كلام اخته وامه العجوز وشعوذتهما الحقيرة الدنيئة التي مارساها علي ليفسدا زواجنا .."

تغاضى خليل عن كلام السحر والشعوذة ليواجهها بالقول اللائم الحانق " لكن .. كيف تفعلين .. امرا كهذا ؟! انه امر مخجل ... مخجل جدا .. لا اتوقع اي رجل يرضى بما فعلتِ ! "

عندها فقدت خلود اعصابها لتهدر به " تلومني انت الآخر ! تلومني ؟!! وماذا تعرف انت عن حياتي مع عزيز ؟؟ الا يكفي ما عانيته طوال ثلاث سنوات دون ان تعلموا حقيقة الامر ؟! الا يكفي ما اعانيه الان من همز ولمز لاناس جهلة يعيشون في عقليات متحجرة ليفسروا الامور على هواهم بل ويختلقوا الاكاذيب ! "

شعر خليل بالقهر والتذبذب بين كرامته التي اهدرت بفعلة اخته امام سكان الحي الشعبي وبساطة تفكيرهم وبين كلامها المنطقي السليم خاصة اذا كانت فعلا اخذت موافقة زوجها قبل ان تفعلها ...







لكنه ما زال لايصدق .. لايصدق ان اخته عاشت بهذه الطريقة مع زوجها لثلاث سنوات حتى فعلت ما فعلت !

لم يشعر الا وخلود تدفعه في كتفه بانفعال هستيري مألوف له وتهدر فيه صارخة

" ابتعد عن طريقي خليل ... ابتعد .. ابتعد ابتعد..."

صباح السبت ...

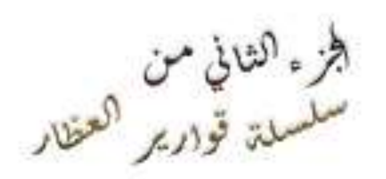
عند نفس السور واقفة تستند اليه تحدق في صفحة ماء النهر الجاري ...

احساس غريب من الاستقرار يكتنفها بينما كانت تنتظره .... بل تنتظر رده بينما يقف قربها انفاسه الهادرة تعبر عن مزاجه الغاضب ...وطبعه بانعدام الصبر يكاد يغلبه ...

قالت بتأكيد مرة اخرى " انا جادة تماما يا مهند .. لايكفيني اسبوع او حتى اسبوعين .. ما حصل بيننا يقف كعائق امامي حتى افكر بوضوح وارد عليك ..







احتاج ان اراك بصورة اخرى بعيدا عن الضغوط العاطفية التي تمارسها عليّ "

تقبضت يداه ورغم ارادته اقترب منها جدا حتى كاد يلامسها بل يكاد يحتويها بكل جسده هامسا بحشرجة منفعلة " تطلبين الكثير ..اكاد اتحطم وانا ابعد نفسي عنك ولا اريد الاقتراب منك وتغيير فكرتك عني الا بالحلال الذي تريدينه وتستحقينه ..لكنك لاتراعين حالتي ابدا ... "

هي من تشعر انها ستتحطم !

ردت بارتعاش فضح مشاعرها المتخبطة

" ابتعد مهند .. اياك ان تحاول لمسي ... لاتكن متهورا كعادتك وفكر كم انا مرتبكة من كل هذا وكم اناضل لتجاوزه ! الايكفي اني احاول اعطاءك فرصة بعد كل ما فعلته معي ؟! الا يعني لك هذا شيئا لتتنازل عن بعض انانيتك ؟؟ "

صوته يفضح تلهفا فاق الوصف " انا احبك واشتاقك كم لم اشتق لاحد من قبل ! لماذا لانحاول معا ونحن مخطوبين ..؟ الا تريدين الاعتياد علي ودحر خوفك مني ...؟؟ "

نفضت رأسها وقد بدأت ترتجف رغما عنها وتصارع تلك اللحظات المقيتة من حياتها في تلك الليلة البشعة ...







لم يكن يشعر بما تعانيه وقد تصور انها تضعف عاطفيا امامه ، انتشى باحساس عارم برغبة تملكها ... حالا ... الآن ...

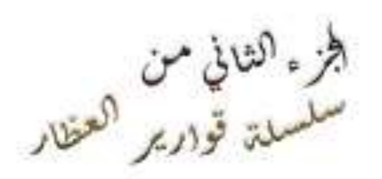
همس اسمها بشوق مستعر بينما يمد يدا مرتشعة ليلامس خصرها ففاجأته بانتفاضة وحشية مبتعدة عنه هادرة بتهديد حقيقي

" اقسم بالله اذا فعلتها مرة اخرى سيكون اخر ما يمكن بيننا ! "

ابتلع ريقه بصعوبة شديدة وامواج من العاطفة تغرقه وتشوش ذهنه ويكاد لايستوعب تماما ما تقوله له ..

تمالك نفسه بشق الانفس وقال بصوت خنقته المشاعر " يجب ان تعتادي علي ... يجب ان تنسي تلك الحماقة .. يجب ان تتقبلي لمستي هذه المرة بشكل مختلف .. انت تحبينني حبيبة .. تحبينني فلا تنكري هذا .. مجرد تفكيرك بمنحي فرصة يعني انك سامحتني على ما فعلت ونحن لانسامح الا من نحبهم حقا ..."

ردت في وقفة صلبة ثابتة كالطود العظيم بينما انفاسها تهدر " عندما نسامح يا مهند فأننا نساعد انفسنا لنتجاوز عن اساءة الغير لنا ، نتعلم الغفران لنصبح اكثر انسانية اكثر انفتاحا وتقبلا ... لذلك كف عن تفسير الامور لتدور الاجابات حولك وحدك "





نظر اليها يعاني الامرين ! اغمض عينيه وتشنج جسده بالكامل وهو يصارع رغبته التي تطالب باطفائها ... انها ليست رغبة عادية .. يا الهي ابدا ليست عادية ...!!! انها رغبة سميت باسمها ... هي حبيبة ..

حبيبة التي سيقتنصها لنفسه ويعلمها ان تحبه بانفتاح دون قيود .. القيود الوحيدة التي ستعرفها حبيبة هي ما ستكبلها به هو والى الابد ، فلاتستطيع العيش بدونه ولاتعرف نفسها الا معه ... هو وحده ...

اخذ عدة انفاس وما زالت عيناه مغمضتين ليقول بهمس رقيق " انا موافق ... ادرسيني وحلليني واختبريني واظلميني كما شئت .. لكن تذكري انك في النهاية ستكونين لي .. لن ارضى بغير هذه النتيجة ... "

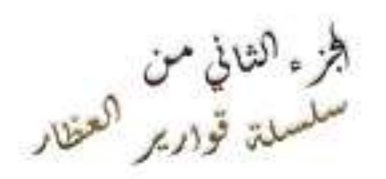
جاءه صوتها مرهقا وهي تقول " يا الهي انك لاتفهم ! اليس كذلك مهند ؟ انت لاتفهم ! "

ضحك بخفة وهو يقول " حاليا ؟ لا .. لاافهم ولااستوعب الا النذر اليسير ! ويكفي ان تريني مغمض العينين هكذا لتدركي ان اصارع الوحش في داخلي لاجلك فقط .."

سمع تأففها الناعم فقال بتنهيدة عميقة " ارحلي بالله عليك .. لك تأثير مدمر عليّ في هذه اللحظة ..."







لكنها لم ترحل وهي تقول بتدقيق على كل كلمة " انا جادة تماما .. احتاج لبضعة اشهر فعلا .."

عندها فقط رفع اجفانه وحدق فيها بنظرة غريبة سائلا " بضعة اشهر ...دون ارتباط ؟"

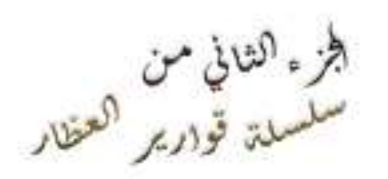
للحظة ارتبكت من سؤاله دون ان تعرف سبب ارتباكها لتهز رأسها ايجابا وهي تؤكده بالقول " نعم ... لسنا مرتبطين ... "

بتعبير اغرب تطلع فيها ليقول بهدوء " حسنا حبيبة كما تشائين ... لسنا ... مرتبطين "

ظلا يحدقان ببعض واحساس غير مريح يلف حبيبة ثم بادرت هي للانسحاب تاركة اياه يحدق في ظهرها هامسا ببضع كلمات ...!

" كنت اتمنى ان تنهي الامر يا حبيبة .. ان تنهيه تماما لاجلنا نحن الاثنين .."







الفصل السادس

نظرت اليه رحاب بينما يوقف السيارة امام بيت اهلها ، منذ الامس وهو يبدو منغلقا على نفسه شاردا ...

تململ الولدان في الخلف يريدان الاسراع في النزول وقد ملّا الجلوس في السيارة بعد معاناة زحمة الطريق ...

قالت رحاب وهي تلتفت نحوهما " انزلا لجدتكما فباب المرآب مفتوح ، ساكلم بابا وألحق بكما ..."

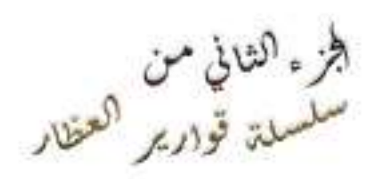
فعل عقيل وسامي ما طلبته امهما وسارعا في الخروج من خنقة الجلوس في السيارة..

التفت اليها محسن قائلا بنوع من التحفظ الذي تكرهه " متى تريدين ان اعود لاقلّكم ؟"

قالت رحاب وهي تمط شفتيها " لماذا لاتبقى معنا ؟ امي تسأل عنك باستمرار وعن سبب مجافاتك لهم "

نظرات باردة بل صقيعية اخترقت زجاج نظارته لتصل اليها في الصميم بينما يقول بصوت يعكس نظراته " صدقيني الافضل لنا ان اقلل من زياراتي لعائلتك قدر الامكان ، هكذا ستقل المشاكل بيننا !"







لكن رحاب لم تيأس لتلامس يده قائلة برجاء " انا احب ان تزورهم وتتواصل معهم ، لاتهتم لكلام امي وتدخلاتها وتعليقاتها ..."

سحب محسن يده من تحت نعومة يدها ليقول بهدوء " رحاب ... انا اراعيك جهدي لانك حامل رغم ان عليّ ضغوط كثيرة لاتعلمين نصفها ! لذلك راعيني انت الاخرى ولاتضغطي علي بموضوع هذه الزيارات التي لاتجلب الا المشاكل السخيفة "

حنقت رحاب لتقول بما يعتمل في نفسها منذ البارحة " لماذا لاتفصح لي عن كل هذه الضغوط ؟! البارحة في وداع عبد الرحمن والموقف الذي حصل مع آسيا شعرت ان الجميع يعلمون شيئا انا وحدي لااعلمه ! ألست من اهل البيت ؟؟ لماذا تعاملني وكأني غريبة لايفترض ان تطّلع على اسرار العائلة ؟؟ "

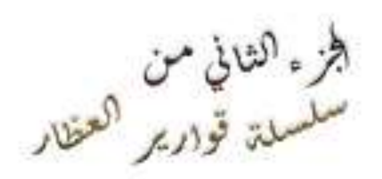
تأفف محسن ثم اخذ يستغفر ليقول في النهاية بصبر يوشك على النفاد " رحاب .. الايمكنك تجاوز الامر ؟ الا ترين اني اعاني من الكثير ؟؟ ام يجب ان اشتكي على الدوام اليك لتشعري بي وتقدري حالتي ! "

ترقرقت الدموع في عينيها وزمّت شفتيها وكأنها توشك على البكاء !

ضرب محسن على مقود السيارة وهو يشتم ..







اخذ يتمتم بغضب مكبوت " يا الهي هذا الحمل حولك لامرأة شديدة الحساسية وانا عاجز عن مجاراتك الآن واسترضائك "

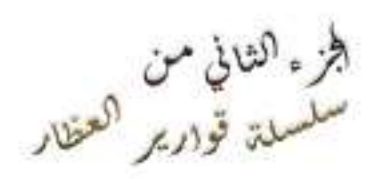
رغما عنها اجهشت بالبكاء فبدا محسن وكأنه يوشك على تحطيم شيء ما ! لكنه بدل ذلك اخذ نفسا عميقا قبل ان يقول بتركيز محدقا في جانب وجهها " انا قلق على عبد الرحمن وهو يسافر لبلد غريب ، واشتاق اليه جدا منذ الان .. قلق على رضا وهو يتحمل ويسكت ويحتوي امورا اصعب مما تتصورينها .. قلق على حذيفة وهو ينعزل عنا وكبرياؤه العنيد يمنعه الشكوى .. قلق على اسيا وهي حامل وصبورة تتحمل من امي مشاكساتها المستمرة ولومها على شيء هي لايد لها فيه .. قلق على امي فالسكر مرض خبيث يهاجم فجأة وعلى حين غرة واخشى ما اخشى ان تعرف امورا لايفترض ان تعرفها فتتحطم لذلك .."

شهقات ناعمة متباعدة هي كل ما رست عليه سفن بكائها وهي تلتفت برأسها لتنظر اليه....

نظر في عينيها ليقول بارهاق نفسي

" قلق عليك وانت حامل واطالبك ربما بما يفوق قدرتك لتصبري معي ، فانا اعرفك لم تتعودي على التعايش مع ادنى درجة من المعاناة "







شهقتها هذه المرة كانت استنكارية لتقول بلوم وعتب " ها قد عدنا يا محسن ! لاتكف عن جعلي اشعر اني مدللة خرقاء لاتعرف من الحياة شيئا !"

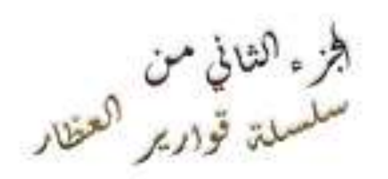
تنهد باحباط وهو يعاود النظر امامه ثم مد يده ليسحب بعض المناديل الورقية ويناولها لها قائلا " امسحي وجهك رحاب وانزلي لعائلتك فربما ستشعرين عندهم ببعض الاسترخاء الذي اعجز كما يبدو عن تقديمه لك مهما فعلت .."

ارتعشت شفتاها بالغيظ والقهر فاخذت من يده المناديل ببعض الحدة ومسحت وجهها ولتغيظه برمي المناديل بعدها على ارضية السيارة وهي تقول بانفعال " انت اكثر من قادر على جعلي استرخي تماما وانا اكثر من قادرة على تحمل اي مصاعب معك لكنك دوما تحتفظ بافكارك لنفسك وتتركني في غيابة الجهل اخمن بغباء ! "

حدق فيها بعجز عن متابعة الجدل لترفع ذقنها وتضيف " كان بامكانك اخباري عن كل ما يقلقك ببساطة .. لايهم ان تخبرني بتفاصيل الاسرار (الرهيبة) التي تصر على اخفائها عني .. حقا لااريد ان اعرف ... ما يهمني ان تكلمني عندما يحزنك فراق عبد الرحمن بدلا من ان تعتزلني ،







ان تعبر عن قلقك على صحة امك او انعزال اخيك حذيفة ... عن تعاطفك مع رضا الذي يتحمل الكثير ولايشتكي بل دائما يبدو مبتسما حنونا وليس باردا ثلجيا مثلك ! "

قالت كلمتها الاخيرة وفتحت باب السيارة وغادرت بينما محسن يطالعها باحباط مضاعف!

بعد بضعة ايام ....

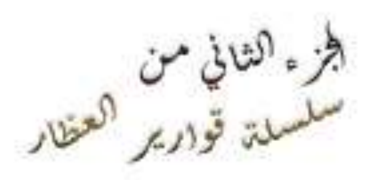
كوّرت ورقة رابعة ورمتها لتتدحرج نحو رفيقاتها السابقات ...

لم تشعر يوما بالعجز عن تصميم اي شيء ! لم توقفها فكرة ولم تكبلها حدود ، دوما كانت محترفة ولها قدرة على الانفصال عن واقعها مهما كان والدخول في واقع اخر من تصميم خيالها .. بل ان الامر كان اشبه بوقفة استراحة من ضغوط واقعها الفعلي !

ماذا يحصل لها ؟!!

لمجرد انه اصبح باردا معها متجاهلا لوجودها جعلها تشعر بالانكماش .. بل كأنها سجنت في بعد واحد لافكاك منه ولاتحرر من سلطته ...







خطوط سخيفة وتصميم اخر اسخف !

وتكوّرت الورقة لترميها حبيبة بعنف اكبر

فجعلتها تسقط بعيدا عن الاخريات وراقبت

بنظرة تشفٍ وانتقام تدحرجها أكثر واكثر

حتى اصطدمت ...بحذاء بني انيق ...!

رفعت رأسها ببطئ وهي تطالع في طريقها

بنطالا بنيا وقميصا ازرق .. بلون عينيه ...!

برمشة وعينين ذابلتين قالت بارهاق عصبي

" ارجوك لاستطيع التكلم في شيء الان ،

انا في خضم تصميم لعمل مهم!"

رد وهو يتقدم نحوها واضعا يديه في جيبيه

قائلا بهدوء وهو يتطلع للاوراق المكورة على

الارض " يبدو انك تواجهين صعوبة ما ! هل

تحتاجين لمساعدة ؟ "

وقفت على قدميها تلملم بعض الصور المبعثرة

لتقول بصوت حاد بعض الشيء يعبر عن حنقها

الداخلي " لا فائدة من تصميم شيء الآن ،

ساذهب لاتناول الغداء مع باقي الموظفين "

تجاهل ما قالته ليقترب من مكتبها ويتناول

بعض الصور المتناثرة هناك ..

تمتم وهو يحدق بحرفية للصور " امممممم

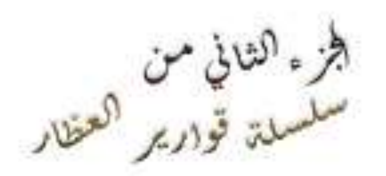
سيارات رباعية الدفع وبحجم عائلي .. اكبر

مما يجب لتناسب شابا ينشد التميز امام رفاقه

ولا شابة تهوى الانثوية حتى في سيارتها .."







هفتت حدتها وقد وجدت في كلماته انعكاسا لافكارها فقالت باحباط " ولاتقترح عليّ عائلة يبتسمون بسعادة بلهاء ! لقد مللت الدعايات من هذا النوع ولاأجد فيها تميزا "

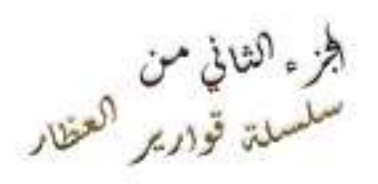
تبسم قليلا ليقول " ساقترح عليك امرا آخر "

رفعت عينيها اليه تنتظر بترقب اقتراحه ... بدت كطفلة تلتجأ اليه ليفك لها عقدة مستعصية في شعرها !

اسبل اهدابه ليقول بصوت مبحوح " تخيلي نفسك يا حبيبة .. تخرجين من عملك مرهقة ... نزقة ... متأففة من مديرك المتطلب المزعج ! "

تضاحك بخفة قبل ان يضيف " تبحثين عن سيارتك فتتنهدين براحة حال رؤيتها ... تتوجهين نحوها واحساس بالراحة يتسرب اليك ... تجلسين في مقعدك الكبير المريح وتشغلينها لتسيري بها بسلاسة توفرها قيادتها .. لاتنشدين السرعة بل تنشدين فقط بعض الاسترخاء بعد ضغط يوم عمل طويل ... واسعة من الداخل كاتساع الافق فلاتشعرك بالاختناق وسط زحمة الطريق .. تشعرك بالانشراح والثقة ... بالرفاهية التي وفرها لك عملك وتعبك ... تشعرك بالامان والالفة وهي تبدو كبيت حميمي متحرك بالنسبة لك يوصلك لبيتك الحقيقي ... "





عندما نظر اليها وجدها تكاد تغمض عينيها فادرك ان خيالها تحرك ومؤكد ستضيف المزيد ...

وضع الصور على سطح مكتبها وجلس على الحافة يميل برأسه جانبا يناظر تعابيرها الذكية بتدقيق حميمي ...

عادت للجلوس على كرسيها تلتقط اقلامها الملونة لتخربش رسوماتها بتدفق سريع ...

لم تكن تشعر بوجوده وهو انتظرها بصبر حتى تفرغ افكارها الاولية دون اي مقاطعة ..

بعد عشر دقائق كانت خصل شعرها مشعثة حولها وعيناها تبرقان وفمها مسترخ بعد ان كان مشدودا بالتوتر ..

رفعت تلك العينين اليه وابتسامة عفوية لامست الشفتين لتقول له بمزاج رائق

" شكرا لك ..."

رد لها ابتسامتها هو يقف على قدميه ثم مال بجذعه مادا ذراعه قائلا

" هل تسمحين لي برؤيتها عن كثب ؟"





سارعت لوضع ذراعيها فوق رسومها ورأسها يتحرك يمينا ويسارا علامة الرفض لتقول بعدها " انها خرابيش لااكثر ولن تفهم منها شيئا .. لااحب ان يرى احدهم خرابيشي هذه فيشعر اني مجنونة ! اعدك ان اريك اياها عند اكتمالها ومؤكد سأذكرك كمُلهم للفكرة "

هز كتفيه بلامبالاة وهو يسبل اهدابه ثم قال " انا لم افعل شيئا .. كنتِ مشوشة فقط وانا ساعدتك لتخرجي من ذاك التشوش "

تنهدت رغما عنها وشردت عيناها منه !

ابتعدت ... !

وهذا اغاظه.... اغاظه جدا ....

قال وهو يخفي غيظه باحكام

" هل تعلمين كيف تتخلصين من افكار صغيرة مشوشة تنتثر حولك هنا وهناك دون اسباب منطقية؟!"

شد انتباهها مرة اخرى لتنظر اليه برجاء واضح

تبسم لها ثم رفع كفيّه في الهواء واخذ يحركهما وكأنه يلتقط فراشات طائرة حوله ويقول " تلتقطينها من عقلك هكذا وهكذا ثم تلمينها مع بعضها البعض ككرة صغيرة بين راحتيكِ "







وفعل بكفيه كما يقول بالضبط وكأنه
يلامس كرة بين راحتيه ليضيف بصوت أجش
وهو يحدق في عينيها المتابعتين بدهشة

" وبعد ان تتأكدي من محاصرتها تماما ترمين
تلك الكرة وبكل قوتك بعيدا جدا .. "

ورمى كرته الوهمية وحبيبة تحدق باندهاش
متزايد ليفرد يحيى راحتيه الخاليتين ويقول
بابتسامة جذابة " وهكذا يصبح عقلك
نظيفا كراحتيّ يديّ هاتين دون تشوش .. دون
تخبط ... دون ارتباك..." ذابت ابتسامته
ليضيف بنظرات لامعة " هذه هي الكرة التي
يجب ان ترميها يا حبيبة لا افكارك المميزة
... "

عضلة تحركت في خده الايسر جذبتها بينما
ترى ابتسامته تتلاشى تماما ..

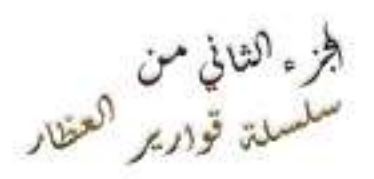
تعبير غامض جدا كسا محياه بينما يقول
يهمس فجأة " الجواب هو لا ..."

شعرت بالغباء وهي تسأله " جواب ؟؟ جواب لاي
شيء بالضبط ؟؟"

رد بابتسامة غريبة وهو يعاود وضع يديه في
جيبيه " ردا لسؤالك عندما تقابلنا امام محل
رضا .. سألتني (هل تشتري المصوغات
لزوجتك) ؟"







توردت قليلا وقالت ببعض الحرج

" اسفة لم يكن يحق لـ...."

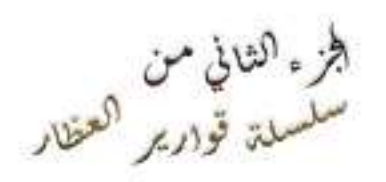
قاطعها بالقول " كنت متزوجا والان مطلق ...
في الواقع انا مطلق منذ عام تقريبا ..."

تحرك حاجبا حبيبة بعبوس قليل ثم انفراد
وكأنها تدقق في احجية ما !

رفع يده اليمنى لجبينه ضاما اصبعيه السبابة
والوسطى لبعضهما مؤديا تحية تشبه تحية
الكشافة مبتسما بمشاكسة حلوة ليستدير
تاركا اياها تحدق فيه بعجب متزايد لتهمس
لنفسها في النهاية " انه اغرب انسان قابلته في
حياتي ! في لحظة يدخل عقلي ويفتح ابوابا
لافكاري وفي اللحظة التالية يقفز لامر بعيد
جدا لم يخطر في بالي يوما !!! "

عبست بحيرة قائلة وهي تشعر باستفزاز الجهل
بما يحدث " مالي انا ان كان متزوجا او مطلقا !
ماذا يقصد باخباري عن هذا الموضوع ؟؟"

هل يبدو مختلفا منذ بضعة ايام ؟؟ لاتنفك
تتساءل وهي ترى انحسار ضحكاته الخفيفة
بطبيعتها مع العمال ، وما حكاية تلك
النظرات الشاردة الغريبة على عينيه
الرجوليتين ، صمته المطبق رغم انه قليل
الكلام لكن هذا الصمت !! صمت غير عادي
... حذيفة يشغله شيء ما ولاتعرف ماهيته .....





اقتربت منه بابتسامة حلوة حاملة له قدح الشاي لتقول له بعاطفة مكبوتة

" حذيفة .. حضرت لك الشاي كما تحب "

سيجارته بجانب فمه وهو يعمل باستغراق على ماكنته الجديدة التي يصنعها ، لم يلتفت اليها بينما يتمتم " شكرا اشجان .. ضعيها قريبا مني لو سمحت .."

احبطت ولم تحصل على التفاتة منه !

يضيق صدرها لرؤيته هكذا وكم تتمنى لو تخفف عنه بأي طريقة ...

" حذيفة .. هل استطيع مكالمتك خارج المعمل ؟"

كان هذا خليل المراهق ... عبست اشجان وهي ترى حذيفة يترك ما يفعله ليولي تركيزا كاملا لذلك الفتى !

لماذا لايعاملها بالمثل ولايعطيها نظرة حنان كالتي يخص بها خليل تحديدا ؟!!

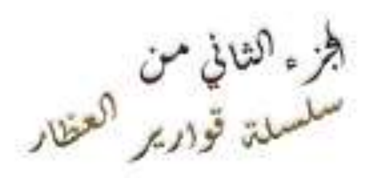
حتى رجاء رغم انه يعطف عليها الا انه لايعاملها بحنان كما يفعل مع هذا الفتى المراهق ..

تطلع حذيفة لوجه خليل المرتبك ورغم اختلاف الملامح ذكره بعبد الرحمن ...

غصة في القلب .. غصة لاتعادلها غصة الا وفاة والده وهو غاضب عليه ...







لاتزال احتضانة عبد الرحمن الوداعية الصامتة تؤثر فيه ، كم تمنى لو منحه سماحه قبل سفره ...

لايعلم لماذا تهفو نفسه لذلك العفو من عبد الرحمن وكأنه يجد فيه عفوا من والده ..

غامت عيناه بالاسى دون ان يشعر فارتبك الفتى اكثر وهو يقول بتحرج

" اسف حذيفة ! اذا كنت مشغولا سنتكلم فيما بعد "

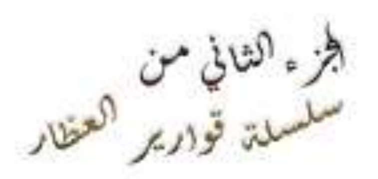
لكن حذيفة تبسم ليمد يده يلتقط خرقة قماش يمسح بها الشحوم السوداء عن كفيه

ثم اخذ نفسا عميقا من سيجارته وحاوط كتف خليل وهو يقول له

" لاتجزع يا فتى .. سنتكلم بما تشاء "

تكتفت اشجان بغضب بالغ بينما تنظر بحقد طفولي لحذيفة وهو يرافق خليل خارج الورشة، أخذت تشتم بصوت مسموع فجاءتها صوت ضحكات خافتة لبعض العمال الذين يعملون في الورشة فتلتفت اليهم ترميهم بنظراتها النارية ليتعالى ضحكهم اكثر ويتفكهون حولها فلا تملك الا التوجه نحو رجاء لتفرغ غيظها فيها ...!





" هل تزعجك اختك مرة اخرى ؟ "

كان هذا اول سؤال طرحه حذيفة على خليل الذي يبدو كمن يعاني الافصاح عما يدور بخلده ...

رفع خليل نظراته لحذيفة قائلا بحرج " خلود .. فتاة طيبة .. انها عصبية جدا لكن .. ظروفها .. صعبة .. وطلاقها كان .. اصعب ، لكنها تحبني وتخاف علي .. تريدني ان اكمل تعليمي حقا وانال شهادة جامعية "

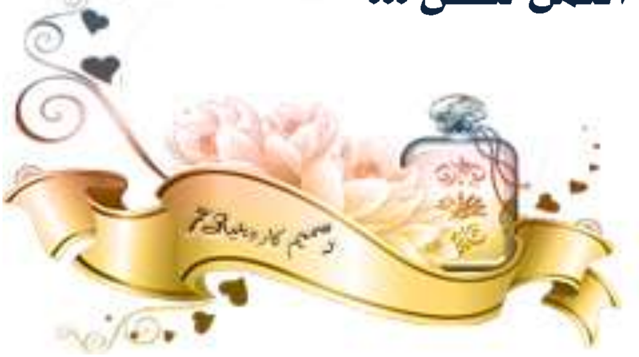
اخرج حذيفة سيجارة من علبة ممزقة في جيب قميصه اشعلها وهو يقول " واين المشكلة ؟ انا ايضا احثك على هذا وقد اتفقنا سابقا مع بدأ الدراسة قريبا سننظم لك الوقت فهل قررت كيف سترتب امرك؟ "

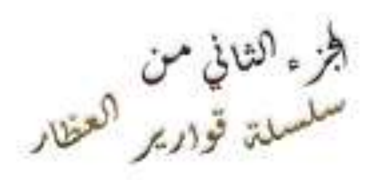
هز خليل رأسه بحماس قائلا " اجل .. انا سانتظم نهارا واتفقت مع مدير المدرسة بالسماح لي بالمغادرة بوقت مبكر ، انه رجل طيب ومتفهم ، سآتي للمعمل عند اذان الظهر واعوض تغيبي الصباحي لساعتين بعد انتهاء العمل اقوم بها بما تشاء من عمل اضافي "

دقق فيه حذيفة ليمج من سيجارته قائلا

" لكن متى ستقرأ دروسك ؟"

رد خليل ببعض الحرج " حسنا .. انا لامشكلة لدي سأقرأ بعد انتهاء العمل لكن ..."







صمت خليل فدفعه حذيفة ليتكلم بما يجول في خاطره قائلا " تكلم يا فتى فليس لدي اليوم بطوله امام ترددك "

قال خليل وهو يطرق براسه " اريد استئذانك بالبقاء في المعمل لساعتين اخريين ادرس فيها في هدوء ، فال ...البيت عندنا .. غير مريح .. زوج .. والدتي انسان مزعج ويتعمد استفزازي وانا .. اريد التركيز فلا وقت لدي لمواجهات معه .."

صمت حذيفة للحظات وهو يواصل تدخين سيجارته ليقول بعدها " ما الذي يجبرك على البقاء معه اصلا ؟ لماذا لاتاخذ اختك وتؤجران شقة صغيرة وانا على استعداد لمساعدتكما "

رفع خليل رأسه وواجه نظرات حذيفة بصلابة ليقول " خلود ايضا تريد هذا لكني لن افعله ابدا .."

ضيّق حذيفة عينيه متسائلا

" ولماذا لاتفعله؟"

رد خليل ببؤس " لن اترك امي لفواز ، مجرد وجودي في نفس البيت يمنعه من فعل شيء حقير، انا صمام الامان لها ولولاي كان سيؤذيها اكثر "







تجمدت يد حذيفة الممسكة بالسيجارة وهو يحدق باعجاب في هذا الفتى الرائع بينما يكمل خليل " لذلك انا لن اترك تلك الشقة مهما حصل الا اذا قررت امي بنفسها ان تترك زوجها القذر فعندها ساخذها واخذ اختي بعيدا عنه "

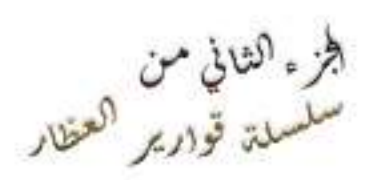
وضع حذيفة السيجارة بجانب فمه واخذ يربت على كتف خليل ويقول " انت فتى مميز يا خليل عيبك الوحيد هو سرعة غضبك وهياجك الشديد المفرط "

احمر خليل وهو يتذكر الشجار العنيف قبل يومين مع احد العمال الذين تفكه بسخافة على حسابه ..

لقد جن جنونه واخذ يضربه بفقدان للسيطرة واوشك ان يقتله دون ان يشعر لولا تدخل باقي العمال لفك العراك الشرس !

اجل يعترف .. ان في داخله غضب مكبوت يصبح كالوحش الذي يقتات على احباطاته فينميها من جهة ويجعلها وقوده الشيطاني من جهة اخرى ... خلود محقة للاسف .. محقة ان ذلك البيت يؤثر عليه بشكل سلبي تماما .. بيت كان يوما بيته .. مع عائلة عادية متآلفة مع نفسها ومع الحياة ..





تربيتة اخرى من حذيفة اخرجته من دوامة افكاره بينما صوت حذيفة بدا جادا وغامضا وهو يقول " نصيحة مني يا فتى .. لاتستسلم لمشاعرك السلبية فانها تسلبك صفاء روحك شيئا فشيئا ... والغضب المتراكم قد يودي بك يوما الى ارتكاب ما قد تدفع ثمنه طيلة حياتك "

تطلع اليه خليل لكن حذيفة ابتعد مسبلا اهدابه مخفيا تعابيره وهو يقول " انا ذاهب لبعض الشؤون خارج المعمل وساعود بعد ساعتين ، ابلغ العمال انه ينهوا ما طلبته منهم في الورشة قبل عودتي .."

راقبه خليل يبتعد اكثر وفي العمق شعر باحساس غريب ان حذيفة كانت يتكلم عن نفسه !

وسط السوق الشعبي الكبير للخضار والفواكه حيث يباع كل شيء بسعر ارخص من اي سوق اخر وتحت ظلال متصفحات صغيرة متجاورة للبائعة وكلٌ يعرض بضاعته ...

كانت خلود تنتقي في صمت حبات الطماطم وتضعها في الكيس بينما تتجاهل اعتراض البائع على ما تفعله ...







امرأتان من نفس الحي لاتكفان عن ثرثرتهما حولها منذ اول دخولها للسوق ، استعاذت باللّه من الشيطان الرجيم اكثر من مرة واخذت تحدث نفسها داخليا لتهدأ !

لكنهما تواصلان ملاحقتها وهمزة احداهما تلحق بلمزة الاخرى ...

" انظري اليها .. من يصدق ان فتاة مثلها لاتمتلك انوثة كباقي النساء ؟! "

" ولم لا ! انها نحيلة جدا .."

" حسنا هي نحيلة فعلا .. لكنها تبقى جميلة وزوجها تزوجها عن حب اليس كذلك ؟ "

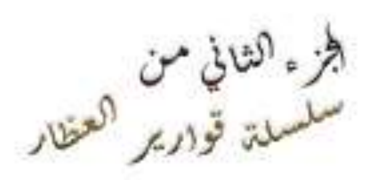
" اجل لكنها تشكو من ... انت تعرفين ... ويقال انها لجأت للطبيب ليساعدها في .. "

استدارت خلود بعنف لتتناثر بعض الخضار التي ارتطمت بجسدها الثائر ..

واجهتهما بالصراخ " الا تكفان ؟! اليس لديكما شغل شاغل الا ملاحقتي هنا وهناك والثرثرة السخيفة التي لاتنتهي ؟"

حدقت المرأتان فيها بانشداه للحظات ثم خرجت احداهما عن انشداها واخذت تصرخ فيها تعايرها " ومن انتِ لنلاحقها يا خزي النساء ؟! ثلاث سنوات مع زوجك المسكين ولااعلم كيف احتمل عاهتك ! "







جحظت عينا خلود بغضب هائج وهي تردد

" عاهتي ؟!!!!!"

ثم اشتعل لهيب الغضب الاهوج لتمد يدها

لاشعوريا للطماطم القريبة منها واخذت

تضربها على المرأتين بجنون !!

اهتاج السوق كله وتدخل بعض الرجال وقد

تحول الامر لشجار نسائي عنيف ورمي

بالطماطم وغيرها والبائع يلطم على خديه ..!

لم تشعر خلود الا بذراع قوية محكمة تلتف

حول خصرها وانها تسحب للخلف بعيدا عن

معركتها الشرسة ...

اخذت تضرب من يسحبها هذه المرة ليصلها

صوت رجولي ساخر

" المنقذ لايضرب عادة بهذه الطريقة ! "

وبينما تلتفت اليه لتتعرف على (طرزان)

جاءها هائجا البائع وهو يصرخ ويشد بشعره

" ادفعي لي ثمن ما خربته يا امرأة "

كانت ستصرخ به بينما تحاول دفع ذراع

حذيفة بعيدا عنها عندما رمى له حذيفة

باوراق نقدية وهو يقول

" هذه تكفيك وزيادة "

جن جنونها واخذت تتلوى لتتخلص منه بينما

المعركة ما زالت تدور على بعد خطوات وقد

تحولت بين الرجال هذه المرة ..

لملم البائع المال من الارض ثم نظر بسخرية لها قائلا لحذيفة " امرأتك هذه مجنونة تماما ومكانها مستشفى الامراض العقلية "

عندها وبقدرة قادر بدلا من سحبها للخلف وجدت نفسها تتقدم مع حذيفة للامام وناحية البائع المتفاجئ تحديدا..

ثم .. بلكمة واحدة سقط البائع المشدوه ارضا وصوت حذيفة يهف من خلف رأسها عبر شعيراتها الشعثاء بتهديد شرس " عندما توجه الكلام لها او عليها مستقبلا فتذكر هذه اللكمة جيدا "

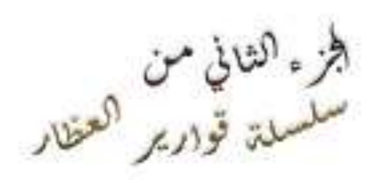
وبانشداه مماثل لانشداه البائع تراخت خلود مع تراخي ذراع حذيفة عنها حتى تركها تماما واكتفي بدفع خفيف على ظهرها مخرجا اياها من السوق باكلمه ...

كانت قد هدأت بعد عدة خطوات خارج السوق بينما تشعر بخطواته خلفها ...

احمرت بشدة والخزي يلفها لفا ويخنقها ! لماذا تفقد اعصابها هكذا ؟؟ لماذا ؟ هل اصبحت مجنونة تماما ؟؟ هل مكانها فعلا مستشفى المجانين ؟؟

" لم يكن يفترض ان تبالي بحديث المرأتين "





توقفت خطواتها واغمضت عينيها بخزي مضاعف وهي تستذكر حديث المرأتين والذي يبدو ان (طرزان) سمعه !

اقترب صوته اكثر ليقول له بنبرة منخفضة

" لااريد ان اطيل الوقوف معك وسط الناس فانت لاينقصك ان تكوني مثار ثرثراتهم التافهة ، لكني ساقول لك فتاة جامعية مثلك يفترض ان تكون ارفع مقاما من ان تنزل لمستوى شجار نسائي بالايدي وسط جمهرة الناس في سوق شعبي ..."

فتحت عينيها لتجده امامها بدلا من ان يكون خلفها ...

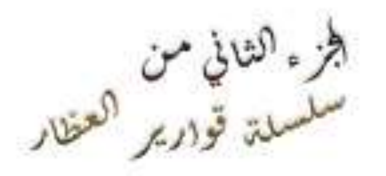
وجهه المشطب بدا لها قاسيا نوعا ما كقسوة كلماته التي تجلدها بالسياط ...

ارتعشت وهي تغمض عينيها بقوة تمنع البكاء بشق الانفس بينما يتابع حذيفة بصوت مبهم المعاني " اخوك خليل لايستحق منك ان تحرجيه اكثر ، هذا سيحطمه وهو يحبك فعلا ويحتاج لدعمك "

فتحت عينيها مرة اخرى وقد فقدت قدرتها حتى على الغضب !

قال لها اخيرا " ليس من شاني معرفة ظروفك لكن تجاوزيها لاجل اخيك واجلك انت ايضا"







ردت بنبرة ميتة " تتكلم ببساطة ! وماذا تعرف انت عن ظروفي؟!! "

عيناه حدقتا بعمق في عينيها وللحظة شعرت بأنه يفهمها ! ام انها ببساطة تتعلق بقشة الامل ان هناك من سيفهمها ويقدر الآلآم التي عاشتها ....

قال اخيرا وهو يستعيد هيئة ساخرة قاسية تناسب ملامح وجهه " اعرف ان وجهك الآن ملطخ باثار الطماطم وبعض البقدونس معلق بشعرك ايضا وهذا يعد كارثة في تاريخ (ظروف) اي امرأة ! "

ثم استدار تاركا اياها مسمّرة في مكانها !

وفجأة .... اخذت تضحك ..!

تضحك وتضحك كما لم تضحك في حياتها من قبل ...!!

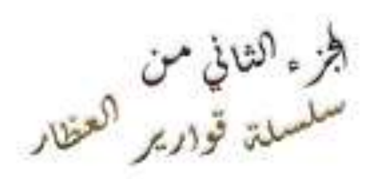
" لن اتاخر لاتقلقي .. قبل اذان المغرب سأكون عندك .. فقط سنحتسي القهوة ونتسامر قليلا .. حسنا .... في امان اللّه "

استمع يحيى لحديث رضا مع زوجته وهو يرتشف قهوته ويبتسم بشرود ...

قال رضا وهو يضع هاتفه النقال جانبا

" ما الذي يجعلك تبتسم هكذا ؟"







ضحك يحيى بخفة وهو يرد " احب رؤيتك تبتسم لزوجتك حتى ولو عبر الهاتف ! تبدو اصغر سنا وعيناك تتألقان بالتهور ..."

ضحك رضا من قلبه ليقول بعدها بصفاء

" اسيا هي عمري كله يا يحيى ، نقطة ضعفي التي اعشقها .. "

صمت يحيى وابتسامته تضمحل ....

تطلع اليه رضا بتمعن ثم رفع فنجان قهوته لشفتيه وهو يسأل بسلاسة " هل ستخبرني ؟"

رد يحيى ببساطة وهو يضع فنجانه على صحنه الصغير " نعم ..."

تقابلت نظرات الرجلين ليقول يحيى اخيرا ودون مراوغة " انا مغرم بأخت زوجتك ..."

تمتم رضا وكأنه اقرار اخير " حبيبة ..."

لم تهتز نظرات يحيى وهي تواجه نظرات رضا المدققة ليسأل رضا بهدوء

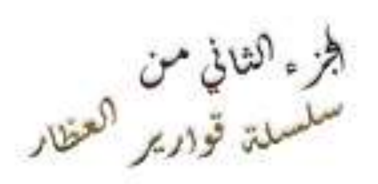
" هل تطلب الاذن لتحبها ؟"

رد يحيى بثقة وهو يرفع حاجبيه قليلا

" بل اخبرك .. احتراما لصلتها بك .."

صمت رضا ينتظر المزيد ليمنحه يحيى ما اراد بالقول الثابت " انا اريد الزواج منها ..."







قال رضا بلهجة جدية " هل تدرك انها تصغرك باربعة عشرة عاما .."

رد يحيى بابتسامة مشاكسة

" وزوجتك تصغرك باحد عشر ! "

تبسم رضا ليشرح بتسامح " علاقتنا انا واسيا خاصة ومتفردة فلاتقارنها بأي علاقة اخرى .."

هزّ يحيى كتفيه ليقول بذكاء

" كل العاشقين يعتقدون هذا ! "

تواجهت النظرات وطال صمت غير مريح ليسأل يحيى بشكل مباشر " هل المح الرفض على محياك يا رضا ؟ "

فقال رضا بحيادية " انت سبق لك الزواج ..."

رد يحيى وهو يعاود الارتشاف من قهوته

" قلت لك اسبابي وانت تعرف جيدا انه لم يكن زواجا حقيقيا ثابتا ..."

فحاججه رضا بالقول

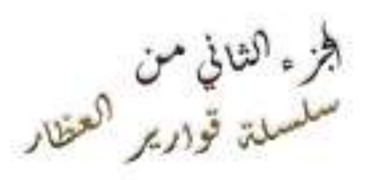
" لكن سارة اعتقدته حقيقيا .."

شوح يحيى بيده علامة النزق قائلا

" هي اوهمت نفسها بهذا ! "







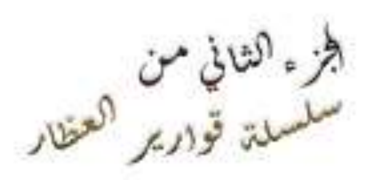
ثم تأفف لذكرى ما فعلته سارة مؤخرا
واحراجها له امام اصدقائه وجيرانه هناك
ليضيف المزيد قائلا بتأكيد

" انا لم اعدها بشيء .. العلاقات هناك تمر
بمراحل عدة حتى يصلون للزواج في النهاية
وقلت لها انني امتنعت عن العلاقات الجسدية
منذ حادث السيارة الذي تعرضت له .. كنت
واضحا جدا معها عندما قلت لها نتزوج دينيا
فقط .."

اطرق رضا برأسه وكانه يفكر بالموضوع مرة
اخرى بينما يضيف يحيى بنوع من الشجن

" رضا ... انا كنت بحاجة لامرأة في حياتي ..
بحاجة لعائلة ... لقد عشت وحيدا مع ابي
لفترة طويلة بعد وفاة امي المبكرة ولا اخ ولا
اخت ... وانت تعرف ابي كيف كان ،
عسكريا جافا فظا في اغلب الاحوال ،
وعندما مات وسافرت لامريكا شعرت
بالانطلاق وارتكبت الحماقات اعترف بهذا
لكني اعتبرت من الحادث البشع الذي تعرضت
له فيما بعد واحسست ان اللّه يوجهني لابتعد
عن المعاصي لكن .. لكن بعد سنتين شعرت
بالفراغ العاطفي .. كنت اتوق لادحر برودة
الوحدة بدفء المشاركة مع شخص اخر في
الحياة .. وسارة كانت موجودة دائما .. "







قال رضا وهو ما زال مطرقا يحرك فنجانه يمينا ويسارا " كان بامكانك البحث عن امرأة مناسبة اكثر تقنعك ان تكون شريكة لحياتك فعلا .."

تنهد يحيى وهو يرد قائلا " هذا ما قاله لي الشيخ هناك قبل ان يعقد قراني على سارة.."

ثم اضاف بهدوء " انا لااحاول ان ابرر ولكني ببساطة لم اجد ولم يكن لدي حتى الوقت لابحث وانا مشغول جدا بين عملي الذي ترقيت فيه واكمال دراساتي العليا .. ووسط حاجتي المتزايدة وانغماسي باموري كانت سارة موجودة .. لطيفة ومحببة ... ولم تخفي حبها لي ..."

لم يعقب رضا بشيء بينما يترك ليحيى حرية الكلام عن كل دواخله فقال يحيى متمما فضفضته " الشيخ تفهمني .. وانا كنت صريحا معه .. اني لااريد ان اقرب الحرام مرة اخرى .."

رفع رضا نظراته في نفس الوقت الذي وجه يحيى نظرات مباشرة له ليقول بصراحة شديدة " انا كنت صادقا بالمحاولة معها لبناء حياة زوجية صحيحة ، لكنها فقدت السيطرة وبدأت تتصرف بطريقة لاتطاق ! تفرض رأيها علي في كل شيء وكأنها تملكني "



عندها علّق رضا بالقول " حسنا ... انا لااعتراض لدي لانك مطلق فانا نفسي تزوجت بامرأة اخرى قبل اسيا ..."

ارتفع حاجبا يحيى بدهشة قائلا وهو يعبر عن دهشته " ماذا ؟!! انت تزوجت قبلا ؟!!"

اسبل رضا اهدابه ليد بالقول " اجل ... مدفوعا من اليأس والاحباط في الحصول على اسيا نفسها!"

عبس يحيى قليلا وهو يردد " لاافهم ! "

ابتسم رضا وهو يرفع نظراته ليحيى قائلا

" لاعليك ... كانت زيجة فاشلة بمعنى الكلمة ، للاسف بسبب ... ظروف معينة منعتني من التقدم لاسيا والزواج منها رضخت لالحاح امي وتزوجت قريبتها .."

تبسم يحيى مناغشا " لم تستطع نسيان اسيا ؟"

رد رضا بعينين لامعتين " اسيا محفورة في كل خلية ومصاحبة لكل نفس "

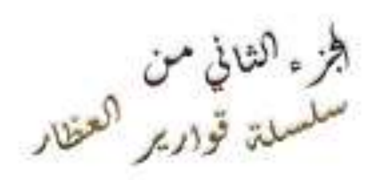
حرك يحيى شفتيه دلالة الدهشة ليقول بعدها " لم اتصورك يوما عاشقا بهذه الطريقة ...! كنت دوما مسيطرا عقلانيا "

ابتسم رضا قائلا بثقة " قلت لك .. انا وهي علاقة خاصة .."

بدا يحيى ساهما فجأة فسأله رضا

" مابك يحيى ؟ "







فقال يحيى وعيناه تلتفتان نحو الشباك القريب يطالع حركة الشارع " لقد عدت للوطن بعد فشل زواجي بسارة .. اردت ان ابحث عن دفء حقيقي في وطني .."

ابتلع ريقه بوضوح امام نظرات رضا بينما يعاود الالتفات ناحية رضا قائلا بقرار قاطع " انا اريد حبيبة.. اريدها هي تحديدا ... فيها شيء يتملكني بقوة ويجعلني اشعر انها خلقت لي وكأنها كانت تكبر لاجلي ، كل ما مررت به كان يؤهلني لارتبط فعليا بغيرها لكن لم يحصل .. مع كل النساء اللواتي عرفتهن .. ولا واحدة اشعرتني كما فعلت حبيبة .."

عندها سأله رضا " هل .. تبادلك المشاعر ؟"

اشتعلت عينا يحيى لكنه رد بهدوء واختصار

" لا ..."

ضيق رضا عينيه متسائلا " لا؟"

فأكد يحيى ببساطة " لا ..."

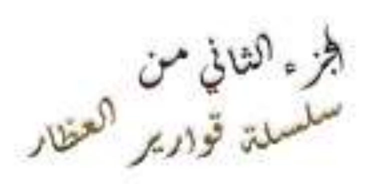
ثم اطرق قليلا ليضيف " هناك .. امر ما .."

فسأله رضا ببعض القلق " ماذا تقصد ؟"

مطّ يحيى شفتيه قائلا بسلاسة وهو يطالع رضا

" لاشيء ..فقط ثق بي .."





شعور بقلق متزايد اكتنف رضا فألح في الاستيضاح " انا لاافهمك ! هل تقصد انك لن تتقدم لخطبتها رسميا ؟ "

رد يحيى بغموض

" سأفعل في الوقت المناسب .."

لكن رضا بدأ يشعر بالضيق فسأل بحزم

"متى ؟ "

بابتسامة غريبة رد يحيى " عندما تراني ! "

عقد رضا حاجبيه وتعمقت خطوط وجهه ليتساءل بحيرة " تراك ؟!"

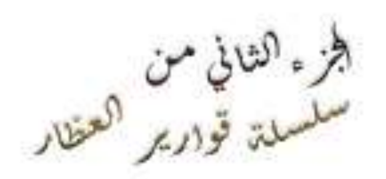
فقال يحيى وعيناه تحتدان " نعم .. تراني ... وربما ساضطر لتسبيق خطوة قبل خطوة .. اعتمادا على الوضع .."

توتر رضا وقد شعر ان يحيى يخفي امرا مهما عن حبيبة فسأله " ماذا تقصد يحيى ! انا لاافهم شيئا .."

ردد يحيى بشرود " فقط ثق بي ..."

دخل حذيفة محملا باكياس البقالة ليجد امه تجلس على ارضية المطبخ بينما مليكته الصغيرة تجلس امامها على الكرسي الصغير الاصفر الذي اشتراه لها رضا ...





هللت امه لمقدمه قائلة وهي تحاول لفت انتباه سعاد " ها قد أتى بابا .. وسيحزن مؤكد اذا لم تأكلي عشاءك "

لكن سعاد لم تلتفت اليه ولم تبالي بكلام جدتها ! تحرك حذيفة ليرى وجهها فتفاجأ انها تتكتف بعناد وتغلق عينيها الجميلتين بشدة بينما تزم شفتيها بتمرد واضح !

تنهدت الحاجة سعاد احباطا وهي تقول لحذيفة الذي يقترب منهما " انها غاضبة لانها بمفردها طيلة النهار ، فرحاب في بيت اهلها مع ولديها وطفلتك تشعر بالضيق ! انا لاارضيها ابدا بينما كان الغالي عبد الرحمن يجيد ملاعبتها وابهاجها ..."

باسترخاء انحنى حذيفة ارضا حتى تمدد ارضا امام ابنته على ظهره بينما سارعت الحاجة سعاد لتزحف قليلا حتى تجعل ولدها يتوسد حضنها ..

اخذت تمسد على شعره بينما عيناه تعلقتا بمليكته المدللة الغاضبة والتي اخذت ترمش بعينيها المغمضتين حالما شعرت بوجود والدها ...







تبسم حذيفة وهو يمد ذراعيه لابنته فيسحبها اليه ويقبلها على رقبتها بخشونة مدغدغة وهي تقاوم تكتم ضحكاتها ...ليبدا بعضعضتها برقة على ساعديها فتنفجر ضاحكة بطفولية منعشة ...

تنهدت الحاجة سعاد بارتياح هذه المرة وقد اسعدها ان تكون تلك الشقراء الصغيرة لاتقاوم والدها ابدا كما هو لايقاومها ...

قالت الحاجة وهي تنظر لاكياس البقالة

" هل احضرتها من السوق الشعبي كما طلبت منك ؟"

ردد حذيفة وهو يدغدغ ابنته باصابعه هذه المرة " نعم امي .. من السوق الشعبي القريب من المعمل .."

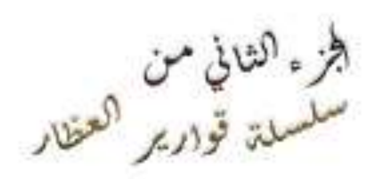
تبسمت الام وهي تنحني لتقبل جبينه وتقول

" بارك اللّه فيك يا حبيب امك واسعدك ورزقك من حيث تحتسب ومن حيث لاتحتسب"

ادار حذيفة وجهه واخذ يقبل يدها ويقول بصوت أجش " حفظك اللّه لي ، ولاحرمني دعائك "

ترقرقت عينا الام وهي تراه يعاود اللعب مع ابنته ويرفعها عاليا وهي تتحرك كسمكة سابحة في الهواء ، سالته باهتمام

" هل بدأ معملك بالانتاج ؟"





رد حذيفة دون ان يوقف ملاعبته لابنته

" اجل .. الحمد للّه .. وسانجز ماكنة اخرى قريبا لمضاعفة الانتاج "

ابتهج قلب الام واخذت تصلي على الرسول الاعظم وتقرأ المعوذتين ...

وبينما امه تباركه بدعواتها انزل ابنته لصدره يضمها ويتشممها بينما تلعب هي لعبته فتارة تقبله بقوة لتدغدغه وتارة تعض كتفه او ذراعه باسنانها الصغيرة فيبتهج حذيفة بفرح غامر ..

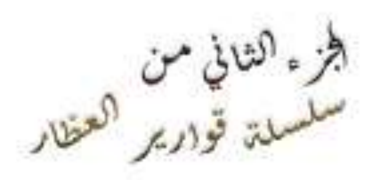
وبينما هي تلعب لعبتها وشعرها الاشقر متشعث فوق وجهه داهمته ذكرى عطر مشابه لعطر

ابنته ..! وفجأة اخذ يضحك عاليا بينما امه ترمقه بعجب وابنته بدت مبتهجة جدا ظنا انها السبب في ضحكات والدها واما حذيفة فلم يصدق ان تلك النكدية سيئة المزاج خلود تستخدم صابون الاطفال في استحمامها !

بقميص نوم فاضح شفاف اقتربت منه بخطى وئيدة تسير حافية القدمين بدلال انثى تعرف تأثيرها وتستلذ بتلك المعرفة لترضي النقص الابدي فيها !

وقفت امامه على بعد لايحتسب تثير فيه الحماسة للتلاحم القادم ...







ولم يطل انتظارها وهو يعتصرها بين ذراعيه

وعلى صدره العاري يسحقها ..

قالت بانفاس هادرة بعد ان عتق شفتيها

" ماذا تجد في تلك الباردة حبيبة ؟"

فاجأها بأن دفعها مهند ليقول لها بوحشية

" لاتذكري حبيبة ... علاقتنا لاتتضمن ان

تذكريها ابدا فيما بيننا "

تخصرت وهي تقول بضحكة ساخرة " اتعجب

منك ! تحبها هكذا وتخونها ببساطة ! "

رد ببرود " لاترفعي من قدرك يا هويدة ! انت

لست ندا لها ... لذلك ما بيننا لايعد خيانة ..

انه مجرد تبادل منافع لارضاء حاجات الجسد

لانستغني عنها نحن الاثنين ! "

تشوهت ملامح هويدة بمشاعر كره غير

موجهة لمهند تحديدا بل بدا كرها نابعا من

اعماقها للحال الذي هي عليه فقالت بسخرية

لاذعة

" الرجال دوما يتهمون النساء بالفلسفة التافهة

لكني لم ار فلسفة اتفه مما تقول ! "

هز مهند كتفيه بلا مبالاة ليستدير متحركا

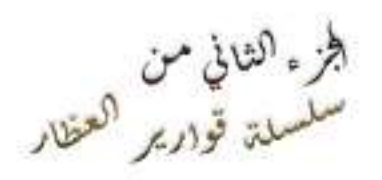
نحو منضدة جانبية وضع عليها قنينة شرب

وكأسين ، ملأ كأسا له وكأسا لها وحمل

حملهما معا ليستدير اليها يقدم احدهما لها

قائلا ببساطة





" لست مختلفا عن غيري من الشباب ، العلاقات الجسدية حاجة اعترف بها وانالها ببساطة ما دامت متوفرة ..."

زمّت شفتيها المغريتين قائلة باستهانة

" اذن لماذا لاتأخذها فقط ممن تحب وتعشق؟!"

تطلع اليها ببرود بينما لاتأخذ الكأس من يده فاستدار نصف استدارة ليعيد كأسها للمنضدة ثم اخذ يرتشف من كأسه قائلا بثقة

" حالما تقول نعم سافعل .."

شعور مختلط تراقص على ملامحها ! ما بين العجب والترقب و.. النفور !

لتقول بلهفة الفضول " هل تريد اغواءها ! "

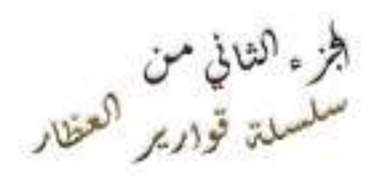
فصدمها بالقول الصريح

" بل لن اقربها الا بالزواج.."

احساس غريب تسرب لهويدة وهي تطالع هذا المتبجح المغرور ! انه مجرد نموذج مكرر وسيتكرر دوما ...

قالت بسخرية دون ان تخفي اشمئزازها " وحتى ذلك الوقت ستستمر بعلاقاتك لاشباع (رغباتك) اليس كذلك ؟! لاتجد اي حرج في هذا .... لكني اتساءل هل انت بقادر على الوفاء لها بعد الزواج ؟ هل ستكفيك ؟ هل ستخلص يا مهند لاخر يوم في حياتك ؟؟ "







رد بعاطفة جياشة بهرتها " اجل ... ستكون هي كل شيء ... كل شيء ولاشيء اخر عداها..."

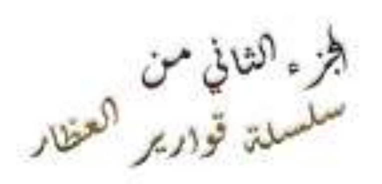
انه فقط نسخة من زوجها ! حسنا ... سنرى ..

اخذت تتمايل امامه وترفع يديها لتزيحا طارفي قميص النوم عن كتفيها ومهند تتغير ملامحه من العاطفة الجياشة التي يكنها لحبيبة فينتقل لعاطفة من نوع اخر ، عاطفة جسدية يغذيها الشيطان ليطفئها في جسد اي امرأة ... اي امرأة ... لاتهم الاسماء ولاتهم الارواح فتلك حكاية اخرى ....

تجرع ما بقي من كأسه دفعة واحدة ووضع الكاس على المنضدة ليعود اليها ودون مقدمات مد كفيه وازاح قميصها بعنف عن جسدها قبل ان يجرها اليه بينما هي تضحك ضحكة مجلجلة مستمتعة ...

تلامسه ... تعرف انها تثيره .. فتهمس له بانفاس موشحة بالرغبة " لنرى مقاومتك للنساء الاخريات كيف ستكون بعد ان تصبح حبيبة المبجلة (كل شيء) ! "







الفصل السابع

عند باب المطبخ اسند جانب جسده لاطار الباب يتطلع اليها وهي تغسل بعض الصحون بتوتر ملحوظ ، منذ ان اعادها مع الولدين من بيت اهلها وهي متجهمة عاقدة الحاجبين .. لكن ... متعبة في صمت ..!

لم يُرد اجفالها فتعمد اصدار صوت خافت قبل ان يحرك قدميه ليتوجه نحوها ..

التقط تشنجها يزداد وتأهبها يشع من حركة جسدها وهي تستدير بحدة وعنف لتلتقط منشفة المطبخ دون ان تتطلع نحوه ...

تجفف كفيّها بنفس العنف ثم ترمي المنشفة باهمال على طاولة الطعام الصغيرة...

تحركت بوجهة المغادرة وبنظرات جامدة مسارها محدد للامام دون ان ترف جانبا نحوه....

تنهد ... ليمد يده حالما مرت بجانبه فتمنعت عليه بنفس الملامح الصامتة في جمود لكنه لم يفلتها ...

همس لها بارهاق " رحاب ... احتاج ان اتكلم "







حدجته بقوة لتقول له بلؤم منتقم

" شيء رائع ان يقرر الجليدي الكلام مع زوجته اخيرا "

تصلبت ملامحه قائلا

" كلمة (الجليدي) هذه لاتعيديها "

ردت بتهكم بينما عيناها تلمعان بالدموع

" عفوا عفوا ايها العظيم محسن .. لن نكرر اخطاء رهيبة كهذه مرة اخرى "

ارهق قلبه رؤية هذه الانفعالات على وجهها خاصة وتلك العينان اللتان يعشقهما تكادان تفيضان بالدمع ...

مد يده ليلامس خدها بظاهر انامله وهو يقول بصوت مبحوح " رحاب ... انا احبك .."

شهقة بكاء ناعمة بينما تبعد خدها عن ملامسته وتطبق جفنيها تحبس دموعها التي تتنازع التحرر ...

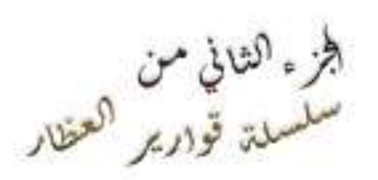
لكنه عاد بكلتي كفيه هذه المرة وهو يلامس خديها من الجانبين قائلا باعتراف رقيق " اعلم ان طباعي صعبة احيانا "

ردت بهمس منفعل دون النظر اليه

" بل في غالب الوقت ! "

تبسم في حنان وكأنه ينظر لطفلة عنيدة فأكد بممازحة يسترضيها

" في غالب الوقت ... كما تشائين .."



تنهدت فتنهد هو الآخر ليقول بعتب

" هل استحق منك لقب جليدي وانا احبك هكذا ولااحتمل خصامك لي؟! "

عندها فتحت عينيها اخيرا لتقول باتهام مباشر يفيض حنقا

" بل تحتمل وبلامبالاة قاتلة ! "

ملامحه تصلبت قليلا ليقول بعدها وهو يبعد يديه عن وجهها " الم نتكلم سابقا واتفقنا ان نصبر على بعض يا رحاب ؟! "

تخصرت رحاب بحنق ليس من طبيعتها بينما هورمونات الحمل تفرض عليها سرعة الهياج والانفعال ، كان محسن مدرك لهذا لكنه مرهق هو الآخر ويحتاج لصبرها حقا وتفهمها بل وتسامحها ايضا ....

قالت رحاب بغيظ وبعض الحدة

" انا وحدي من تصبر ! بينما انت لاتصبر على ازعاجات امي .. هل اشتكيت لك يوما من الخالة سعاد ؟ هل ذكرتها بسوء ؟"

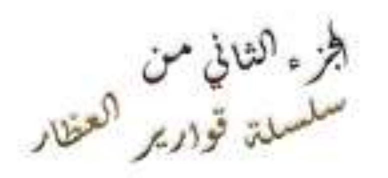
تجهم بنوع من القسوة فسارعت رحاب للقول وهي تشير لوجهه بسبابتها

" انظر الى نفسك الان بمجرد ان المح للموضوع ملامحك تنبأ بالشر! "

رد من بين اسنانه

" وكيف تريدين ان اشعر ؟ انها امي رحاب .."







فهتفت به وقد فاض كيلها

" وتلك امي ايضا ... يجب ان احتملها واحتمل ضغطها علي مرارا وتكرارا، كل هذا احتمله بمفردي بينما تنأى انت بنفسك بعيدا ..."

استغفر الله قبل ان يفرد كفيه وهو يحرك ذراعيه الى الجانبين قائلا بغيظ يماثل غيظها " انا افعل هذا لاجلنا معا يا رحاب ، لو التقيت كثيرا بامك ستظل تضغط علي بالكلام المبطن وسيؤثر هذا على علاقتنا معا ، سيجعلنا نتوتر مع بعض ..."

اخذت تمسح على جبينها بنوع من الاحباط قائلة " علاقتنا متوترة اصلا يا محسن فلا تخدع نفسك "

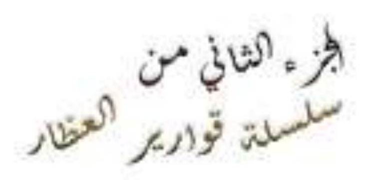
ابتلع ريقه كارها هذا الطريق المسدود الذي يصله دوما معها لكنه هذه المرة مصر على ايجاد طريق بديل ...

قال بهدوء وجدية " لقد مررنا بصعوبات رحاب حالنا كحال غيرنا من الازواج ، لكن ظروف عائلتي لم تستقر وانا .. اشعر بالذنب نحوهم "

رفعت وجهها اليه لتتساءل باستغراب " تشعر بالذنب ؟!! لاافهم ! وما دخلك انت ؟ انت تفعل المستحيل لاسناد الجميع ولو على حساب نفسك "







اطرق برأسه قليلا ليقول بصعوبة

" في الفترة الاخيرة اكتشفت .. اكتشفت امورا مهولة يا رحاب .. لم اصدق انها حدثت تحت سقف هذا البيت دون ان اعلمها او استشعر اثارها حتى ! "

عندها فاجأته بالسؤال " ماذا حصل بين حذيفة ورضا يا محسن ؟؟ ما الذي تخفونه جميعا عني؟ "

تشنج بينما يرفض مواجهتها قائلا بنوع التبرير " امي ايضا لاتعرف وليس انت ..فقط.."

لقد رحاب اصرت بالقول المنفعل " بل تعرف ! لاتنكر هذا والامر يتعلق بآسيا ايضا "

عندها واجهها محسن بنظرات فاضت بالكثير من المعاني المقلقة ليقول

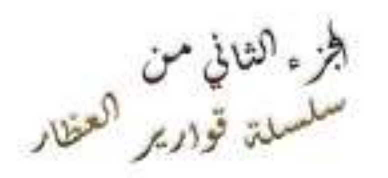
" امي تعرف ما اخبرناها به .. لاتعرف الحقيقة البشعة التي قد تحطمها "

اتسعت عيناها وقد ادركت انه جاد تماما بما يقول وان الوضع اسوأ مما تخيلته او فكرت فيه ، همست بتأثر

" تحطمها ..؟؟ سترك يا رب "

ناشدها وهو يقترب حتى لامسها بجسده

" انا .. احتاجك حبيبتي .. فقط ساعديني وانا .. ساحاول جهدي ايضا .. كما وعدتك بتوسيع جناحنا وسأفعل ان شاء الله لكن فقط اصبري اكثر.."



هذه هي المرة الاولى التي تشعر ان زوجها يواجه ضعفا من نوع ما ، بدت عيناه كعيني عقيل تماما عندما يرتبك من الامتحان !

لامس قلبها بطريقة لم تحصل لها سابقا ..

شعرت ان قلبها هذا يتألم لاجله كما تتألم بأمومة لاجل ولديها عقيل وسامي ...

رفعت يدها تلامس خده وتهمس باسمه

" محسن ..."

بدا متفاجئا بتلك الملامح على وجهها فرد ببساطة " نعم .."

ابتسمت له ودمعتان تفران من عينيها بينما تحدقان في عينيه " هل تعلم انك تبدو مرتبكا في عينيك فقط ؟"

تورد قليلا ففاض قلبها لاجله لتهمس بالقول الرقيق " كما رأيتك لاول مرة .. ملامحك لاتظهر شيئا في العادة فقط تلك العينين اللتين تختبئآن خلف نظارة طبية "

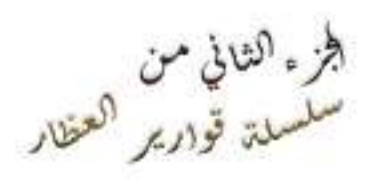
ردد وهو يسبل اهدابه

" انا مرتبك .. بسببك دوما "

لم تفكر للحظة بينما تشرأب بقدميها وتسحب وجهه اليها هامسة امام شفتيه " وانت دوما ... ستخطف قلبي بارتباكك هذا "







صباح اليوم التالي

خطواته كانت شاردة كفكره تماما ..

اصبح مجيئه للشركة محبطا !

انه يدرك اسلوبه القاسي نوعا ما مع حبيبة وهو يتعمد نوعا من التجاهل البارد نحوها ...

مشاعر حبيبة نحوه هي نقطة ضعفها وكما تضغط عليه بالصبر هو يضغط عليها بالمشاعر .. لكنه .. يتألم ... يتألم لانه يريدها بكل قواه ولايحتمل هذا الجفاء الذي يمارسه على نفسه قبل ان يمارسه عليها ...

تأفف وهو يمرر يده في شعره ليتابع طريق نحو الممر الرئيسي للشركة ..

عيناه تجمدتا امامه فلم يتنبه للرجل المسن الذي يقترب من جانبه ...

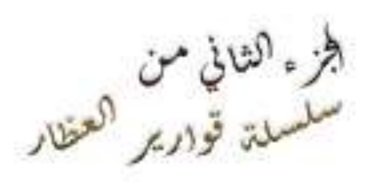
غضب تسلل لنفسه بينما يعبس بشدة وهو يطالع من بعيد حبيبة تقف مع السيد يحيى

قبضتاه تتشنجان بينما افكاره تحاصره ....

لماذا يقف معها هكذا ؟ وتلك النظرات التي يخصها بها ... ماذا تعني بالضبط ؟ انه غامض ولايستطيع التكهن بشيء لكن كلما رآه قريبا من حبيبة يستشعر الخطر !







" مهند ..."

بالتفاتته مصدومة وافكاره عن يحيى تتلاشى
همس بعينين متسعتين " ابي ؟! "

ظل مهند يحدق في ابيه بينما الاب يبادله
النظر بهدوء ظاهري ...هذه هي المرة الاولى
التي يزوره فيها في عمله ...

قال الاب بصوت بدا متعبا رغم ثباته " الن
تسلم على ابيك الذي ينتظرك منذ ساعة ؟"

اقترب مهند مادّا كفه بنوع من التصلب قائلا

" مرحبا ابي "

تطلع الاب ليد ابنه الممدودة وداخله يتألم !
يتألم من قسوة ولده عليه فبينما هو يتلهف
لاخذه باحضانه يكتفي ولده بمد يد باردة !

تجاهل الاب تلك اليد لينظر في عيني ابنه
ويقول بهدوء

" هل تأتي متأخرا لعملك في العادة ؟"

بشموخ اعاد مهند يده الى جانبه وهو يرد
بحركة لامبالاة من كتفيه " لا .. البارحة ..
كنت ساهرا مع بعض الاصدقاء "

ردد الاب بصلابة " جلسة شرب كما اظن
واتوقع .. كنتُ محقا عندما لم آتيك لتلك
الشقة .."

تلاقت النظرات مرة اخرى .. الاب باتهام واضح
والابن بتمرد اوضح ...!



ليسأله الاب دون ان ينتظر ردا على سؤاله الاول

" لماذا لاترد على اتصالاتك اختيّك ؟"

زمّ مهند شفتيه قبل ان يقول بنزق

" انهما تزعجانني بالحاحهما عليّ "

للحظة ماج غضب في عيني الاب سرعان ما اطفأه ليعود لهدوئه الظاهري قائلا بنوع من السخرية المريرة " وامك ؟؟ اتزعجك هي الاخرى ببكائها ونواحها متوسلة اليك ان تأتي لزيارتها في فترات متقاربة ؟"

ارتبك مهند واوجعه قلبه بينما يقول مبررا لنفسه قبل ان يكون تبريرا امام والده

" لم يمض اكثر من ثلاثة اسابيع عندما .."

قاطعه الاب بنفس المرارة والسخرية

" بل مضى شهر ونصف على اخر زيارة اخذت من وقتك الثمين نصف ساعة لاغير "

ابتلع مهند ريقه وهو يستشعر احساسا كريها لايحبه ! بينما والده يمعن في تكريس هذا الشعور باضافته " انت نسيت عيد ميلاد اختك الصغرى مروة رغم وعدك لها بالحضور "

تفاجأ مهند قليلا بينما يضيف الاب بتهكم

" اجل انا اعرف انها تراسلك على واحدة من تلك التطبيقات للهواتف الذكية "

ثم اكمل الاب بقسوة " ألم تتنبه انها لم تعد تفعل هذا منذ اسبوعين ؟؟"





شعر مهند بالاختناق ! لماذا يفعل والده به هذا ؟؟ لماذا ؟

" كم عمر مروة يا مهند ؟"

كاد ينفجر !

ليرد على سؤال ابيه وقد ضاق ذرعا بكل هذا التأنيب " ما هذا ؟! اختبار ابوي ؟؟ "

لكن الاب اصر في قسوة على السؤال

" كم عمر اختك الصغرى ؟"

رد مهند ببعض التردد " اثنا عشر.."

ذابت القسوة عن وجه الاب لتتكلل ملامحه بالحسرة ! فقال " بل اربعة عشر.."

ثم اخذ الاب يهز رأسه وهو يراقب خجل ابنه مضيفا بحسرة ما بعدها حسرة

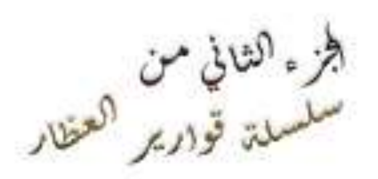
" خسارة يا مهند ... ولدي الوحيد وسط ثلاث فتيات وها انا لاجد فيك ما طمحته ان اجده يوما وما تصورت اني زرعته بعناية ليكبر معك حتى تغدو رجلا يشار له بالبنان "

اشتعلت عينا مهند بالتمرد بينما يكمل الاب

" انانيتك الفطرية وتدليل امك لك وصمتي انا على هذا الدلال افسدك من الداخل وجعلك... "

قاطعه مهند ثائرا " طفل اناني ! اليس هذا ما تقوله لي دوما يا ابي ؟"





بدت الشيخوخة المبكرة على ملامح والده
وهو يقول بتعب " والدك يكبر ويعجز .. وانت
تمضي بك السنون في عربدتك وفسادك
تتخذ من رفضي لزواجك من لينا قبل سنوات
ذريعة حتى تعيش على هواك كافرا حتى
بوجود اسرتك "

ثورة التمرد ما زالت تموج على ملامح مهند بل
ازدادت وتأججت وتلك الذكرى التي مرت
عليها السنون تبزغ بقوة من جديد ..

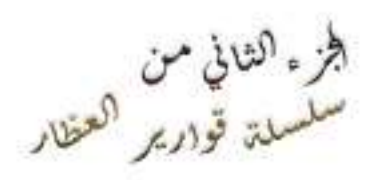
بشفقة واضحة اضاف الاب " لاتخدع نفسك
يا مهند .. انت لم تصدم برفضي فعلا ذلك
الوقت .. ربما فعلت في بادئ الامر وقد كنت
متعلقا بالفتاة لكن فيما بعد احببت حياتك
اللاهية ووجدت فيها تحررا يرضي نزواتك
ولايقيدك بشيء "

انفاس مهند تهدر وهو عاجز عن الرد على
والده .... كالعادة !

دوما عجز عن الرد .. دوما كان والده بقوة
حجة وتمكن من فهمه بطريقة يشعر انها ...
تعريه !

اطرق الاب قائلا بصوت أجش " لم آتي اليك
اليوم الا لاجل امرأة حملتك في بطنها تسعة
اشهر وتحملت مخاضا صعبا مشبعا بالألم وهي
تنجبك للحياة ثم بذلت كل طاقتها
لاسعادك حتى على حساب اخواتك البنات "





بدا ابوه تخنقه العبرة مما صدم مهند وهو يسمعه يقول " امك تبكي ليل نهار .. تريدك ان تزورها ... على الاقل لمرتين في الاسبوع .. هذا ما جئت لابلغك به .."

ثم رفع الاب رأسه بشموخ قائلا بصوته الصارم " حذاري يا مهند من عقوق الوالدين .. حذاري من التمادي في هجرنا.. هجر رحمك .. وحذاري من عاقبة كل دمعة تهطل على خد امك ...."

ثم تركه ليستدير ويمضي بعيدا ...

راقب والده المغادر ببنطاله الرصاصي وقميصه الابيض المخطط ..

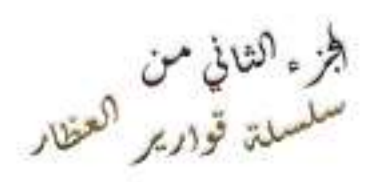
شعره ما زال فضيا فلم يغلبه بياض الشيب ، انه رجل مقاوم بامتياز ولديه صلابة وصبر يتمناهما مهند في شخصه ...

مثله الاعلى الذي كان يلاحقه كظله يوما ويتمرد على ارائه التي تتعارض مع رغباته يوما اخر...

وكم تضاربت رغبات مهند مع اراء والده لتسارع امه فتكون المحققة لتلك الرغبات رغم غيظ ابوه واعتراضه ...

تحرك مهند وقد غاب والده عن ناظريه ليجدها هي امامه .. تراقبه بفضول متسائل... بتلك العينين الزرقاوين ....







لم يشعر الا وهو ينتفض بالغضب ليقترب منها مواجها اياها بالقول من بين اسنانه " ماذا كان يقول لك السيد يحيى ؟ ولماذا اراه يقف معك بأريحية هكذا وسط الشركة ؟ "

تفجأت حبيبة من هجومه بل وارتبكت من وصف مهند لوقفتها مع يحيى !

يحيى هذا الذي لم تعد تفهم نظراته اليها .. ابتسامته التي تسبر اغوارها وكأنها مفتاح يستخدمه ليفتح كل ابواب عقلها ...

له تأثير غريب ! وعلى قدر ما يثير حنقها على قدر ما يشعرها انها مختلفة وبطاقات لاتنضب !

جاء صوت مهند مفعما بغضب اعمى

" ردي عليّ حبيبة ! لم اعد احتمل اسلوبك معي .. نحن مرتبطان حتى ولو بمجرد فترة اختبار اخترتها انت بنفسك ومن حقي ان اعرف !"

تماسكت حبيبة لترفع ذقنها قليلا فترد عليه بهدوء " لقد كان يعطيني بعض الاوراق المهمة لاسلمها لزوج اختي رضا .. "

عبس مهند بشدة متسائلا

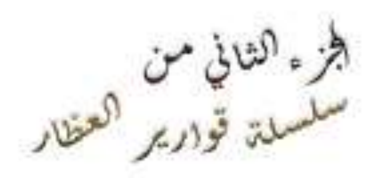
" وما علاقته بزوج اختك ؟"

ردت ببساطة " انه صديقه وقريبه ايضا "

تفاقم غضب مهند وقد شعر ان الجميع متحالف ضده هذا اليوم !







عيناه تطلعتا بحقد للظرف البني الكبير في يدها فمد يده قائلا بنفاد صبر

" اريني هذه الاوراق "

اتسعت عينا حبيبة وهي تبعد الظرف قائلة بحاجبين معقودين " هل جننت ؟!! انه امر خاص بينهما وانا مجرد مرسال اوصلها لرضا ، كيف تطلب مني امرا سخيفا كهذا ؟ ماذا جرى لك ؟ "

تقبضت يده وهو يعيدها لجانبه بينما يطرق برأسه وكلمات ابيه عادت لتضج في رأسه

(طفل مدلل ... امك تبكيك .. لقد افسدناك)

فاجأته حبيبة بالسؤال

" من كان الرجل الذي كنت تحادثه قبل قليل ؟ "

رد باختصار وبصوت مشحون " انه ابي .."

للحظة ساد الصمت لتسأله حبيبة بعدها

" هل ما زلت ناقما عليه ؟"

رفع رأسه بحدة ليقول لها بانفعال " لاتبدأي حبيبة ! يكفيني ما سمعته منه الآن وتقريعه المعتاد لي "

نظرت لوجهه المحتقن بالغضب فقالت تحاول الوصول اليه " لكن مهند أ..."

قاطعها بقوة " اتركيني الان لو سمحت ..."



ثم تركها وابتعد ... ولعجبها غادر الشركة تماما وقد وصلها قبل دقائق فقط ...

الظرف في يدها بينما ذهنها يحاول استيعاب مهند وهي تراه لاول مرة خارج حدود الشاب الجذاب العاشق لها والذي يلاحقها بلا هوادة لترضى به ...

ها هي تراه كانسان .. مجرد انسان في حضرة والده الذي بدا واضحا انه غير راض عنه ..

اصابعها تعتصر الظرف لاراديا وكأنها تفرغ فيه تخبطها لتهمس بعدها " فقط لاتخيب ظني يا مهند .. اياك ان تفعلها "

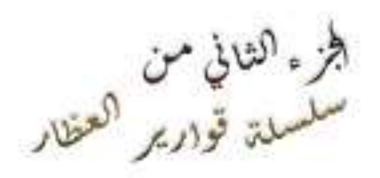
عصرا ...

تشغل يديها بقطع اوراق النعناع عن اعواده الخضراء وتدعي امام نفسها انها تنظر عبر الشباك للمارة الذي يطرقون الحي ، لكن الحقيقة كل الصور التي تلتقطها عيناها تتلاشى سريعا قبل ان يفسرها عقلها ..

فعقلها مغرق بصور اخرى تتبارى في عرضها الساخر مرارا وتكرارا يدعمها صوت عزيز الغاضب دائما وابدا !

(انت لست امرأة .. لست امرأة !)





تتشنج ملامح وجهها بالألم والقهر فيرتفع أنين الاحساس بالظلم ومعه يتأجج نفس الغضب ..

لم يتوقف عزيز عن قولها لها في كل مرة ...

كما لم يتوقف عن صفعها في كل مرة ايضا !

وابتداء من ليلة الزفاف ....

ليصل الى تعييرها لاحقا ببنت جيرانها التي تزوجت معها في نفس الليلة وانجبت طفلا لتنجب بعده بعام طفلا آخر ..

هل كان يتصور ان ألمها اقل ؟؟ ام ان حرمانها من الامومة هيّن ؟؟ او ربما تخيل ان طعنها في صميم انوثتها لايعني لها شيئا ؟!

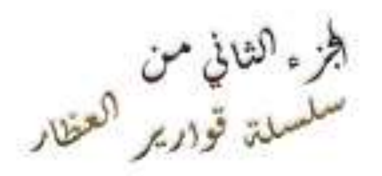
لقد ماتت فيها كل احلامها كفتاة عاشقة...!

الحب الذي حملته لعزيز يوما اصابه مرض عضال ليتخبط بين مقاومة وانتكاس فيستسلم اخيرا لسكرات الموت ...

عزيز كان اول رجل في حياتها .. الاول على الاطلاق الذي اخرجها من دائرة الفتاة الخجول جدا والتي لاتفقه شيئا من امور الحب ولم تدخل يوما في حديث عابر عنه حتى في مراهقتها لتكون مثار سخرية الفتيات احيانا وهن يسمينها (اينشتاين) لحبها للرياضيات وبراعتها فيها .. لكنها لم تبالي بهن وكانت سعيدة راضية بنفسها ....







ثم دخل عزيز فلك حياتها ولاتعلم ما الذي حركها نحوه بالضبط ؟ هل خجله وهو يتقرب اليها بطريقة خرقاء ؟ اجل لقد كان اخرقا مثلا في امور الحب وهذا ما جذبها اليه ..

احبته ... وهو احبها ... لكن ...كل شيء ضاع ..ضاع .... ضاع ولم يكن ذنبها ...

ابدا لم يكن ...

وما ذنبها هي اذا كانت اخته تجيد السحر والشعوذة ؟ ما ذنبها ان اختارت تلك الحقود بتوجيه من امها هذا النوع من السحر الذي يجعل خلود تملك قوة الف رجل فتدفعه عنها حتى يقع ارضا في اللحظة الموعودة !

كلام الطبيب الذي اجرى لها عملية فض غشاء العذرية لم يقنعها تماما .. لايعقل ان تشنجها الشديد ورهابها من اتمام الزواج كما يفترض هو ما كان يجعلها بتلك القوة المذهلة !

لا .. الطبيب كان يحاول تطييب خاطرها ورفع معنوياتها ليمنحها الامل لاغير ... وربما هو لايؤمن بالسحر فلم يصدقها ....

ومع ذلك رضيت بتلك العملية لاجل عزيز .. عسى ان تكسر ذلك الحاجز الرهيب الذي يمنعها من الاستسلام له ... من اعطائه حقه الشرعي بالكامل ...





لكن عزيز فاجأها لدى عودتها من الطبيب
بنوبة جنون غير عادية وقد اخذ يضربها
كما لم يضربها من قبل !

اخته كانت موجودة كشاهدة عيان متلذذ
بانكسارها وتحطيم لفتات المتبقي من
كرامتها ...

فينتهي الامر وعزيز يرمي عليها يمين الطلاق
ويجرها من شعرها مذلولة حتى وصل بها لبيت
والدها .. او ما كان يوما بيت والدها !!

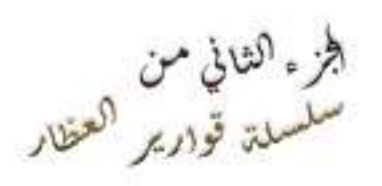
حرقة تنتشر في كل خلاياها وهي تتذكر
تاريخ كل الكبت الذي مارسته على نفسها
والاهانات لتي تلقتها لثلاث سنوات بوجع
لايضاهيه وجع ...

دمعة .. هي كل ما بقيت لها .. دمعة تسيل
فترفع يدها لمسحها بألفة .....!

بخطوات لاتصدر اي صوت اقترب من المطبخ
وعيناه تجريان جريا بحثا عن وجودها فيه ...

وهناك ... راها ... تقف عند الشباك الصغير
حيث الطاولة الخشبية المربعة الكئيبة
تقطع اوراق النعناع بشرود لتضع الوريقات في
مصفاة احمر قديم ...







كان يراها من الخلف ... تربط شعرها كيفما اتفق وترتدي نفس الفستان الشاحب القبيح !

لايهم ... لايهم ما يغطي ذلك الجسد الذي يفتنه ، لقد سبق وراَه كما يحب ويشتهي ،

ولم يبقَ الا ان يلمسه كما يحب ويشتهي !

خنقته الرغبة المستعرة وقد طال كبته لها ، سنوات وهو لايفتأ يرغب بخلود ..

ذلك العجوز الحقير حرمه منها ، لكن لا ... قد تكون خلود حرمت عليها لتكون زوجته يوما لكنه سينالها ..

سينالها ...سينالها ...

سال لعابه دون ان يشعر وعيناه الفاجرتان تدققان بذلك الخصر النحيل المستفز ..

لم ير خصرا اضيق منه !

مسح فمه يكاد يلهث بينما ترفع هي يدها لوجهها ...

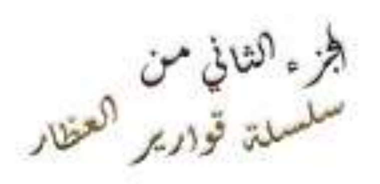
هل هي تبكي ؟؟

هل تبكي عديم الرجولة ذاك ؟

اجل ذاك التافه الضئيل عزيز مؤكد عديم الرجولة .. فهل يعقل ان يصبر رجل على زوجته لثلاث سنوات دون ان ينالها ؟!!

ثم يغطي على فضيحته فيتهمها أنها ليست امرأة حقيقية كباقي النساء ؟!







والانكى ذهابها لطبيب حتى يكمل ما عجز هو عن اكماله بنفسه بحجة ان تعالج نفسها ورهابها المرضي !! من يصدق كلاما كهذا ؟

واي رجل يفضح نفسه هكذا ؟! انه لايصدق .. كل ما قاله عزيز عن كون خلود ليست امرأة حقيقية.... لايقنعه البته ...

عادت عيناه لتعري ذلك الجسد امامه فيرتعش بالرغبة ليقسم مرارا وتكرارا انه سيكتشف الامر بنفسه وكيف ان ذلك المعتوه لم يكن رجلا .. سيجعل خلود تختبر وتتذوق متعة لم تحصل عليها من زوجها ...

لكنه سيجعلها راغبة ... راغبة جدا ... انها محرومة وهو سيروي حرمانها قطرة بقطرة ...

اقترب نحوها بنفس الخطوات المكتومة وعلى شفتيه ابتسامة تثير النفور دون ان يدرك ذلك !

وفعل ما دأب على فعله خلال الايام السابقة .. مفاجأتها بلمسة منه ..

انتفضت خلود بينما تشعر بيد ضخمة تحط على ظهرها فتشمئز روحها قبل جسدها بمعرفة مسبقة انه هو ...

هو القذر زوج امها فواز ....

بانتفاضتها التفتت اليه ترميه بنظرات تكتم جنون الغضب لصاحبتها بشق الانفس ...





انها تحتمل ... تحتمل الكثير لاجل اخيها فقط .. اخوها الذي قد يدخل البيت في اية لحظة ...

قالت وكأنها تبصق كلماتها

" قلت لك الف مرة لاتلمسني ! "

بنفس الابتسامة القميئة عيناه انزلقتا على نحرها وقال بصوت ينضح بكثير من المعاني الواضحة " لاتكوني محتشمة هكذا اكثر مما ينبغي ! لست فتاة غر .. انت امرأة ..."

ثم غمز بلؤم قائلا بوقاحة " معك شهادة طبية تثبت انك امرأة الآن اليس كذلك يا خلود ؟؟"

بحركة هستيرية مباغتة رفعت المصفاة الاحمر لتضربه على رأسه فتشفي غلها في توجعه ومنظره المبهوت بعدها بينما اوراق النعناع تسقط من راسه الى الارض ...

عيناه الجاحظتان اشتعلتا بالغضب المجنون بينما هي تتطلع اليه بشماتة هازئة فما كان منه الا ان زمجر ليمد قبضته العنيفة لراسها يمسك شعرها من الخلف بوحشية ويهزها دون رحمة بينما يهدر فيها

" ايتها الحقيرة ! الآن تأكدت ان عزيز لم يكن رجلا حقا ليربيك ويدجنك كما تستحق امرأة مثلك "





فقالت تصرخ بشراسة والتحدي المجنون يسيطر على طباعها " ربما انا حقيرة وربما عزيز لم يكن رجلا في دناءته معي لكن المؤكد انك الاكثر حقارة والاقل رجولة على وجه الارض ! "

جن جنون فواز فاخذ يشد شعرها ويصفع خدها في آن واحدبينما خلود تصرخ فيه

" حقير جبان .. معدوم الرجولة ..."

لتأتي امها راكضة على صوت صرخاتها التي وصلت اليها وهي تنشر الملابس في الشرفة ....

بدت الام مفجوعة وهي تصرخ مولولة

" ماذا يحصل .. اتركها فواز .. ماذا يحصل ؟؟ ماذا فعلتِ يا خلود ؟؟"

لكن فواز قد فقد سيطرته ليصرخ في زوجته

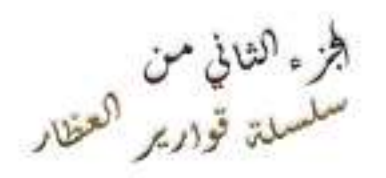
" اخرسي يا حقيرة .. اخرسي "

وبينما هو يصرخ ظهر فجأة خيال خليل من خلف امه المولولة ...

للحظة ارتبك فواز من نظرة الغضب الاهوج في عيني الفتى حتى ان يده تراخت عن شعر خلود وقبل ان يتفوه بكلمة يهدأ فيها غضب الفتى مفتول العضلات ارعبه خليل وهو يستل سكين المطبخ الكبير الخاص بتقطيع اللحم ثم يتقدم منه بعزم حقيقي على القتل ... !







بينما تجفف شعرها بالمنشفة بشرود كانت تنتظر رد اختها اسيا على الهاتف النقال

فُتح الخط وهي ترمي المنشفة على السرير لتقول بعفوية " مرحبا اسيا .."

جاء صوت رجولي ضاحك " مرحبا حبيبة ... اسيا في الحمام الآن "

تبسمت حبيبة وهي تقول ببشاشة " مرحبا رضا .. كيف حالك ... حسنا .. هذا افضل ان اكلمك فقد اردت احضار اوراق الـ.. يحيى اليك .."

للحظة صمت رضا مما اشعر حبيبة بالارتياب !

لكنه قال في النهاية بصوت غامض " اذن يحيى اعطاك الاوراق اليوم لتوصليها لي ؟ .."

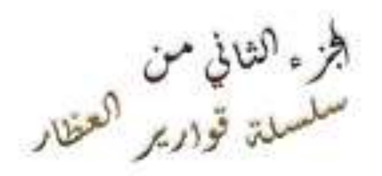
ردت وهي تستشعر امرا غامضا " اجل .. قال انها اوراق تخص ميراث والده او شيء من هذا القبيل وأكد علي ان اسلمها لك الليلة لتعرضها على محاميك "

قال رضا بصوت بدا مستمتعا " فعلا .. الاوراق مهمة .. حسنا تعالي الينا الان وتناولي معنا العشاء ايضا "

عبست بارتياب مستمر لتقول بعدها " حسنا .. انا قادمة بعد نصف ساعة ..."







فتحت اسيا الباب لاختها بابتسامة مشرقة

" مرحبا .."

بادلتها حبيبة الابتسامة وهي تقترب لتقبل خديها وتقول ببعض الاستغراب

" مرحبا اسيا ... لماذا ترتدين الحجاب ؟"

عندما ابتعدت عنها كانت رباب التي رافقتها تضم اسيا وتسلم عليها بينما حبيبة تلتقط وجود الصبيين عقيل وسامي ممددان على ارضية غرفة الجلوس ومنهمكان بالاقلام والاوراق كما يبدو لتضيف حبيبة بهمس متسائل بينما اسيا تغلق الباب

" هل محسن هنا ؟"

ردت اسيا بهمس ايضا " لا .. لكن .."

باغتتها رباب مقاطعة بالقول المنفعل

" اريد ان اكلمك بموضوع مستعجل اسيا "

عبست اسيا قليلا وهي تنقل عينيها بين اختيها لتسأل ببعض القلق " ماذا هناك ؟"

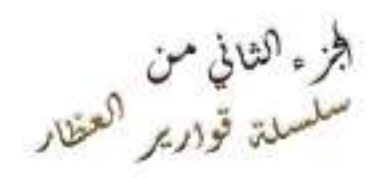
تنهيدة صغيرة من حبيبة ثم هزت كتفيها هي تنظر لرباب قائلة " رباب اصرت على القدوم معي لتحدثك بأمر ما بنفسها "

ثم اضافت حبيبة وهي تجر خصلة من شعر رباب " برأيي انها تبالغ ! "

تكتفت رباب بعبوس لتضحك حبيبة ثم تسأل بعفوية " اين رضا ؟ "







جاءها صوت رضا وهو يخرج من الغرفة قائلا

" رضا هنا... "

قالت حبيبة ورباب في نفس الوقت " مرحبا .."

ابتسم لهما رضا بينما يقترب اكثر ليرحب اكثر ويحثهما على الدخول واخذ راحتيهما في البيت ثم التفت ناحية اسيا ليقول بعينين مشاغبتين " سانزل لبضع دقائق يا اميرة "

استغربته اسيا قليلا لكنها تبسمت وقالت ببساطة " حسنا .."

سارعت حبيبة لاستلال ظرف الاوراق من حقيبتها فتسلمها لرضا وتقول

" هذه هي الاوراق يا رضا "

ابتسم لها رضا بغموض ثم اخذ الظرف شاكرا اياها بينما حبيبة تعبس بتساؤل !

تقدمت حبيبة ناحية جلوس الولدين لتجلس باريحية على الارض بجانبهما تسلم عليهما وتراقب عملهما بينما تتشمم رائحة لذيذية وتقول " رائحة طعام رائعة .. لكنها غريبة ! اشبه برائحة الطعام الصيني الذي جربته يوما"

لم تتنبه اسيا لكلام حبيبة بينما بدأت رباب تقلقها بنظراتها الجادة تلك والبعيدة عن طبيعتها المرحة !



لم تتأخر رباب بالقول " اسيا ارجوك فلنذهب لغرفتك لو سمحت "

قالت اسيا لحبيبة التي اندمجت بمتابعة الرسوم مع الولدين

" حسنا ..تنبهي للولدين من فضلك يا حبيبة"

غمغمت حبيبة بنعم بينما اسيا تأخذ رباب لغرفتها ...

بعد فترة في غرفة اسيا ..

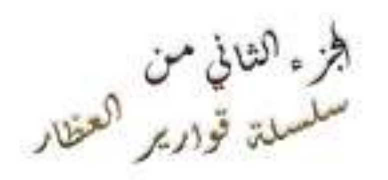
قالت اسيا بعد تفكير هادئ " حسنا حبيبتي .. كل ما قلته انا اؤيدك فيه الى حد ما "

عقدت رباب حاجبيها بتساؤل " الى حد ما ؟؟"

ثم اضافت بانفعال " اسيا .. كيف تقولين الى حد ما ؟!!! انها تمشي في الشارع وعيناها في دعوة مستمرة لكل شاب يمر بها ؟"

صمتت اسيا تطالع ملامح اختها لتضيف رباب المزيد " لاكلام لها الا عن الحب والفتيان الوسيمين ؟ انها لاتقرأ كتابا مفيدا ولاترى برنامجا واحدا محترما وليس لديها اي هواية الا الاعتناء بنفسها ؟ كل اهتماماتها الموضة والمسلسلات العاطفية التافهة ناهيك عن الافلام الرومانسية التي لامعنى فيها ، ولولا اني اشاهد معها كل شيء وامنعها من بعض الافلام فالله اعلم ماذا كانت ستشاهد من تفاهات وقلة ادب ..؟ "





قالت اسيا بتفهم " حسنا رباب .. ما دمت معها وتنصحينها دوما فهذا امر ممتاز "

ردت رباب باحباط " انا احاول جهدي اسيا ، وهي تثق بي وتخبرني بكل شيء وبطريقتها الطفولية المضحكة "

تبسمت اسيا قائلة " هذا امر ممتاز اخر .. الثقة مهمة فلا تفقديها بالغضب .. "

عندها قالت رباب بغيظ " لكني .. لااستطيع منعها عن كل شيء خاطئ تفعله ! بينما انت اسيا تستطيعين زجرها ومعاقبتها حتى .."

ثم اضافت بقلق " لااريد ان اشعر امي بشيء حتى لاتتضايق ... كما اني .. اخجل ان اصارحها بكل هذه الامور عن رقية .."

مسدت اسيا على شعر رباب قائلة بحنو " انا سأكلمها رباب .. لكني لن اعاقبها كما تريدين ..."

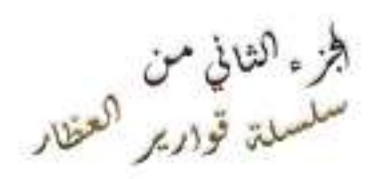
ردت رباب بلهجة دفاعية مفسرة " انا لااريد لكني ... خائفة عليها .. خائفة ان تندمج اكثر في عالم الفتيات التافه وترتكب الحماقات اكثر معهن .. "

قالت اسيا بهدوء

" سأتكلم معها بنفسي فلا تقلقي .. "







تجلس على ركبتيها تنظر بانبهار لرسومات عقيل فتقول باعجاب حقيقي " انت فنان يا عقيل ، حقا ستكون رساما مبهرا "

قلبه يكاد يطير محلقا لرؤياها هكذا .. يحب عفويتها .. طبيعيتها .. احساسها بالالفة مع الجمال الذي تميزه عيناها ..

انها جميلة من الداخل لتلتقط الجمال بهذه الطريقة الحساسة ...

ابتسم في شقاوة وهو يحدث نفسه " ستغضب منك حتما عندما تعرف بوجودك هنا ! "

بصوت مفعم بالمشاكسة قال " مساء الخير "

بحركة اجفال قوية انقلبت حبيبة من الجلوس على ركبتيها للجلوس على مؤخرتها !

بدت مضحكة جدا ومحببة جدا جدا ..

وقف سامي على قدميه ليربت على كتفها ويقترب بفمه هامسا قرب اذنها بصوت مسموع للجميع

" هذا هو العم يحيى ، صديق عمي رضا وقريبه ايضا "

ضحك يحيى عاليا لتفسير سامي بينما عقيل يقول وهو مندمج برسومه " انه قريب ابي ايضا! لماذا تقول قريب عمي رضا فقط "



تنبهت حبيبة لجلوسها السخيف على الارض فوقفت على قدميها بحركة منفعلة بعض الشيء ثم بنظرات نارية حارقة تقدمت ناحية المطبخ حيث يقف يحيى على بابه ...

ارتفع حاجباها شيئا فشيئا وهي تستشعر ذلك الاختلاف فيه حتى تعثرت انفاسها رغما عنها لتكتشف انه حليق الوجه ...

للحظة ارتبكت وتوردت وقد فاجأها تغيره ليبدو اصغر عمرا واكثر شبها بمحسن ...

عيناه تلاحقان باستمتاع متسل ملامح وجهها التي تتغير من حال الى حال ...

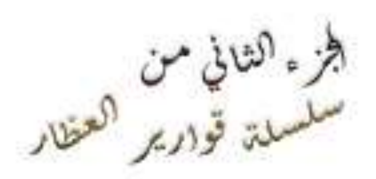
وكل حال يزيده هياما بها ...

قالت اخيرا وهي تتمسك بواجهة العبوس الحانق " ما دمت كنت تنوي الحضور الليلة فلماذا اعطيتني الاوراق لاوصلها لرضا بنفسي؟"

رد بمراوغة " كان قرارا مفاجئا وانا اتصل برضا فيما بعد فارضا عليه دعوتي للطعام الصيني الذي اجيد طهوه " ثم التمعت عيناه ليضيف بصوت مبحوح " الواقع انه الطعام الوحيد الذي اجيد طهوه فماذا عنك انت ؟"

احمرت بشدة وارتبكت مشاعرها واختلطت تماما وهي تحدق في زرقة عينيه التي برزت بشكل عجيب وسط وجهه الحليق ...





صوت باب الغرفة يفتح جعلها تتراجع عفويا للخلف بينما تلاحقها تلك الزرقة بلاهوادة !

تبعها صوت باب اخر اختلط مع صوتيّ اسيا ورباب ثم الولدين واخيرا رضا .....

وقفت اسيا مكانها وهي تلف ذراعها حول جسد رباب تحدق في تلك الشقراء التي يحملها رضا ...

قلبها يخفق بقوة رغما عنها تأثرا ...

لاتعلم لماذا ؟!!

ربما لانها تأسر القلب بنظراتها المتوجسة لترفع ابهامها لفمها فيمد رضا يده ويخرجه من بين شفتيها الحمراوين ويهمس لها ببضع

كلمات فتهز الصغيرة رأسها للامام والخلف فتأسر القلب اكثر واكثر ..

انها المرة الاولى التي تدخل هنا ، صحيح انها رأتها سابقا في الطابق السفلي لكنها دوما تلعب مع الولدين ولاتقترب منها ..

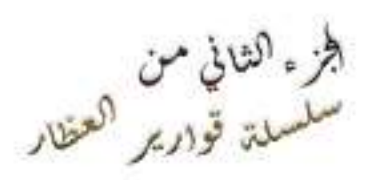
وكأن هناك تحالف سريّ مع ابيها الذي لايقترب منها هو الآخر ...

ابتسمت اسيا وهي تقول ببشاشة " مرحبا .."

شعت ملامح رضا بالحب لزوجته بينما يقول

" سعاد الصغيرة تشعر بالوحدة ، والدها يحضر مناسبة ما لاحد عماله .."







قالت اسيا وهي تلامس ذراع الفتاة الابيض

" مرحبا سعاد .."

ما زالت سعاد لاتبدي محاولة للابتسام بينما تحدق في اسيا بصمت ...

امتدت ملامسة اسيا لابهام الفتاة لتجده محمرا بعض الشيء فقالت برقة طبيعية " هذا الاصبع الجميل لايجب ان نؤلمه هكذا "

ثم مدت ذراعيها لتأخذها من رضا وهي تقول

" تعالي لاعطيك بعض السكاكر تليق بحلاوتك النادرة هذه .."

في البداية كانت سعاد ممانعة ثم لانت قليلا لابتسامة اسيا واخيرا رفعت يدها الصغيرة تتحسس وجه اسيا وكأنها طريقتها الخاصة بالتعارف عن قرب ....

تحركت رباب مستأذنة الخروج فقالت اسيا

" هل ستغادرين رباب ؟"

ردت رباب وهي تتجاوز رضا ناحية الباب

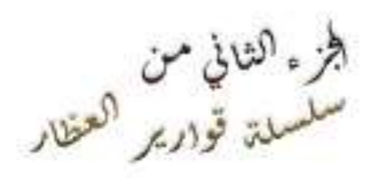
" اجل .. رقية تنتظرني لنشاهد فيلما سوية "

تمتمت اسيا بينما سعاد تستكشف حجابها هذه المرة " حسنا حبيبتي ولاتنسي ما قلناه.."

عندها جاء صوت حبيبة متخبطا " انتظري رباب انا قادمة معك "







لكن رضا وضع ذراعه امامها مانعا اياها وهو يقول " الى اين حبيبة ؟ لقد وعدتني بمشاركتنا العشاء " ثم اضاف بلهجة ممازحة " ام ان مديرك المزعج يحرجك بتعليقاته مرة اخرى ؟"

التفتت بحدة والتقت عيناها بعيني (مديرها) الهادئتين وابتسامته الواثقة لترفع رأسها بتحد وتقول " حسنا .. سأبقى لتناول العشاء .."

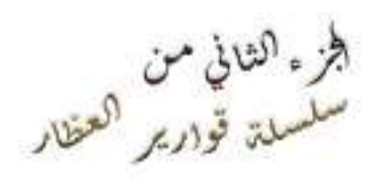
نظر لساعة يده بينما قرع الطبول واصوات الابواق يكاد يصم اذنيه ويعلو حتى على اصوات الهاتفين بالاهازيج الاحتفالية ..

مضت سنوات طويلة لم ير فيه فرقة شعبية كهذه ، قارعوا الطبول تحمسوا اكثر مع رقص الشباب حولهم وبعض الفتيات ايضا شاركن الحماسة ليتحول بين البعض من كلا الفريقين لتبادل التعارف والمواعيد الغرامية...!

ضحك حذيفة بخفة وهو يبتعد اكثر عن الحشد المحتفل وهو يشعل سيجارته ، اطلق الدخان من فمه ليعاود مراقبة الهرج والمرج من حوله بينما يقف هو على بعده هذا مستندا بظهره لحائط احدى المباني الفقيرة ككل شيء هنا ...







عيناه التقطتا خليل الذي نأى بنفسه بعيدا
عن المشاركة في الاحتفال الصخب وبدت
عيناه غاضبتان ومفكرتان بشكل عجيب
متناقض !

" حذيفة .."

صوت انثوي ناداه من زقاق جانبي على يمينه
لايبعد عن وقفته الا بخطوة ، زقاق ضيق
كباقي الازقة هنا حيث لايتسع حتى لعربة
يجرها حصان ...

التفت حذيفة ليرى النكدية تقف بتخف
نوعا ما لكن عينيها تبرقان فتعلنان عن
وجودها الغاضب دوما ...

الاخوان غاضبان !!

ويبدو انه علق وسطهما بطريقة ما ....

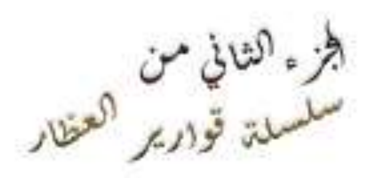
تمتم وهو يمج من سيجارته بلامبالاة

" مرحبا خلود .."

تجاهل النظر لها بينما اضحكه صوت زمجرتها
الخافتة وبدا واضحا انها لاتريد اظهار نفسها
امام احد ....

التفت اليها اخيرا ليقول برأس مائل وعينين
ناعستين " هل تختبئين في الظلمة ام اني
اتخيل الامر ؟؟"

زمّت شفتيها وبدت انها تعاني اشد المعاناة
لضبط طبعها العصبي لتغمض عينيها وتفاجئه
بالقول المناشد " الحقني من فضلك .."





ثم فتحت عينيها تنظر لوقفته التي لم تتغير

فتتوسله بتلك العينين قبل ان تعبر عنها

بالكلمات " الامر مهم .. يخص خليل "

اطال النظر اليها وهي تنتظر رده ثم القى

سيجارته ارضا ودعسها بحذائه وتحرك ...

سبقته لدخول الزقاق ولحقها هو بتراخ

مفكرا ان هذه الفتاة جريئة في غباء !

تحت اضاءة جانبية ملونة بتأثير الاحتفال

بدت خلود له صغيرة جدا ... هل هي حقا في

الثلاثين ؟!

ثوبها فضفاض لكنه جميل بخطوط

متشابكة عريضة .. لائق بها وكأنه يعبر

عنها كأحجية معقدة رغم بساطتها

المخادعة .. احجية هي نفسها غير قادرة على

حلها!

قال وهو يضع يده اليمنى في جيب بنطاله

الجينز الاسود متسائلا بسلاسة متراخية

" ماذا هناك ..؟ "

هل يبدو وجهها منهكا ؟!

جميل لكنه منهك بوضوح ..

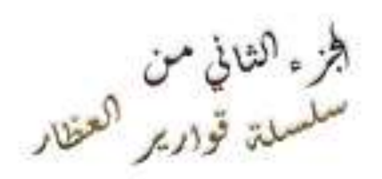
هل هو خوف يستشعره ينبض فيها خلف

دوامات العصبية التي تسيطر عليها .. ام انه

قلق وحشي يصرخ في اعماقها ويتردد صداه

بفزع عبر عينيها ....







قالت بصوت مبهم وهي تعيد بعض الخصل المتمردة خلف اذنيها " هل اخبرك خليل بما حصل قبل ساعات ؟ "

رد وقد اثارت اهتمامه باخيها " خليل بدا متعكر المزاج لكننا لم نتكلم وسط ذلك الهرج والمرج .. "

اقتربت منه فجأة وبدت انها غير شاعرة حقا باقترابها الذي تعدى الحدود المتعارف عليها بين اي رجل وامرأة غريبان عن بعض ...

لتفاجئه اكثر بتلك الدمعات الشاكيات تتسابق مع شكوى الكلمات على لسانها

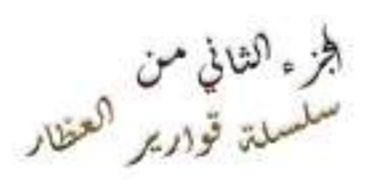
" ليس لدي غيرك التجأ اليه .. لااحد غيرك ..." ابتعلت ريقها بصعوبة ملحوظة لتضيف بارتعاب جليّ " عصر اليوم .. خليل اوشك على .. طعن فواز بسكين المطبخ .. ! انا كنت عاجزة تماما ... عاجزة ... "

كان يحاول استيعاب ما تقول هو يردد بعبوس " ماذا ؟! "

تعثر صوتها بالعبرات وهي تترجاه بيأس شديد " اتوسل اليك حذيفة .. ساعده .. خليل هو الضوء الوحيد المتبقي في حياتي المظلمة وان .. خسرته ... سأموت ..! "







ازداد عبوس حذيفة فقال بلهجة شبه آمرة

" اهدأي وكفي عن كلماتك البلاغية !
افهميني بكلام محدد ومباشر عما جرى "

كانت تبدو كمن يختنق ! صدرها يطلق
نشيجا وانفاسها تناضل بين تباطؤ الخوف
وتسارع الغضب ...

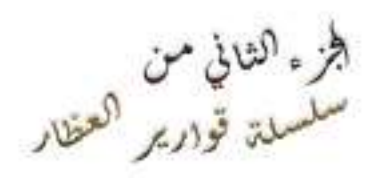
همست بمعاناة حقيقية " ذلك الحقير ..
كان.... يضربني ... ويشدني... من شعري
عندما دخل خليل... الشقة صدفة "

تراخى العبوس على وجه حذيفة لكن
ملامحه اكتسبت جدية واضحة بينما خلود
تتابع بغضب يغالب الخوف " جن جنونه ...واراد
قتله لولا اني... وقفت بينهما امنعه ...بجسدي
من فعلها .. "

قست ملامح حذيفة وهو يقول لها " كيف
تفعلين هذا ؟ ليس هكذا تحل الامور كيف
تدخلين في عراك من هذا النوع ؟ هل
تتصورين ما كان سيحدث لخليل لو انغرز
السكين خطأ فيك انت ؟ "

هتفت به فاقدة لاعصابها " وماذا كنت
تريدين ان افعل ؟؟اقف جانبا واراه يطعن ذلك
القميء ليخسر اخي كل حياته ومستقبله ؟!
لم يكن امامي الا ان اجازف بنفسي ..."

ظل يحدق فيها فيؤثر فيه هذا التلاحم بينهما
ليحمي كل منهما الاخر ولو بدمه !



ألم يفعل المثل لاجل مليكته الصغيرة ؟؟

بدأت تتمايل بفقدان توازن نوعا ما والهواء
يتحرك من حولها فتصله رائحتها التي تشابه
رائحة سعاد وكأن مليكته تناديه فيها ...

شتم في سره وهو ينفض رأسه ويعنّف نفسه
على افكاره الغريبة التي تربطه بهذه المرأة
واخيها رغما عنه ...

رددت خلود وقد سيطرت على تمايلها " ليس
امامي الا ان احمي اخي وبأي طريقة كانت
وبأي ثمن .. انا ... انا ... صرخت فيه متعمدة
واخبرته اني انا المعتدية على... فواز بعد ان
شتمته وضربته بمصفاة المطبخ "

سألها بحدس فضولي " وهل هذا ما حصل ؟"

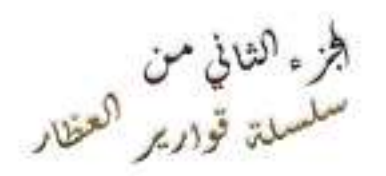
ردت باشمئزاز اكثر منه غضب

" فواز مجرد قذر عديم الرجولة والشرف "

عقله التقط اشارة ما بينما تتابع خلود
والانهاك تمكن منها اكثر واكثر " كل ما
اريده ان تنصح خليل بترك مزاجه الغاضب
الذي سيوديه للتهلكة يوما .. لم افلح في
دفعه لنغادر البيت معا لذلك لاخيار اخر
امامي الا ان احميه بطريقتي "

لاشعوريا امسكت ساعده برجاء يفيض حرارة
لامست اعماقه هامسة بضعف حي





" استحلفك بالله ساعدني لاحميه من نفسه ..
انت رجل ناضج وقادر على فهمه والتعامل معه
خاصة وهو يحترمك جدا ويحبك .. "

ضعفها انتقل اليه وكأنه يتسرب منها ليتغلغل
عبر مسامات جلده فيصل عمق رجولته
ويتحدى لامبالاته بما يدور حوله عادة ...
وتلك الرائحة ... يا الهي ... تثير فيه حوافز
وحوافز لاقبل له بتجاهلها ...

خلص ساعده من احكام قبضتها ليتمتم وهو
يحدق في عينيها المظلمتين

" حسنا خلود .. اذهبي انت الان "

انفاسها لامسته وهي تزفرها براحة وكأنها
ببساطة رمت احمالها الثقيلة عليه .. واثقة به
كما لم يثق به احد من قبل ....

راقب مشيتها المتراخية المنهكة وهي
تتركه ليضمها الظلام وتختفي تماما ...

صدى تمتمتها الانثوية بالشكر هو اخر ما
علق في ذهنه من صوتها الغارب ...

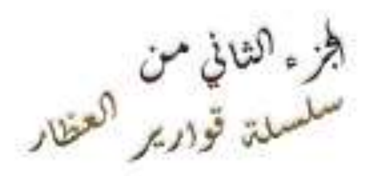
اخرج هاتفه من جيبه بحركة شاردة ثم
ضغط الزرار ليطلب البيت ...

صوت امه بدا مشوشا لذهنه المتخبط ليهمس
بصوت أجش " اين سعاد يا امي ؟"

فترد أمه بفرح مبهج " انها مع عمها رضا .."







لانت ملامحه بالحنان هامسا " هل خرج بها ؟"

فتتسع عيناه لمفاجأة امه وهي ترد عليه بنفس الفرح " بل اخذها لجناحه مع ولديّ محسن "

فتحت هاتفها النقال لتجد رسالة اخرى منه

(انا اسف .. كنت غبيا ثائرا هذا الصباح ... كالمعتاد ...! لكن رؤية والدي لها تأثير سيء علي دوما ، كم احتاجك في هذه اللحظة يا حبيبة .. متى ترحميني وترضين عني ؟...)

عند لوح الرسم الخاص بها وقد تجاوز الوقت منتصف الليل تخربش بشرود بينما تصلها

رسائله .. كلها من نفس النوع ! وتحمل نفس الفحوى وإن بكلمات مختلفة ...

رجّة اخرى مكتومة فتترك قلمها بهدوء عجيب لتقرأ هذه المرة اقصر رسالة ارسلها لها يوما (هل اكلمك ؟؟)

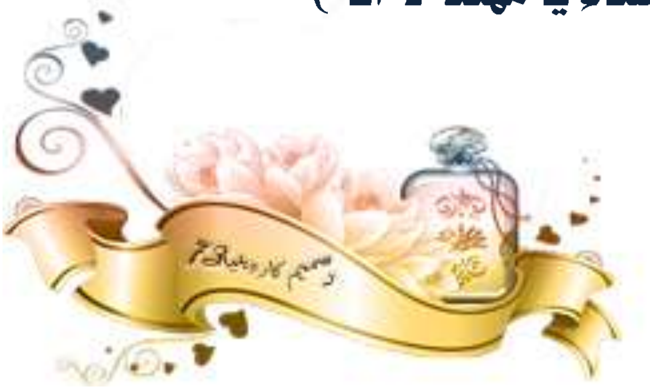
ابتسمت بشرود رغما عنها فردت عليه بحرفين لااكثر (لا)

رسالة منه (انت غاضبة ؟)

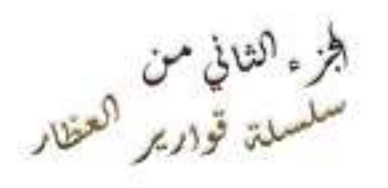
ثم اخرى (ام ربما مستاءة ؟؟)

هذه المرة اسهبت بالرد

(انت هو الغاضب المستاء يا مهند لا انا)







رسالة منه باسلوبه العاطفي (انا عاشق يتحطم برؤيتك كل يوم فيدعي البرود بينما هو يحترق ولايعلم ما معنى ما تفعلينه به وبنفسك !)

فكتبت له (هذه هي المشكلة .. انك لاتفهم ! وعندما تفعل سنجد طريقنا نحن الاثنين)

رسالة منه (اريد سماع صوتك....) ثم اتبعها سريعا باخرى (ارجوك)

فكتبت بنفس الشرود الاول

(تصبح على خير)

لتصلها اخر رسالة (قاسية !)

فابتسمت حبيبة ثم اضمحلت ابتسامتها والدوامة في داخلها تكبر وتكبر ......

سعاد تتلاعب بساقيه وهي تلتف حولهما كافعى بينما هو يحدق في حاسوبه ساهما بعيدا عن صور المكائن التي كان يستعرضها من احدى المواقع ..

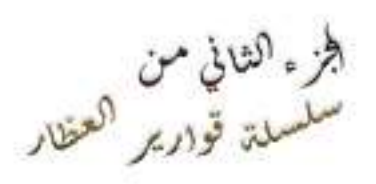
لاينفك يتساءل ... هل شعر بنفور غير عادي من خلود ناحية فواز ذاك ؟

انه نفور مختلف عن نفور خليل منه ..

لا .. انه لايتوهم .. راداره التقط شيئا ابعد مما يبدو في ظاهره ...







النكدية سيئة المزاج تخفي امرا ما .. امرا برائحة لاتعجبه ...

ترى ... ما معنى كلام النسوة في السوق ؟
خليل لم يخبره تفاصيل الطلاق قال فقط ان زوج اخته كان نذلا معها وطلقها بعد اثارة فضائح حولها ..

وحذيفة لم يشأ احراج خليل بالسؤال عن هذه التفاصيل كما لم يهتم حقا بمعرفة الاسباب في وقتها ..

صدحت سعاد باحدى اغانيها وهي ما زالت تلف جسدها حول ساقيه فتبسم لها بحنان متدفق ليشعر فورا بالاسترخاء مع شعور مخفف بالذنب لانه يتركها تتأخر بالنوم هكذا ... لكنه لم يرها اليوم جيدا ولم يشبع بعد من شقاوتها..

عيناه مالتا نحو شاشة الحاسوب على اثر ومضة ادرك انها تنبيه لرسالة الكترونية جديدة..

حرك انامله ليفتح الرسالة فخفق قلبه بقوة بين اضلعه ....

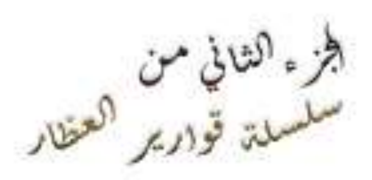
الرسالة كانت بسطر واحد ...

(حذيفة ... انا اشعر بالوحدة !)

همس حذيفة باختناق وهو جاحظ العينين على ذاك السطر اليتيم " عبد الرحمن ..."







فتهلل سعاد مع قلبه " أبد ..."

ثم تعود للعبتها مع ساقيه ...

لقد كتب عنوان بريده الالكتروني في ورقة صغيرة دسها في جيب عبد الرحمن عندما احتضنه مودعا ...

بغصة عاطفية اوشكت ان تُسيل دموعه حرك اصابعه بارتعاش ليرد عليه فابتدأ :

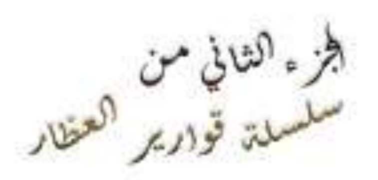
" مبكر عليك يا فتى ولم يمض الا اسبوع واحد ! كن رجلا .... "

تلكأت اصابعه والانفعال يتمكن منه ليعاود الكتابة وسعاد تدندن له

" وانت نعم الرجل الذي تمنيت ان اراه فيك ... يوما ... انت الافضل والاقوى ...."

يتقلب في السرير يجافيه النوم ، تارة يبتسم برقة متذكرا تورد وجنتيها العفوي تأثرا برؤيته لاول مرة حليق الوجه وتارة تتسع ابتسامته بمشاكسة متذكرا جلستها المضحكة على الارض مع الولدين وتارة ... تنحسر الابتسامة فتفيض رغبته بضمها لصدره كلما تذكر عينيها الجميلتين تنطقان بالمشاعر بينما ترسم صورة والدها بناء على طلب من عقيل الذي رسم في المقابل صورة لوالده ...





بدت طفلة متألمة وهي ترسم ملامح ذلك الرجل الذي لم يلتقه يوما ..

وكم تمنى يحيى لو التقاه !

فضول غير اعتيادي ليرى ذلك الرجل الذي انجب حبيبة ورباها لتكون مميزة بعقدها قبل مواطن قوتها ...

فضول للاسف لن يرتوي يوما وقد فارق الحاج يونس الحياة ...

ما علمه من رضا عن الحاج يونس وكل تلك الملابسات التي حصلت بسبب رغبة ذلك الرجل بانجاب الولد تثير اهتمامه اكثر ناحية حبيبة ...

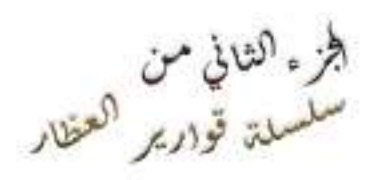
حبيبة التي رباها والدها لتكون الصبي الذي لم ينجبه فطمس جانبا مهما من معالم انوثتها الا وهو استشعار وجودها الطبيعي ..

لقد خدر الاب (دون قصد) احساس الانثى فيها بفكرة انها (الصبي) فظلت تلك الانوثة في سبات اختياري – اجباري عميق !

تأفف يحيى وهو يرمي الغطاء بعيدا عن جسده نصف العاري ليغادره سائرا حافي القدمين ببنطاله القطني المريح متوجها للمطبخ الانيق المفتوح بشكل جزئي على غرفة جلوس اكثر اناقة ..







اعد قهوته والافكار تدور وتدور ... من اكثر الامور اهمية تعلمها من الغرب هو تنظيم افكاره بشكل عملي حتى لايضيع الوقت بالدوران حولها ..

ارتشف من فنجانه وهو يدرس على مهل حبيبة هذه الليلة ...

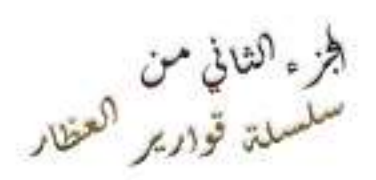
حسنا انها غير محصنة ضده تماما وهذا جيد لكنها لاتلقي بالا للامر وهذا .. غير جيد !

حسنا حسنا ... ليعيد التفكير من جديد ... صباح اليوم عندما اعطاها الاوراق بدت كمن يبذل جهدا للتصرف بشكل عملي لكن استشعارات الانوثة لديها كانت تلتقط رغما عنها احساسه كرجل بها .... احساسه هذا بدأ يفوق قدرته على الانضباط ...

تنهد مبتسما وهو يحدث نفسه " مشاعرك اصبحت تفلت منك اكثر مما تريد السماح به! فكيف لاتشعر هي بك ؟!"

رشفة اخرى وتذكرها في بيت رضا ، كانت حانقة في البدأ وقد ادركت لعبته معها لاحضارها لبيت رضا ، لكنها لم تخيب ظنه وتحدته بالبقاء حالما منحها رضا فرصة التراجع ...







في البداية تجاهلت وجوده بالضبط كما
توقع ثم شيئا فشيئا استسلمت للانسياق
باحاديث مؤنسة اشترك فيها الجميع دون
استثناء حتى الصغير سامي كان يبدي رأيا!

ووسط كل هذا حصل شيء ما ....

شيء لايريد اعطاءه اهمية اكبر من حجمها
وبنفس الوقت لايريد ان يكون غبيا
فيتجاهله ...

لقد كان يتحدث مع رضا حول موضوع ميراث
والده عندما التفت فجأة ليراها تحدق فيه !

كانت منغمسة تماما في النظر اليه تحديدا
دون رضا .. نظراتها بدت غير مفهومة .. لكنها
نظرات لم توجهها له سابقا ...

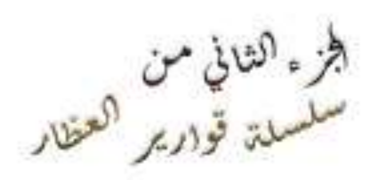
ابتسم لها فارتفع حاجباها وكأنها تفاجأت
بنفسها باستغراقها في التحديق فيه ثم توردت
كما توردت عندما رأته في اول السهرة ...

تمتم يحيى وعيناه تنظران لعمق فنجان القهوة
البني " نظرتان وتوردان ......"

ابتسامة جانبية خطيرة ثم همس

" تكفيان لتقنعاني انها رأتني ..! "







صباح الجمعة ..

كان سالم يتعطر لتأتيه رفيدة من الخلف قائلة " سالم .. سنذهب بعد صلاة الجمعة اليس كذلك ؟ هذه المرة سنتغدى هناك.."

التفت اليها بعبوس خفيف مستفهم

" لم افهم ! "

ارتفع حاجبا رفيدة قليلا لتقول " ماذا تعني ؟ نذهب لبيت عائلتي ونشاركهم الغداء ، لقد اخبرتك ان امي تحب هذا .... "

التقط سالم مسبحته من علبتها الخاصة ففاح عطر المسك منها وهو يقول بهدوء

" لكننا ذهبنا الاسبوع الماضي "

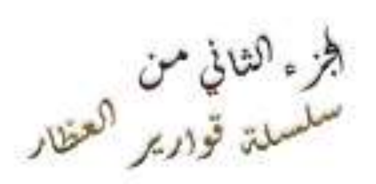
هذه المرة عبست رفيدة لتقول " ذهبنا لنسلم على عبد الرحمن ولم ترضَ انت ان نطيل البقاء ونشاركهم الغداء "

نظراته كانت قوية وحازمة ليواجه بها تمردها العابس قائلا " ليس من طبعي التثقيل على احد بكثرة الزيارات "

شعرت بالتراجع من نظراته تلك وقد تعودت عليه وتعرفه متى يكون ليّناً ومتى يكون غير قابل للنقاش ..







تمتمت رفيدة ببعض الاحباط

" لماذا تقول هذا ؟ الكل يحبونك "

فرد ببعض القول اللين " اعلم هذا وانا ابادلهم الاحترام ومشاعر الود لكن هذا طبعي رفيدة .. لااحب ان اكون بـ(قدم خفيفة) على بيت احد "

رددت رفيدة كلمتين بتساؤل

" قدم خفيفة ؟!! "

فوضح بتبسم " اي ان ازورهم بكثرة "

حاولت مرة اخرى " سالم لكن ..."

لكنها صمتت بنفس الاحباط ونفس النظرات تواجهها !

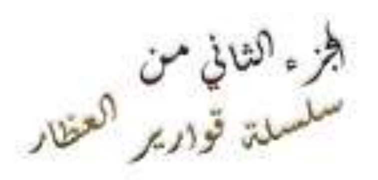
رق قلب سالم لها وقد احب منها ان تفهمه وتراعيه وهذا يشعره بالراحة لحسن اختياره لها كزوجة ..

كما توقعها .. هي قليلة المطالب رغم عنادها المتأصل فيها لكنها مع التعامل باللين الحازم تتراجع ....

قال بلطف ليسعدها

" سنزورهم اليوم ونتغدى معهم ..."







اشرق وجهها فاسعده اشراقها لكنه لم يتوانَ عن تثبيت موقفه مضيفا " لكن تعلمي على طبعي يا رفيدة وافهمي ان حفظ المسافات حتى مع الاهل والاقارب تزيد من احترام الناس لك وتوقيرهم لشخصك .."

هزّت راسها بابتسامة مرتاحة فلامس خدها قائلا " سعيد ان مزاجك تحسن عن الايام السابقة "

تراجعت ابتسامتها قليلا بينما تحيد بنظراتها بعيدا عنه ...

قال لها وهو يلامس مسبحته " ألم يحِن الوقت لتخبريني عما ازعجك في ذلك العرس ؟"

رآها تعض شفتها السفلى دون ان تقول شيئا ، تحركت وكانها ستبتعد لكنه امسك ذراعها وواجهها بالسؤال المباشر " هل هناك من اسمعك كلاما ازعجك ؟"

ما زالت لاتنظر اليه وبدت مرتبكة و..قلقة ... لتهمس بعدها بتلعثم

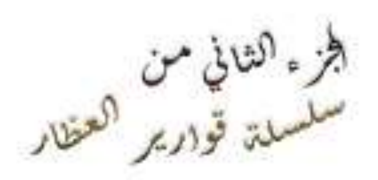
" هل تظن .. اني .. استطيع .."

صمتت مرة اخرى وقد خنقتها غصة !

فقال سالم ليعينها " تستطيعين ماذا ؟ افصحي عما يجول في خاطرك .."

رفعت اليه عينيها الصغيرتين لتهمس كلمة بحروف متعثرة " الا...نجـ....اب"







حدق فيها للحظات قبل ان يقول بهدوء

" هل هذا ما قالوه لك ؟ انك لاتستطيعين ؟"

قالت بنبرة اشد قلقا

" انا تقريبا في الاربعين وانت ..."

صمتت وقد كان مقصدها واضحا ...

اطرق سالم برأسه ثم قال بصوته المريح الثابت " ساقولها لك مرة واحدة وسنتفق ان نتقبله معا "

تساءلت بحيرة " ما هو ؟"

رد بنفس بنبرة واثقة " قضاء اللّه "

تمتمت وهي تنظر لوجهه " ونعم باللّه "

رفع راسه لينظر اليها مباشرة ويقول

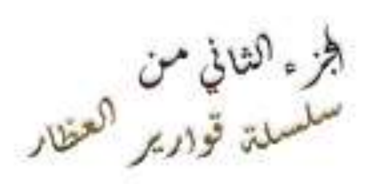
" ان شاء ان يمنحنا طفلا فنعمة وفضل من عنده .. وان شاء الحرمان فاللهم لك الحمد والشكر على كل حال... آمني بقضاء اللّه يا رفيدة كيفما كان .. فالسعادة كما يرتضيها جل في علاه تكون في الحمد على العطاء والحرمان"

عندها التمعت عينا رفيدة لتهمس بتلهف وتأثر " والفتاة ....؟"

تبسم سالم وقد ادرك انها لم تنسَ تلك الفتاة .. سأل بلطف

" انت مرتاحة معي .. تعودتِ علي ؟"

ردت بتورد " نعم ... جدا .."





ضحك سنه وهو يقول " الحمد للّه ، هذا من فضل ربي عليّ .."

احمرت وهي تطرق برأسها فضحك سالم مرة اخرى ليلامس شعرها القصير الناعم ثم قال

" ننتظر شهرا اخر ونبدأ بمعاملة الكفالة ان شاء اللّه .."

تحرك سالم وهو يبدا بتسبيحه عندما لاحقته رفيدة لتستأذنه ببعض التردد

" سالم ... هل .. يمكنني الذهاب .. لطبيبة نسائية ؟"

التفت اليها برأسه عند باب الشقة ليقول

"لامانع لدي ... بل وسآخذك بنفسي..."

كان رضا متعجلا وقد تأخر عن صلاة الجمعة فقال لآسيا وهو يفتح الباب الذي يودي للخارج

" قد اتاخر اليوم مع اهلي على الغداء فسالم ورفيدة سيحضران ايضا ..."

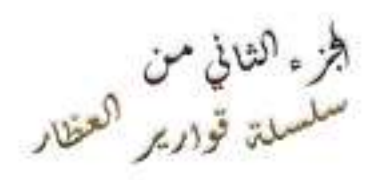
تحركت اسيا خطوة وهي تغالب احساسها بالغثيان النهاري بينما تناديه " رضا ..."

التفت اليها باسما مشفقا على شحوبها ليقول لها بحنو " نعم يا اميرة البنات ..."

قالت بعينين متعبتين وهي تعيد شعرها الطويل للخلف

" ساشارككم الغداء هذه الجمعة "







الفصل الثامن

تطلع مهند باحباط لاخته الصغرى العابسة والتي تتجاهل كلامه منذ دخوله عليها غرفتها ملتزمة جلوسها المتشنج بالرفض على سريرها وتتطلع امامها لنقطة وهمية وبحاجبين معقودين وفم مزموم ....

عينا مهند تراخيتا نحو العلبة البيضاء الملقاة بجانبها .. هي من رمتها باهمال على السرير في دلالة لرفض هديته دون اي كلمة ...

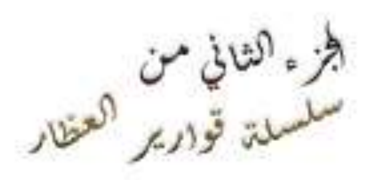
لقد اشترى لها احدث الهواتف النقالة وتحديدا النوع الذي طلبته منه سابقا عندما سألها ماذا تريد كهدية لعيد ميلادها ...

ولكنها غاضبة الآن ولم تعد تريدها منه !
انها حتى قاومته عندما حاول احتضانها وتقبيلها مباركا لها ....

تنهد وهو يمد يده ليلتقط العلبة ويتلاعب بها وهو يقول " مروة لاتقسي علي انت الاخرى ! الا يغفر لي اني تذكرت مطلبك ؟ "

ايضا لم تبدي تأثرا ....







شعر بالضيق ... فترك العلبة من يده ليقف على قدميه ويقول " حسنا .. انا آسف مرة اخرى لاني نسيت عيد ميلادك ، اتمنى ان تغفريها لي حبيبتي "

ثم مد كفّه ليلامس شعرها فابعدت رأسها عن مرماه ..

عقد مهند حاجبيه فبدا اكثر شبها لاخته بعقدة حاجبيها !

ثم استدار تاركا اياها على نفس الوضع وقد أبت هي التنازل .....

هبط درجات السلم ليجد امه في انتظاره عند نهايته ..

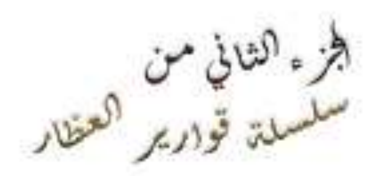
امه قصيرة القامة ممتلئة الجسد لكنها ما زالت تحتفظ بجمال قديم ..

وقوفها المتلهف عند نهاية الدرج ليس لتطمئن ان مروة سامحته وانما فقط حتى تتأكد من وجوده حقيقة وتفرح بمرآه ...

مدت ذراعيها نحوه قائلة بصوت تخنقه العبرة " يا قلب امك وفرحتها الاكبر تعال واجلس معي ..."

اخذته للمرة الرابعة منذ حضوره في احضانها ثم تجهش في البكاء وهو مستسلم لعاطفتها الفياضة نحوه ...





فيما مضى وعندما كان طفلا أحب شعوره بأنه المميز في عيني امه .. الذي لاينازعه احد على مكانته المتفردة في قلبها ...وتفضيلها الدائم لكل رغباته على رغبات الجميع ...

ثم في بداية مراهقته اصبح متمردا ويبالغ بالمطالب وهي تبالغ بالارضاء !

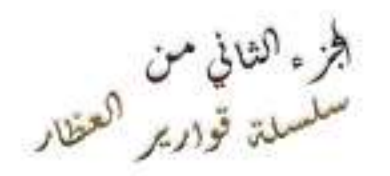
حتى اصبح يغضب دون سبب فقط في استعراض لقوته امام اختيه اللتين تكبرانه ببضع سنوات ...

وعندما اصبحت امه حاملا بمروة شعر بالقلق على مكانته هذه خوفا من ان الطفل القادم سيكون ولدا وقد ادرك باكرا ان صفة الذكر التي يحملها هي من جعلته مميزا هكذا عن اختيه ...

ليشعر بقمة الارتياح عندما انجبت امه بنتا وارتياحه هذا انعكس ايجابيا في تعامله مع مروة فاصبح يعتبرها تبعا له .. يدللها وكأنها دميته الخاصة ...

لكن هذا الدلال تضاءل بعد بضع سنوات خاصة عند دخوله الجامعة ليصبح اكثر انغماسا في نفسه وفي علاقاته بالفتيات تحديدا حتى وجد لينا واحبها بصدق ...







عبس مهند بينما امه تجلسه على الاريكة في غرفة المعيشة .. هذه هي المرة الاولى التي يدخل في تحليل لنفسه بهذه العفوية وهذا الصدق !

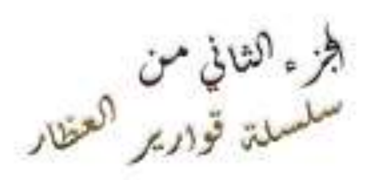
لقد اصبح ذهنه صافيا متيقظا بعيدا تماما عن ثرثرة امه بجانبه ليسترجع كلمات ابيه طوال هذه السنوات .. ليس الكلمات فحسب بل حتى النظرات غير الراضية والتي كانت تميل احيانا لاظهار خيبات الامل المتتالية ....

هزة لذراعه من امه نبهته لشروده بينما يستعيد واقعه تماما وامه تنظر اليه بعينين مبللتين بالدموع وغارقتين بطلب الاستعطاف لتقول له بلهفتها التي غمرته " اخبرني صغيري عن احوالك وامورك ، كيف عملك ؟ وهل ترقيت فيه ؟ هل راتبك جيد ؟ وابوك ... هل ما زال يبعث لك بالراتب الشهري الذي يخصك ؟ "

تبسم مهند في وجهها وقال وهو يربت ببعض الشرود على كفها فسارعت لتقول الام بقلق قبل ان ينطق ولدها " لاتقل ان والدك لايبعث لك بالمال ؟ لقد اقسمت ان اترك البيت اذا فعلها ! "

اتسعت ابتسامة مهند ليقول مطمئنا " لاتخشي شيئا امي .. ابي لم يقطعه عني ابدا ، وانا مرتاح وراتبي جيد وعملي لابأس به .."





فالتمع الرجاء والتوسل في عيني امه وهي تقول بتردد " لم يبقَ .. الا .. ان تتزو....ج"

ما ان ذكرت امه الزواج حتى التاع القلب بين اضلعه مشتاقا لزرقاء العينين التي تكويه بنار الصبر الذي لايجيده ...

تنهد رغما عنه ففسرت الام تنهيدته انه ضاق ذرعا بالحاحها فسارعت لتسترضيه " اسفة بني .. لا تغضب .. لن اسألك مرة اخرى ولن ازعجك ابدا بالحاحي السخيف .."

أمال مهند رأسه ليقبل وجنتها بابتسامة جذابة وهو يقول بصوت مبحوح " هل ستكفين حقا ان صارحتك بأن هناك زرقاء العينين سلبتني قلبي ...؟"

شهقت الام انفعالا لتتراكض الكلمات على لسانها " زرقاء العينين ؟؟ سلبتك قلبك ؟؟ يا فرحة قلب امك .. يا قرة عيني انت ... اخبرني عنها ؟ ومتى ستخطبها حتى استعد واخواتك ايضا يجب ان يستعدين ..."

ضحك مهند ببشاشة ثم قال " على رسلك امي .. ليس الآن .. فانا ما زلت انتظر موافقتها "

تلاشت امارات الفرح لتعبس الام وتقول بتحيز كامل " ولم لاتوافق ؟!! هل ستجد شابا مثلك كامل الاوصاف ؟؟ "







لااحد على وجه الارض يرضي غروره كأمه الرائعة هذه ... قد تبالغ احيانا وتخنقه لكن في اوقات كهذه وهو محبط بسبب حبيبة يحتاج لدعم امه بل والاسراف في التدليل والتمجيد ...

رد بشقاوة " هل ستبدأين مهامك كحماة ؟ "

لكن امه لم تبالي وهي ترد ببعض الانفعال

" بل اقول واقعا ! فشاب رائع وسيم مثلك وعائلته من اف....."

صمتت امه فجأة وتلاشى الانفعال وشحبت قليلا بينما عيناها تتسعان لتسأله بوجل

" هي مسلمة اليس كذلك ؟ لاموانع من هذا القبيل ؟"

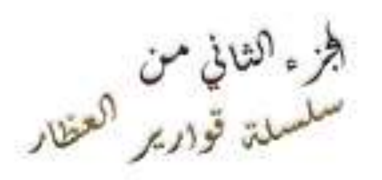
اشفق عليها .. حقا اشفق على فرحتها به وقد تنغصت بمخاوف تكرار ما حصل قبل سنوات ..

طمأنها بالقول " لاتقلقي حبيبتي .. انها فتاة مسلمة ومن عائلة طيبة محترمة ، انها تعمل معي بنفس الشركة .."

تنهدت الام براحة لتسأله بابتسامة فخورة

" مؤكد انها جميلة جدا فأنت لايرضيك اي شيء "







ضحك مهند ثم التمعت عيناه قائلا بصوت أجش " انها اجمل الفتيات واكثرهن تميزا أماه..."

تساءلت الام بحيرة " لكن لماذا لم ترض بك ان كنت طلبتها للزواج ؟"

اسبل مهند اهدابه وقال بغموض " تريد ان تختبرني .. ان كنت جادا فعلا في الزواج "

فقالت الام ببعض الحرج " يبدو انها سمعت بشقاوتك مع الفتيات ..اليس كذلك ؟ "

هز مهند كتفيه ولم يعقب بشيء ثم وقف على قدميه قائلا " ستكون الامور بخير لاتقلقي امي .. وقريبا جدا سأطلب منك الاستعداد لنذهب لبيت عائلتها ونخطبها "

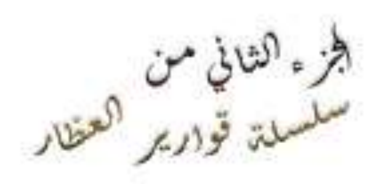
وقفت الام على قدميها هي الاخرى وتساءلت بقلق " لماذا وقفت فجأة ؟! "

رد مهند وهو يتحرك مبتعدا " انا راحل امي ، لدي موعد مع بعض الاصدقاء "

التاعت الام وهي تقول بجزع " لكن لم تمض الا ساعة واحدة على حضورك ! انا لم اشبع منك صغيري ، لقد اعددت لك الطعام الذي تحبه وهو على النار الان سينضج قبل عودة ابيك من المسجد "







اطرق مهند قائلا " اسف امي .. انا اتيت في هذا الوقت تحديدا حتى لاالتقي ابي ويحصل شجار كالعادة ، اردت ان اراك دون توتر لقائي بأبي"

سالت دموع الام وهي تمسك بذراعه وتتوسله " ابقَ بني وتناول معنا الغداء ، كنت على وشك الاتصال باختيك ايضا لتحضرا مع عائلتيهما .. والدك لن يزعجك .. انه يحبك حبا جما لايقل ذرة عن حبي لك .. انه فقط رجل واسلوب تعبيره مختلف عني .. يريدك ان تكون الافضل وهذه سمة الرجال في تربية اولادهم .. يقسون عليهم ليتعلموا "

تلبست ملامح مهند بعض القسوة والجفاء ليقول " الافضل ان لاالتقيه اليوم .. مزاجي ليس جيدا تماما وسنتجادل بشكل مؤكد "

الحت الام واصر الابن ....

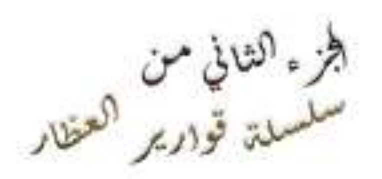
لتكون كلمة الابن هي الاعلى ويغادر مهند تاركا امه تبكي في اثره وقلبه يتألم لاجلها

لم يستطع التراجع عن قرار المغادرة قبل عودة ابيه ...

لم يستطع ..

مواجهته !







دوما ترأس رضا مائدة الطعام منذ وفاة الحاج عقيل ثم تجلس امه الى يمينه ومحسن الى يساره ..

لم يكن هناك اتفاق معلن او ترتيب متفق عليه انما هي هكذا جرت العادة ...

عندما دخل رضا ممسكا بكف زوجته ذهل محسن لكنه سارع لاخفاء ذهوله بذكاء..!

وها هو يتطلع بالخفاء لاخيه الذي تصدر المائدة العامرة بما لذ وطاب من طعام امه .. ابتسامة رضا الحانية بطبيعتها لم تخدعه كما لم تستطع زوجة اخيه اسيا اخفاء ارتعاش ابتسامتها ..

لقد سارع محسن لترك مقعده لآسيا فيجلس هو في المقعد المجاور وتتحرك رحاب للمقعد الذي بعده في تفاهم صامت معه فيتوسط هو كلا من اسيا ورحاب ...

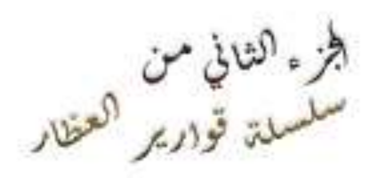
رضا كان يضاحك سامي الذي اجلسه في حجره كعادته بينما عقيل تحرك ليجلس بجانب رحاب ...

وظل مقعدا حذيفة وابنته شاغرين ومقعدان اخران لسالم ورفيدة اللذين لم يصلا بعد ....

انطلق سامي بالسؤال

" اين عمي حذيفة وسعاد ؟"







فترمق الحاجة سعاد آسيا بنظرة يلوح فيها قليل من الترفع وكثير من الامتعاض ثم تقول " سياتي حالا .. انه يحمم ابنته وسيلحق بنا خلال لحظات .. كالعادة .."

تركيزها على الكلمة الاخيرة كان موجها بشكل كامل لآسيا .... وكأنها تقول لها تحديدا

(ان وجودك لن يهم ولدي) !

رضا الذي اسبل اهدابه وانحسرت ابتسامته قليلا لم ينبس بكلمة بينما آسيا تلتزم الصمت وتكتفي بابتسامة غير محددة ...

الحاجة سعاد لم تكتفي بل تمادت لتقول لرضا وهي ترفع حاجبيها وتمط شفتيها

" اخوك يجب ان يتزوج يا رضا ، انه زينة الرجال ولايصح بقاؤه دون زوجة أكثر من هذا، سأخطب له اجمل فتاة في الحي واكثرهن قدرا وقيمة كما تليق به ... وسأ...."

قاطعها رضا بحزم هادئ " ليس هذا الوقت المناسب امي ، سنتكلم فيه فيما بعد .."

هتف سامي فجأة " انا جاااااااائع "

ضحك رضا وقال له " الطعام امامك اننا ننتظر عمك وعمتك ..."







ثم التفت رضا لآسيا مبتسما لترد له بابتسامة لم ترضيه ! بدا واضحا انها تعاني ...

شحوب اكثر من المعتاد ... نظراتها الهادئة ما هي الا ستار تخفي توترها وقلقها الشديدين ..

ابتسامتها لاتمت لاي معنى جميل قد تعطيه الابتسامة ..

يكاد يتمزق برغبته لحملها فورا واعادتها لجناحهما حيث تشعر بالامان وتبتعد عن هذه المواجهة لكنه تعلم منذ سنوات ان يفهم واجباته ويبديها على اي رغبات ...

وواجبه الان ليس تجاه عائلته فقط لرأب هذا الصدع الخطير وانما نحوها ايضا ...

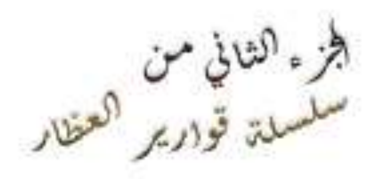
انها مسؤوليته ليساعدها حتى تتجاوز ما حصل في الماضي لاخر قطرة في روحها العذبة ..

ثم مسؤوليته نحو حذيفة ليأخذ بيده ويخرجه من دائرة الانعزال التي فرضها على نفسه وكأنه شخص موبوء ...!

ووسط كل هذا يطمس بارادة حديدية اي احساس رجولي غيور يحثه على الوقوف كسد منيع بين اي لقاء محتمل بين زوجته واخيه ...!

رحاب تراقب آسيا باعجاب شديد لصبرها وهدوئها ... بينما تستوعب اكثر كلام محسن السابق عن خطورة ما حصل ماضيا ولم يفصح لها عنه ...







حقيقة بدأت تشعر انها تافهة بتذمرها وحنقها من زوجها لاخفائه بعض الاسرار عنها ..

يكفي ان ترى حال اسيا وامتقاعها مع ذلك تبتسم بحبور للجميع ! ويكفي ان ترى رضا وهو يخفي توتره باتقان يجيده لكنه يُنتقص احيانا بلفته او نظرة عين تفضحانه ..

يكفي ان ترى زوجها متأهبا تماما كم لم تره يوما بهذا التأهب ...

يكفي كل هذا لتدرك انها في رفاهية !

" السلام عليكم ..."

كان هذا سالم برفقة رفيدة وهما يدخلان فتقف الحاجة سعاد مرحبة بتهليل لحضورهما ثم يقف الجميع ليسلموا عليهما ويرحبوا بهما فيضحك رضا مشيرا لمائدة الطعام ممازحا

" اجلسا سريعا فلم نعد نصبر اكثر ونحن نحدق بسفرة الحاجة سعاد التي لاتقاوم "

ضحك الجميع وبينما يعاودون الجلوس جاء صوت رجولي ثابت " السلام عليكم جميعا "

لم تحتج اسيا حتى لتنظر وصوت حذيفة يخترق مسامعها وخياله الضخم يقترب نحوهم...



احساس رهيب بالاختناق تلبدت به رئتيها ..

شعور لايوصف بالغثيان ...

صوت حماتها وهي تدعو ابنها ليجلس جوارها
كان يختلط بدوامات من الافكار السوداء
التي اكتسحت عقلها ...

ثم..... همسة مبحوحة قرب اذنها " ارفعي
رأسك اميرتي انت .. ارفعي رأسك واخرجي
نفسك من دوامة الماضي وتذكري انك
بأمان .. وان الماضي ولى ولن يعود ابدا ..."

رفعت راسها تنظر لفارسها الاوحد بعينين
لامعتين تبتسم له بقلبها قبل شفتيها فتلتمع
عيناه هو الآخر محدقا بتلك الشفتين
المرتعشتين ينتظر منهما تأكيدا فقط ولم
تخيب ظنه .. ابدا لاتقوى على تخييب ظنه ...

همست له " لاحرمني اللّه منك ..."

يستطيع ببساطة ان يلتقط كل تلك
المؤازرات الخفية حوله لاجل اسيا ...

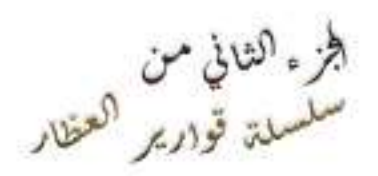
رضا ... محسن وحتى رحاب.....

تبسم في سره بسخرية سوداء محدثا نفسه

" فقط نستثني امي التي لاتعلم حتى الان اي
ابن ضال انجبت ؟ "







التقط ملعقته متجاهلا النظر ناحية رضا حيث تجلس زوجته على يساره ويبدأ بتناول الطعام في صمت مطبق .. صمت تام وسط ضوضاء الحوارات العائلية الجارية حوله ... ضوضاء لاتمس صمته ابدا مهما طرقت ابوابه ...

مالت ابنته التي تجلس في حجره لتضع راسها على كتفه ... آآه .. كيف نسي هذا .. سعاد الصغيرة بلمسة منها تخترق صمته وتمزقه إربا إربا !

" بابا ... انا انام .. بابا ينام .."

ضحك حذيفة دون ارادته لهمسات صغيرته المدللة فاستجلب اهتمام الجالسين ليرفع عينيه قليلا وهو يفسر بمرح عفوي " صغيرتي تريد النوم بعد الحمام الساخن وتتدلل على ابيها بأن تفرض عليه النوم ايضا ..."

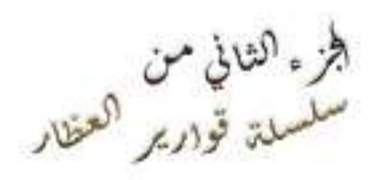
ضحك الجميع وشحنات التوتر السرية يتلاشى بعضها اليسير في الهواء ...

حرك رضا كرسيه للخلف قليلا واخذ يربت على حجره وينادي سعاد الصغيرة " تعالي يا جميلة الجميلات ونامي في حضن عمك "

غصة .. غصة مريرة باحساس مشبع بالضآلة ..

هذا ما يعتصر روح حذيفة ويحطم فيه الكثير !

باستسلام ترك صغيرته تغادر حجره ملبية نداء عمها رضا الذي لايقاوم نداءه احد ...



رضا ... رجل ساحر ... رجل خطير بسحر قديم اصبح شحيحا في سوق الرجال ...

راقب حذيفة كيف التجأت صغيرته لحضن اخيه الاكبر فيقبل شعرها الندي ويهمس لها ببضعة كلمات فتهز سعاد رأسها موافقة وتفتح فمها لذلك الساحر الذي اخذ يرفع اليها لقيمات من صحنه فتلتهمها بطاعة راضية !

يد انثوية صافحت المشهد فصدمت عينيه برؤية مباشرة لآسيا التي مدت يدها فتمسح جانب فم سعاد بمنديل وتحدثها برقة مذيبة للقلب

" الجميلة الفواحة برائحة الصابون يجب ان تظل فواحة بها ..."

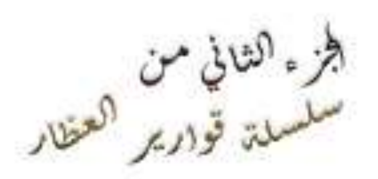
قبل ان يتمادى النظر ويخنقه المزيد من احساس الضآلة اطرق بهدوء عائدا لصمته ...

لقد اعتاد التعامل مع هذه المشاعر .. كما اعتاد اقصاءها عند الضرورة ...

فكبرياؤه اثبت انه اقوى من اي شعور آخر .. حتى شعوره بالضآلة وخسة الطباع لاتضاهيانه ابدا ....!

ووسط الصمت الاجباري الذي يفرضه على نفسه .. ألح عليه ذهنه بفكرة مزعجة ...





هل قالت آسيا رائحة الصابون ؟!

اجل انها رائحة الصابون ...

عليه الذهاب بعد الغداء ليحل بعض المواضيع العالقة بـ(رائحة الصابون) ....

عند العصر ....

تُطرَق الباب فتنظر اليها خلود بكآبة !

حياتها كلها اصبحت كئيبة ...

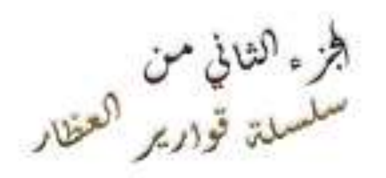
كئيبة ... في غبائها لكل ما مضى وحصل ... في خساراتها التي لاتعد ولا تحصى تبعا لغبائها ذاك .. في عجزها عن تغيير حاضرها ... في يئسها من المستقبل ... في غضبها من ضعف امها المقزز ... في ارتعابها على اخيها من طباعه المتهورة وارتعابها الاشد مما يمكن ان يحصل لها هي لو قرر زوج امها النذل تحويل نظراته الفاجرة ولمساتها القذرة لما هو ابعد واخطر بكثير .....

كل هذا يبعث على كآبة سوداء لايمحوها الا الموت !

" افتحي الباب بدلا من جلوسك كالصنم هكذا ! "

نظرت بقرف لفواز بينما يقف عند باب المطبخ وفمه ممتلئ بالطعام ...







اصبح لايخفي نظرات الاشتهاء لها ولايردعه شيء عن اسماعها فاجر الكلمات .. المبطن المعاني ....

ضحك فواز عاليا من نظراتها المشمئزة ثم عاد ودخل المطبخ مرة اخرى صارخا في زوجته مطالبا بمزيد من الطعام ....

طرقة اخرى بينما تتحرك خلود لتلبس خفيها المطاطين متوجهة ناحية الباب ..

حالما فتحت الباب انفعل قلبها لرؤيته ...

نظراته الجامدة الساخرة بطبيعتها لاتراها .. كل ما تراه ان هذا الرجل هو نصيرها ...!

تجاوزت السلام كما يبدو انه تجاوزه وهو يحدق فيها في صمت لتهمس بتحشرج والعبرة تخنقها " حذيفة ؟! أتيت لاجل خليل اليس كذلك ؟ "

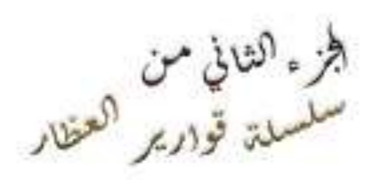
تطلع اليها حذيفة للحظات بدت غامضة المعنى لخلود ... لكنها لم تشعر الا ببصيص الامل الذي بزغ وسط كآبتها ....

عينا حذيفة تحركتا من وجهها لتنظر لما خلف كتفيها فيهز رأسه بايماءة باردة قائلا

" مساء الخير .."

اشمأزت ملامح خلود لاارادیا بينما تسمع رد فواز الجاف من خلفها " مساء الخير .."







لم تعرف ما جرى لها لتنساب دموعها فجأة ؟!
حتى انها لم تشعر بأنها تبكي حقا الا عندما
همس لها حذيفة بصوت رجولي غامض

" انت تبكين ..."

نظرت اليه بكليتها ... تفيض نظراتها بكل
ما شعرت به قبل قليل وهي تفلسف احساسها
بالكآبة ....

لم يعلق حذيفة بالمزيد وهو يسألها بنبرة
مباشرة " اين خليل ؟ "

مدت يدها تمسح وجهها خفاء عن ذلك القذر
خلفها والذي تشعر انه ما زال عند باب المطبخ
يراقب كالضباع الجائعة ...

نظرت لحذيفة فوجدته يحدق في فواز مرة
اخرى .. لكن نظراته بدت بشكل غريب
مهددة ....!!

قالت بارتباك ردا على سؤاله " ستجده عن
نهاية الشارع مع بعض الفتيان من سنه يلعبون
كرة القدم .."

صوت فواز الكريه جاء باستهانة متعمدة وهو
يسأل " من هذا الرجل يا خلود ؟"

كرهت اسمها وهو يمر على لسانه فقالت وهي
تخنق غثيانها " انه حذيفة ... صاحب المصنع
الذي يشتغل فيه خليل "



شعرت بخطوات فواز تتقدم نحوها وهو يرحب بنفاق " اهلا اهلا .. يا مرحبا ..."

لاشعوريا ابتعدت خلود بحدة اجتذبت انتباه حذيفة بينما فواز يمد يده في دعوة مصافحة واضحة لم تلق قبولا من حذيفة الذي اخذ يرمقه ببرود فسحب فواز يده وهو يهز كتفيه بلا مبالاة قائلا بابتسامة كريهة

" حسنا .. كما تشاء .. يبدو ان الفتى الصغير اوغل قلبك مني ..."

تجاهله حذيفة تماما ليركز النظر على خلود التي تباعدت بشكل اثار ارتيابه بكل ما يحصل في هذا البيت ثم قال لها

" حسنا انا ذاهب لاراه "

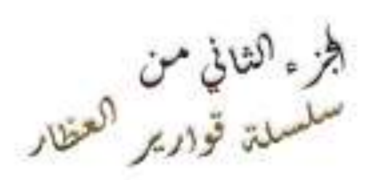
تراجع فواز في تجاهل متأخر ممثال لتجاهل حذيفة وابتعد متلاهيا بفتح التلفاز وهو يدندن باغنية ما بينما استدار حذيفة وهو يلوح لخلود مغادرا ...

لم تحتمل خلود وهي تعبر باب الشقة لتلاحقه على الدرج تناديه بصوت منخفض متلهف

" حذيفة .."

التفت على اولى درجات السلم التي هبطها يتطلع لتلك (الكائنة) التي فرضت نفسها على حياته .. ينظر لشعرها المشعث وفستانها المهلهل فيكاد يقسم انها اشبه بمجنونة !





صوت عابث في داخله شاكسه

(لكنها مجنونة جميلة !)

اطرق حذيفة مستمتعا بهذا الجزء العابث من شخصه .. مجرد عبثية ساخرة .. لم تعد تثير اهتمامه لكنها ما زالت موجودة وكأنها تتشبث به ليتذكر دوما اي رجل كان ...

قال لها بسخرية متعمدة

" توقفي عن التصرف بغبائك المعتاد هذا وتوقفيني في اي مكان .."

لم تبالي بتقريعه الساخر لتسأله بلهفة مست صميمه كما فعلتها سابقا في الامس

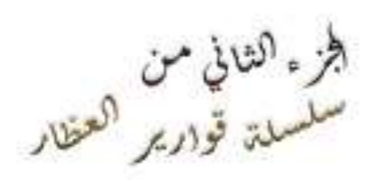
" ستكلم خليل اليس كذلك ؟؟ ستكلمه وتؤثر فيه ..."

يا الهي .. سقف امالها فيه اليس له حدود ؟! انه يرتفع ويرتفع ويخشى ان هذه المجنونة المتهورة الغبية ستسقط قريبا محطمة على ارض الواقع !

تمتم حذيفة وهو يعاود نزول درجات السلم

" سنجد حلا .. عودي شقتك وكفى استعراضا امام كل من هب ودب .."





اطلقت نفسا مرتاحا ليصل مسامعه المتحفزة بشكل غريب لكل ما يصدر عن همساتها المخنوقة

" اقنعه بالرحيل من هنا حذيفة .. اتوسل اليك .. اقنعه ان نسلم على انفسنا ونخرج من هذا الجحر القذر .."

رفع رأسه اليها وقد بدت بوقفتها هناك وكأنها واقفة على جرف هار !!

تضايق من احساسه بالقلق لاجلها .. لم يفهم لماذا كل هذا القلق الذي بدأ يوحي له بأمور قذرة ! اجل قذرة ..

كما وصفت هي ....(جحر قذر)

ذلك الجرذ فواز ينظر لخلود بطريقة منفرة لم ترحه ابدا ...

قال لها زاجرا وقد عجز عن ابداء انفعال اخر

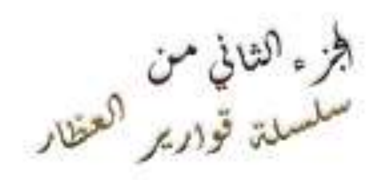
" ادخلي خلود وكفي عن تصرفاتك المتهورة"

نظرت في عينيه لتقول بنبرة عكست كلماتها بوضوح " انا يائسة حد الموت ولست متهورة كما تظن ..."

ثم تركته لتستدير ناحية باب الشقة المفتوح فتدخل وتغلق ذلك الباب خلفها وبهدوء شديد !

وكأنها تستسلم لقدر الموت الذي عبّرت عنه !





مساء ....

" مساء الخير يا كل الرقة "

ارتبكت رقية بشدة وهي تغلق حاسوبها
المحمول حالما دخلت عليها اختها الكبرى
لتهمس بانفعال وهي ترمي الحاسوب جانبا

" اسيا ...! "

تغاضت اسيا عن ذلك الارتباك الذي قد
يبدو مقلقا بينما تتقدم لتجلس بجانب اختها
الصغرى على السرير ثم ترفع قدميها وتمد
ساقيها متنهدة براحة بعد ان خلعت حذائها
ثم قالت متسائلة ببشاشة

" حسنا .. ماذا تفعلين ؟؟"

ردت رقية بوجه محمر " اتحاور مع..صديقتي.."

تطلعت اليها اسيا فسارعت رقية لتضيف مبررة
" تشرح لي درسا صعبا ! "

ما زالت اسيا تتطلع اليها ثم تبسّمت بذكاء
تسألها بلطف " منذ الاسبوع الاول للدراسة
وبدات تواجهين الصعوبات ؟؟ "

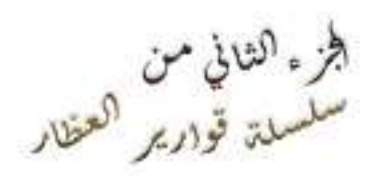
ابتلعت رقية ريقها بصعوبة ثم قالت بوجنتين
تتخضبان بالحمرة القانية " انت تعرفين ...
اصبحت بمرحلة اصعب و...."

تعثرت كلمات رقية اكثر بينما اسيا تتمتم

" نعم ....اصعب ....! "







اطرقت رقية وهي تعض شفتها السفلى فرفعت اسيا يدها لتلامس شعر اختها وتسألها بحنان

" هل تذكرين بابا جيدا يا كل الرقة ..؟"

رفعت رقية رأسها لترد بيقين " طبعا ..."

فقالت اسيا بتسامح " لكنك كنت اصغر وربما لاتذكرين كل كلماته لتفهميها بوضوح وتترسخ فيك "

رمشت رقية وهي تتساءل بحيرة

" ماذا تقصدين ؟ "

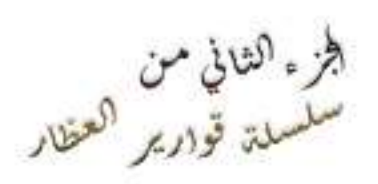
واصلت اسيا التلاعب بشعر اختها وهي تقول بنبرة ساحرة شجية

" نحن القوارير الاكثر غلاء .. غلاؤنا في عفتنا ... حياؤنا الذي منحنا اياه الخالق كهدية ولادة ثمينة ... نحن القوارير الاغلى بشموخنا ورفعة قدرنا كوننا لانسمح لاحد بالمساس بنا ولو حتى بنظرة ... فالنظرة منا تُكيّل بالذهب والكلمة من افواهنا تُكيّل بالماس ... اما اللمسة فسينالها فقط من يقدّر كيلنا الغالي هذا كما لن ينالها الا بما يرضي اللّه ليباركه "

بدت انفاس رقية متوهجة بالتأثر وعيناها لامعتان بشدة فاضاءت ابتسامة ثغرها الجميل ذو الشفتين المكتنزتين لتهمس بصوت مبحوح يعكس تأثرها

" انت تتكلمين عنّا مثلما تتكلم رباب .."







قالت اسيا بمحبة خالصة " ربما لان رباب اكبر سنا منك فعقلت كلام الحاج يونس العطار ...ابي القوارير ... الرجل الاروع على الاطلاق ..."

نكست رقية نظراتها لتهمس متسائلة

" هل فعلت شيئا خاطئا ؟"

فردت اسيا على سؤالها بسؤال

" اخبريني انت .. هل ترين نفسك فعلت ؟"

عاودتها الحمرة وهي ترد بتلكؤ

" انا .. لم .. افعل .. اقسم لك .."

تحركت اسيا لتنزل قدميها وترتدي حذاءها مرة اخرى وهي تقول " حسنا .. انا سعيدة انك لم تفعلي وعندي ثقة عمياء بك انك لن تفعلي .. هي نفس الثقة التي منحنا اياها والدنا في حياته فكنا خير بنات لاب صالح تقيّ "

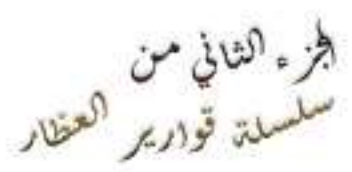
التفتت اسيا لاختها وتجاهلت تعابير الذنب التي طفحت منها بينما تضيف بنظرات ثابتة

" استمتعي يا فتاة بحياتك وعيشي سنك لكن بحدود ... حدود وُضِعت لحمايتنا ... وتذكري دوما ان الله يراك ولايغفل عنك رمشة عين .."

تمتمت رقية " حسنا ..."







تراخت نظرات اسيا لتقول ببشاشة

" تعالي وشاركينا مهرجان رباب ! "

تحركت رقية من سريرها هي الاخرى وهي تتساءل باهتمام " مهرجان رباب ؟! "

غمزت اسيا وهي تحاوط رقية وتقول بلهجة ممازحة مشاكسة " المجنونة قررت اعداد عشرة اصناف حلوى وبعشرة ألوان قبل بزوغ فجر الغد ! "

تحفزت رقية وسبقت اسيا في الخروج شبه راكضة بينما اسيا التفتت للخلف تطالع بنظرة عميقة ذلك الحاسوب المرمي على سرير رقية ...

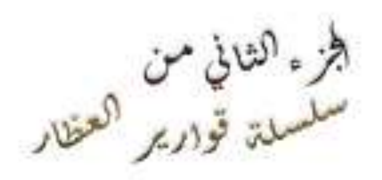
عند باب البيت الخارجي لبيت عائلتها وجدته بانتظارها ..بجلبابه الابيض الذي ذهب به لصلاة الجمعة ...

تبسمت له وتشبعت برائحة المسك التي تفوح منه وهو ينظر اليها بابتسامته الصغيرة التي تحبها وعيناه تلتمعان في الظلمة بشقاوة ليقول لها بصوت مبحوح عاتب

" تأخرتِ عليّ .."

ضحكت بخفة وهي تستسلم لكفه الذي حاوط كفها ليسحبها عابرا بها الشارع نحو البيت المقابل ....

حالما اغلق الباب الحديدي خلفهما كانت هي تبرر تأخرها " الفتيات كنّ يحتفلن ...."



بانفاس رقيقة داعبت ثغرها في الظلمة الخافته همس ممازحا

" يحتفلن ؟! ورضا هنا يقتله الشوق للانفراد بك منذ اول اليوم .."

ضحكت مرة اخرى وهو يجرها هذه المرة ناحية ذلك الدرج الحديدي الخارجي فيتسلقانه معا حتى يصلا باب جناحهما فادخلها بقلة صبر واغلق الباب ليأخذها بين ذراعيه فتغمرها رحابة روحه قبل صدره فتترك لنفسها العنان لهذا الاحساس الذي لايضاهى ...

انها تعلم سر هذا الشوق الآن ...

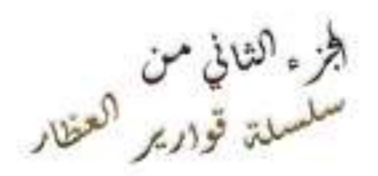
هذا ان اطلقت عليه شوقا !

انما عاطفته تتحرك نحوها كلما شعر بضعفها فتنتفض رجولته في احساس عارم بالدعم والاسناد ...

مال بشفتيه ناحية اذنها هامسا " في احد لايام رأيتك عند الفجر تمدين يديك وتدعين .. فدعوتُ اللّه اولا ان يستجيب لك ثم لم اتمالك نفسي لادعوه ثانيا ان تكوني من نصيبي .."

ابتلعت ريقها تأثرا ثم خجلا وهي تتذكر كيف جبنت على مائدة الغداء !







اجل جبنت وقد انعكس جبنها على الجلسة العائلية فبدا الجميع في النهاية غير مترابطين بطريقة ما غامضة !

تمتمت بشعور بالذنب

" انا اسفة ربما لم اكن اليوم .."

قاطعها برقته وهو يلامس بشفتيه جانب وجهها هامسا " بل كنت ..واكثر..يا اجمل البنات .."

يداها تسرحان على صدره فتغمض عينيها وتهمس بأسف صادق " حذيفة بدا منعزلا .. والخالة سعاد غير راضية بل حانقة !..."

يخلع عنها حجابها ويرد بثقة

" حذيفة لن يرفع عينيه اليك او ينطق بحرف حتى تسمحي انت له بذلك .."

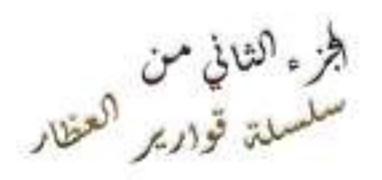
نظرت اليه فتهمس بالأسف مرة اخرى

" اسفة .. لم استطع هذه المرة .."

تبسم مشجعا ثم قال بنبرة تأكيد " ستفعلين .. يوما ما ستفعلين .. لنطويها الى الابد آسيا ... كلنا نحتاج طي تلك الصفحة ... "

للحظة صورة حذيفة اليوم حضرتها ... صورة غريبة مشوشة لانها لم تتمعن فيها كما يجب ... لكنها مؤكد صورة تختلف كليا عن ذلك الـ (حذيفة) الذي عرفته يوما بأبشع ما يمكن للفتاة ان تعرف فيه رجل .....!





لامست انامل رضا ملامح وجهها وهو يضيف

" انه يتعذب .. قد يبدو للجميع انه لامبال وساخر لكنه في داخله يتذكر دوما ما جناه واغضب والدي منه فلم يمنحه العفو قبل مماته ..."

بعفوية شاردة من قلبها الصافي همست

" انه يجد في ابنته نفسه ..."

فداعبها رضا بالقول العاطفي

" ورضا لايجد نفسه الا بك انت ... "

ضحكت برقة وهي تتعلق برقبته بينما يغرق هو فيها حامدا اللّه بأن آسيا ذهبت لزيارة امها واخواتها قبل ان تفضح امه امامها عن هوية العروس التي رشحتها بقوة لحذيفة !

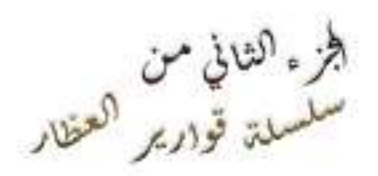
ابتعد قليلا عنها قائلا بابتسامة متراخية

" هل ستسهرين معي ام ينتابك التعب ؟ "

بوجهها الصافي المتورد قالت متبسمة " سأعد الشاي بالهيل وبعض المكسرات لنسهر حتى الفجر اذا احببت "

بدت في عينيه اجمل البنات حقا بل اجمل خلق اللّه ... افلتها لتذهب وتعد الشاي بينما ينحني ليلتقط حجابها من الارض ..

اخذ يلامسه بشرود وقد عاوده بعض الضيق للجدل الذي حصل مع امه حول اقتراحها المتحمس لخطبة حبيبة لحذيفة ...



كل ما يتمناه ان لايصل مسامع اسيا ابدا، وان تكون ردة فعله القوية والتي ايده فيها محسن رادعا كافيا لأمه حتى لاتطرق هذا الموضوع مرة اخرى ....

ظهر اليوم التالي

كانت تلملم اوراقها بينما تقول لزميلاتها اللواتي يغادرن غرفة المكتب الخاصة بهن

" اذهبن واحجزن لي مقعدا سألحق بكن خلال دقائق .."

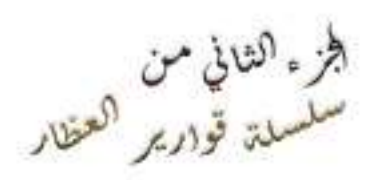
وضعت التصاميم اخيرا في الدرج الكبير واقفلت عليها بمفتاحها الخاص وحالما التفتت شهقت بقوة مجفلة بينما ترى مهند يقف خلفها مباشرة !

عبست في وجهه الشقي الضاحك ثم توردت رغما عنها بينما تتلبس نظراته اليها حرارة خاصة ...

ابتلعت ريقها وهي تتحرك جانبا لتتجاوزه بينما تقول له مدعية الغضب " لاتفعلها مرة اخرى ! انا لااجيد التعامل مع المفاجآت "

ضحك وهو يستدير اليها مادا نحوها ظرفا مذهبا انيقا وبدا واضحا انها دعوة عرس من صورة رسم العريسين على جانب الظرف ...





قال مفسرا بسلاسة وعيناه تلمعان " اقنعت مجد ان اقدمها لك بنفسي ، انها دعوة زفافه "

تراخت ملامح حبيبة وهي تأخذ الدعوة منه وفتحتها بعفوية وبدلا من ان تقرأها جذبها الاسلوب المتبع في تصميمها ...

قالت اندماجا منها مع نظرتها الفنية

" تصميم رائع ومختلف عن المعتاد ، مبدع من صممها حقا "

فجأة قال مهند بصوت مبحوح

" لقد تكلمت مع امي عنك .."

رفعت عينيها بمفاجأة اليه تتساءل " عني انا ؟"

هز رأسه وهو يقترب منها ويقول بنفس النبرة

" اجل ... قلت لها اني احب زرقاء العينين واريد الزواج بها "

اتسعت عينا حبيبة وارتبكت بشدة لتسأله او لتلومه بالقول المعترض

" كيف تقول لها هذا ؟! انا لم ..."

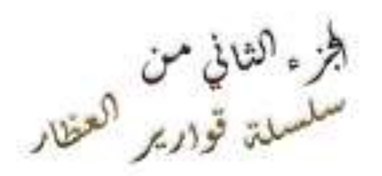
قاطعها متجاهلا اعتراضها وهو يقول ببشاشة

" زرتها بالامس .. فرحت جدا بي لكن الصغيرة مروة ما زالت تخاصمني لاني نسيت عيد ميلادها ولم تشفع لي هديتي لها .."

تساءلت حبيبة بفضول

" هل لديك اخت صغيرة ؟"





رد وعيناه تحومان حول وجهها " اجل .. انها في الرابعة عشرة ... ولدي اختان اخريتان تكبرانني سنا .. سهى وشذى .. متزوجتان وكل واحدة منهما لديها اطفالها "

فاجأته بسؤال لم يخطر في باله انها ستسأله

" هل تذهب لزيارتهما دوما ؟ "

ملامحه تصلبت ولايعلم لماذا شعر بعدم الارتياح مما يحمله سؤالها هذا ...

لكن حبيبة لم تهتم بصمته لتسأله سؤال آخر يقض مضجعها هي بمعانيه

" هل رأيت والدك بالامس ؟"

زمّ شفتيه وشعت عيناه بالعند ليرد " لا .."

لم تكن حبيبة اقل عندا فسألته بحاجبين معقودين " لماذا ؟"

رد مراوغا نوعا ما " كان في صلاة الجمعة "

لكن حبيبة لم تستسلم وقد شعرت انها تحتاج لهذا ... تحتاج ان تعرف هذا الجانب من مهند ... تشعر ان حيرتها هذه مصدرها انها لاتعرف مهند الانسان ، ما زال غامضا مختبئا خلف مهند العاشق ...

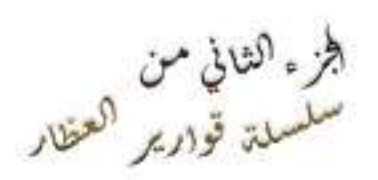
سألت بثبات "ولماذا لم تنتظر عودته ؟"

عندها افلت زمام مهند ليقول ببعض الحدة



" هل تحاسبينني حبيبة ؟! "







ردت وهي ترفع حاجبيها قليلا

" انا احاول فهمك "

تأفف مهند وهو يبتعد عنها نصف خطوة ثم قال " لقد مللت اسلوبك هذا يا حبيبة "

تفاجأت حبيبة فعبرت عن مفاجأتها باستهجان متسائل واضح " مللت اسلوبي ؟! "

فرد بنزق " اجل .. مللت .. كله اختبارات واسئلة تتصيدين لي الاخطاء من خلالها لتبرري لنفسك اسبابا للابتعاد عني "

شعرت بالظلم السافر لهذا الاتهام فقالت تنفي عنها ما قاله وعيناها تقدحان الشرر

" هذا غير صحيح .. انا احاول الاقتراب... اليس هذا ما تريده ؟.."

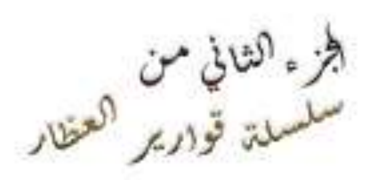
ارتعشت شفتاه وهو يحدق في شفتيها ليقول بصوت مبحوح " لديك فكرة سيئة جدا عن التقارب بين الحبيبين اعطني الضوء الاخضر وسأصححها لك ..."

اغاظها لابعد حد ان تكلمه بجدية فيحيد نحو العاطفة هكذا ! تشعر انه يتعمد هذا ليلهي فكرها عن المنطق !

قالت بقوة " انا لست بعد حبيبتك .."







فجأة اقترب منها بجسده واوشك ان يمسها وهو يهمس بشوق حار " اذن كوني الآن .. وانسي كل هذه السخافات التي تؤرقك وتعذبيني بها .. تقبليني كما انا واحبيني كما انا ..."

لاول مرة لاتشعر بالخوف من اقترابه هذا ولا حتى بالحرج او الخجل !

لقد اصبحت موقنة الآن انه يتعمد فعل هذا .. يربكها بتأثير العواطف حتى تنسى كل ما عداها ...

لم تبتعد عنه لتتثبت له انه لن يسيطر عليها بهذه الطريقة ، لن يجعلها تعيش تخبطا احمقا بين العقل والمشاعر اكثر من هذا ..

كفى تلاعبا .. اذا كان يريدها بشكل جدي عليه ان يكون صريحا مباشرا ...

شمخت وهي تقول بهدوء

" لم يكن هذا كلامك سابقا .."

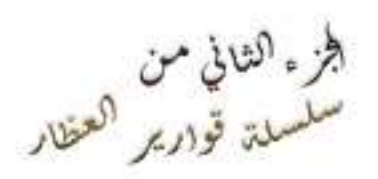
ازعجه جدا هذه السيطرة التي تملكتها ، ارادها ان تكون اكثر عاطفية معه ...

لم ييأس وهو يكاد يميل بوجهه اليها هامسا بشغف " حبيبة .. انا احبك وانت تحبينني .. هذا يكفينا لنكون معا "

ما زالت زرقة عينيها مشتعلة بالتحدي دون الارتباك الانثوي الذي ينشده !







فاضاف بعذوبة شديدة " كل الاخطاء التي ترينها فيّ ستختفي بممحاة العشق .. "

حاوطهما الصمت وهما يتواجهان بالنظرات ...

قطعته حبيبة بالقول الثابت

" انت لاتفكر الا بنيلي يا مهند !! "

اتسعت عيناه حنقا بينما يدرس نظراتها المتهمة له لتذكره بكل ما حصل وفي هذا المكتب تحديدا ...

همس بخشونة " اياك ان تنظري الي هكذا!"

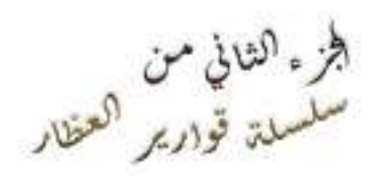
اسبلت اهدابه تخفي ما سبق واظهرته له ليردف مهند بصراحة مباشرة " نعم .. لااخجل ان اقول ان تلهفي اليك شديد.. انت جميلة جدا وانا احبك فكيف تريديني ان اشعر بالله عليك ؟ .. حتى ما حصل سابقا لم يكن خطأ بشكل كامل ، انا تعديت الحدود معك اعترفت بهذا مرارا لكن قلت لك مرارا ايضا ان هذا ليس كل شيء .. فأنا كنت بحاجتك بوقتها ... وما زلت .. اعلم اني لدي اخطاء اكابر على الاعتراف بها لكن معك اعترفت واكثر من مرة .."

زفر بقوة قبل ان يضيف بضيق شديد وانفعال مكبوت " فقط لو تفهميني ! "

ردت بسلاسة وهي تبتعد عنه

" احاول جهدي ....صدق او لاتصدق ! .."







تحركت ناحية حقيبتها لتضع فيها دعوة العرس وهي تقول المزيد بصوت فاح منه الاحباط " في احد الايام ظننتك تعاني من ظلمة معينة .. تصورتك مثلي تدرك كم هو مؤلم اخفاء ذلك الجانب عن الاخرين خوفا من احكامهم المسبقة علينا .."

فاجأها بالقول " اكره الاحساس اني اخيب ظن من احبهم .. امقته .."

رفعت عينيها اليه فاضاف بعينين تفيضان بالبؤس " عندما تنظرين الي بتأنيب هكذا اشعر بالاختناق .. ربما هذه هي ظلمتي الحقيقية حبيبة .. لااطيق ان يؤنبني احد "

قالت بحذر وهي تعلق حقيبتها على كتفها

" مهند.. يجب ان تواجه نفسك بعيوبك واخطائك قبل ان تقرر فرضها على الاخرين ؟ ما معنى انك ترفض التأنيب ؟! ما معنى ان تطالب بحقوق ليست لك وترفض اعطاء حقوق واجبة عليك ؟! "

ناداها بضيق متزايد " حبيبة "

لكنها تحركت ناحية الباب وهي تقول دون ان تتطلع اليه " الفتيات ينتظرنني في مقهى الشركة وقد تأخرت عليهن كثيرا .. بالاذن منك .."





" اقدم خطوة مكان... خطوة ! "

تركته خلفها وخرجت....

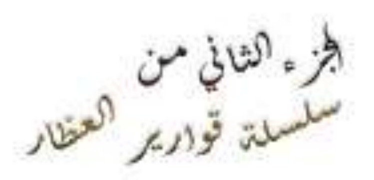
وبينما هي تغادر ناحية المصعد كان يحيى
يقف في اخر الممر من الجانب المعاكس ..
راقب خروجها الساهم ثم التقط خروج مهند
بعدها وقد بدا عليه الغضب الواضح ...

تطلع يحيى لساعة يده وملامحه لاتنبئ عما
يعتمل في نفسه من براكين ثائرة ..

تمتم بملامح صلبة خطيرة " عشر دقائق ...
حسنا .. مع شاب عابث مستهتر كمهند هذا
كثير .. كثير جدا .. يا حبيبة "

وضع يديه في جيبيه وهو يعاود دخول مكتبه
ليهمس بتفكير عميق







الفصل التاسع

عصر اليوم التالي

كان خليل يمعن النظر في وجه امه المرتبك والذي اظهر بوضوح كيف تتنازعها المشاعر بينما كلمات حذيفة الحازمة المختصرة ليلة الامس ترن في اذنيه ..

(ساعدها يا فتى لتتخلص من زوج بائس وارحم ضعفها وضعف اختك التي لاتملك غيرك.. اقترب منها اكثر ... ناشد امومتها .. ابتزها عاطفيا ان شئت ! المهم ان تدرك يا خليل انها مجرد امرأة تكبر في السن وتخاف الوحدة)

لاول مرة ينظر لامه على انها امرأة !

هل كل الاولاد مثله ؟

يظنون ان الام هي ام فقط ...

ان لا تعريف للانوثة يرتبط بها ..!

لم يفكر يوما لماذا تزوجت امه حقا من فواز .. بل لم يدقق في الاسباب .. كل ما كان يفكر به ان امه تزوجت بهذا الرجل لانه خليفة والده في العمل ... وسيحافظ على هذا العمل وينميه .. لكن للاسف فواز اثبت ان الحقارة تنبع منه وحطم كل شيء ..

كل شيء ...



حتى امه الآن تبدو محطمة ! بنظراتها التائهة الزائغة هذه بينه وبين اخته خلود ..

انها الآن ... شبه انثى .. شبه.. أم .... !

لم تكن بهذا الحال مع ابيه .. كانت مبتسمة راضية ..

الان ...حالها كحال خلود ان لم يكن اسوأ !

على الاقل خلود تغضب وتعبر عما في داخلها من يأس وقهر بينما امه تحفر التجاعيد فيها كهولة من نوع خاص .. انها كهولة تبتلع انسانيتها يوما بعد يوم ...

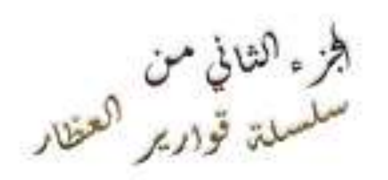
حذيفة محق .. محق بكل ما قاله ...

عيناه طرفتا ناحية الساعة الجدارية ... كم يخشى استيقاظ الحقير فواز من نومه العميق وعندها كل هذه المساعي الهامسة ستذهب ادراج الرياح ...

لكنه لم يستطع الانتظار اكثر ليختلي بأمه ، يجب ان يحل هذه المسألة قبل ان تأخذه دوامة الدراسة والعمل..

عاد لينظر لامه ... لن يخدع نفسه وينكر تأثير فواز عليها ... رغم كل ما يفعله بها ذلك الرجل النذل الا انه يملك سلطانا عليها..







بعزم متجدد عاود حثها بمزيد من الضغط العاطفي " امي .. اشعري بنا ... لاتدعيه يسيطر عليك اكثر من هذا ، انا بحاجة اليك "

لتهمس خلود بتأييد مماثل وهي تمسك بكف امها " وانا بحاجة اليك ايضا .."

اضاف خليل بغضب مكبوت بشق الانفس

" فواز حقير وقد امتص منك كل شيء ولم يعد يريدك حقا "

تلوى قلبه ألما لذلك الجرح في عيني امه بينما خلود تتمتم بما لايفهمه ، دمعت عيناه تاثرا لجرحه امه ثم قال باختناق

" حذيفة سيساعدنا فقط وافقي اماه ، انا لن احتمل ان يضربك فواز او يضرب اختي مرة اخرى .. هل تريدين ان اقتله يوما ؟"

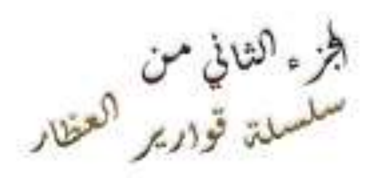
شهقت الام بعذاب وهي ترفع يدها لفمها تكتم نشيج البكاء والألم والضعف ...

دمعت عينا خلود هي الاخرى وقالت بقهر ما بعده قهر " هل تدركين ما يقوله خليل اماه .. سنخسره كما سيخسر هو كل حياته لاجل حشرة قميئة كفواز "

ثم انفعلت اكثر وهي تقول بصراحة فجة







" انت تعلمين في قرارة نفسك انه سيأتي اليوم الذي يرميك فيه لكن .. ماذا ستخسرين اكثر حتى تأتي تلك اللحظة ؟؟ كيف ستكون حياتك عندما يرميك للشارع "

لم يتنبه ايًا منهم وسط موجات الانفعال لصوت الشخير العالي الذي خفت منذ فترة فاجفل الثلاثة سوية بينما يأتيهم صوت فواز الساخر " بماذا تحشوان رأس زوجتي .."

عندها هبّت الام تنظر ناحيته بجمود الرعب وتتمتم بعينين متسعتين " فواز ! أنا .. أنا .."

تبسم لها ! وبينما خلود تتطلع لتلك البسمة القبيحة التي يوجهها لامها ادركت ان المعركة ..... خسرت !

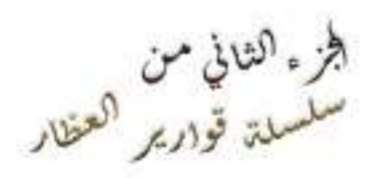
اغمضت خلود عينيها بينما تصلها ذبذبات الكذب والنفاق الحقير من صوت فواز وهو ينادي امها باغواء الشيطان

" تعالي حبيبتي .. تعالي الي .."

لتتقبض يدا خلود في حجرها وفواز يدلل امها " تعالي يا قرة عيني ..."

لم تحتج خلود لتفتح عينيها حتى تتأكد ان امها تسير نحو ذلك القميء بخطوات كالمنومة مغناطيسيا ..





ووسط هذا هالها ان تفكر بخليل وهو يرى امه هكذا ! كعبدة مملوكة لذلك الرجل !

فتحت عينيها اخيرا تبحث عن وجه اخيها فرأته جالسا مكانه وجهه شديد الشحوب يتطلع لامه بيأس مميت وجسده ينبض بغضب اعمى ....

احاط فواز كتف زوجته بحنانه المنفر المزيف ليقبل اعلى رأسها غامزا ناحية خلود وخليل مكملا حديثه الناعم لزوجته قائلا

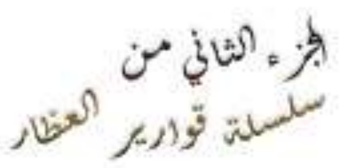
" هذان الصغيران لايعرفانني كما تعرفينني انت اليس كذلك يا جميلة؟ لايدركان انك تتفهمين طباعي وقلبك الطيب يغفر لي السيء منها .. انت تعرفين اني احبك ولن اتخلى عنك ابدا ..ابدا ..."

راقبت خلود معنى امتهان الكرامة الانسانية مجسدا بحال امها بينما يسحبها فواز شيئا فشيئا لغرفتهما ليقول المزيد باغوائه الشيطاني

" لاتدعي الصغيرين يتلاعبان بك .. خلود مجروحة من زوجها النذل وتتصور ان كل الرجال مثله وخليل ما زال صغيرا ليدرك الامور بين رجل وزوجته "

ناداها خليل بنبرة مجروحة " امي ! "







ارادت الام الالتفات لابنها لكن فواز اعاد وجهها ناحيته ليقول بنظراته المتصنعة

" اعدي عشاء خاصا لنا الليلة و شاركيني وحدك فيه يا جميلة "

دخلا الغرفة واغلق فواز الباب وهو يلوح لهما باغاظة لتتمتم خلود بكآبة القنوط

" لافائدة ... لافائدة ... "

صدر خليل يعلو ويهبط باضطراد بينما الكلمات تنسحق على اسنانه " لقد كدنا ننجح .. يا الهي كدنا نفعلها لنغادر معا هذا المكان الموحل بالقذارة "

تزحفت خلود بجلستها لتقترب منه تتوسله مرة اخرى " دعنا نتركهما معا في مسرحيتهما السمجة المقرفة "

فهز خليل رأسه في رفض قاطع " لن افعل ! "

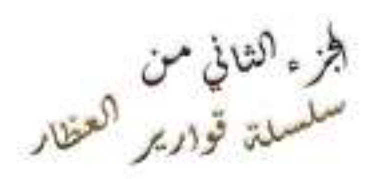
عندها فاض كيل خلود لتهتف بغضب

" اذن دعني انا ارحل وحدي .."

عندها التفت اليها خليل بحدة ليقول بغضب ينافس غضبها هستيريةً " لن تفعلي ! هل جننتِ ؟ تعيشين بمفردك ؟ ام تفضحينا وتهربين فلا نعرف لك طريقا ؟ "







ارادت ان ترده لكنه تابع بعينين تموجان بالمشاعر البركانية " هل تريدين ان تسودي وجهي امام الناس وتكسريني وتحطمين ما تبقى من كرامتي ؟ "

هتفت به باختناق " خليل ! "

لكنه فقد قدرته على التوقف والكلمات تفصح عن مكنوناته الحبيسة " سيقولون هربت مع عشيق خفي وهذا سر طلاقها وفضائحها وتمنعها على زوجها لسنوات "

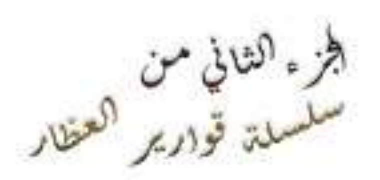
شهقت لكنه ايضا لم يستطع التوقف ليضيف بمزيد من القهر " سيتمادون باللغط عن سبب طلاقك ويتهمونك بترقيع عذريتك بدلا من هتكها على يد جراح قذر ! "

عندها هبت خلود على قدميها تضرب على كتفيه ووجهه .. تصرخ فيه بألم وهستيرية

" كلكم قذرون .. كلكم وحوش ..."

حاول خليل ان يوقفها وهو يقف على قدميه بينما يقتله الندم على انفلات لسانه وايلام اخته دون ان يقصد حاول احتضانها وهو يطلب سماحها " انا اسف اختي ... اسف ... اقسم باللّه لم اقصد جرحك "





لكنها دفعته بعنف رهيب لتعود بخطواتها نحو غرفتها وهي تصرخ بألم لايوصف

" اتركني خليل .. اتركني ...اتركوني جميعا فلم اعد احتمل ...."

بعد بضعة ايام ...

تتمتم بحنق وخطواتها تقودها نحو غرفة المدير ، تمتماتها لم تكن تحمل الا تذمرا ظاهريا بكلمات اعتراضية دون تركيز ...

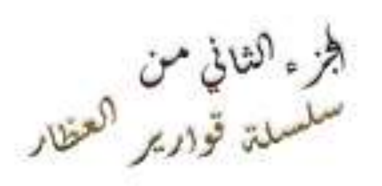
لكن في داخلها تشعر بمزيد من التشوش والضياع ..ولم تعد تعرف كيف تتصرف حقا !

انها لاتتوهم .. لقد رأت تلك المرأة هويدة تمسك بذراع مهند بألفة ونظراتها مشعة ! وعندما اقتربت منهما حيث يقفان في تلك الزاوية سارع الاثنان للابتعاد عن بعض مدعيان حديثا عابرا عن العمل ...

ثم لاحقها مهند وقد اظهرت حبيبة غضبها مما رأته وعندما واجهته انكر ان تكون هويدة لمسته اصلا !

تنهدت بقوة ...





لاتريد ان تتذكر كلام زميلاتها المتكرر
عن هذه المرأة ونعتهن اياها بـ(سيئة السمعة)

لم تكن حبيبة ممن يشاركون او حتى
يصغون لتلك الثرثرات لكن تذكرتها الآن
ولاتجد الا ان تضيق خناقها عليها كلما
تذكرت المشهد الذي رأته ....

عادت لتتنهد وفكرة واحدة مزعجة تسيطر
عليها .... لاتريد ان ترى يحيى الان ...

ليس اليوم على الاطلاق ...

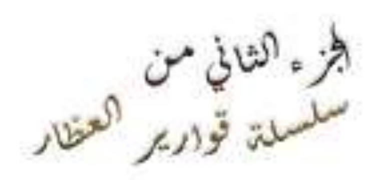
تشعر ان هناك امر ما خاطئ يحدث معها وآخر
اكثر اهمية مفقود مع مهند ...!

ظلت تتمتم بحنق شديد " لااريد رؤية يحيى ..
لااريد رؤيته الآن ...!"

اخذت نفسا عميقا بينما تحتار في نفسها
هامسة " هل جننتِ يا حبيبة ؟! ما علاقة
رؤية يحيى بما يحيرك من مهند ؟!! "

يجلس رضا على الكرسي المريح لكنه لم
يشعر بأي راحة بينما يراقب وقفة يحيى
الشاردة قرب شباك مكتبه الكبير ...

لقد تصور ان يحيى سيقدم على خطبة حبيبة
مباشرة بعد سهرة الخميس لكن تأخره لايام
اقلقه .. هناك أمر ما يمنع يحيى ولايعرف رضا
لماذا يشعر ان الامر ليس بالهين ابدا ...؟!



حتى كلام يحيى قبل قليل أن عليه التسريع بخطوته في خطبة حبيبة لم يرحه بل حيره اكثر واكثر !

بدا كلامه كالالغاز المشفرة ويحيى يفصح عن افكاره بجمل غير مترابطة الا في ذهنه هو وحده ...!

قال رضا باسلوبه المباشر وهو يتلاعب بخاتمه " انا لاافهم لماذا لاتخطو خطوتك ما دمت مقتنعا ان عليك التسريع بها ؟! "

رد يحيى بهدوء مريب دون ان يلتفت لرضا

" خطوتي ستكون ارتجالية حتما وبقرار لحظي... اعتمادا على الموقف الذي ستكون هي فيه ..."

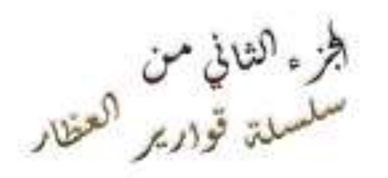
تمتم رضا قائلا " ها قد عدنا لالغازك المتناقضة ! ساعة تقول يجب التسريع وساعة تقول خطوتك ستكون بقرار لحظي ... يحيى انا لايعجبني هذا ! "

التفت يحيى برأسه لرضا مبتسما ابتسامة مداعبة قائلا " اخت زوجتك في امان معي "

عبس رضا قليلا وهو يرد " مؤكد هي في امان .. لكن ليس هذا ما لايعجبني "







ثم اردف موضحا " احب الاسلوب المباشر .. لقد رأيتكما معا وهناك شيء ما لاستطيع تحديده من ناحيتها .. لكنه شيء جيد كبداية ... "

غامت عينا يحيى وبدتا اكثر زرقة ليقول بنبرة غامضة " انا استطيع تحديدها .. وهو ما قد يدفعني يقينا لتعجيل خطوة ... قبل الاخرى ..رغم ان حبيبة ليست مستعدة تماما.."

طرق خفيف على الباب اوقف الجدل بينهما ليقول يحيى بصوت هادئ بارد " ادخل .."

دخلت تلك (العاصفة) عابسة وهي تقول بعدائية واضحة " صباح الـ ...."

لتذهب عواصف العداء ادراج الرياح حالما التقطت وجود زوج اختها فابتسم يحيى بينما يعود لكرسيه ويسمعها تتمتم بأسم رضا ...

تبسم لها رضا قائلا " مرحبا .."

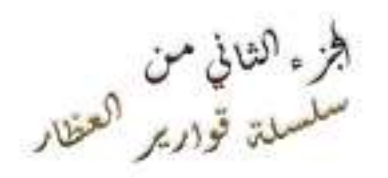
فردت بخجل من انفعالها السخيف الذي دخلت به " مرحبا ... "

اتسعت ابتسامة رضا وهو يقول بممازحة

" كنت مارا لاسلم يحيى بعض الاوراق فاستخدمت سلطته كمدير لاستدعائك .."







نقّلت حبيبة نظراتها بين رضا ويحيى ..
وللحظة اربكتها نظرات يحيى المحدقة فيها
بتفكير عميق شديد الغموض وقد استعصى
تماما عليها فك غموضه ...

ابتعدت بعينيها عن يحيى وتوجهت لتجلس
قبالة رضا بل وتوجهت اليه بكل اهتمامها
تحاوره وترد على كلامه بينما تتجاهل تماما
تلك الاشعة الزرقاء المسلطة عليها
تستكشفها بطريقة لم تحصل لها من قبل ....

في النهاية وبعد عشر دقائق تقريبا وقفت على
قدميها مع وقوف رضا مستئذنا للمغادرة ثم
انسحب وهو يرمقها بنظرات غريبة !

بعد مغادرة رضا التفتت حبيبة ناحية يحيى
دون ان تواجه عينيه وقالت ببعض الارتباك
المحير " حسنا .. عن اذنك ... يجب ان اعود
لعملي..."

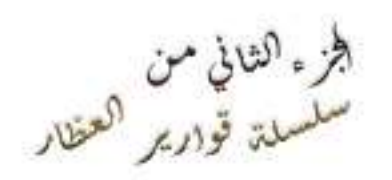
تحركت نحو الباب المفتوح عندما ناداها
يحيى بصوت اربكها اكثر " حبيبة .."

اقترب جدا منها وذراعه امتدت بما يشبه
العفوية لتدفع الباب فتواربه دون ان تغلقه
بينما يقول بصوت أجش

" هل ستحضرين عرس مجد الليلة ؟"

رفعت رأسها اليه فابتلعت ريقها بصعوبة وهي
تواجه تعابيره هامسة " نعم .."







تمتم وعيناه في عينيها " حسنا .. هذا جيد "

انفاسه تغيرت كانفاسها الا انها عاجزة عن التفسير ! فاجأها بالقول الأجش

" ما الذي يربكك ؟"

رمشت لتهمس بتشوش " عفوا ! "

ابتسم لها فبدا وسيما بشكل لايصدق !

الفتيات في الشركة يستقتلن لكي يحظين بنظرة واحدة منه ولكنها كالعادة بمعزل عن حديث الفتيات واهتماماتهن التي لاتفهمها احيانا ....!

تحرك ليصبح خلفها فاستدارت عفويا مع حركته فتقف بمواجهة معه لايفصلهما اكثر من متر ثم اخذ يشوح بذراعيه حوله ويقول بنبرة رجولية جذابة " تخيلي اننا الان في ارض محايدة من عقلك انت فقط ... لست مديرك المتطلب المزعج ... ولايحيى القريب المستفز"

امعنت النظر اليه يبهرها ذاك الذكاء المشع من عينيه لتهمس بتلعثم " ماذا ...تر..يد ؟"

قال بنفس النبرة الواثقة المؤثرة " اريد ان اراك منطلقة تماما تعبرين عن كل دواخلك بشجاعة تليق بشخصك "



هزّت رأسها برقة وهي تقول بارهاق ذهني

" لاافهم .."

صمت ... يحدق .. يتمعن ... يحلل خلجاتها ثم
فرد ذراعيه جانبا ليقول بسلاسة سحرية
وكأنه يسحبها لمكان خيالي رغما عنها

" اعتبريني مرآتك حبيبة .. واجهي نفسك
بي أنا ! ما الذي يؤرقك ويخنقك ؟ ..."

ما زالت تقاومه لا بل تقاوم نفسها بطريقة ما !

تقاوم ما يقض مضجعها وهذا الرجل الغريب
قادر على لمسه وتعريته ...

هذا ما يستفزها فيه دوما .. انه قادر ... !

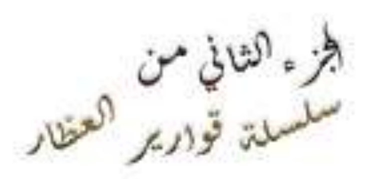
في اخر محاولة واهنة للمقاومة ارادت العودة
خطوة للخلف وهي تقول " ارجوك انا ..."

لكنه التقط اهتمامها بحركة من ذراعيه
وكأنه ينشر محيطا خاصا حولهما جعل
قدميها تثبتان حيث هما قائلا بنفس النبرة
التي لاتقاوم " ما زلنا بمعزل عن الواقع .. ما
زلت انت وحدك.. وانا .. مجرد مرآتك ... "

لهثت بانفعال وهي تهمس بعينين متسعتين

" هذا جنون ..! "

ابتسم لها وهو يقف شامخا مواجها لها شمس
الظهيرة تنعكس عليه فيبدو بقوة اسطورية !
ام انه خيالها الذي جذبه بخياله من يوحي لها
بذلك ؟!!





قال بنبرته الواثقة محاكيا افكارها

" انه جموح الخيال ... تلك المنطقة الناشطة من عقلك اكثر من اي شيء اخر ... الجئي اليها واعقدي جلسة مصارحة طارئة .."

مسحت بلسانها على شفتيها وقد شعرت انها غير قادرة الان على المقاومة وبينما تتبع طريق الاستسلام بحذر قالت

" الامر ليس مصارحة فقط .."

تلكأت ...." انها ..."

شجعها بالقول " لاتتوقفي الآن .. ومرآتك ستُصدقك القول دوما .."

عادت لتحدق في عينيه ثم تاهت فجأة منهما .. فيهما !!

لتقول اخيرا باستسلام " انا .. لاافهم نفسي ..احيانا كثيرة ..."

رد " لانك تقمعينها .."

قالت تفسر " انا .. اهذبها ..."

تساءل ببعض الحيرة " تهذبينها ؟!! .."

ردت بشجن حزين " اليس هذا هو المطلوب من الجميع ليتعايشوا بسلام مع بعضهم البعض ؟ "

رد ساخرا برقة " انت تتبعين الاسلوب الخطأ ! حقا لاتعرفين معنى الموازنة "

سألت بعبوس حائر " اي موازنة ؟"







رد بطريقة غير تقليدية " القمع يولد الكبت وهذا يودي للانفجار "

تحشرج صوتها بألم دفين " ماذا افعل اذن وكل من حولي يتهمني بالخروج عن المألوف ..؟!"

عاد ليقول بنفس الرقة " الموازنة ... "

سألت بلهفة هذه المرة " كيف "

ثم انفعلت لتضيف بعينين لامعتين

" لكني احاول و ..."

قال بما صدمها " انا اعتقد انك تعيشين انوثة متأخرة تربكك.."

احتدت نظراتها واشتعلت فتبسم قائلا بمشاكسة رقيقة

" لاتغضبي ... هذه مرآتك فقط من تتحدث لا انا ! "

زفرت لتطفئ الغضب ثم همست بتعب

" انت لاتفهم ! انا .. مررت ببعض .. الامور "

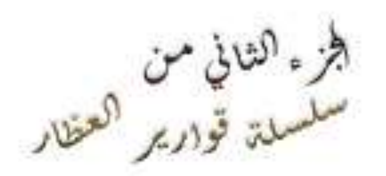
قال بهدوء " احيانا الكلام في التفاصيل ليس مهما .."

هزت رأسها بغير اقتناع وهي تقول

" كيف ليس مهما ؟! انه يشرح الكثير "







رد عليها بثبات وبعض الحزم " التفاصيل غير المرغوبة كالدهاليز المتشعبة في متاهة ضخمة تجعل العقل يفقد قدرته على التمييز ، وأنت يا حبيبة تتوهين مرة تلو الاخرى وتبعدين عن الفكرة الصحيحة الواضحة..! "

تطلعت اليه دون ان تفهم مقصده فوضح بالقول " ما قصدته عن الموازنة ان ترضي عن نفسك اولا حبيبة قبل ان تُرضي الاخرين عنها "

لمحة ألم أخرى مرت بها بينما تترك له قول المزيد " انتِ في داخلك لست راضية اليس كذلك ؟"

همست بألم لم تعد تبذل جهدا لتخفيه عنه

" اشعر اني لم اعد حبيبة التي اعرفها قبل وفاة ابي .. تلك الـ (حبيبة) التي اريدها ...اشعر اني اضعتها فاصبحت اتطرف بايجاد طرق بديلة لاصل اليها.. وكلما وجدت طريقا اتوسم فيه ايجادها في النهاية يحدث ما يجعلني اتخبط في افكاري واتوه ! "

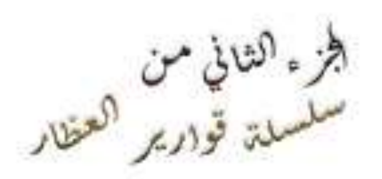
نظرت اليه بتوسل لم تدرك كم تملكت قلبه به .. همست بضعف انثوي مبهر نادر منها

" ألستَ مرآتي ؟؟ اخبرني ... اي السبل هي الانجع ؟ اشعر اني في صراع دائم مع كل شيء وهذا منهك ... منهك .. "

ابتلع ريقه وهو يرد بصوت مبحوح " لكنك تقاومين بشجاعة ولاتيأسين .."







قالت بأمل " حقا تراني هكذا ؟ انا احاول الموازنة جهدي بين طبيعتي الشخصية وما ينتظره الاخرون مني "

ثم سألته تطلب تأكيده " اليست هذه هي الموازنة الصحيحة ؟"

تبسم لها مخفيا صراع مشاعره المتأججة .. انها تحتاجه الآن .. يجب ان يمنحها بعض الراحة .. يكره ان يراها مشوشة ... ربما حين تصفو افكارها سيجد الموضع الصحيح لخطوته الحاسمة اليها ...

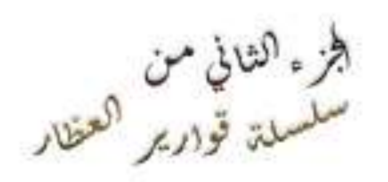
قال ردا لسؤالها ..

" اعود لاقول لك.. يجب ان تكوني راضية عن نفسك اولا فمثلك يختنق بفرض الامور عليه دون محاكاة للعقل وهذا يشوشك "

اتسعت عيناها بذكاء فطري يعجبه فيها بينما اخر ذرة تشوش ترتحل من تلك العينين ...

اضاف برقة " عليك ان تتصالحي مع نفسك حبيبة وتسمعيها لتعرفي ما تريده بالضبط .. دلّليها بالتفهم .. ترفقي بها ولاتستعجليها لارضاء الاخرين قبل ان ترضى هي .. شيء رائع احترام القوانين .. الكون كله خاضع للقوانين المحكمة ونحن كبشر جزء من هذه المنظومة المهولة بدقتها ... حتى اخطاؤنا وعيوبنا جزء اساسي لاستقرار المنظومة ..







لذلك فكري بالمنطق واستخيري قلبك وستجدين انك مرتاحة البال في النهاية مهما كانت النتيجة "

كانت في اجمل صورة يمكن لرجل ان يرى فيها امرأة يحبها ... امرأة يهوى كل ما فيها ... امرأة تصغره بالكثير لكنه لايقاوم رغبته المستعرة لامتلاكها له وحده ...

همست له بامتنان واضح " شكرا ..لك .. "

ثم اضافت بدهشة وممازحة رقيقة " انت انسان غريب حقا ! لك قدرة عجيبة على تشريح الامور دون ان اشعر انك تشرحها حقا ! .. لقد اتعبتك معي اليس كذلك ؟ "

تسربلت الكلمات من فمه فجاءت ترفل بالحرارة كحرارة شمس الظهيرة هذه

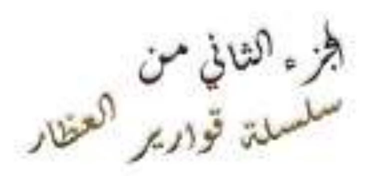
" ما زلت مرآتك حتى تسألي السؤال الاخير و.. الاهم ..."

رفعت حاجبيها ببراءة محببة وشبح ابتسامة يلامس شفتيها لتسأله " ما هو ؟"

يا الهي ... انها الخطوة ... حثّ نفسه المتعطشة " اقدم عليها يحيى لاتتوقف الآن ...."

تحرك خطوة نحوها وكأنه يكسر سحر الخيال الذي صنعه بنفسه لها ثم قال بصوت أجش وعيناه في عينيها " مرآتي مرآتي ..من هي اجمل امرأة في الكون؟"







تلاعبت ابتسامتها على تلك الشفتين وبدت في حيرة وكأنها تستكشف لعبة جديدة منه!

اقترب خطوة اخرى جعلته على بعد بضعة سنتيمرات فقط ليهمس بمشاعر تفلت منه

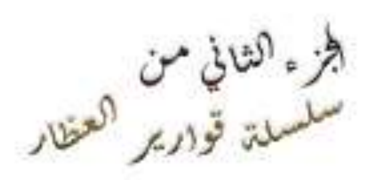
" والرد سيكون ... انت ...حبيبة .."

صدمة .. وتلك الابتسامة ما زالت تتعلق بالشفتين وكأنها تمنح صاحبتها بعض الامل ان الامر ليس جديا حتى هذه اللحظة ..!

تهمس باسمه وتبدو كطفلة لاتجيد تفسير ما تراه .... ولاتفهم حقا ما تسمعه ...

فتح كل الابواب وقد تعلم المواجهة دوما فاضاف ووجهها القريب منه يأسره بسلطان صاحبته " فاتنة بعينين جامحتين متأججتين بزرقة تحكي كل يوم حكاية ... خلابة كلوحة فنية من الطبيعة الحرة بسنابلك الشقراء التي تصارع الريح وتتلاعب معها وبها .. بريّة الروح ... حساسة ومتفردة في الالتقاط ... طفولية بالغضب ...صلبة الرأي عنيدة ... متدفقة الخيال بتجدد لايضاهى.... مبهرة تقطعين الانفاس بكل لمسة تضيفينها على اي شيء حولك .... "

انفاسها تنافس بسرعتها سرعة انفاسه هو ! كفاه ارتفعا لذراعيها دون ان يشعر ودون ان تدرك هي !





قال بصوت مبحوح من انفعال العاطفة

"وانا ... مفتون حتى النخاع بكل هذا الذي يشكل (أنتِ) ... "

يعتصر ذراعيها بانامله .. يهزها قليلا وكأنه يشكوها قلبه .. ثم همس بمشاكسة رقيقة " مغمور حتى اذني في حبك يا بريّة .."

شهقتها الناعمة استفزت فيه رجولته ليخفف عنها بالقول الممازح " اؤنب كل يوم المدير المزعج لانه يمنعني عنك "

ما زال يمسك بذراعيها ويكاد يتحطم وهو يمنع نفسه عنها بينما بدت هي ضعيفة بشكل لايوصف ...

استعان بكل ذرة قوة لديه ليتركها ويبتعد خطوة للوراء مسدلا ذراعيه الى جانبيه وهو يقول بصوت رجولي أجش

" يبدو اننا لم نعد في المنطقة المحايدة من عقلك ولا حتى عقلي ! "

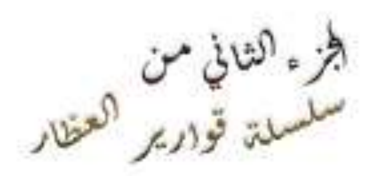
لم ير عينيها يوما متسعتين هكذا ! لكن .. انتهى الامر وقد خطى الخطوة التي ارادها..

قال بمناغشة رقيقة

" اعتقد ان هذا اطول عرض للزواج ! "







عند المغرب ...

عادت من عملها في المكتبة منهكة ..
مستنزفة ... معنويا على الاقل ...

جلست ترتشف شايها على الاريكة التي اذبلت السنون ورودها .. نظرت للساعة فوجدتها تشير للثامنة ..

دعت الله ان لايتأخر خليل هذه الليلة ايضا ،
انه غاضب بعنف منذ الجلسة الفاشلة مع امها .. فلا يعود البيت الا لماما ويكون مكفهر الوجه ناقما حد الانفجار ... وكم يرعبها التفكير بانفجاره ...

من جانبه ذلك العفن فواز كفّ بشكل مريب عن نظراته القذرة نحوها ووجه اهتماما غير عادي بل وغير مسبوق بامها فلايفارقها لحظة !

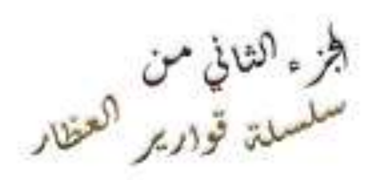
هذا يقلقها .. يقلقها جدا ولاتعرف مصدرا او تفسيرا مقنعا لهذا القلق !

انما هو مجرد حدس ان فواز يعد لامر ما ...

" هيا حبيبتي .. هيا لنخرج ونستمتع..."

رفعت خلود عينيها عن قدح الشاي لتتطلع لامها التي تزينت بشكل مبالغ فيه بينما فواز يحاوطها بذراعه يقبل خدها بنهم ودون حياء امام ابنتها ...







لم تسألهما عن وجهتهما فهي تقاطع امها ايضا منذ ذلك العصر الكئيب قبل ايام ..

لكنها كانت تعرف الى اين سيذهبان فقد سمعت فواز عند الصباح يتحدث مع امها عن عرس لابنة صديقه ..

عبست خلود وهي تفكر بشكوكها ان فواز تعمد رفع صوته لاسماع الجميع بمن فيهم خلود وخليل ...

صوت اغلاق باب الشقة آذن ببدأ الهدوء الذي تنشده .. على الاقل الوحدة تحقق لها الامان الذي تفتقده حتى وان كان امانا وقتيا ..

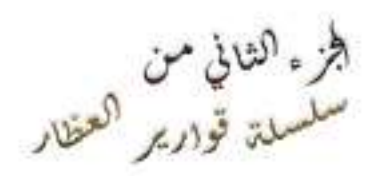
انها فسحة متواضعة لتلملم شتاتها الذي هدّه الرعب مما يمكن ان يحدث ....

في عرس مجد ...

دخلت قاعة الحفل مرفوعة الرأس .. يجب ان تفخر بنفسها وقد واتتها الشجاعة لتحضر هذا العرس وهي على يقين من وجوده فيه ... وجودهما كلاهما فيه !

تلفتت حولها بعشوائية تدعي بحثها عن وجوه مألوفة الا انها وبطريقة ما كانت تدرك انها تبحث عنه ... عن يحيى تحديدا ...







تنفست الصعداء رغما عن ارادتها عندما تأكدت انه غير موجود ...

على الاقل حتى هذه اللحظة ...

تخطو بين المدعوين بفستانها الذهبي .. انه نفس الفستان الذي ارتدته في عرس ابن الخالة بدرية ولم تختره اليوم الا لعلمها ان يحيى رآها فيه ولذلك وبحركة طفولية ارتدته في دفاع انثوي مضحك انها لاتهتم لابهاره بثوب جديد لم يره عليها سابقا ...

الان تعلم كم هي طفولية بتصرفها هذا !

هل تحمي نفسها بهذه الفكرة ؟ هل سينسيها ما حصل ظهر اليوم في مكتبه ؟؟

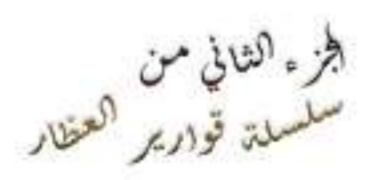
هل سيرفع من معنوياتها الهابطة كلما تذكرت هروبها من امامه كأرنب مذعور حالما قال لها (هذا اطول عرض للزواج) ثم قضائها لساعة كاملة في الحمام لتختبئ بعدها في مكتبها تعمل بجهد مبالغ فيه تتجاهل بعناد ما حصل وعندما حان وقت المغادرة حملت حقيبتها وسابقت ساقاها الريح!

همست دون شعورها " يا الهي ! "

لاتصدق حتى هذه اللحظة ان يحيى يحبها ويريد الزواج منها !

لقد قلب موازينها كلها وكل التشوش الذي ساعدها على تجاوزها اعاده اليها في رمشة عين !







لا ... ستكون صريحة مع نفسها لتعترف ان تشوشها الآن مختلف ...

تشعر انها ليست مشوشة تماما ولكنها تقف امام قرارات مصيرية ..

الامر لايتعلق بالزواج ...

الامر لايتعلق بالحب ...

ليس بمهند وليس بيحيى حتى ...

الامر يتعلق بها تحديدا ..

تشعر ان خطوتها القادمة ستحدد (حبيبة) كيف ستكون ...

قادتها خطواتها لناحية زميلاتها اللواتي اخذت يشرن لها لتأتي وتنضم لجلستهن على نفس الطاولة التي حجزت لهن في قاعة العرس ...

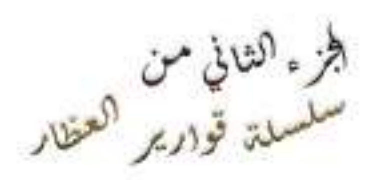
وبينما تجلس على الكرسي جذبها الهرج الرجولي القادم من حلبة الرقص الدائرية ..

شباب ورجال في بدلات رسمية انيقة يحملون العريس على اكتافهم ويهللون باهازيج وغناء صاخب استجلب المرح والحماسة في الحفل ..

عينا حبيبة حادتا نحو العروس .. عروس جميلة بابتسامة خلابة وهي تنظر لعريسها الضاحك فوق اكتاف الرجال .. تنظر اليه بفخر وانتماء واضحين ...







عادت عينا حبيبة للعريس .. مجد .. شاب رائع ومن اصل طيب وسمعة محترمة لابد ان تكون عروسه فخورة به ...

فجأة اشتد حماس الرجال فالتفتت حبيبة لذلك القادم الجديد والذي اشعل الاجواء اكثر واكثر وهو يسحب مجد ليحمله على كتفيه بمفرده ويلقي بوجوده النابض بالحياة حياة اخرى بطعم حار لاهب ...

اوجعها قلبها وهي تنظر لمهند .. لاتعلم لم هذا الوجع ؟! كل ما تعلمه ان عينيها عندما التقتا بعينيه عن بعد شعرت بالوجع اكثر ثم ... الغضب ..... منه..... ومن نفسها !

رن هاتفه بينما كان يلاعب صغيرته مع ولديّ محسن ، عبس قليلا وهو يرى رقما غريبا ...

فتح الخط ليأتي صوت غير واضح وقد علّت ضوضاء من حوله ...

اخذ حذيفة يقول

" من معي ؟ عفوا لااسمعك جيدا .."

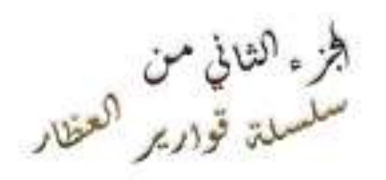
خفتت الضوضاء فادرك ان المتصل يبتعد قليلا ليسمع صوته بوضوح جيد هذه المرة

" مرحبا .... حذيفة .."

رد حذيفة ببعض الدهشة " مرحبا ... هل هذا انت يا خليل ؟؟"







بدا صوت خليل مخنوقا مرتبكا وهو يقول

" نعم ... ارجوك .. احتاج لمساعدتك ؟"

عبس حذيفة وهو يشتم في سره ليسأله

" ماذا فعلت ؟ "

رد خليل بانكسار " انا في مخفر الشرطة .. "

شعر حذيفة بقلبه يخسف ارضا بينما يقف على قدميه ليبتعد عن مسامع الاطفال وهو يعنف خليل بالقول الهادر " ايها الغبي ماذا فعلت ؟؟ هل تعرضت لزوج امك ؟ قلت لك ان تسيطر على غضبك الاهوج وتحاول مع والدتك مرة اخرى .."

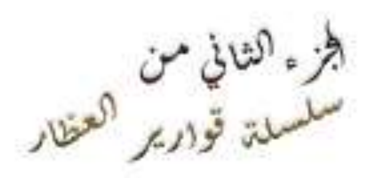
تنهد خليل قبل ان يرد بتعلثم " لا حذيفة .. لاتقلق .. ليس فوزاز ..انا.. كنت .. مستاء غاضبا ... تشاجرت بعنف مع بعض الفتية في الشارع .."

تلكأت كلماته وهو يكمل بخجل " الشرطة أتت و .... انا اتصلت بالعم عبد الفتاح البقال ليخرجني على ضمانته لكني لم اجده .. تركت له خبرا .. لكن ... خفت ان يتأخر .. وفكرت ...فكرت "

لم يمهله حذيفة وهو يخلع بلوزته البيتية قائلا بحزم " اي مخفر شرطة ؟ اعطني الاسم والعنوان وانا قادم اليك "







تعد لنفسها شطيرة من الجبن الرخيص كعشاء باهت لاطعم له كحياتها تماما ...

سالت ضعة دمعات باهتة وهي تتذكر كم مرة شاركت عزيز اكل هذا الجبن !

ذكرى بسيطة من ذكريات جميلة مرت عليها مع عزيز ..

وربما هي من كانت تتشبث بهذه التفاصيل وتعطيها جمالية لاتستحق لتعينها على مواجهة حقيقة زواجهما الفاشل !

شهقت وهي تجفل فجأة ودون سابق انذار ولمسة جريئة تحط بصلف على مؤخرتها!!

اجفالها القوي جعلها تتحرك بعنف حتى اوقعت صحن الجبنة ارضا ليتهشم ويتفتت الجبن معه ...

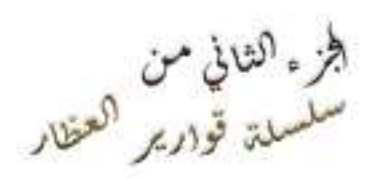
بانفاس مخنوقة ورعب نابض تطلعت لفواز تمتمت خلود بغباء

" ما الذي أعادك مبكرا ؟؟ اين امي ؟"

اقترب منها بجرأة وقحة وعيناه تفيضان بكل فجور الرغبات المحرمة والاشتهاء النجس ... ليوجهها نحوها دون ان يكلف نفسه عناد اخفاء شيء ....

بدا ضخما جدا وجسده اكثر عرضا بشكل منفر جعلها ترغب بالتقيؤ ....







يداه لم تعرفا التباطؤ او التردد وهما تمتدان في لحظة لتمسكان جسدها النحيل بقسوة بينما اخذت تقاوم خلود بعنف لتخلص نفسها منه دون فائدة ...

قال بانفاس متسارعة فاحت منها روائح كريهة " امك تجلس مع النسوة وتظنني اجالس الرجال "

اشرست خلود اكثر في مصارعته وهي تصرخ به " ابتعد عني ايها القميء .."

لكنه بدا يفوق قوتها بمئات المرات وكل الخوف الذي رصّه بصبر في اعماقها على مدى عام كامل منذ عودتها مطلقة .. كل هذا الخوف تحالف ضدها .. وكأن كوابيسها التي كانت تهاجمها في منامها وصحوها تفرض نفسها الآن فتنخر في قوتها لتتحقق رغما عنها وعلى يدي هذا الفاجر ...

شفتاه الرطبتان لامست رقبتها بوله مرضي بينما يداه تسجنان يديها خلف ظهرها وجسده الضخم يحشرها حشرا بينه وبين خزانة المطبخ خلفها ...

حتى الصراخ تحالف ضدها ولاتعلم اين خذلها صوتها العالي في هذه اللحظات العصيبة ...

ترفس فيكبح ساقيها النحيلتين بين ساقيه ولهاثه يتصاعد بمقاومتها المجنونة وكأنه يزيد من استعرار رغبته فيها ...



دموعها تسيل دون توقف وقد نالها الانهاك فلم تعد تملك الا مقاومة يائسة تشبه مقاومة اخيرة لغريق يدرك انه غارق لامحالة!

همساته البشعة احرقت اذنها وهو يقول

" القميء سينال الليلة شرف ان يكون الرجل الاول الذي يختبره جسدك ... يختبره كما يفترض للرجل ان يختبر المرأة .. لاتخافي .. المرة الاولى فقط تحتاج لبعض القسوة والعنف من الرجل بعدها ... تتوسل النساء ليحظين بنفس العنف الذي يغذي الشهوة ...! "

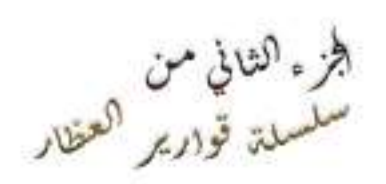
ثم تأوه قائلا بنبرة غير عادية " كما كنت اشتهي من سنوات ... سنوات وسنوات .."

اصابتها هستيرية رغم ان جسدها منهك ولايطاوعها لتقاوم .. تخرج الكلمات منها بشق الانفس " انت مجنون .. مجنون ..."

لم يكن يدرك انها في حالة لم تفهم تماما ما يقوله بينما استمر في ثرثراته الهامسة وكأنه يحدث نفسه " والدك الحقير حتى لم يأخذ طلبي بالاهمية ليخبركم به ... حرمني منك الى الابد .."

لم تستوعب الا كلمة (والدك) فعادت لها بعض القوة لتقاومه بعنف مرة اخرى





تحركت حبيبة لتهبط الدرجتين حيث منصة العريسين وقد باركت لهما للتو مع باقي الزميلات ....

كان لزاما ان تمر بالراقصين في الحلبة .. واقلقها ان يكون مهند بينهم ...

لقد تجنبت لساعة كاملة كل محاولاته للانفراد بها وعندما اقترب من الطاولة التي تجلس عليها مع الفتيات القت اليه سلاما عاديا فبدا مغتاظا بشكل واضح والفتيات لاحظن هذا واخذن يثرثرن حول اعجابه الواضح بها ويحاولن اغاظتها بالمزاح ...

لم تلق لهن بالا او هكذا ادّعت ولكنها انهكت تماما ولم تعد تحتمل هذا الضغط ... والادهى والامر عيناها اللتان تخدعانها دوما لتجعلانها تبحث عن يحيى فيزيد الضغط عليها وتشعر انها اخطأت حقا بفرض هذه المواجهة على نفسها ما بين مهند ويحيى ...

ماذا كانت تنتظر ؟! ان تراهما معا وتحدد ما تشعر به ؟ للاسف .. لم تحصل المواجهة كما أملت ..

وها هي عاجزة عن فهم ضعفها الغريب امام مهند وانجذابها المبهر ليحيى ...

تبسمت بسخرية دون ان تشعر !



على الاقل اتخذت بعض المسميات لكل هذه الفوضى العارمة التي تعيشها على صعيد العاطفة والعقل ...

اوشكت ان تغادر حلبة الرقص عندما وقف امامها بتحدي ...

ناظرته بتحذير صامت ان يبتعد لكنه لم يبالي وهو يبتسم لها بحرارة ثم اخذ يرقص امامها يهز كتفيه برجولة جذابة وعيناه البنيتان تشعان بالشقاوة ...

اسبلت اهدابها وهي تقول

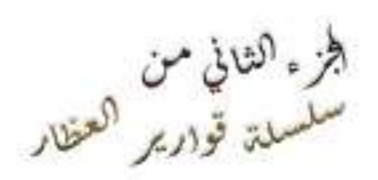
" ابتعد من فضلك مهند .."

رد ببراءة مصطنعة " عفوا ! لا اسمعك فالاصوات عالية حولنا .."

رفعت عينيها اليه بنظرات متعبة لم يلتقطها بشكل صحيح فاضاف مداعبا وهو يقترب منها جدا " ما رأيك ان نذهب خارج القاعة فنسمع بعضنا بشكل واااضح ، لدي كلام كثير يخص هذا الفستان الذهبي الذي ترتدينه الليلة "

تنهدت بيأس وحاولت ان تتحرك يمينا لتتجاوزه فتحرك معها مانعا اياها فتحركت بضيق لليسار ليفعل نفس الشيء وبرشاقة وخفة يحسد عليها ... وما زال يرقص امامها وانفاسه الدافئة تلفح وجهها ...





لم تعد تعرف ماذا يحصل لها وكل شيء
اختلط في بعضه وهي تبحث بيأس عن طرف
خيط تمسكه ليدلها على الطريق الصحيح
في هذه المتاهة ...

فجأة شع عقلها ببضع كلمات (التفاصيل غير
المرغوبة كالدهاليز المتشعبة في متاهة
ضخمة تجعل العقل يفقد قدرته على التمييز
، وأنت يا حبيبة تتوهين مرة تلو الاخرى
وتبعدين عن الفكرة الصحيحة الواضحة..!)

حدقت في مهند الضاحك بعنفوان الشباب
المفعم بالحيوية والجرأة و..... اللامبالاة ... !

ثم ... وكأن صاحب الكلمات التي تغللت اليها
يظهر من بين حروفه فترى وجهه يبزغ عن بعد

في اخر القاعة يقف هناك ببدلة بنية
فاتحة جعلته مميزا وسط الرجال الذين
اتخذوا من اللون الكحلي لوناً مشتركا
لبدلهم الانيقة ...

نظراته تغللت لنفس العمق الذي وصلت اليه
كلماته ...

" حبيبة ! ماذا حصل لك ؟!"

كان هذا صوت مهند مفعما بالاهتمام طافحا
بالمشاعر .. حدقت فيه مرة اخرى ثم همست

" يجب ان اكلم اختي آسيا .."



وبانشداه تركها مهند لتتجاوزه ثم راقب خطواتها المتسارعة وهي تغادر القاعة بأكملها ....

في احدى غرف الموظفين التي وجدتها حبيبة مفتوحة فالتجأت اليها وها هي تكلم اسيا ودموعها تنساب على خديها وتهمس باختناق " ماذا يحصل لي اسيا كيف يمكنني ان اكون متاثرة برجلين بهذه الطريقة ؟ لماذا انا مختلفة هكذا؟ لماذا لست كباقي الفتيات ؟!! هل اعاني من خلل جيني مثلا ؟! لماذا لااستطيع ان احدد ما اشعر به ؟؟ لماذا لااستطيع تحقيق تلك الجملة الذهبية (قلبي لايخطؤه) ؟!! كل الفتيات قادرات على فعلها بحدسهن الا انا ! "

بدا صوت اسيا حازما رغم القلق الشديد

" حبيبة اهدأي وافهميني بكلام مترابط عمّا حصل ؟ انت في عرس زميلك بالعمل اليس كذلك؟"

ردت حبيبة وهي تمسح وجهها لتقول باهتزاز عاطفي " نعم انا في العرس .. ومهند في العرس .. ويحيى ايضا في العرس بل ويقف لي بالمرصاد يقرؤني ويعريني ! "

تمتمت اسيا بعجب وهي تشعر بالتوهان

" المرصاد ؟! يحيى ؟؟ ما علاقة يحيى بكل هذا ؟! هل هو الرجل الآخر الذي يشغلك ؟"



طفحت دموع حبيبة وهي تهمس بشهقات

ناعمة " يحيى طلبني للزواج هذا الصباح اسيا

لا لا بل ظهرا بعد مغادرة رضا لمكتبه ! قال

انه يحبني ... يا الهي انه لم يقلها فقط وانما

حفرها عميقا في رأسي كالوشم الذي

لايمحى! "

صمتت اسيا للحظة ثم قالت بتماسك

" حسنا دعيني افهم يحيى يريدك زوجة

ومهند يريدك ايضا ،انت عاجزة عن اتخاذ

قرار وتعيشين تخبطا بين الاثنين ..."

لم ترد حبيبة وهي تمسح وجهها مرة اخرى ثم

جاءها صوت اسيا الحازم

" حبيبة هل معك السيارة ؟"

ردت حبيبة بتعب " نعم معي ..."

عندها قالت اسيا

" حسنا اتركي العرس وتعالي الي الآن ..."

ثم أكدت بالقول " الان حبيبة ... لاتكلمي

اي شخص فقط اصعدي لسيارتك وقودي

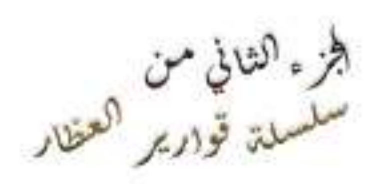
بحذر"

تمتمت حبيبة بنعم وهي تغلق الخط ثم

غادرت الغرفة متوجهة ناحية الحمام لتغسل

وجهها وتنتعش قبل ان تخرج لتغادر الفندق ...





ابتسامة متراخية على فمه بتأثير كاسيّ الشراب اللذين احتساهما للتو في مشرب الفندق ..

لقد خرج ليبحث عن حبيبة وقد اقلقه خروجها الغريب ونظراتها الغامضة ...

وعندما عجز عن ايجادها عاد للقاعة لكنه لم يجدها هناك ايضا ...

فشعر بالضيق وغادر القاعة مرة اخرى وبعد بحث اخر عن تلك التي تلوع قلبه مر بهذا المشرب وقرر احتساء كأسين ليجعله يسترخي بعض الشيء ...

تبسم في شقاوة وهو يفكر انه الكأسين اصبحا اربعة في الواقع ... ام ربما اكثر !؟

جسد انثوي مألوف له ارتطم به بقوة ..

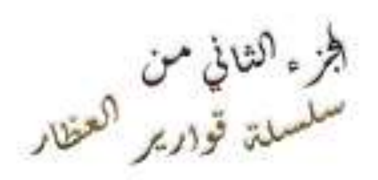
تطلع بنظرات زائغة قليلا لتلك الـ(هويدة) الجذابة بفستانها الاسود المثير ...

ابتسمت له باغراء لكنه قاوم اغرائها وذهنه يفرض عليه حقيقة ان حبيبة موجودة هنا كما انها تحتاجه ...

قال لهويدة ببعض الجفاف " ابتعدي هويدة .. اريد ايجاد حبيبة ..."

وبدلا من ان تبتعد دفعته لتحشره في زاوية شبه مظلمة .....





خطوات حذيفة كانت تتسارع وهو يتوجه لمخفر الشرطة ، كان عليه المرور عبر احد ازقة هذا الحي الشعبي ليصل اليه ...

شتم وهو يتوه مرة اخرى ليدخل زقاقا اخر بينما ينظر لساعته التي تشير للتاسعة والنصف ... يفترض ان يمر قريبا من مكان سكن خليل وبعدها يلتفت يمينا ثم يسارا فيصل الشارع الاوسع حيث المخفر ..

في الظلمة ومن بعيد لمح جسدا نحيلا وشعرا مشعثا ... بتنبه من كل خلاياه تعرف عليها وبتنبه آخر ادرك انها تتمايل بشكل مريب !

كاد يهرول حتى وصل اليها لتشهق بقوة وتعود خطوة مرعوبة للخلف حتى التصقت بالحائط الرمادي خلفها ...

تطلع اليها بينما تركها تستعيد بعض اطمئنانها وهي تتعرف عليه ...

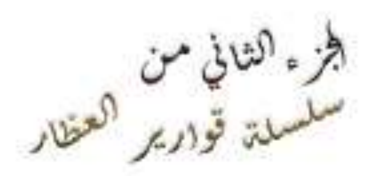
شعرها مشعث اكثر من المعتاد منها ووجهها منهك وبعض الاثار الحمراء تظلله وتلك اثار الدموع تكحل عينيها ...

سأل بعبوس ودون اي مراوغة

" ماذا حصل ؟!! هل عاد خليل ؟ "







عندها انفجرت خلود بهستيرية بكائية وهي تنوح بصوت مذبوح " اين سأذهب ؟ اين ؟ من سيرحمني ويتركني حتى اعيش دون ان يكشف ستري ويعريني دون اي مخافة من الله؟؟ لماذا كتب علي هذا يا رب ؟ ماذا فعلت لاتحمل كل هذا ؟ كل ما اريده ان اعيش كبقية البشر ... هل كثير علي ان اعامل كبشر من لحم ودم ؟؟ اجبني يا حذيفة ؟؟ هل هذا كثير ؟؟ "

اقترب منها يحاول تهدئتها قائلا " اهدأي خلود ... اهدأي وافهميني سريعا ما حصل .. لاتدارك الامور مع خليل .."

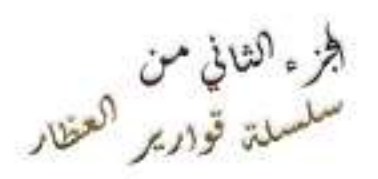
تكاد تلطم على الخدين وتولول جزعا على نفسها واخيها معا " خليل .. خليل .. يا الهي ماذا افعل ؟ كيف اجعله يغادر معي ؟ او حتى اقنعه ان اغادر بمفردي لارحم نفسي وارحمه من مصير اسود يتربص بنا "

لايعلم ما حصل له وهو يراها هكذا ! شعر بكل دواخله تنفض عنها ترابا متراكما من سنوات ... ابتلع ريقه وهو يناديه بحزم

" خلود ..اسمعيني .."

لكنها قاطعته والانكسار يفيض مع كل حرف وكلمة " حذيفة انا لم ارتكب يوما معصية .. لم اؤذي انسانا ولم .. ..."





لم تكمل كلماتها المتعثرة وهي تجهش بالبكاء لترفع كفيها تخفي فيهما وجهها وعندها لمح حذيفة كمها المقطوع عند الكتف !

فار الدم في عروقه وتوحشت طباعه بينما يهمس بزمجرة متسائلة تؤكد ما سبق وفكر فيه " هل فواز يتحرش بك خلود ؟ هل تعدي عليك ؟؟ هل هو من مزق جانب الكتف من ثوبك .."

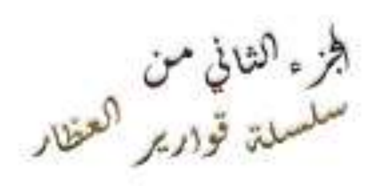
لم تكلف نفسها عناء الانكار بينما يتهدج صوتها بالخوف المريع " ماذا سافعل ان علم خليل ؟ يا الهي .... اتوسل اليك حذيفة اقنعه ان اغادر انا على الاقل ... لاعيش وحدي واسلم على حالي وحاله .."

سحق اسنانه فوق بعضها البعض وتقبضت يداه برغبة مهولة في العنف لم تنتبه سابقا الا ناحية من خطف صغيرته منه ... افرغ بعضا من طاقته في ضربة وجهها للحائط خلفها ليتمتم وهو يحاول السيطرة بشق الانفس

" ذلك القذر الخسيس ..."

عادت خلود لولولتها دون ان تشعر بما يعتمل في نفس حذيفة " اين ساذهب .. هل اقتل نفسي لارتاح واريح الجميع .."







امسكها حذيفة من ذراعها وبينما يرفع بصلابة طارف الفستان الممزق عند الكتف ليغطي ما انكشف من لحمها مقسما اغلظ الايمان انه سيشبع ذلك القذر ضربا ...

قال بجمود ظاهري " قلت لك اهدأي خلود .. ولاتبدأي بهستيريتك "

ومن حيث لايعلم ارتفع صوت مألوف من خلفه

" حذيفة ... الحمد للّه اني رأيتك هنا ... العم عبد الفتاح حضر وقام بالواجـ......"

التفت حذيفة بعفوية لخليل فانكشفت خلود لاخيها الذي ذبلت ابتسامته وهو يهمس

" خلود ؟!!! "

اشرست نظرات خليل خلال ثوان وهو يحدق في الاثنين معا بينما يتقدم ويسأل بزمجرة

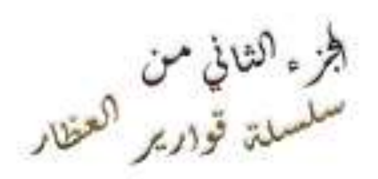
" ماذا يحصل هنا ؟ ماذا تفعل مع اختي في هذا الوقت يا حذيفة في هذا الزقاق الخالي ؟"

فجاء صوت خلود قبل ان يجد حذيفة ردا مقنعا لتقول باهتزاز

" حذيفة طلبني للزواج ... وانا وافقت ..!"

تتلاعب بازرار قميصه وتقبل رقبته بشهوة عارمة وتهمس له " هيا مهند .. دعنا نحجز غرفة في هذا الفندق ... ستكون ليلة اجمل من ليلة هذين العروسين "







يحاول مقاومتها وقد اثارته حقا

" لااستطيع هويدة .. ليس الليلة .. "

لكنها لم تيأس وقد ادركت ضعفه الجسدي كرجل لتهمس له " لماذا ليس الليلة ؟؟ ما فرقها عن ليلة الامس .. او الليلة قبل اسبوع .. والتي قبلها وقبلها ..."

ثم ضحكت ضحكة خافتة تفيض مجونا

" ام هل تخطط ان تكون ليلتك مع المبجلة حبيبة ؟"

تمتم مهند ويداه حائرتان بين ابعادها او لصقها بجسده " هويدة .. توقفي .. ليس الآن .. قد يرانا احد من الشركة .."

ضحكت بخفوت مرة اخرى لتهمس له بمشاكسة مبتذلة " اذن فانت تخشى ان يرانا من قد يوصل الخبر اليها ؟ "

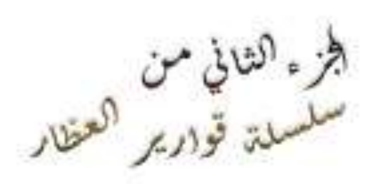
عاد لمحاولة ابعادها بينما تواصل هي دأبها قائلة بحرارة وقد فاقت رغبتها رغبته " اذا كنت تخشى ان يرانا احد ما وربما يكون حبيبة نفسها اذن اطعني ودعنا نحجز تلك الغرفة اللعينة الآن .. "

" حبيبة ! "

تلك الهمسة بأسمها لم تكن من فم مهند كما خدعها عقلها للحظة !

استدارت حبيبة بعينين جاحظتين من أثر صدمتها لتجد يحيى خلفها ....







انه يحيى ... هو من همس باسمها بتلك الطريقة وكأنه يتذوق ادق ما تشعر به في هذه اللحظة العصيبة ...!

كان يقف مثلها تماما قريبا من مشهد التقطته هي عندما كانت تريد مغادرة الفندق فتوارت خلف جدار تكتم انفاسها التي خطفت بمنظر مهند وهويدة المتعاشقين جسديا لايضمهما سوى الزاوية المظلمة ....

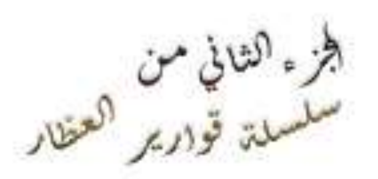
ثم اصبح المشهد المريع المقزز مجرد حوارات قذرة وهمهمات مبتذلة تتخللها اصوات قُبل مخنوقة ....

لم تشعر الا وهي تهمس لتلك العينين الزرقاوين الغامضتين ...

" اخرجني من هنا يحيى .. اتوسل اليك خذني لاختي آسيا ... الان ..."







الفصل العاشر

ما بين استسلام واهن ومقاومة اكثر وهنا تستمر هويدة بتقبيل عنقه وتتلاعب بازرار قميصه حتى تجرأت على فتح زرين !

فتح مهند عينيه قليلا والخمر تتلاعب بتركيزه ، يده تحاول منع يدها من التسلسل عبر قميصه وهو يهمهم " توقفي ..."

حرّك راسه وقد بدأ يستعيد تركيزه ليدرك انهما غير متواريين تماما عن الانظار ففتح عينيه اكثر وكفاه تحاولان ابعاد جسد هويدة عنه بتمهل ....

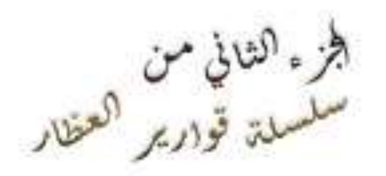
تجمدت يداه في لحظة وجحظت عيناه اللتان التقطتا الفستان الذهبي الغارب بعيدا عنه ...

تشنجت كل عضلة في جسده لتأتيه من بعيد نظرات العينين الزرقاوين كنصل سكين حاد شق رئتيه ويتمرغ فيهما دون رحمة ....

همس باختناق " يا الهي " بينما يداه تدفعان هويدة بقوة وعزم .. لكن ساقاه لم تطاوعاه ليسابق الريح اليها وفي لحظة اختفت حبيبة من امام ناظريه !

ما زالت الخمر تتلاعب به وللحظة تخدعه انها لم تكن حبيبة حقا وانما هو طيفها الذي يعذبه ومخاوفه من ان ......







" اووووبس .... يبدو ان المبجلة رأتنا ! يال الاسف ...."

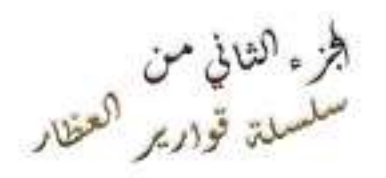
جملة ساخرة من هويدة التي تقف خلفه جعلت الغضب ينتفض فيه فلم يشعر الا وهو يستدير اليها ليصفعها !

صدمت هويدة ابتداء ثم تراخت صدمتها ليعبر وجهها عن سخرية مريرة بينما ترفع يدها لتمسد على خدها المصفوع وتنظر بقرف لمهند الذي ما زال يترنح بتاثير الخمر بينما جسده ينتفض بالغضب ....

قالت له باشمئزاز سافر " لماذا لم تلحق بها لتخترع لها قصة ما ؟! كأن أكون من حاولت اغوائك وربما ... اغتصابك ! "

رفع قبضته في وجهها وهو يهمس بشراسة من بين اسنانه " اخرسي .. اخرسي .. هل كنت تعلمين بوجودها طوال الوقت ؟ هل تعمدت فعل هذا يا سافلة ؟! "

ضحكت هويدة عاليا قبل ان تقول وهي ترتب بفستانها ببطئ مثير "سافلة ؟! انا سافلة ؟! ومخططة ايضا ؟؟... انت تعطي لنفسك اهمية كبرى يا مهند ...! من أنت لاخطط حتى تراني معك حبيبتك العفيفة ؟! هل تتصورني اسعى مثلا للتفريق بينكما هذا ان كنتما اصلا مرتبطين ؟!!





انت لاشيء بالنسبة لي لابذل جهدا سخيفا كهذا .. فأنت لست سوى رجل مثير اقضي معه وقتا ممتعا لكنك ستظل مجرد رجل ... رجل وسط عشرات الرجال الذين لااحتاج للكثير لاحصل على اي واحد منهم .. وبفرقة اصبعين!"

وفرقعت باصابعها فعلا وهي توجه له ابتسامة مستهينة ...

ثم التفتت امام ناظريه المصدومين لتضيف بكره " كم انت مغرور متبجح اناني .. انت مثله ومثل جميع ابناء جنسك!"

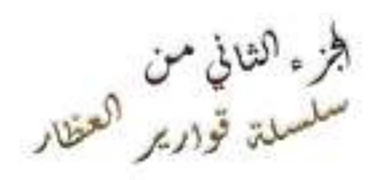
وبينما تتمايل هويدة امامه في مشيتها لتتركه بمفرده كان مهند يحدق فيها والصدمة تشل اطرافه ...

الحقائق اخذت تتوالى على رأسه كالمطارق !

تسللت ذكرى مشهد حبيبة لذهنه المشتت مرة اخرى ثم بتيه تحركت قدماه ببعض الترنح المتلاشي والارتباك الحي والخوف المضني ،تحركت يده بانفعال متأخر ليخرج هاتفه من جيبه وقبل ان يضغط الازرار تجمدت اصابعه وهو يتذكر المشهد المريع بتفاصيل اكثر وضوحا ، حبيبة لم تكن بمفردها عندما غادرت لقد ... لمح طيفا يمسك بمرفقها ... انه ... المدير .... يحيى !







" حذيفة طلبني للزواج ... وانا وافقت ..!"

يا الهي ... ماذا فعلت ؟! سؤال يضج في رأسها وهي تتطلع لاخيها خليل الذي اخرسته الصدمة ثم تنتقل نظراتها في لحظة لعيني حذيفة !

عيناه ابديتا صدمة اكبر من صدمة اخيها وهما تتسعان بشكل غريب فتبدوان كمنجمي طاقة لاتنضبان كوقود لشر قادم لامحالة !

وبعد الصدمة اشتعلت العينان بغضب لاحدود له وكأنها نيران تعلن ان الشر حضر !

ابتلعت ريقها بصعوبة والرعب يعتصر كل خلية فيها بينما ملامح حذيفة تنسفها نسفا بكل الغضب الذي سينفجر في وجهها الآن ...

حسنا ... هي تهورت .. لكن الطوفان يجعل الغريق يتعلق بقشة .... حتى لو كان على ثقة انها قشة وهمية من صنع خياله فقط !

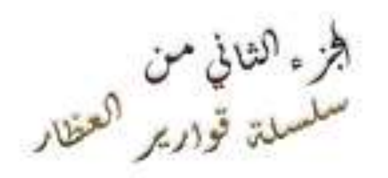
اخذت نفسا عميقا وقررت ان تتراجع في لحظة عن بلاهتها المفرطة التي دفعتها لتصرف يحمل من الحمق ما يعادل يأسها ...

شدت شفتيها لتتطلع بشجاعة نحو حذيفة فتقول شامخة " انا ...اسفة ..."

لاتعرف ما حصل لتتخرس .... !







ذلك الغضب المتأجج خبت نيرانه في عينيه فجأة وكأنها لم تكن ...!

رمشت وهي لم تفهم ذلك التعبير الكئيب الذي غزا ملامحه وانطبع على نظراته فاطفأها واطفأ نيرانها ...

قبضة قوية قاسية امسكت مرفقها فادركت ان اخاها استفاق اخيرا من صدمته ليهدر بها وهو يهز جسدها " هل تظنينني غبيا لاصدق ! انظري لملابسك ووجهك .. ماذا يحصل هنا ؟ ما معنى وجودك برفقة حذيفة وانت بهذه الحالة في هذا الزقاق المظلم الخالي ؟!"

ثم التفت ناحية حذيفة ليقول بملامح مطعونة حتى الصميم " ماذا فعلت لاختي ؟ قل لي اني افسر الامور خطأ .. قل لي انك لست نذلا جبانا لتتعدى على اختي ؟ قل لي انك فعلا تستحق ثقتي بك وايماني باحترامك لشرفي وعرضي .."

تاهت خلود وهي تراقب صدمة من نوع آخر على وجه حذيفة .. لقد بدا لها ... محطما !!!

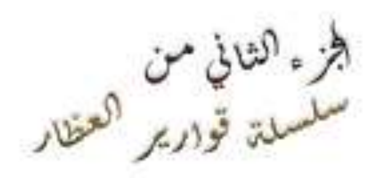
همست خلود وقلبها يوجعها في صدرها

" توقف خليل .. توقف .."

لتضيف بدفاع مستميت صادق

" حذيفة رجل شريف ورائع .."







ثم دمعت عيناها لتقول بين شهقات بكاء مخنوق " انها غلطتي انا .. انا من ..."

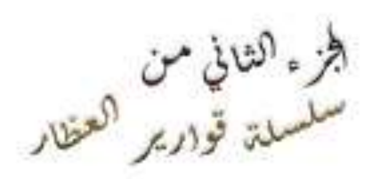
قاطعها حذيفة ليقول بصوت لاحياة فيه " نعم انها غلطتها لانها خرجت لتمشي وحدها في هذا الزقاق المظلم ، لقد نبهتها اكثر من مرة ان لاتفعل هذا ... "

شعر خليل بالضياع بينهما وانخرست خلود مرة اخرى لتفتح فمها بطريقة مضحكة بينما يكمل حذيفة بنفس النبرة " لكن قد نعذرها لانها تشاجرت مع فواز لتترك له البيت ..."

عندها افاق خليل من غيبوبة التيه فهدر بغضب اعمى " اذن هو من فعل بك هذا ؟! ذلك القذر ضربك ومزق ملابسك .. اقسم بالله مقتله على يدي هذه الليلة ولن تطلع عليه شمس الغد ..."

تحرك خليل بخطوات كالنار وعزم القتل واضح على محياه بينما تشهق خلود وساقاها تقودانها بحركات خرقاء خلفه ليحسم حذيفة الامر وهو يسبقهما معا ويمسك كتفي خليل بقوة ويجبره على التوقف ثم يقول بنبرة صلبة لاتقبل النقاش " خلود ليست من تخصصك منذ هذه الليلة وعليه حقها انا الوحيد المعني باستعادته من ذلك النتن ..."





قاومه خليل بعنف وهو يقول " دعني حذيفة .. دعني ... ذلك الكلب الخسيس كنت اعرف أنه سيتجرأ على اذيتها هكذا .."

لكن حذيفة يفوقه قوة فلم يستطع خليل مجاراته ليثبت في مكانه مستسلما منهك الانفاس ينظر لحذيفة بقهر !

خلود تلطم على وجهها وتولول " ليتني اموت .. ليتني اموت وارتاح ..."

زجرها حذيفة بقوة " اخرسي واكتمي صوتك تماما .. لافضائح ...هل سمعتني ؟!"

بشهيق بكاء مكتوم صمتت خلود وقد فقدت اخر ذرة من القوة لمحاولة فعل شيء اخر ...

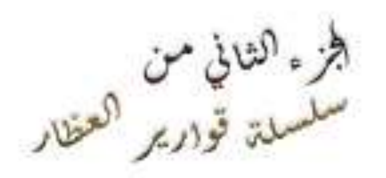
عاد حذيفة لينظر في عيني خليل ويقول بثبات دون لمحة تردد " خلود ستصبح زوجتي انا ، لقد ذهبت لمكان عملها صباح اليوم وطلبتها ..و كنت بانتظار ردها ..."

شهقة خلود لم يعرها اي انتباه بينما تركيزه ينحصر في هذا الفتى الذي سيفقد مستقبله وهو لن يحتمل ... لن يحتمل ان يضيع خليل ..

اضاف حذيفة بعزم اكبر " اعلم انه كان يجب ان اخبرك انت اولا لكني فضلت منحها حرية التفكير دون ضغوط لترضى بي "

تمتمت خلود بغباء " ارضى بك ؟!!"







شتم حذيفة في سره وقد بلغ الضغط عليه اقصاه حتى لم يعد يحتمل المزيد من ترهات هذه المجنونة التي ساقها القدر ليرميها في طريقه...

نظر في عيني خليل مباشرة وقد اشفق على ارتباكه لفهم ما يحدث وشكوكه لحقيقة ما يسمعه فقال حذيفة بحنان

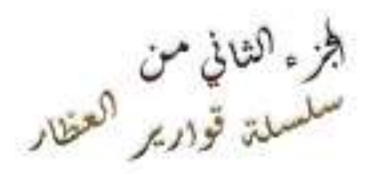
" لاتقلق يا فتى .. اختك ستكون في أمان معي... انا سأنهي الامر " ثم تمتم وكأنه يحدث نفسه " انه دين .. وسأوفيه .."

حالة من البلادة التامة تملكتها بعد موجة بكاء صامت حار لاعنوان لاسبابه ...

ترنو بعينيها من شباك السيارة المجاور لها ، لم تكن تميز ما تراه .. بل تشعر انها لاتميز نفسها اين هي ...؟

ارتعد جسدها وعقلها يتشتت بين التبلد والذكرى ... الاصوات .. اجل الاصوات المقيتة التي كانت تصلها اوقع من اي صورة حيّة قد تراها عيناها ...

دون ان تشعر رفعت كفيّها تسد بهما اذنيها وتغمض عينيها بتشنج بينما اصوات القبلات والهمهات المحمومة بالرغبات الحيوانية المستعرة ينتزع منها حق رفض الاستماع ...





ثعابين الغثيان التفت حول معدتها تعتصرها عصرا مع كل كلمة سمعتها لتعتصرها اكثر مع كل المعاني الخفية التي تحملها ...

(لماذا ليس الليلة ؟؟ ما فرقها عن ليلة الامس .. او الليلة قبل اسبوع .. والتي قبلها وقبلها ..)

حرقة انطلقت من جوفها لتلهث حبيبة بالقول وهي تبعد يدها عن اذنها لتضعها على فمها

" يحيى .. ارجوك توقف على جانب الطريق ... سأ..تقيأ !"

دون تأخير او حتى ابداء كلمة تساؤل تباطأ يحيى يمينا وركن على جانب الشارع لتفتح حبيبة الباب مباشرة وتترجل من السيارة شبه راكضة ناحية منطقة ترابية تحفها بعض المزروعات المتفرقة وهناك اخذت تفرغ كل ما في جوفها ...

شعرت بيحيى خلفها يهمس لها بصوت غريب

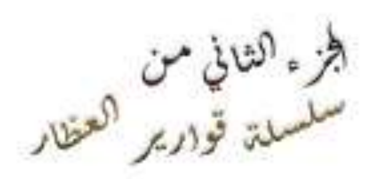
" هذا افضل ... ستشعرين بتحسن صدقيني "

اول جملة ينطق بها منذ اول مغادرتهما الفندق، لكنها لم تردعليه ولم تلتفت حتى اليه وقد عجزت عن تمالك قواها او لملمة شتات افكارها ...

شعرت بيديه على شعرها تبعد خصله المتناثرة عن وجهها المتقلص فيجمعها بقبضة واحدة للخلف وهو يهمس بصوت رجولي







" لاتتحرجي مني اذا احتجت لاستفراغ المزيد
انا معك اسندك حتى لاتقعي "

هزّت رأسها نفيا ، جبينها ينضح عرقا بينما
ارتفعت يدها المرتعشة لتمسك غصن احدى
الشجيرات تتشبث به بقوة بينما خشونته
تجرح باطن يدها دون ان تبالي !

التقيؤ جعلها تشعر بنوع من الانعزال
والسكينة .. !

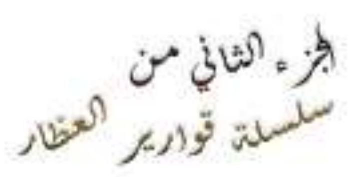
فقط يد يحيى التي تمسك بشعرها تجعلها
تشعر بوصال مع العالم الآخر .. العالم
الحقيقي دون ان تجبرها حقا على العودة رغما
عنها ...

اخذت انفاسها تنتظم بينما صوت يحيى جاءها
وكأنه ينادي احدهم .. لكنها لم تركز فيما
يقول ولمن يوجه كلامه ... بدا لها صوته
مطمئنا لها بشكل غريب ومريحا بشكل
اغرب ..

كأنه نوع من المخدر الذي يجعل احساسها
المريع بالمشهد المقرف الذي شهدته ينفصل
عنها .. يتباعد في هدنة .. رحمة بها ...

خطوات واصوات متداخلة خلفها لم تجد رغبة
او حتى اهتماما لتعرف ما يحصل .. على الاقل
يحيى موجود قربها وهذا يكفيها عناء
المواجهة مع ايا كان ...







اخيرا صوت يحيى موجه لها وهو يمد يده بقنينة ماء كبيرة " خذي حبيبة اغسلي وجهك جيدا واشربي الماء "

دون اعتراض فعلت ما طلبه فشعرت بتحسن اكبر ... وبصمت سلمته القنينة الفارغة والماء يقطر من وجهها وعندها فقط وبيده التي ما زالت تمسك بشعرها للخلف شدها ليرفع وجهها ناحيته ...

اخرج منديلا من جيبه وبملامح لاتعبر عن شيء اخذ يجفف لها وجهها بتأن ...

اسبلت اهدابها باستسلام ثم فجأة ودون سابق انذار اخذت دموعها تهطل !

صوت يحيى هذه المرة بدا خشنا كما لم تسمعه منه من قبل وهو يسأل بشكل مباشر

" ما علاقتك بمهند ؟"

كانت منهكة ... قواها مستنفدة تماما .. خاوية الا من احساس الحاجة للبكاء والبوح دون تفكير او تنميق او حتى حرص !

همست ودموعها لاتتوقف

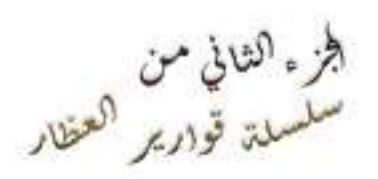
" طلبني للزواج منذ فترة .."

يده تحركت بخشونة على بشرة وجهها وهو يمسح دموعها باصرار متسائلا بصوت أجش غريب

" هل كنت تفكرين بجدية في الموضوع ؟"







فتحت عينيها تواجهان عينيه المشتعلتين بينما توقفت يده عن تجفيف وجهها دون ان تتخلى الاخرى عن امساك شعرها للخلف بل العكس زادت تشبثا ...

توقفت دموعها تماما لترد وهي تحدق في زرقة عينيه الغاضبة

" لم يترك لي خيارا الا ان افكر ! هل تصدق هذا ؟ كان في حالة استقتال لارضى والان .. والان .."

تعثرت الكلمات منها وانغرز احساس الخيانة في عينيها فارتعشت عضلة في خد يحيى وهو يراقب تلكما العينين ليقول من بين اسنانه بشراسة " الان فقط اكتشفت انه على علاقة بهويدة ؟!! كم انت مغفلة ! ... نصف موظفي الشركة يعلمون بالامر والنصف الاخر يشكون ولايتوقفون عن الحديث "

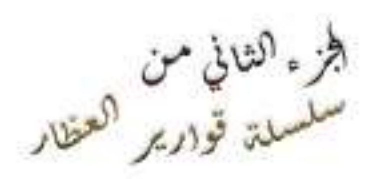
انكماش روحي جعلها تشهق ألما بينما تهمس بعينين متسعتين " كنت تعرف !"

رد ويده تحرر شعرها ليمسك مؤخرة رقبتها بعنف مكبوت وتملك سافر

" نعم .. اعرف... و منذ زمن .."

لم تشعر بيده التي انتقلت من مكان لمكان بينما الصدمة اذهلتها لتتمتم باستنكار واستهجان والجراح تنبض وتنبض ويشتد أنينها







" و صمت كل هذه الفترة ؟!! كيف ترضى ان تحدث هذه القذراة في الشركة ؟"

اقترب بوجهه منها وانفاسه الهائجة تلفحها بالحرارة ليهمس بشراسة " (القذارة) لم تكن تحصل بالشركة وبالتالي هم احرار بالمكان الذي يختارونه كمرتع لقذاراتهما حتى وان كان على مرآى من الناس في مكان عام ؟"

صدرها يعلو ويهبط وقد فقدت آخر ذرة للقدرة على استجماع افكارها بينما همسه لبشرتها يلفحها بسؤال رهيب " كيف تشعرين نحوه .."

لاشعوريا اخذت تقاوم يده التي تطبق على عنقها بينما تهمس برفض

" لااعلم .. حقا لااعلم .. ارجوك ... "

لكنه لم يفلتها بل تجرأت يده الاخرى لتحط على خصرها بتملك بينما يهمس بنبرة غريبة " جيد .."

اصبحت تقاوم بوهن ما بين اليدين الممسكتين بها وتتساءل بلهاث

" ما هو الجيد ؟! انا لاافهمك بل... لاافهم شيئا.."

رد بسلاسة اخافتها " انت تفهمين لكنك في حالة انكار لان ماحصل فوق قدرتك على الاستيعاب اللحظي للحدث.. "

ثم اضاف ساخرا بمشاكسة مستفزة " ما زلت صغيرة لتستوعبي بشكل اسرع .."



انتفضت من بين وهنها لتقاوم بقوة اكبر وهي

تقول بشراسة نارية

" اذن يسعدك ما حصل؟!"

لتضيف بشراسة وتحد اكبر " وهل سيسعدك

ان اقول نعم لطلبك الزواج مني ؟"

عندها حررها هو بنفسه ليبتعد في لحظة

نصف خطوة عنها مسبلا اهدابه قائلا بنبرة

غريبة جدا " اياك ان تقولي نعم الآن ! "

صعقها !

حدقت فيه عاجزة عن الاتيان بشيء...

رفع عينيه لتحدقان فيها بنظرة قوية هادرة

فيقول بثبات " اذا قلتها الآن يا حبيبة فلن

اراعي حالتك ولن اتصرف باخلاق الفرسان

لاقول لك ... لا ! "

تنظر اليه ولاتعلم بما تشعر ! انها حتى

لاتعرف كيف يفترض ان تشعر ؟!!

ما هذا اليوم ..؟؟ رباه ... ما هذا اليوم ؟!!

تمتمت بارهاق ذهني يحطم ارادتها

" ماذا يحصل لي ؟ لماذا انا هكذا ؟ "

عاد ليقترب جدا دون ان يلمسها هامسا بصوت

أجش " انت مصدومة فقط يا صغيرة .."

نظرت اليه تنطق اسمه باستنجاد فاق قدرته

على تجاهل حاجتها اليه " يحيى .."

كفه ارتفع ببطئ وبتردد شديد لامس بظاهر اصابعه خدها فارتعشت لتبتعد وهي تتكتف بحركة دفاعية بينما تدير وجهها جانبا ليهمس لها يحيى بنبرة عجيبة

" انا صبور فوق ما تتخيلين يا حبيبة ولي قدرة على التحكم بانفعالاتي بطريقة لاتصدق ولاتخطر في بالك، ربما هي تربية ابي العكسرية لي وربما طبيعة حياتي في امريكا من ساهمت ايضا بتعزيز هذه الصفة .. لكني... معك اختبر مشاعر لم تنتبني في حياتي من قبل فاشعر ان الامور تفلت مني .. "

التفتت بوجهها اليه وتهدلت ذراعاها فيحدقان في بعضهما ..

هي تائهة .....

وهو ... غامض !

" يا سيد ... هل زوجتك بخير الآن ؟ هل تحتاجان لمزيد من الماء ؟ "

قطع اللحظة بينهما صوت رجل بلهجة ممطوطة ....

تطلعت حبيبة محمرة بحرج لذلك الرجل القصير بهيئته التي تبرز بشاربين كثيفين وعينين مغمورتين وسط وجهه ، يرتدي جلباب قديم رث وشال رمادي مهترئ يعمم رأسه ،

رائحة سجائر كريهة تفوح منه وقد اختلطت برائحة العرق والغبار لتشعر حبيبة رغما عنها برغبة متجددة للتقيؤ !

سارع يحيى ليشكر الرجل بينما يمسك حبيبة من مرفقها بعفوية ويتحرك بها ناحية سيارته مرة اخرى ...

صمتت كما صمت هو ... هدوء تام لايخدشه الا صوت هواء مكيف السيارة ..

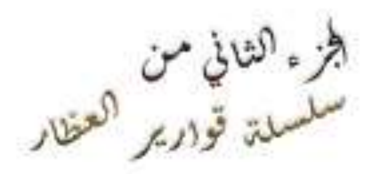
لقد استنفدت طاقتها ... لتشعر.. لتتكلم.. لتعبر.. لتبكي.. لتفهم.. لتفسر ... كل شيء استنفد منها تماما ....

يحيى منحها هذه المساحة من الهدوء طوال الطريق ...

وعندما قاربا على الوصول للحي حيث تسكن اخرج يحيى هاتفه ليتصل ثم باستسلام استمعت للمحاورة او على الاقل جانبه هو من الحوار

" مرحبا رضا .. اجل بخير شكرا لك .. حبيبة معي .. لاتقلق انا اعيدها للبيت لانها توعكت قليلا واستفرغت على قارعة الطريق .. انها تريد اسيا ..انا دخلت الحي .. حسنا اراك الان ..."







امام بيت الحاج عقيل الصائغ ترجلت حبيبة من سيارة يحيى ببعض الترنح لتتحرك قبل ان يصل اليها يحيى بينما تستقبلها اختها اسيا بقلق بين ذراعيها تسندها وتهمس في اذنها ببضع كلمات ...

رضا يراقب المشهد بغموض بين الاختين من جهة وبين يحيى الذي لم تفارق عيناه حبيبة من جهة اخرى !

حالما دخلت الاختان بيت الحاج عقيل متجهتين نحو جناح رضا واسيا قال يحيى وهو يعود لمقعده في السيارة

" حسنا اراك فيما بعد رضا .."

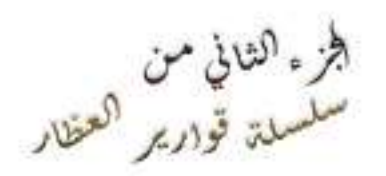
ناداه رضا بحزم وهو يقترب من جانب مقعده

" لحظة يحيى... "

التفت يحيى اليه وهو يمسك باب السيارة التي فتحها للتو قائلا بملامح لاتقرأ " ماذا رضا ؟ انا متعب وما زال امامي طريق العودة "

لكن رضا لم يهتم بل اقترب ودفع الباب التي يمسكها يحيى ليغلقها ثم قال " ستخبرني الان ماذا حصل مع حبيبة ؟ اسيا قلقة منذ فترة وكانت تتطلع للساعة باستمرار وكلما سألتها تقول لي لاشيء انا بانتظار قدوم حبيبة ، ثم تتصل انت وتقول ان حبيبة ليست بخير وتقيأت في الشارع لتعود حبيبة بوجهها المنهك وملامحها المنذهلة الغريبة ! "







قال يحيى بدعابة " اقول لك تقيأت في الشارع قبل اقل من نصف ساعة وانت تقول وجهها منهك ! وهل يجب ان يبدو متوردا مثلا؟!"

ضرب رضا بكفه على سقف السيارة من الخارج ليقول بحزم " اسمع يحيى .. انا اعرفك جيدا وغربتك لعشر سنوات لم تجعل معرفتي بك تتلاشى ! هناك امر ما مهم يخص حبيبة وانت تخفيه عني ... ماذا يحصل؟ مابها حبيبة ؟ بنات الحاج يونس العطار تحت مسؤوليتي ..قد لااتدخل في شؤونهن بشكل مباشر لكن عند الضرورة وفي مكامن الخطر انا سأكون في الواجهة .."

بملامح تخفي الكثير قال يحيى بتصلب

" لاتسألني رضا .. فالرد اصعب من ان اقوله لك انا بالذات خاصة اني لااستطيع تحديد الرد حتى هذه اللحظة .."

عبس رضا وتعمقت خطوط وجهه ليقول " ماذا يعني هذا الكلام ؟ كل ما تقوله بات لايعجبني يحيى ... انت ..."

قاطعه يحيى بالقول الهادئ " انا طلبتها للزواج"

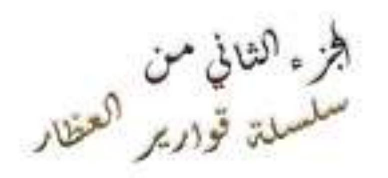
ارتفع حاجبا رضا وهو يسأل " متى فعلت ؟

رد يحيى وهو يسبل اهدابه

" بعد مغادرتك ظهر اليوم "







فسأل رضا بقلق " وهل له علاقة بما هي فيه الآن ؟"

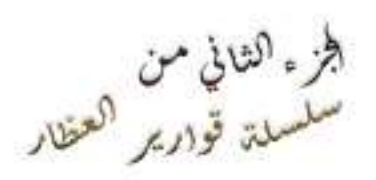
عندها تطلع يحيى في عيني رضا ليقول بقسوة " اتمنى ان يكون له علاقة ! "

احتدت نظرات رضا ليسأل بصرامة " ما معنى هذه الجملة منك ؟!! توقف عن مراوغتك وعن هذا الكلام المبطن التي تجيده من صغرك ... كن محددا يحيى ، تعرفني اكره اساليبك المراوغة هذه ، قد كانت تنفعك سابقا وانت تراوغ والدك لتثير غيظه وتتحداه بعنفوانك وذكائك لكن معي لاتنفع وعليك ان تفهمني حالا ماذا يحصل مع حبيبة ..."

بانت شراسة غير عادية في عيني يحيى بينما يقول " حبيبة لن تكون في خطر رضا ما دمت خطوت انا في حياتها ... ولن اتنازل عن خطوتي هذه فيها واقسم لن تتوقف خطواتي حتى اصل اليها ولن اسمح لاي انسان باخذها مني ..! "

ثم في لحظة استعادت ملامحه هدوئها الظاهري ليفتح باب سيارته ويصعد لمقعده وقد تركه رضا ليفعل....







لوح يحيى لرضا مودعا وهو يقول

" اخبر حبيبة انها في اجازة لبضعة ايام اذا شاءت ، يمنكها العودة مع بداية الاسبوع القادم ... الى اللقاء "

تطلع رضا بصمت للسيارة المغادرة حتى غابت عن ناظريه ...

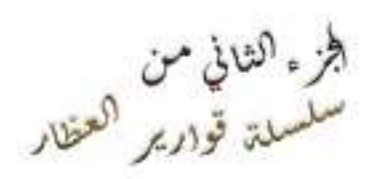
تمتم بتفكير عميق " ما الذي تخفيه عني يا يحيى ؟ هل حبيبة متورطة في شيء ؟ ولماذا اشعر ان النار تحرقك ..."

بدلا من ان يدخل رضا لبيته تحرك على الرصيف ناحية بيت امه بدرية ..

يحتاج لبعض صفاء الذهن بصحبتها كما انه يمنح الاختين خلوة تحتاجانها ...

" اجل امي ستبيت عندي ..... لاتقلقي يبدو انها اخذت بردا في معدتها لكني اعطيتها خلطة الاعشاب وستتحسن ان شاء الله ... امي اخبرتك ... مديرها يحيى هو من اتصل برضا ليعلمه وانت تعرفين انه صديقه وقريبه ولذلك احضرها الينا مباشرة وقد كنا بانتظارها انا ورضا عند الباب .... لم نشأ اقلاقك حبيبتي ... السيارة سيحضرها رضا في الغد لاتقلقي .. حسنا ساهتم بها ... قبّلي وجنتي الصغيرتين عني ..... في امان الله حبيبتي... "





كانت حبيبة تستمع لمحادثة اسيا مع امهما عبر الهاتف بينما تشرب بشكل آلي من السائل الساخن المخضر الذي جهزته لها اسيا ..

تطلعت بعينين ذابلتين لذلك السائل عبر زجاج الكأس الشفاف فاغرورقت عيناها بالدموع وهي تتذكر والدها الحبيب .. كان يصنعه لهن كلما مرضت احداهن .. انها خلطة اعشابه الخاصة ولم يعلمها الا لآسيا ...وكانت هي تغتاظ من هذا وتشعر بالغيرة لانه كان يخص آسيا بعلومه في طب الاعشاب ..

لمسة يد آسيا على شعرها جعلتها تنتفض لتسيل دموعها على خديها مدرارا في لحظة....

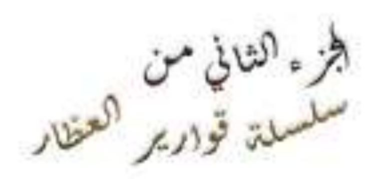
جلست اسيا الى جانبها على السرير ثم سألت باطف " هل ستخبريني الآن بما حصل بعد مكالمتي لك ؟ انت منهارة تماما ولم تكوني هكذا عندما اغلقنا الخط فماذا حدث ولماذا تأخرت ؟ وهاتفك ..."

قاطعتها حبيبة بارهاق باكٍ " نسيت ان اشحنه هذا اليوم ومؤكد انطفأ بعد مكالمتنا ..."

تنهدت اسيا لتقول بصبر " حسنا ... اخبريني بكل شيء وبالتفصيل ...."

مالت حبيبة برأسها الى كتف اختها بينما تتشبث كلتا يديها بكأس الشراب الساخن ومن بين شهقات البكاء ولواعج الالم حكت لاسيا كل ما حصل ....





في النهاية كانت ما تزال تشهق وتقول " انا .. انا لااعرف مايحصل ! بل لاافهم اسيا .. افهميني انت بالله عليك ... يحيى يقول .. اني في صدمة .. لكن هذا الالم .. هذا .. لايطااااااق .. "

ثم رفعت حبيبة رأسها فجأة وقد التصقت بعض خصل شعرها بوجهها من اثر الدموع لتسأل بهياج عاطفي " هل احبني مهند يا اسيا ؟!! هل حقا مثلت له شيئا ؟ ماذا يعني كل هذا الحب الذي لاحقني به والتوسل الذي لم يكف عنه لارضى به ثم .. ثم ...."

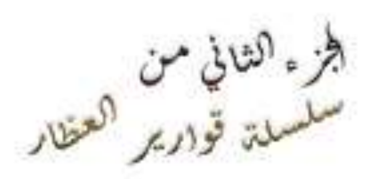
تقطعت كلماتها وانحشرت في حنجرتها فقالت اسيا وهي تتطلع لوجه حبيبة المحمر " لم يعد مهما في هذه اللحظة ان احبك مهند ام لا يا حبيبة ..."

تمتمت حبيبة بتيه كامل " ماذا ؟!! كيف ؟ ماذا تقصدين ؟!! "

ردت اسيا بهدوء وثبات " السؤال الآن .. هل احببته انت ام لا ... ؟"

انفرج فم حبيبة قليلا وانفاسها تهدر عبر شفتيها بينما تحدق في آسيا وألم الخيانة مازال يعصف بها ويشل تفكيرها .. ليس الخيانة فحسب .. لا ... بل الشعور بالـ...قذارة !







شجعتها اسيا بالقول " افصحي عما يدور في خلدك الان تحديدا ودعيني اساعدك.. اخبريني ما هي المشاعر والافكار التي تتنابك في هذه اللحظة ... "

همست حبيبة بارتعاش " اشعر بالخيانة .. سم زعاف يسري في اوصالي ويمرضني ... كما اشعر .. اشعر ... بالقذارة ..."

ضيّقت اسيا عينيها لتسأل " تقصدين قذراته لانك رأيته بهذا المنظر ؟"

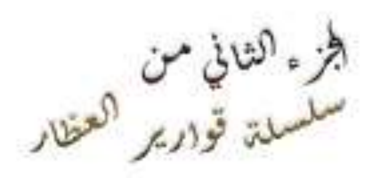
هزت حبيبة رأسها بنفي واهن لتهمس بانكسار " وقذارتي انا ايضا ! "

اتسعت عينا اسيا بصدمة لتقول ببعض الحدة " ماذا تقصدين بقذارتك ؟! ما الذي فعلته انت لتصفي نفسك بهذا ؟! "

ردت حبيبة باختناق " لقد كنت .. بين ذراعيه يوما .. بالضبط .. مثلها هي .. لقد لامسني مثلها .. رباااااه ... ماهذا الشعور المقرف المقزز ... اشعر اني ... لست .. بافضل من تلك المرأة .... "

هدرت اسيا بحزم " صمتا يا فتاة ! ما هذه المقارنة الشاذة ؟!! هل جننتِ ؟؟ انت يا حبيبة اقوى من هذا بكثير "

فقدت حبيبة اعصابها لتنهار بالقول " تلك الليلة .. للحظة استجبت له عندما قبلني ... اجل اسيا .. لااستطيع انكار هذا بعد اليوم ...



ولهذا اشعر اني قذرة ... لان مهند لايفعل هذا الا مع القذرات ... لو احترمني ... لو احبني كفاية لما .. لما قلل احترامي .. لما تعدى علي مستغلا ضعفي وانهياري .. "

اخذتها اسيا في احضانها لتجهش حبيبة بالبكاء على صدرها بينما تربت اسيا على ظهر اختها وتهمس لها " لهذا تعلقت به .. كما توقعت ... لم تكن العاطفة فقط ما ربطك بمهند بل كنت تريدين استرجاع احترام نفسك وذاتك ... هوني عليك اختاه ... نحن بشر ونخطأ وانت تعرضت لتجربة مريرة تلك الليلة عندما اختلا بك وحصل ماحصل .. هو ضعف نحوك وانت ايضا ضعفت لكنك استفقت خلال لحظات وقاومته بشراسة بينما هو استمر وتمادى .. "

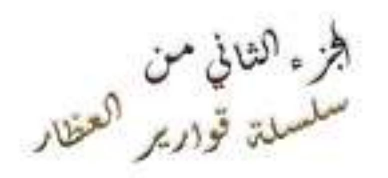
ظلت حبيبة تبكي بينما تشدد اسيا من احتضانها وتقبل رأسها وتهمس لها بحنان

" اريدك ان تهدأي حبيبتي وتجلي ذهنك .. لااريدك مشتته تائهة هكذا .. ولاتخلطي الامور ببعض وتربطي احساسك باحساسه ، افصلي بينهما حبيبة وحددي مشاعرك بناء على ما تشعرين به حقا ..."

رفعت حبيبة راسها وهي تمسح وجهها وتقول بشهقات البكاء " ماذا تقصدين ان افصل ..؟"







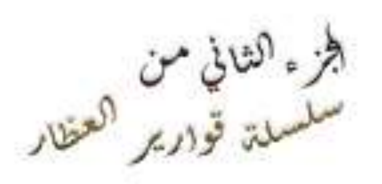
اخذت اسيا كأس الشراب من يد اختها ووضعته جانبا بينما تقول بلطف

" ما اقصده ان لاتتاثري بفكرة انه يحبك وبالمقابل تريدين ان تحبيه ... اعلم انه اثر بك كانثى ولكني يا حبيبة لااراك تحبين مهند حقا ، ربما هي شخصيتك العملية القوية التي لاتميل لسيطرة العاطفة كانت لعاطفتك الوليدة بالمرصاد فلم تجعلك تنساقين بشكل اعمى خلفها وربما هذا ما اغاظ مهند منك ليفعل ما فعل ويخونك ! لااعلم وبصراحة لايهمني ان احلل اسبابه .."

قالت حبيبة بفتور " انت لاتحبينه اليس كذلك ؟ منذ البداية لم تستسيغي ارتباطي به او مشاعري نحوه "

ردت اسيا وهي تحدق في عيني اختها " نعم .. لم استسغه ابدا .. هل تستطيعين انت ان تقولي ان مهند رجل محترم ؟ ستفخرين به عندما تقدمينه لامك .. لاخواتك الصغيرات ؟ وامي تحديدا ماذا ستقولين لها ؟ ولنترك موضوع تعديه عليك في المكتب .. قولي لي كيف ستصفين لامنا طريقة حياته .. سمعته السيئة وعلاقاته القذرة ... والاسوأ علاقته باهله التي وصفتها بوضوح انها شائكة وشبه منقطعة ..





لو قلت لي ستغيرينه فسأسأل هل تتمتعين بالصبر الكافي لفعلها ؟ وهل سينصاع لرغبتك بتغييره حقا ؟ انا لاعرفه الا من خلالك فاخبريني انت هل سيرضى حقا ؟ "

(عندما تنظرين الي بتأنيب هكذا اشعر بالاختناق .. ربما هذه هي ظلمتي الحقيقية حبيبة .. لااطيق ان يؤنبني احد)

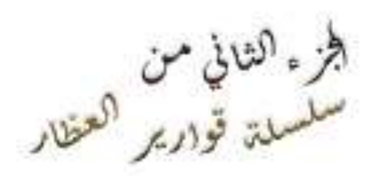
جملة مهند يتردد صداها في عقل حبيبة لتحاكي في رد مستتر على تساؤل اسيا ...

بينما اضافت اسيا " انت انهرت الليلة لمجرد انك رأيته مع تلك المرأة وانتما لستما مرتبطين رسميا حتى فماذا سيحصل لو تكرر الامر بعد زواجكما مثلا ؟! هل ستصبرين ؟ هل ستسامحين ؟"

بنارية لاهبة هدرت حبيبة " لااستطيع ... لااقدر ان اسامح ... لااستطيع ..."

عندها قالت اسيا بحنو " هناك نساء قادرات على المسامحة حبيبة ، لديهن ايمان راسخ بمن يحبون ورحابة صدر لاحتوائهم ومحبة خالصة تمنحهن مزيدا من القوة لتنمية هذه القدرة ، ولو اردت رأيي انت لاتؤمنين بمهند ولاتملكين رحابة الصدر ولااراك حقا تحبينه المحبة الخالصة .... مهند ايقظك من سباتك وكنت في داخلك تريدين بقوة الارتباط به .. الفكرة سيطرت عليك اكثر بعدما حصل تلك الليلة البشعة بينكما ..





وقد قلتها لك سابقا .. الان انا اشعر اني شبه اكيد انك لاتحبينه كما تظنين ... حتى يحيى عندما سألك عن علاقتك به قلت (طلبني للزواج) ولم تقولي انكما مرتبطين عاطفيا ... لم يكن الخجل ما منعك لتقوليها له بل هو فقط ما تبادر لذهنك كرد عفوي ... الا يحمل لك هذا دلالة ما ؟؟ "

ابتلعت حبيبة ريقها لتهمس بالسؤال

" اي دلالة ؟"

ردت اسيا بتبسم " ان تفكيرك منحصر في الطلب نفسه .. هذا الطلب الذي اعتبرته في عقلك الباطن ارضاء لكبريائك وكرامتك.. انا اعرفك جيدا حبيبة ، انت فتاة صعبة المراس ولست مرنة على الاطلاق "

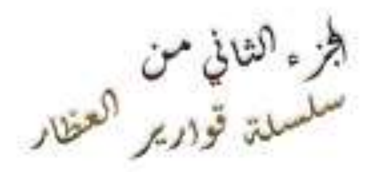
همست حبيبة " ويحيى ؟! انت لم ....."

عضت حبيبة شفتها السفلى بينما تتذكر منظرها المخزي امام يحيى الليلة .. وها هي كرامتها تهدر اكثر واكثر وكله بسبب مهند الذي خذلها .. وكم تمقت الشعور بالخذلان ؟؟!!

قالت اسيا بملامح ساكنة " يحيى ... انا لااعرف حقا .. كان امرا مفاجئا لي ان اعرف بطلبه الزواج منك ، وبعد كل ما حكيته لي تشوشت انا الاخرى ولا اجد ما اقوله عنه "







اطرقت حبيبة لتقول بخزي لم تستطع كبته

" اشعر اني غريبة الاطوار .. اسيا ... انا لاافهم كيف يمكن ان اشعر بالخيانة من مهند وفي نفس الوقت اشعر..اشعر .. لااعلم .. لكني اشعر بشيء ما ناحية يحيى ! كيف يمكن ان يحصل هذا ؟ اليس احساسي بالخيانة دلالة على مشاعر اكنها لمهند ؟؟ "

ردت آسيا " الخيانة تبقى خيانة يا حبيبة ، سواء كان خيانة قلب او خيانة روح او خيانة رفقة عمر او خيانة ثقة او حتى خيانة جسد بحته ... تبقى بكل معانيها ودلالاتها موجعة وان كانت بدرجات متفاوتة ومهند يا حبيبة لم يخنك قدر خذلانه لك .. "

تنهدت حبيبة لترجع بظهرها للخلف فتضطجع على السرير وتغمض عينيها وتهمس

" انا مرهقة الى درجة لاتوصف .. اريد النوم فقط وغدا .. غدا سافكر ... بكل...هذا .. "

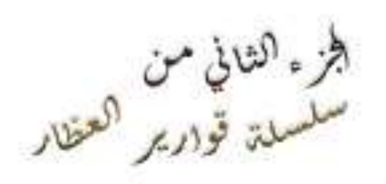
تطلعت اسيا بحنان لاختها التي توشك على النوم فعلا فترحمت لوالدهما العطار وساعدت اختها لتضطجع بشكل صحيح ثم غطتها وقبلت راسها وهي تهمس

" تصبحين على خير حبيبتي "

فجاءتها تمتمة حبيبة غير المفهومة فتبسمت وتحركت بخفة لتطفئ انارة الغرفة وتغلق بابها بينما تبتسم بحنين وتهمس







" خلطتك لاتخطئ يا يونس ! الفتاة استرخت ونامت خلال ربع ساعة .. "

داهمها شعور بالنعاس بينما تتوجه لغرفتها اضطجعت في السرير دون ان تطفئ النور وهي تتمتم " سانتظر رضا .. احتاج سؤاله عن يـ..."

لم تكمل تمتمتها لتغرق في سبات عميق وقد انهكها كل القلق الذي عاشته بسبب حبيبة الليلة ...

" اقسم ان سعاد ستصيبني بالشلل يوما ! "

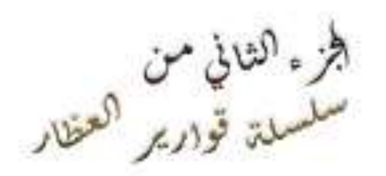
تبسم رضا مع ملاحظة امه بدرية التي قالتها وهي تتميز غيظا .. لكنه ادرك انها الوحيدة القادرة على مساعدته فيما يخص موضوع امه سعاد واقتراحها بزواج حذيفة من حبيبة ...

لايستطيع الان ترك الامور معرضة لحركة غير متوقعة ..

لقد انتظر عودة امه بدرية التي قضت بضعة ايام في بيت ابنتها ريم الحامل وكان متوجسا طيلة هذه الايام خوفا ان تسبقه امه سعاد بخطوة وتفاتح حذيفة بالامر والاسوأ ان تفاتح آسيا نفسها ..

قال رضا بتسامح " انها تريد اسعاد حذيفة وتتألم من رؤيته لايجد نفسه الا مع ابنته "





عندها قالت بدرية بحكمة " في هذا امك معها حق بنيّ ، ليس طبيعيا ان يظل حذيفة معزولا وحيدا هكذا ، انه بقمة الرجولة والشباب ولامعنى لبقائه دون زواج وقد مضى وقت طويل على محنته وحان الوقت ليجد رفيقة لحياته تؤنس ايامه وتربي معه ابنته "

رد رضا وهو يرتشف من قهوته " ربما ما انوي اجراءه من تغييرات في البيت سيجعله يتشجع اكثر فيغير حياته ويختار زوجة له ..."

رددت بدرية بتساؤل " تغييرات ؟ كيف بني؟"

اجاب رضا " لقد كلمت محسن بالامر ووضعنا بضعة تصورات ، الحديقة الخلفية للبيت كبيرة جدا وفكرنا ان نقتطع جزءا منها لبناء ملحق خاص لحذيفة وابنته ومن جانب اخر توسيع جناح محسن باخذ الغرف الباقية في الطابق العلوي ، لقد آن الاوان لهذا التوسيع قبل ان تنجب رحاب الطفل القادم ان شاء اللّه ..."

تبسمت بدرية قائلة " ونعم التخطيط بني ، ربي زد وبارك في نسلكم الطيب وجمعكم البهيج "

ارتشف رضا ما تبقى من فنجانه ليضعه جانبا ثم يميل برأسه فيقبل يد امه بدرية ويقول " حفظك اللّه اماه ... "







ثم رفع وجهه بينما يدها تلامس لحيته بمحبتها الخالصة لتقول له

" وحفظك يا قرة عيني وعين كل من يخفق قلبه تحت جناحك "

ثم مالت بوجهها لتقبل لحيته ثم سألت بخفوت وكأنها تسره بأمر ما

" كيف هي زوجتك في وحامها ؟؟ اذا نفرت من اقترابك منها فلا تبتئس انه عارض عابر ، كثيرات يحصل لهن هذا مع ازواجهن في الشهور الاولى من الحمل .."

اسبل رضا اهدابه وقال بصوت رجولي أجش

" آسيا لاتفعل ..."

ضحكت بدرية ملئ شدقيها لتهود وتقبله مرة اخرى بينما تغمز وتقول

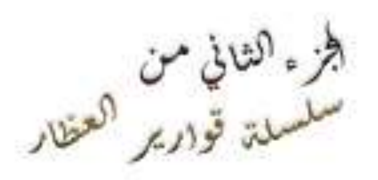
" محظوظ انت يا حبيب امك .."

ضحك رضا بينما يقف على قدميه مستئذنا ومؤكدا على ضرورة ذهابها في صباح الغد لتكلم امه سعاد بينما غمزته بدرية تسأله

" وما حكاية ذلك الفتى المتهور المشاكس؟ "

عبس رضا متسائلا " اي فتى ؟!"

فضحكت بدرية وهي تحرك حاجبيها قائلة بمكر محبب " ومن يكون غيره ؟ ذلك الصائغ الاخر الذي كان يحمحم حول حبيبة في عرس ابني عبدالله..."





تبسم رضا بغموض ليقول ..

" يفعل اللّه ما فيه الخير ان شاء اللّه ..."

ثم غادر بينما عينا بدرية تلمعان وهي تهمس لنفسها بفخر " كنت اعلم .. لم يخب حدسي"

تمسك بالابرة وتدسها في ثقب الزر .. ثم تخرجها من خلف الثقب المجاور لتنتقل للثقب الثالث ثم الرابع ... اربعة ثقوب في زر ابيض صغير تشعره كوجه ساخر مشمئز من ملامستها وهي تخيطه في القميص ....

قميص تفوح منه رائحة العرق بطريقة منفرة لكنها تستنشقها بهوس وكأنها اطيب العطور!

انها مدمنة لاريب .. كاؤلئك الاولاد الذين تراهم احيانا وهم يتعاطون المخدرات الرخيصة على ارصفة المتسولين وباعة الصحف ...

اعترفي يا امرأة انك ادمنت فواز .. ادمنته الى درجة تثير القرف ...

ها أنت تخيطين ازرار قميصه الفائح برائحة تعرفين اسبابها وتنكرينها ...بل الادهى تستل1ين باستنشاقها! كما تعرفين لماذا يقينا لماذا تقطعت حقا هذه الازرار ..







منذ ايام وانت تعيشين في حالة توهان للعقل بفعل الجرعات التي يغدقها عليك فواز من عاطفته ... فيئن داخلك من تخاذلك لمواجهة كذبه وادعائه وزيفه ...

لكنك عشت اللحظة وتنفست الوهم كأنه ينبوع الحياة الخالدة في خريفك الغارب ...

اكملت تثبيت الزر لتلتقط زرا اخر وما زال امامها زر ثالث ... ثلاثة ازرار تقطعت وفواز اجبرها ان تخيطهم له قبل خروجه لاكمال سهرته (التي فسدت) في مكان اخر ...

كانت قد خرجت ابنتها خلود كطائر مذبوح من البيت بينما اكتفى فواز بذهابه للحمام حتى يغتسل اما هي فظلت مسمرة في مكانها تعيش احساسها انها الاقذر على وجه الارض فيخرج اليها زوجها بعد قليل وقد ارتدي ثيابا اخرى ثم غادرها دون ان يتطلع اليها مكتفيا برمي قميصه الوسخ وآمرا اياها ان تخيط ازراره في التو واللحظة ...

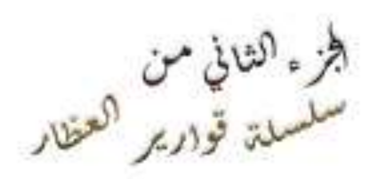
" آآآه ..." تأوهت وقد انغرزت الابرة في اصبعها حتى سال الدم منه ...

تطلعت شكرية لخط الدم الرقيق فبدا بشكل غريب اشبه بوجع ابنتها الصامت ...

اغرورقت عيناها بالدموع لتستعيد ما حصل ..

كانت تعلم .. تعلم ان هذه العاطفة التي أغرقها بها فواز لايام ستنتهي بشيء ما ...





الليلة شعرته... اجل شعرته في ذروة التأجج والتحفز .. لكنها تغافلت عن نظرة عينيه التي توحي بالكثير ...

تركها تصعد للشقة حيث مجلس النساء المحتفلات بالعرس بينما ذهب هو للخيمة التي اغلقت الشارع حيث مجلس الرجال ...

طوال الوقت كانت قدماها تتحركان ذهابا وايابا لشباك الشقة المطلة على المجلس وتتطلع بصعوبة من زاوية ما لرؤيته فيرتاح هاجسها المشحون قليلا برؤية حذائه المميز ببوزه المعدني ...

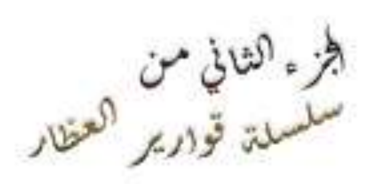
كل ربع ساعة كانت تفعلها ... واخيرا حصل... واختفى الحذاء مع اختفاء صاحبه ..

ودون تفكير غادرت شكرية تنزل درجات السلم بلهاث مجنون فتأخذها خطواتها الملتاعة حتى شقتها ... يدها ترتعش وهي تمسك بالمفتاح لتفتح الباب بينما الاصوات المكتومة القادمة من الجانب الاخر للباب تهز صمودها هزا ...

ما ان فتحت الباب حتى وقع المفتاح من يدها ارضا على صوت ابنتها الموشح بالالم والاستنجاد المذبوح

(ابتعد ... ابتعد ...دعني ... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه)







عندها لاتدري لم صرخت باعلى صوتها

(فواااااااااااز)

قدماها ثابتتان وجسدها كله يختض بعنف

والعجز حطمها بينما الجلبة تتصاعد وشتائم

فواز تصلها ليخرج من المطبخ هادرا

كالمجنون ....

لاتعلم لم تركزت عيناها على مكان بضعة

ازرار مفقودة من قميصه المفتوح ليكشف عن

صدره الذي غطاه شعر كثيف....

اخذ يتقدم نحوها بهيئة مجنون على وشك

القتل ليصرخ فيها ويصرخ ويصرخ ثم

يمسكها يهزها بعنف ويستمر بصراخه وهي

لاتستوعب شيئا ...

عيناها مثبتتان ناحية المطبخ .. تريد رؤية

شيء ما بتعطش مهلك ....

وما انتظرته ... جاءها ... ويا ليته لم يجيء!

تتسند خلود على باب المطبخ بحالة ممزقة

منهكة ... شعرها منكوش .. عيناها تبكيان

بصمت وجيعتها ووجهها يحمل اثار حمراء

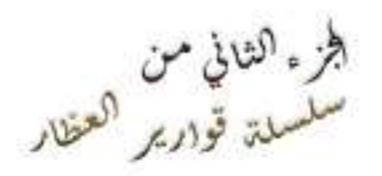
تحكي الحكاية من البداية الى النهاية ...

اما طارف فستانها القديم الممزق فيضفي

اللمسة الاخيرة للحكاية ..







لن تنسى نظرات ابنتها حتى مماتها .. لن تنسى كلماتها الصعيفة وهي تتحرك بانكسار لتمر بهما متوجهة ناحية الباب المفتوح قائلة " فوضت امري الى الله .... حسبي الله ونعم الوكيل ..."

عندها جاء صراخ فواز واضحا لعقلها المتراخي " يا بنت الـ... اذهبي للشارع ولاتعودي ... قليلة الادب عديمة الاحترام ..."

وحالما غادرت خلود قال فواز لزوجته وقد خبا بعض عنفه " ما الذي ارجعك للبيت الآن ؟ انا كنت اريد مفاجأتك باحضار خلود للعرس

لكنها بنت الـ... اثارت غضبي بطول لسانها فجعلتني اضربها دون هوادة ..."

تطلعت شكرية عندها لوجه زوجها فرأت العرق يتصبب من جبينه وعيناه تحملان نظرات ضارية خنقتها ... اخرستها وجعلتها تفيض حقارة بخنوعها وهي تهمس " لابأس "

دفعها فواز بقرف مكبوت ليتمتم انه سيأخذ حماما تاركا اياها في حالة جمود وانهيار داخلي رفضت بكل ما تملكه من قوة الاستسلام له او الاعتراف باسبابه ...

حقا انها الاقذر على وجه الارض !





اصوات تقترب من باب الشقة جعلتها ترتعش ترقبا ... تتساءل بوجع متأخر .." اتراها خلود عادت ؟ ام ربما هو خليل قرر ان يترك مبكرا سهرته الطويلة مع اصدقائه ؟.."

كتمت شقتها وعيناها تتسعان رعبا .. انها لم تفكر بخليل يا الهي لم تفكر مطلقا ... ماذا ستقول له ان عاد فجأة ولم يجد خلود ؟

فُتحت الباب ليطل وجه خليل المتجهم فيهوي قلبها لقاع الرعب ثم .... تبعه وجه خلود المنهك التائه ليجعل الام تتحطم رعبا من القادم ...

واخيرا ... ظهر وجه رجل غريب ... وجه لاتعرف كيف تصفه .. لكنه اخافها بطريقة ما بتعابيره القوية وملامحه القاسية المريبة ..

قدماها حملاتها لتقف غريزيا وهي تواجه ذلك العملاق الضخم الذي تبع دخول ولديها...

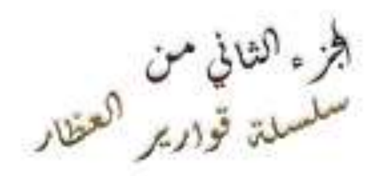
تطلع الثلاثة للام بنظرات متباينة ...

خليل ينظر بقهر وغضب وخلود تنظر بخيبة وتحطم لايوصفان وذلك الغريب ينظر اليها بغموض تام ....

تمتمت الام ببلاهة " مرحبا ...."







كان الغريب هو وحده من رد .. بينما اكتفت خلود بالصمت اما خليل فقال من بين اسنانه

" اين زوجك القذر ؟"

باختناق تمتمت " خر....ج ... "

بابتسامة قاسية سخر خليل قائلا " هل ذهب ليرفه عن نفسه بعد ان اشبع اختي ضربا ؟"

شيء ما هدأ في داخلها وهي تتطلع بامتنان لوجه ابنتها الجامد لكن شكرية في نفس الوقت كانت ترتعش من شدة حقارتها ...!

عندها تكلم الغريب .. صوته قوي مخيف كشكله لكنه كان هادئا تماما وبشكل يثير الحذر لشدة غموضه

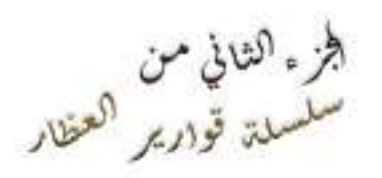
" اذن سيتأخر .. لاباس .. "

ثم توجه بكلامه لخليل قائلا بلهجة قاطعة

" اعتبارا منذ الليلة ستنام مع اختك بنفس الغرفة وفي الصباح توصلها معك للمكتبة حيث تعمل وعندما تعود من المدرسة تتوجه للمعمل لكنك لن تطيل المكوث طويلا بل ستعود مع وقت انتهاء عمل خلود لتعود معها للبيت .. هذا فقط اجراء مؤقت حتى ارتب اموري ليتم الزواج "

اتسعت عينا الام وهي تحدق في الرجل وتكاد لاتفقه شيئا ليتوجه نحوها الآن بالكلام مصرحاً بنبرته المخيفة







" انا حذيفة الصائغ صاحب المعمل الذي يعمل فيه خليل وقد تقدمت للزواج من خلود وهي منحتني موافقتها الليلة وسنتزوج باقرب وقت تسمح به ظروفي "

كانت جمله جافة مبتورة تنضح تجاهلا لحقيقة كونها ام العروس ..!

وهل هي حقا ام العروس ؟! من تخدعين يا شكرية ؟ حتى هذا الغريب الذي يريد ابنتك زوجة لاسباب لايعلمها الا الله قد علم يقينا أي ام انت ...

التفتت خلود ناحية حذيفة فتتمتم باختناق

" حذيفة .. اريد مكالمتك على انفراد "

فرد حذيفة وهو يعود ادراجه ناحية الباب المفتوح " غدا نتكلم خلود سآتيك الى المكتبة لاخبرك بالتفاصيل "

حاولت توسله ليسمعها لكنه أبى وهو يتجاهل ندائها الصامت المختزي من فعلتها فيتوجه بنظرة اخيرة ناحية خليل ويقول بصرامة

" اياك ثم اياك ان تحيد عما اتفقنا عليه وقلت لك ان خلود في ذمتي منذ الليلة وانا كفيل بأخذ حقها بطريقتي وليس بطريقتك الهوجاء التي ستحطم مستقبلك "

تطلع اليه خليل بنظرة امتنان اذابت القسوة البدائية في ملامح حذيفة فتبسم له وقال

" انت فتى طيب يا خليل .. فتى طيب "



ثم غادر مغلقا الباب خلفه .. تاركا الثلاثة يتطلعون في اثره مبهورين بسلاسة دخوله لحياتهم حتى عمقها وهم يقفون عاجزين وسط فوضاها!

يلف ويلف حول بيتها ... بيت يونس العطار ... لقد افاق من سكرته بعد قدحين من القهوة الثقيلة ..

تمتم والغضب يستعر لرؤية الاضواء المطفئة

" تنامين حبيبة ؟ حقا تنامين ؟!! وانا ماذا يفترض ان افعل الآن حتى تبزغ شمس الغد ؟ اياك ان تقولي انك ستتركيني حبيبة .. اياك ان تعتقدي اني ساتركك مهما حصل ... يجب ان تفهمي ... يجب ان تكلميني اولا لتفهمي ... "

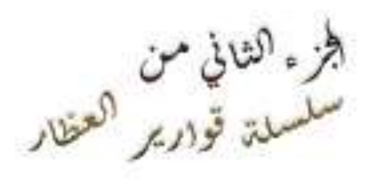
عاد ليتصل بهاتفها فياتيه نفس الرد ..

الهاتف مغلق ....

تأججت فيه نار اخرى .. كيف تنفرد مع يحيى بأريحية هكذا ؟ ومن يكون هو ليوصلها لأي مكان ؟؟ سيارتها ما تزال في الفندق لقد رآها..

هل يعقل ان ... لا ... نفض رأسه واخذ يضرب بقوة وعنف على مقود سيارته بينما التمعت عيناه بغضب اهوج ...





لايطيق ان يقترب منها رجل .. لايحتمل ..ان ..

اخرس افكاره كلمات هويدة التي نفثتها في وجهه الليلة ..

ابتلع ريقه يقاوم احساسا بمذاق لاذع ..
احساس يجعله يشعر انه ... لاشيء !

قد يكون صفع هويدة بيده لكنها ردت له بصفعة اقوى اثرا ...

اوقف السيارة على جانب الطريق في ذلك الحي الهادئ بينما قهره هذا الشعور الذي واجهته به هويدة كما لم يواجهه به احد من قبل ...

حتى حبيبة وكل ما قالته له سابقا وآلمه لايعادل شيئا امام ما قالته هويدة ..

لايعرف لماذا .. يا الهي لايعرف لماذا صدمه كلام هويدة المستهين عن شخصه ؟!

هل جرحت كبرياءه ام ربما لانه كان يراها لاترقى لمستواه فاكتشف في لحظة انهما من نفس المستوى بالضبط وهي تحقره بكل كلمة جعلتها تبدو حقيقية تماما .. حقيقية لدرجة هزته ...شعر بالاختناق وبثورة نفسه تهدر فشتم وهو يتحرك بسيارته مغادرا الحي باكمله بينما يتمتم " لكني لن افقدك حبيبة .. مهما حصل ساستعيدك وساقنعك ان الامر غلطة .. مجرد غلطة ..."







يقف تحت رشاش الماء منهك الجسد لكن نشط العقل ...

لقد احتاج للتمارين القاسية في صالة الالعاب وقد مارسها بشكل مفرط نوعا ما لكن افادته كثيرا لاخراج شحناته المتفجرة ...

منذ ان ترك رضا امام بيت الحاج عقيل وقد عاد لشقته ليغير ملابسه باخرى رياضية ثم توجه للصالة التي يذهب اليها مرتين اسبوعيا لكن ذهب الليلة بشكل استثنائي وعلى غير مواعيد جدوله الذي يضعه لنفسه ...

حبيبة هذه تخلق فيه انفعالات عجيبة ظن انه دحرها منذ سنوات بقوة ارادته ...

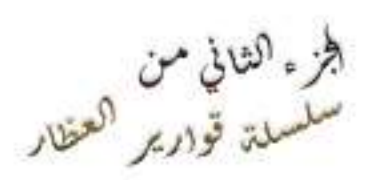
يكاد يفقد سيطرته تماما لينتزعها انتزاعا مما هي فيه ويغرقها بكل العواطف التي تقتله شوقا اليها ...

مد يده ليحول الماء للبارد تماما وداخله ينبض ... ينبض بعشق لم يتصوره موجودا على وجه الارض ...او ربما هو لم يتصور نفسه عاشقا بهذه الطريقة ...

تمتمت من تحت رذاذ الماء بسخرية مشاكسة " صغيرة جدا لتنهكك هكذا يا يحيى .. صغيرة جدا وشرسة ولاهبة .. يا الهي ..."

اغلق صنبور الماء بحركات عنيفة ليلتقط منشفته يجفف بها جسده بحنق غيور ...







خرج من حمامه الانيق يلف المنشفة حول خصره وافكاره رغم حرارتها تتخذ طابعا منظما ...

حبيبة فتاة تحكمها افكارها قبل مشاعرها هذا امر مؤكد .. مهند يبدو ان تسلل اليها في غفلة من افكارها المسيطرة هذه ليصل بطريقة ملتوية لمشاعرها ..

لاتفسير اخر لديه .... قد تنقصه قطعة او قطعتين لتكتمل الصورة لكن لاباس ...

المهم ان فتاة جبارة الروح مثلها تحمي بشكل غريزي عمقها الانثوي الضعيف بسيف صارم يمثل فكرها المعقد بين تشابك وتنظيم ..

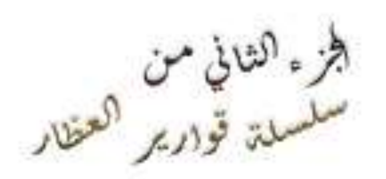
اغمض يحيى عينيه يسيطر على تصلب جسده وهياج غضبه النادر ...

بينما يسترخي شيئا فشيئا تمتم بابتسامة مرتعشة " اتوق لانثوتك الضعيفة يا برية .. ستكون خليطا يخطف الانفاس بين ضعف واشتعال ... وهذا الخليط لن يشعره الا من يملك قلبك حقا ..."

يبتسم باكتفاء جسدي منحته اياه بائعة هوى محترفة عوضه بعض الشيء عن احباط فشل خططه (الحمراء) لهذه الليلة ..

لقد اوشك ان ينال مبتغاه ... اللعنة ... !





لقد خطط لكل شيء وكاد ينجح لولا ان تلك العجوز القبيحة لحقت به ككلب وفي يشمشم رائحة صاحبه ويلتصق بحذائه اينما يذهب ...

تطلع لساعته تحت الانارة الخفيفة لمدخل المبنى القديم حيث الشقة المتعفنة التي يسكنها مع العجوز ولا يهونها الا وجود خلود فيها ...

تعجب ! فنظر بتركيز مرة اخرى للساعة فوجدها حقا تشير للتاسعة والربع !!!

تمتم بتضجر وهو يتوجه ناحية السلم المظلم " مصلح الساعات الاحمق ساقتلع رأسه في الغد ! هذه ثالث مرة اعطيه ساعتي ليصلحها وها هي توقفت مرة اخرى ..."

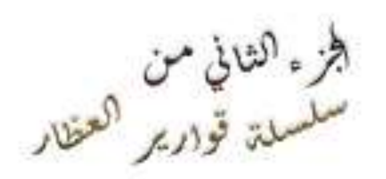
كان يحاول تخمين الوقت بما يقارب منتصف الليل بينما يفكر ان الفتى خليل لابد عاد للبيت ، ثم تبسم ساخرا وهو يتمتم بينما قدمه على اول السلم " لابد ان العجوز اجادت تنظيف الفوضى خلفي ولااستبعد ان ..."

" ها قد أتيت اخيرا ..."

توقفت خطوات فواز بينما يأتيه صوت خشن من الجانب الاكثر ظلمة اسفل السلم ...

تساءل فواز بتوجس وهو يشعر ان الصوت ليس غريبا عنه " من .. من يكلمني ؟"







ظهر الخيال الضخم من وسط الظلمة الحالكة ليرعبه بمعنى الكلمة بالقول الهادر

" انا .... قدرك الاسود ...."

لم يستوعب فواز متى تقدم منه ذلك الضخم ومتى سحبه بقوة مهولة من ملابسه ليأخذه معه ... للظلمة الحالكة ..!

المفاجأة اخذته على حين غرة فأخذ يقاوم في البدأ لكن الرجل كان اقوى منه بكثير وهياجه الشديد كان مرعبا الى درجة لم يشعرها من قبل ....

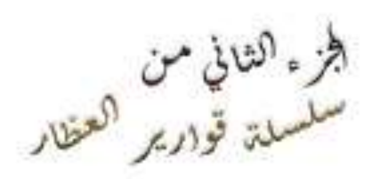
حصل عراك غير متكافئ انتهى سريعا وخلال اقل من دقيقة وفواز مطروحا بظهره على الارض بينما حذيفة فوقه يضربه بعنف سافر لايعرف حدود العقل ...

كل ما في داخل حذيفة كان يصرخ بالغضب ... صرخات من اعماقه لاترحم فتشقق جلده وتنبض بقوة بين قبضتيه ... كان يضربه ويضربه وقد شعر انه فقد نفسه فانفصلت عنه ليوقفها في مواجهة معه ... فلم يرحمها ....!

كان صوته يلهث بالقسوة البدائية وهو يصرخ مع صرخات غضبه المستعر

" نذل ....خسيس .. حقير .. قذر .. معدوم الشرف .."







اسرف في هديره وكلماته التي اشتعلت بكل معاني الاحتقار وقد ضاع منه الهدف الاساسي الذي انتظر فواز لاجله وعاش في تلك اللحظات العصيبة يواجه فيها اشد دواخله ظلمة فيجلدها دون رحمة ...

لم يتنبه لما يفعله حقا الا بأنين فواز وهو يتوسله " لاتقتـ..لتني.... ارجووو...ك .."

اهتز حذيفة وجحظت عيناه وهو يحدق في وجه الرجل الذي ضربه بهستيرية ثم بدأ يميز ملامحه بصعوبة وسط الظلمة ... للحظات مهولة اقشعرت روحه وهو يتخيل انه .. انه سيرى ملامحه هو !

لكنه استعاد ادراكه مع تمييزه لملامح فواز ... لم تطل حالته ورغم لهاث انفاسه الشديد امسك بقميص فواز يسحبه قليلا للاعلى قائلا بلهجة انتقامية متشفية ساخرة

" اقتلك ؟!! كم انت تحمل امنيات عظام ! انا سأظل كمارد يحوم حولك في اي جحر تلجأ اليه يحمل لك غضب الاولين والاخرين.. وساستمتع ايما استمتاع بكل تعذيب امارسه عليك "

كان فواز ينظر لحذيفة وكأنه وحش مجنون فجفت الدماء في عروقه بينما يضيف حذيفة بلهجة اخطر





" سأكوي بالنار اي جزء من جسدك العفن اذا مس خلود ولو عرضا وسأفقأ عينيك الاثنتين اذا اخبرتني يوما انها شكت مجرد شك بأنك نظرت اليها بقذراة ..."

وفي اللحظة التالية دفعه مرة اخرى ناحية الارض فيتوجع فواز وقد استنفذ اخر ذرة من طاقته ليتركه حذيفة مبتعدا لاهثا وفي داخله يعشعش احساس رهيب لايمكن وصفه...

بعد ساعة ...

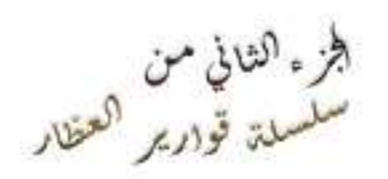
كان حذيفة يأخذ صغيرته النائمة من على كتف عمها محسن بينما اخاه يقول بحنق

" لاافهم لماذا اصريت ان تأخذها ؟ لقد كانت نائمة قريرة العين ومرتاحة في حضن رحاب.."

ضم حذيفة ابنته لصدره باشتياق عارم واحتياج مريع !

اخذ يتشممها فتهدأ خفقات قلبه التي اضطربت بكل ما مر به الليلة ...







لم يستطع التحمل ان ينام الليلة وصغيرته
ليست في حضنه ، حالما وصل البيت وقد كان
يعمه الهدوء سارع لاخذ حمام ساخن ثم عالج
جرح يده من اثر ضربه المبرح لفواز وحالما
غيّر ملابسه لم يوقفه حرج من ان يدق باب
الجناح على محسن مطالبا بمليكته
الصغيرة...

شفاهها الصغيرة حالما التصقت برقبته
تحركت في نومها لتطبع قبلاتها النائمة
ولكنها كافية لتشفيه من كل علّة ...

ابتسم حذيفة لمحسن براحة ولم يعقب بشيء
على كلماته ثم تحرك عائدا لغرفته بينما
سعاد تعود لاغفاءتها الكاملة ..

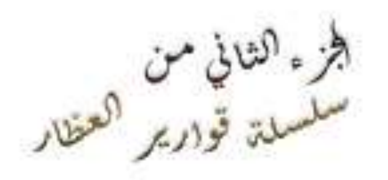
شفقة ادمت قلب محسن وهو يرى شقيقه بهذه
الحالة واقسم ان لن يتركه هكذا اكثر من
ذلك وغدا تحديدا سيكلم رضا لاستعجال
تنفيذ فكرة الملحق ثم سيفعل المستحيل
لايجاد عروس مناسبة لاخيه ...

تتشبث ببلوزته القطنية بيد بينما يدها
الاخرى تتحرك نحو فمها بعفوية لتدس
ابهامها في فمها الصغير ..

يعجز عن منعها كما يفعل رضا معها .. لايطيق
ان يمنع عنها شيئا ..







يقبّل تلك اليد الصغيرة وقد اختفى ابهامها بين الشفتين ثم يقبل الخد النضر المحمر ليصل الاذن الصغيرة فيهمس فيها بعاطفة جياشة تمس القلب

" لاتخافي مليكتي .. انت محمية من بابا وتعقيداته .. لن يمسك سوء ولن يهدد مستقبلك شيء وعمك رضا سيكون معك دوما ... سيحميك حتى مني! انا تدبرت كل الامور لتعيشي سعيدة ... مطمئنة... ولاينقصك شيء ابدا ... "

ثم ضمها لصدره بينما يدها تزداد تشبثا بملابسه ...

صباح اليوم التالي ...

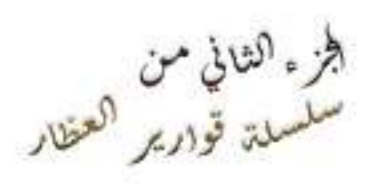
تحرك الاشياء وتعيد ترتيبها مرارا وتكرارا ..

عيناها لاتغفلان عن قراءة عقارب الساعة امامها وها هي تشير للثامنة وخمس دقائق وحذيفة لم يظهر بعد ...

ليلة الامس كانت مضنية بعد رحيله .. ما بين صدمة امها التي التزمت الصمت وعادت لخياطة القميص الذي كان في يدها بتبلد قاتل !

وما بين خليل الذي اخضعها لتحقيق كامل حول ما حصل مع فواز اولا ثم حول طلب الزواج (الوهمي) من حذيفة ثانيا ...





اكاذيب.. اكاذيب.. وهي تعتصر عقلها عصرا لتخترع المزيد منها وبترابط منطقي قدر الامكان ...

انتهى اخيرا بأن افترش اخوها الارض بجانب سريرها المتهالك لينام قرير العين هو بينما هي تكتم تقلباتها خشية ان توقظه بصوت سريرها الحديدي الصدئ..

وبعد كم الحلول التي فكرت بها لاخراج نفسها من الورطات التي لاتعد ولاتحصى نامت مع خيوط الفجر الاولى ...

ليوقظها صوت خليل من نومها العميق بصوت بدا مبتهجا شامتا وهو يقول

" استيقظي اختاه .. لايفوتنك منظر فواز .. يبدو ان حذيفة فعلها واشبعه ضربا دون ان يمنحه راحة الموت الاخير ..."

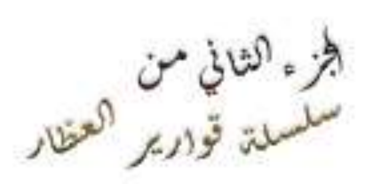
" صباح الخير .."

صوته الخشن الساخر اجفلها ليخرجها من افكارها التي تدور حوله فيتجسد هو امامها حقيقة واقعة من لحم ودم ... واقفا في باب المكتبة وقفة لاتبشر بالخير ...

عبست وهي تنظر لجسده الضخم فتتمتم

" حتى طرزان لااتصوره حظي بضخامة مفرطة كهذه ؟! "







الفصل الحادي عشر

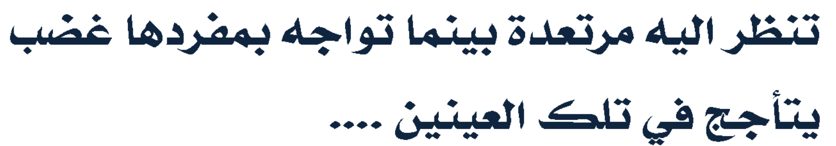
" حتى طرزان لاتصور ه حظي بضخامة مفرطة كهذه ؟! "

ابتسامة اكثر سخرية لامست شفتيه فادركت انه سمع ما تفوهت به للتو !

احمرت بينما عيناه تقسوان وابتسامته الساخرة تتضاءل ليقول بنبرة تعبر عن نظراته

" اذن فقد فعلتها واقحمت نفسك مع (طرزان)"

قلبها اخذ يدق بعنف واحمرارها تلاشى ليغزو وجهها الشحوب ...



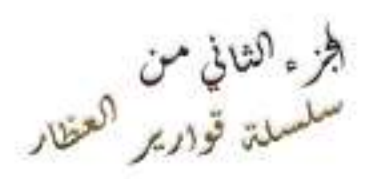
تنظر اليه مرتعدة بينما تواجه بمفردها غضب يتأجج في تلك العينين ....

اغلق باب المكتبة ثم تقدم منها ..لاشعوريا تراجعت هي للخلف وعيناها تتبعثران بنظراتهما هنا وهناك تبحث عن ... مخبأ !

تمتم حذيفة بشراسة وهو يقرأ افكارها

" اليوم لن تجدي ما تختبئين خلفه .. لا خليل ... لا وضعك المزري مع زوج امك .. ولا حقيقة كونك مجرد غبية متهورة ! اليوم عليك مواجهة (خياراتك) التي فرضتها ببساطة وقحة على غيرك ..."





احتبست انفاسها بصدرها وهي تلتصق بالحائط خلفها تنظر بارتعاب لحذيفة الذي اصبح في مواجهتها لايبعد عنها الا بضعة سنتيمرات ...

همس بصوت جاف مبحوح " اخيرا هناك ما يخرس هذا اللسان الطويل ويحشره حشرا في فمك الكبير ! "

تمتمت كهبلاء " فمي الكبير ؟! "

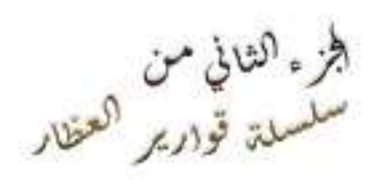
عيناه لامستا شفتيها ثم رفع نظراته لعينيها يحدق فيهما بتعبير غريب ثم قست نظراته فجأة بشراسة ضارية قائلا " فم كبير وعقل صغير وغباء مفرط وتهور احمق ! كيف استطعت جمع هذه الخلطة (السحرية) يا فتاة؟! "

قال جملته الاخيرة باستهانة لاذعة جرحتها في الصميم فابتلعت ريقها لتهمس بانكسار

" يحق لك .. قول .. اكثر من .. هذا .. انا .. اسفة .. اقسم اني .. كنت .."

قاطعها بعنف هادرا " كنت كالعادة تتصرفين قبل ان تفكرين ! ألم يخطر في بالك للحظة واحدة ماذا كان سيحدث لو اخترتُ ان اكشف لخليل كذبتك الهزلية التافهة ليلة الامس ؟ "





ترقرقت عيناها بالدموع لتهطل دمعة ببطئ
على خدها وسالت رويدا رويدا حتى وصلت
شفتها العليا واستقرت هناك ...

عيناه تتبعتا تلك الدمعة دون ان تتغير
ملامحه القاسية بينما شهقت خلود ببكاء
مكتوم لتمسح بطارف لسانها تلك الدمعة من
على شفتها ثم همست بمزيد من الذل
والانكسار " انا كنت .. سأكشف الموضوع ..
واعترف لـ.. خليل ... "

ثم اشتعلت عيناها اللتان كانتا منكسرتين
قبل لحظة واحدة لتقول بعصبيتها المعتادة
"انت من منعني! فلا ترمي عليّ الذنب كله "

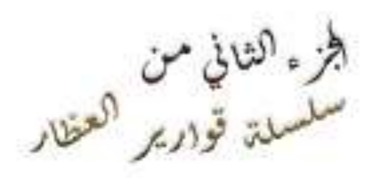
رفع قبضته ليضربها بعنف في الحائط خلفها
فتذكرت ليلة الامس وقد فعل نفس الحركة
ولو لاجل سبب مخالف !

وبينما تستعيد تلك اللحظة معه في الزقاق
المظلم هدر حذيفة بعنف " وماذا كان
يفترض ان افعل ؟! هل اتركك تحطمين ما
تبقى من عنفوان خليل وكرامته ؟ وبماذا
كنت ستبررين هيئتك المزرية ليلة الامس ؟
هل ستخبرينه ان زوج امك اغتصبك ؟ "

صرخت فيه دون ارادتها " لم يغتصبني ... لم
يفعل ... "







ثم اخذت تضحك بهستيرية فاجأته وتقول من بين ضحكها الباكي " امي الرائعة انقذتني ! تخيل ؟! دخلت في اللحظة الحاسمة وهو ببساطة اخذ يشتمني ويسبني لاني طويلة اللسان عديمة التربية ولم اقدر طيبة قلبه وقد جاء بنية ابوية صافية !"

اخذ يتطلع في عينيها دون ان يبدي اي انفعال بينما هي تشهق بالبكاء المرير لتضيف بنظرة عذاب

" وامي كل ما فعلته ان قالت (لابأس)!"

صدرها يعو ويهبط بنشيج البكاء وهما يحدقان في بعض ...

قال حذيفة اخيرا وهو يسبل اهدابه

" فقررت عندها ... التشبث بعنقي انا ! "

مسحت وجهها بكم فستانها وهي تبرر بتوسل

" اقسم بالله لم يخطر ببالي ابدا الا في لحظة سؤال خليل ، لا اعلم كيف قلتها .. كنت .. كنت فقط اريد .. يا الهي.. سامحني حذيفة .. انت لاتستحق ذلك مني .. لكني .. "

ابتلعت ريقها بينما هو يراقبها بصمت لتكمل بجدية " انا ساتصرف لاتخش شيئا .. سأقول لخليل كذبة ما .. نتفق عليها ..."

قال حذيفة بتفكه قاس " كم هو رائع ان اتركك تفكرين بمنفذ لتبدعي بايقاعنا في هاويات المصائب ! "





لم توقفها سخريته لتقول بانفعال " بعد ان ضربت فواز بالامس فهو .. لن يقربني مرة اخرى ... لذلك انت لست مضطرا لتنفيذ موضوع الزواج حتى تحمي خليل ، صدقني .. صباح اليوم لم يتجرأ فواز حتى على رفع عينيه في امي ! وبرر لها اثار الضرب بشجار نشب في الحانة ..."

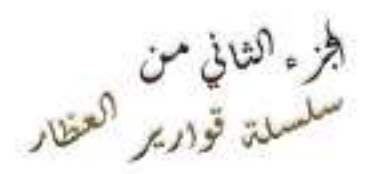
ردد حذيفة بنفس السخرية اللاذعة " ألم اقل انك داهية ! هل فكرت بعد اسبوع او اسبوعين وعندما يستعيد ذلك العفن قواه انه سيعود كوحش ضار منتقم ! "

نظرت اليه بارتباك ففهم معنى النظرات ليضحك ضحكة قاسية ثم قال وهو يرفع كفه الايمن المجروح " انا لن اعمل كحارس شخصي لك واضرب فواز بشكل دوري ليرتدع عنك وعن اخيك وامك .. "

تطلعت لظاهر كفه المشقق بجروح حديثة ثم عادت تنظر لتلك العينين القاسيتين هامسة بحشرجة " اذن ما الحل ؟! كيف .. سنجد حلا يرضيك .."

تمتم حذيفة بصوت غريب " لاحل الا في اتمام هذا الزواج الكارثي الذي فرضته انت علي ..."







ثم هدر من بين اسنانه مضيفا " ألم تفكري وانت تفرضينه لو كنت متزوجا او خاطبا او اية مصيبة تمنعني عن الزواج ؟!"

ظلت تتمتم باختناق " آسفة .. اسفة .. يا الهي كيف اكفر عن هذه الغلطة الشنيعة ؟ "

زفر نفسا كالنار بينما يتمتم بشرود

" سنكمل الزواج ..."

عندها تفتق ذهنها عن فكرة لتقولها بتسارع حماسي " فقط عقد زواج يرضي خليل وانا سأستأجر غرفة لي بمفردي وساخبر خليل بل والجميع انك .. متزوج باخرى او حتى على وشك ..."

قاطعها حذيفة ليقول بلاانفعال او تأثر

" سكنك بمفردك اغبى فكرة ممكنة لانه سيثير الاقاويل حولي وحولك كما اني معروف ارمل ولي طفلة ولااحد سيصدق سبب عدم حضوري لزيارة (زوجتي العتيدة) ! وبدلا من فواز واحد ستجدين عشرات النسخ منه بل وألعن يحومون حولك ويسيؤون لسمعتك ووسط كل هذا تنسين خليل ! "

تلاشى حماسها وانحسرت الحياة من نظراتها لتهمس بيأس " ربما من الافضل ان اقتل نفسي حقا ليرتاح الجميع من وجودي الكئيب ! "



قال حذيفة ببرود شديد دون ان يلقي بالا لجملتها الكئيبة " انت اخترت اقحامي في حياتك فتحملي نتيجة اختيارك ! "

نظرت اليه بوجل لتسأله بصوت مبحوح " لماذا ترضى ؟! انت لست مجبرا بحمايتي او حتى حماية خليل ... نحن غرباء عنك تماما ومهما بلغ عطفك على خليل لايصل لدرجة ان تتزوجني لاجله ! "

للحظة شعرت انها فاجأته !

ولم تعرف لماذا فاجأته تحديدا ؟!

هل لانها كانت صادقة جدا معه وقد ورطته سابقا بكذبة شنيعة ؟ ام لانه لم يتوقع منطقها ؟ ام ... لانها اصابت الحقيقة ببساطة!

عبست وهي تفكر في الاحتمال الاخير ..

ثم سألت بتهور

" ما الذي يدفعك حقا لفعل هذا حذيفة ؟"

بهرتها نظرة عينيه .. شلّت تفكيرها ..

وامسكت بتلابيب قلبها .. انها نفس النظرة التي رأتها بالامس بعد ان فجرت قنبلة (الزواج) .. نظرة التحطم !

تمتمت بنفس الانبهار " لماذا لاتتزوج حقا يا حذيفة ؟ اقصد من امرأة حقيقية "







غامت عيناه فتقهقر التحطم ليقول بسخريته القاسية " لم أكن اعلم انك امرأة غير حقيقية ! "

ألم حاد كسكين اعمى ينغرز في قلبها فتهمس " انا امرأة مع وقف التنفيذ ! "

ابتسامة جانبية ثم تساءل ساخرا " ممتع عندما تنطقين بهذا الحكم الفكاهي ! هل زوجك السابق من علمك هذه الجملة المفعمة بالمعاني الهزيلة ؟! "

تمتمت والألم يعصف بها " انت لاتصدق ... لكنها الحقيقة ... انا لن أكون ابدا امرأة حقيقية .. مهما حاولت ... لن أكون ...."

اشتعلت عيناه بشعور غامض متوهج بينما تهمس هي بما ظنته يفسر كل شيء

" انا ... مسحووورة ! "

همسه بحلاوته يراقص غزالات احلامها

" اميرة البنات... استيقظي ليشرق صباحي ..."

رمشت وهي تفتح عينيها على مهل هامسة

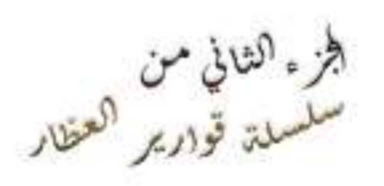
" صباح الخير "

فتضايقها اشعة الشمس فتعود وتغلقهما وتتحسر بالقول الرقيق

" فاتتني صلاة الفجر.."







قبلة خاطفة على الشفتين وهمسة مناغشة منه " وفاتك ان تنتظري رضا القلب ليلة الامس .."

تمطت بين يديه قائلة " كنت مرهقة جدا ولم اشعر بنفسي الا وقد غفوت .."

ثم فتحت عينيها بقوة مقاومة مشاكسة الشمس لها لتقول بتلهف " رضا ... هل تعلم ان يحيى طلب حبيبة للزواج ؟ "

تبسم قائلا بغموض " اخبرني بالامس ..."

عبست اسيا قليلا تسأله

" هل كنت تعلم قبلها..؟ "

تنهد بحسرة وعيناه على شفتيها فعض شفته السفلى ثم همس " ليس هذا وقت الكلام ولا غير الكلام ! امك هنا... مع حبيبة في الغرفة المجاورة لنا ..! "

اخذت تضفر لها شعرها وتسألها للمرة الثالثة منذ حضورها " هل انت حقا بخير ؟ وجهك شاحب قليلا .. "

فترد حبيبة وهي ترخي جفنيها

" بخير امي .. لاتقلقي ..."

ثم تضيف بابتسامة رقيقة " ما دمت تضفرين شعري هكذا انا بألف خير "







تضاحكت ابتهال وقد انهت الضفيرة الطويلة

لتجلس بجانبها على السرير وقالت

" احضرت لك ملابس وكذلك .. شاحن

الهاتف .."

للحظة ارتعشت ابتسامة حبيبة لكنها همست

" شكرا امي .."

تلفتت الام حولها بعفوية وهي تقول

" أين هاتفك حبيبتي لاضعه لك بنفسي .."

تشنجت حبيبة في جلستها وهي تقول

بارتباك " لا داعي ؟؟ انا سا..."

لكن الام كانت قد لمحت الهاتف مرميا فوق

ملابسها على الكرسي فالتقطته واخذت

الشاحن من الكيس الذي احضرته ثم

شكلته في قابس الكهرباء ...

ابتلعت حبيبة ريقها بصعوبة ومع انفتاح

الهاتف تتالت الاصوات باستمرارية لاتعرف

التقاط الانفاس ...

تمتمت الام وهي تتطلع عفويا للهاتف

" ما كل هذه الاصوات ؟!"

هبت حبيبة واوشكت ان تغادر السرير وهي

تقول لامها بقلق واضطراب " دعيه امي ..انها ...

رسائل .. لاتقلقي .. ساقرأها فيما .. بعد .. "



عبست الام وهي تحدق بتوجس في وجه ابنتها ثم قالت ببطئ

" وجهك لايعجبني حبيبة .. هل هناك شيء يقلقك ؟"

تمتمت حبيبة وهي تحاول رسم ابتسامة واهية " امي .. لقد كنت مريضة بالامس فقط !"

فعلقت الام " لن تذهبي لعملك هذا الصباح اليس كذلك .."

جاء صوت اسيا من عند الباب مفعما بمرح ظاهري " توسطنا لدى مديرها ليأمر لها باجازة لبضعة ايام.."

تقدمت اسيا من امها تصبح عليها مقبلة وجهها بينما عادت الاصوات تعزف موسيقاها المقلقة لحبيبة فانتقل قلقها لآسيا ..

تحركت الام ناحية الهاتف قائلة بانزعاج

" رسائل اخرى ؟! ماكل هذا ؟! هل تريدين ان اقرأها لك ؟"

سارعت حبيبة لتغادر السرير وتسابق بخطواتها حتى اخذت الهاتف من يد امها تغمز لها بادعاء مرح كاذب " ساقرؤها بنفسي .. قد تكون بعض الدعابات السمجة من صديقاتي ولايصح اطلاعك عليها..."



عبست الام وهي تترك الهاتف لابنتها ثم تقدمت لآسيا تبتسم لها قائلة

" كيف تشعرين يا جوهرة ؟ "

ردت اسيا بابتسامة واسعة بينما عيناها تتابعان ملامح حبيبة المكفهرة

" بخير الحمد للّه ..."

نحنحة رجولية لتقول الحاجة ابتهال

" تعال بنيّ رضا ...."

القى رضا التحية وهو يطرق برأسه

" السلام عليكم .."

ردت ابتهال بحبور

" وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته "

تطلع رضا ناحية حبيبة التي تحدق في شاشة هاتفها قائلة " حبيبة... اعطني لو سمحت مفتاح سيارتك لاتدبر امر احضارها لك ..."

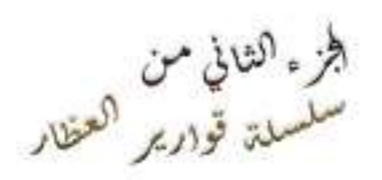
رفعت حبيبة وجها ذابلا لتقول بتلكؤ " لو سمحت رضا .. ساذهب لاخذها بنفسي .. يجب ان .. اذهب للشركة فهناك عمل مهم "

ضيّق رضا عينيه قائلا " لكن يحيى قال .."

اقتربت حبيبة بعفوية منه تكاد تتوسله التفهم بالقول " ارجوك رضا .. الامر جد مهم في الشركة ... فقط خمس دقائق انتظرني وسأكون جاهزة .."







حدق فيها رضا وبينما الام تعترض قال هو

" حسنا كما تشائين ...انا بانتظارك في الخارج ..."

بعد ارهاق اقناع الام بالكلمات واقناع آسيا بالنظرات سمحا لها بالذهاب ..

ترتدي ملابسها ببطئ شارد وتتذكر كل الجمل المتتابعة التي قرأتها في رسائله التي تعدت الثلاثين رسالة !

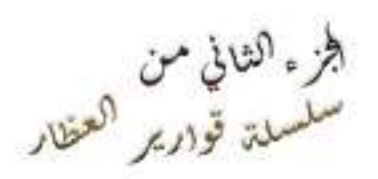
كلها تشتت .. توسل .. مطالبة تفهم ... ثم مطالبة رد .. ثم غضب ... حتى شتائم ! شتائم لم تكن موجهة لها انما مجرد شتائم عشوائية لكل ما يحدث ...

لتأتيها اخر رسالة الآن تحمل هالة التهديد المباشر (اقسم باللّه ان لم تأتي للمقهى قبل العاشرة لآتين اليك بنفسي وافتعل فضيحة شنيعة لك وامام باب بيتك)

اجفلت الحاجة سعاد بقوة لتذكر اللّه بينما بدرية فاجأتها من الخلف بالقول الحانق المؤنب " ماذا تفعلين هنا يا امرأة ؟!"

وقبل ان ترد سعاد فردت بدرية ذراعيها في اشارة للحديقة حولها قائلة " ماذا تفعلين وحدك وسط الحديقة عند سلم جناح رضا ؟"





اشارت سعاد بسبابتها لتصمت بينما تهمس

" انا انتظر نزول ابتهال .."

عقدت بدرية حاجبيها لتهمس هي الاخرى

بتساؤل " هل هي فوق ؟ "

ردت سعاد بابتسامة مشرقة لم ترح بدرية

" نعم... وانا بانتظارها حتى اكلمها في

موضوع مهم "

نظرت بدرية للحظات طويلة في وجه سعاد

الذي بدات تغيب ابتسامته ! ثم تخصرت وهي

تشير برأسها ناحية باب المطبخ قائلة بحزم

" سعاد ... ادخلي لبيتك امامي في الحال .."

عبست سعاد تتساءل " ماذا يحدث لك ؟! "

تمتمت بدرية من بين اسنانها " ادخلي الان والا

اقسم ساخرج من بيتك ولن تريني حتى

مماتي ..."

تذمرت سعاد وهي تتحرك على عكازها

ناحية باب المطبخ المطل على المرآب قائلة

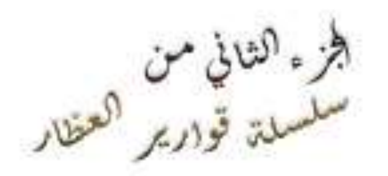
" دوما تهددينني ! شيء لايطاق ..."

لحقت بدرية بخطوات صديقتها وهي تنظر

شاكية للسماء " ابتليتني بها يا الله منذ

مراهقتها فساعدني على هذا الابتلاء .."







التفتت سعاد بحنق عند باب المطبخ لتكز على اسنانها وتقول " لم نكن نسمي بنات السادسة عشرة مراهقات في ذلك الوقت ام انك نسيت هذا ؟"

ردت بدرية وهي تدفع سعاد لتدخل " لم أنس يا امرأة ... لكنك كنت لم تتصرفي الا كمراهقة ! بل اسوأ مراهقة شهدها التاريخ والحاج عقيل المسكين عجز عن التعامل معك فيغدق عليك بالتدليل وانت تغدقين عليه بالنحيب ! " اخذت سعاد تتمتم بكلمات الحنق بينما بدرية تشكر الله في سرها انها لحقت سعاد قبل ان تتفوه بالحماقات امام ابتهال !

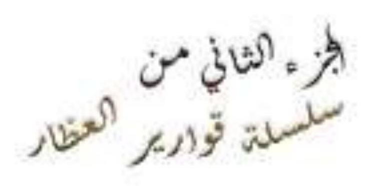
دخلت المقهى بجمود غريب سيطر على دواخلها فانعكس في محياها ...

رأته عن بعد في جلسة قلقة تتدلى سيجارة من فمه يبدو انه نسي ان يشعلها ! شعره مشعث قليلا بينما يمرر فيه انامله وهو يحدق بعبوس شديد وغضب واضح في شاشة هاتفه النقال ..

للحظة واحدة فقط طعنة نجلاء في قلبها وهي تتذكر الامس القريب ... لكنها .. تقدمت بثبات نحوه ....

خيالها اعتلى رأسه ليرفعه اليها بحدة فتسقط من فمه السيجارة وهو يهب بجموح على قدميه هادرا باسمها في حرقة تعبر عن الكثير مما يعتمل في نفسه " حبيبة ....."







شمخت بكبرياء وشعت عيناها وهي تقول ببرود جليدي " ها قد أتيت لا خوفا من فضيحة تريد افتعالها ام باب بيتي ولكن حتى تتأكد اني لن اختبأ هذه المرة لاستعيد قواي كما فعلت في المرة الاولى ..."

ابتلع ريقه وهو يدرس بقلق ابعاد ما توحيه كلماتها ثم همس بحشرجة " لم أعن ما قلته عن افتعال فضيحة لك وانت ..تعرفين .."

ردت بنفس النبرة " انا لم اعد اعول على ما يصدر منك من الكلمات فأنت نفسك لا تعرف ما تعنيه وما لاتعنيه يا مهند "

ارتعش داخله بقلق يتزايد مع كل لحظة ، يا الهي لماذا لاتصرخ فيه .. لاتبكي .. لاتنهار .. لاتشتمه لا تضربه حتى ...!

كان ليكون اكثر راحة بكثير من هذا البرود الذي لايطاق ....

تمتم وهو يشير بيده لكرسي قبالته " اجلسي حبيبة ودعينا ... نتفاهم بهدوء .."

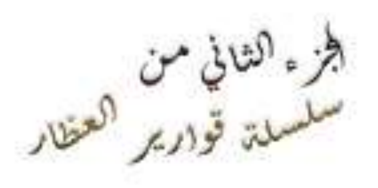
اسبلت اهدابها وبتأن مغيظ سحبت الكرسي المقابل له لتجلس عليه ثم قالت

" انا هادئة تماما ... "

ثم اضافت بسخرية

" انت من يحتاج لتهدأ حقا ! "







عاد ليمرر يده في شعره وقد اربكه الوضع اكثر مما كان يتصور ! انحنى ليلتقط سيجارته التي سقطت من فمه ثم جلس على كرسيه وبحركات خرقاء اخذ يبحث عن قداحته حتى وجدها امامه على الطاولة المستديرة !

تأفف وهو يلتقطها ويشعل سيجارته يمج منها مجا فيسترخي قليلا ....

كل هذا وحبيبة تنظر اليه مرتدية قناع الجمود الذي اختارته كما يبدو كعقاب لايطاق بالنسبة اليه ....

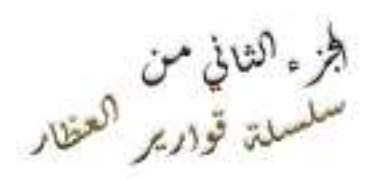
ارتعش قلبه قبل لسانه وهو يقول بعاطفة حقيقية " ما حصل بالامس كان .. غلطة شنيعة .. كنت مخمورا ..."

عادت لتتلاعب باقنعتها الباردة ما بين الجمود والسخرية لتقول بابتسامة صغيرة تنضح استهانة " حقا ؟ وماذا عن الليلة التي قبلها والليلة قبل اسبوع و......هل اكمل ام يكفي هذا لتغير اكاذيبك؟! "

ارتبك اكثر وهو يكتشف انها سمعت الحوار كله كما يبدو او ربما معظمه ، رغم انه هو نفسه لايذكر تفاصيل ذلك الحوار مع هويدة وقد كانت الخمر تتلاعب بتركيزه والرغبة الجسدية تمكنت منه...







دعس السيجارة بعنف في المطفئة امامه ثم قال بتشنج شديد " حسنا حبيبة في عرفك انتِ .... انا خائن ؟ "

كل ما حصل عليه اتساع في العينين وقد برقت زرقتهما وارتعاش في الشفتين اللتين شحبتا ؟

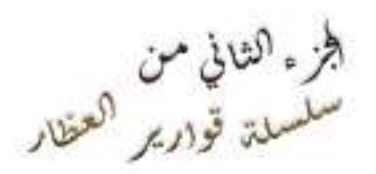
اوجعه قلبه بل تمرغ مخنوقا بالوجع فسارع للقول " لكن في عرفي انا.... لم ...ولن ... اخونك يوما "

تحدق فيه الآن وكأنه مجنون ؟ وللحظة تساءل هل هو مجنون ام ربما منطق كلامه غير متوازن بما يكفي لتستوعبه حبيبة ..؟

التقط سيجارة اخرى بيد مرتعشة بينما يشجع نفسه في سره وهو يشعل سيجارته (ركز مهند .. ستكون الامور بخير .. فقط لو تبدي حبيبة انفعالا اخر ؟)

تطلع اليها وبدت له اكثر جمودا من اول دخولها فقال باختناق مفسرا " هويدة او غيرها لاتمثل لي شيئا على الاطلاق وهي تعلم هذا .. انا ... انا ..." ما زال لايلتقط منها شيء .. يا الهي ماذا يحصل معها ؟!!

اكمل بصعوبة شديدة " هذه الامور تحدث حبيبة لكل شاب ، انه مجرد احتياج جسدي .. اعلم ان النساء مختلفات ويردن التزاما كاملا .. لكن انا وانت .. اقصد لم نرتبط بعد ... ؟





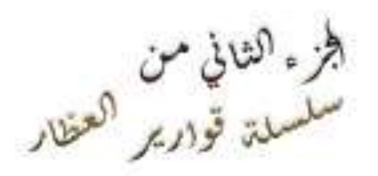
انت قلتها لي وانا سألتك بوضوح في وقتها فأكدتها انت بثقة واصرار (لسنا مرتبطين) .. ربما ترين تفكيري غريبا لكن كل ما سأقوله عندما نرتبط رسميا فأنا اعدك بالوفا....."

قاطعته وقد وقفت على قدميها بعنف ... اخيرا نزعت عنها قناع الجمود البارد لتنظر اليه بعاصفة مشتعلة غير آبهة للانظار القليلة حولها لتهتف به " تفكيرك الاكثر اعوجاجا وشذوذا وليس الاغرب فقط ! من تظن نفسك؟.. ها ؟! اخبرني من تظن نفسك لتسيء لكرامتي وتهين انوثتي وتهدر معنى احترام انسانيتي ؟! هل تعلم كيف شعرت وانا اراك معها بذلك الموقف المقزز ؟؟ شعرت اني لست بافضل منها ! اجل .. شعرت بالرخص واني لااساوي شيء بنظرك الا مجرد فتاة تريد نيلها بورقة زواج فُرضت عليك لكنها لاتحمل معنى حقيقي بالنسبة اليك ... وانا طوال الفترة السابقة كنت تائهة بسببك لااعرف كيف افكر وكيف يجب ان اتصرف! والان وانت تريد التبرير ... واي تبرير؟!! يا الهي ... اكاد لااصدق غرورك القاتل ... كل كلمة قلتها الآن اثارت قرفي اكثر مما شاهدته وسمعته ليلة الامس "

ناداها بجزع وهو يقف على قدميه هو الآخر

" حبيبة امنحيني الفرصة لافسر لك... "



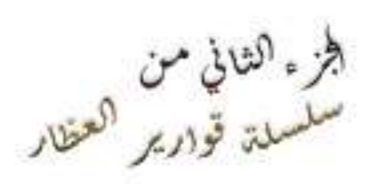




ضربت بكفها على الطاولة لتهمس له بشراسة نسفت كل تماسكه " انت خائن حقير ولاتسمية اخرى لك ... انت لاتعرف معنى الوفاء لتتكلم عنه ولن تعرفه يوما يا مهند ، تقول اننا لم نكن مرتبطين ؟! حقا تثير شفقتي واشمئزازي بنفس الوقت باسلوب تفكيرك الاناني الذي يجعلك تضع تصنيفاتك الخاصة لعلاقاتك مع الاخرين ... تصنيفات كلها تصب في ارضاء شخص مهند العظيم قلبا وقالبا ... منذ بدأت تحوم حولي وانت تحور كل الامور لتجعلها مرضية لك ، تلاحقني تستغل اي نقاط ضعف لدي ثم تهينني متى ما تشاء وتعود لتطلب السماح متى ما تشاء ... اقترب منك فتبعدني اذا لم يلائمك الاقتراب حيث تريدني ان اقترب ! ثم لك من الصلف ان تطالبني بالحب دون شروط ! ممحاة العشق التي تريدها لمحو اخطائك لم تعد تجدي نفعا... "

كان هذا كثيرا عليه ... كثير الى درجة لاتوصف فهدر بغضب اعمى " ما سر تغيرك هذا يا حبيبة ؟! توقعتك ستأتين منهارة تعاتبين بل و تصرخين .. او حتى تمزقين وجهي لو شئت ... كما يفترض ان تفعل اي عاشقة متيمة لاجدك بدلا من هذا قوية باردة كالصقيع تقذفين في وجهي تشريحاتك السخيفة لشخصي بينما تخبئين نواياك الحقيقية ...





اخبريني حبيبة من حشا رأسك ؟ هل هو المدير الوسيم الجديد ؟؟ "

للحظة ارتبكت نظراتها فهاج مهند اكثر وهو يمسك بمرفقها ويهدر " اذن صحيح ما استشعرته منذ فترة ؟ ذلك المغرور تلاعب بك من خلف ظهري ! "

وقبل ان تنطق حبيبة بشيء قال باستحقار شديد وهو يشد بقسوة على مرفقها " تدّعين العفة معي وترمينني بتهم الخيانة بينما انت من تخونينني حقا بمشاعرك وربما حتى .. بجسدك .... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه"

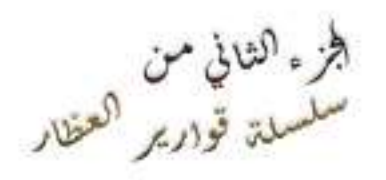
اتسعت عيناه ذهولا بينما يستوعب صفعة حبيبة له ...!

انتزعت مرفقها من يده بينما اقترب نادل مرتبك منهما يتساءل بحرج شديد

" هل هناك شيء سيدتي "

لم يلتفت احدهما للنادل بينما يحدقان في بعض باحاسيس مهتاجة لترتكز حبيبة بكفيها على حافة الطاولة وتقول بعنفوان انتقامي " يحيى طلبني للزواج بالامس فقط واجده حقا رجلا لايستحق الانتظار لاكثر من يوم حتى يحصل على اجابة نعم ...."







وبعنف استدارت تاركة مهند يحدق في اثرها بعينين جاحظتين ثم اشتعلت تلكما العينان لتنفثان لهيبا من جنون الغضب فركل بقدمه الطاولة حتى اوقعها ارضا وقبل ان يتمكن من امساكه احد كان يركض في اثرها ....

خرج بسيارته من مرآب المبنى حيث الشركة بينما يلوح للحرس الامني على عجل ...

صداع بدأ يداهم راسه بينما ينظر لساعة سيارته التي تشير لمنتصف النهار ...

اعصابه تحترق بينما يعاود الاتصال بحبيبة للمرة الثالثة فيحصل على نفس الرد ..

مشغول.............!

شتم وهو يلتف حول الشارع ليعود في الاتجاه المعاكس .. لايعلم اين يفترض ان يبحث عنها؟

طوال النهار كان يدرب نفسه على الصبر فلا يضعف ويتصل برضا ليسأل عنها ..

انه اسلوب يتبعّه مع نفسه ليتعلم ضبط النفس ومع حبيبة يحتاج لكل ذرة ضبط نفس ...

اراد ان يمنحها بعض المساحة لهذا اليوم حتى تستعيد سيطرتها على الامور ...

لكنه ضعف في النهاية واتصل ... مسترضيا نفسه بحاجته للاطمئنان على صحتها فقط...



صدم ورضا يبادر لسؤاله عن حبيبة ظانا انها معه في الشركة ! لم يملك الا ان يظهر التماسك فيرد على عجالى انها بخير وحالما اغلق الخط التقط مفتاح سيارته وخرج ....

عيناه تحومان على جانبي الشارع عسى ان يلمح سيارتها .. لايعرف هل يطمئنه ان يعلم بأن مهند ليس معها ام يفترض ان يقلقه !

عندما هبط ليسأل حراس الامن هل رأوا حبيبة هذا اليوم اخبروه انهم لم يروها اطلاقا ثم اضافوا ان السيد مهند ايضا جاء قبل نصف ساعة يبحث عنها وقد بدا غاضبا جدا .. بل انه سأل عن يحيى شخصيا ان كان موجودا بالشركة ام لا !

لاتفسير لديه الا انها التقت به ربما او حتى كلمته على الهاتف لكن المؤكد ان هناك شيء حصل بينهما وهذا الشيء يقلقه جدا ...

اتصل مرة اخرى وهذه المرة تنفس الصعداء عندما اخذ هاتفها يرن وحالما سمع صوتها المتعب تهمس باسمه انهارت مقاومته ولم يعد ضبط النفس واردا على الاطلاق ، هتف بحرارة وهو يقف على جانب الطريق

" حبيبة اين انت ؟! ... يا الهي ... هل انت بخير؟ "

ردت بصوت مرهق " انا .. نعم ..بخير "

تمتم رغم القلق " الحمد لله ... قلقت لان هاتفك كان مشغولا.. "

ردت بحشرجة " كنت احاول اقناع اسيا اني اعمل في الشركة لكنها لم تصدقني على الارجح ! لم استطع .. الشرح لها ...لم استطع.."

التفت اصابعه حول المقود بتشنج حتى ابيضت مفاصله ، كان يستشعر انها ليست بخير على الاطلاق ..

للحظات بدت طويلة كان يفكر بتسارع هل يقترب الآن ام الافضل ان يبتعد .... ؟!

وكأنها ادركت ما يجول في خاطره فهمست برجاء مسه في الصميم

" هل تستطيع ان .. تأتي... انا ... انا ... "

اطلق نفسا حارا وهو يقاطعها بالقول

" فقط اخبريني اين انت ؟ "

تمتمت وقد بدت ضائعة تماما

"في .. بستان ما ! "

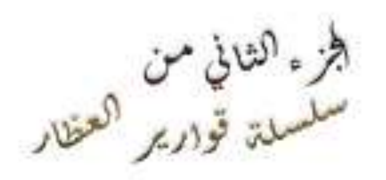
سأل ببعض الدهشة " ماذا ؟! بستان ؟ "

ردت وكأنها لاتستطيع التركيز في الكلام

" وجدته مفتوحا فدخلت بسيارتي فيه .."







ابتلع ريقه ليسأل بصوت مبحوح مشجعا " اين بالضبط .. ركزي .. في اي منطقة كنت تقودين سيارتك..؟ "

جاءه صوتها اكثر صفاء رغم التشتت الواضح

" اعتقد في شارع (...) ثم رأيت بستانا صغيرا منفردا على الجانب الايمن او الايسر ... لااعلم...... لااذكر ..."

سايرها وهو يتخيل معرفته للمكان " انه شارع قديم في الحي الشرقي ... اليس كذلك ؟ "

اجابت بتردد " نعم .. ربما .. اعتقد جانب السوق الكبير .."

قال بثقة مطلقة " سأجدك ..."

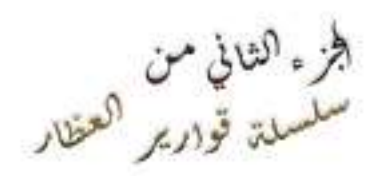
لم يصدق عندما دخل بسيارته لذلك البستان ليجد سيارتها ، ثم انفعل قلبه لرؤيتها متكئة برأسها للخلف على ظهر مقعدها تغمض عينيها بما يشبه الاسترخاء ...

تطلع حوله في البستان الهادئ فلم يجد فيه احد ، لايهم .. هذا افضل ...

اوقف سيارته بجانب سيارته وترجل متوجها نحوها بينما تتنبه هي له فترفع رأسها ناحيته وتنظر اليه بطريقة لايعرف كيف يفسرها !

لكن تنطق بالحاجة للكثير .. الكثير الكثير ....







فتح الباب للمقعد المجاور لها ليجلس بجانبها

يمعن النظر في كل جزء من وجهها وجسدها

وكأنه يطمئن حقا انها بخير ...

ابتلع ريقه وما زالت هي تنظر اليه بنفس

الطريقة .... همس باسمها " حبيبة ..."

فردت بهمس وعيناها تذوبان بزرقتهما

" اخرجني من هذه الدوامة .."

ملتزما بالتعقل الذي وعد نفسه به لاجلها

سألها يقاوم حاجته الشديدة لاخذها بين

ذراعيه " اخبريني ماذا حصل ؟ "

صمتت وشفتاها تتراخى بارتعاشة مذهلة ..

سأل وهو يصارع غيرته المجنونة

" هل التقيت به ؟"

ردت بارهاق وهي تحرك راسها لتنظر امامها

" اخبرته ان كل شيء انتهى .. انا احسست

كل شيء انتهى حقا ..لم يعد هناك ما

يستحق حتى التفكير ! الامر كله كان

خاطئا منذ البداية .. كله مغموسا ... متشربا

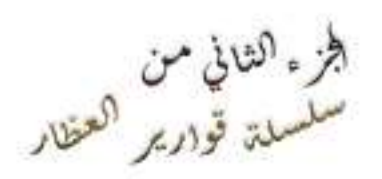
بالاخطاء ..! "

ارتعشت عضلة في خده واحشاؤه تشتعل ما بين

غيرة وغضب ليسأل بصوت أجش

" هل ... آذاك ؟! "







ردت بنبرة ذابلة " لقد تركته يعصف في المقهى وخرجت لاارى امامي .. ركبت سيارتي وقدت كالمجنونة لااعرف كيف لم اتعرض لحادث ؟!! "

فجأة التفتت اليه تأسره بنظرات عينيها البديعتين لتهمس بما حطم ارادته تماما

" انت قلت لي .. اني لو قلت نعم.. الان ... فلن تقول انت لا .. اليس كذلك ؟ لن تتصرف كالفرسان وتعطيني فرصة للتفكير مرة اخرى بعمق مرهق .. انا لااريد يحيى ان افكر .. لم اعد اريد الضياع في دهاليزي ... !

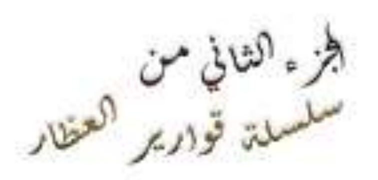
ساعدني انت ... انت تقدر ... انا اعرف انك تقدر ... قد اكون انانية ولكن هذه انا ..! "

انفاسه تتسارع وقلبه يئن يريدها .. يا الهي كم يريدها ... رغم كل موانع العقل هو يريدها وتبا لأي شيء اخر ....

قاوم لاخر لحظة وهو يغمض عينيه ليهمس بانهاك ذهني " حبيبة .. يا الهي.. لاتفعلي .."

لكنها فتتت حتى فتات مقاومته التي تبعثرت وطحنتها طحنا حتى غدت كذرات تراب تطايرت بنفخة هواء واحدة وهي تهمس باستسلام " انا موافقة على الزواج منك ..."







ارتعش كل جسده وهو يفتح عينين هائجتين بالمشاعر يحدق في ضعفها وتيهها فينجذب اليها اكثر واكثر ..

همس بتوسل " لاتظهري كل هذا الضعف اتوسل اليك .. على الاقل ليس الان .."

يده تحركت رغما عن ارادته وسيطرته ليلامس تلك السنابل الشقراء فيلفها حول وجهها ويلامس جانب فكها بارتعاش عاطفي مضيفا بهمس حار

" لماذا قلتها ..يا الهي ؟! لن استطيع مقاومتك اكثر من هذا ... انا الاناني يا حبيبة لا أنت.."

مالت براسها جانبا تسبل اهدابها وتسأل بنبرة تأكيد " ستساعدني ؟! "

رد ببساطة " انت ...قدري ..."

قالت بحشرجة " هل ستعيدني للبيت الآن ؟!"

لم يقاوم ويده تغوص عميقا في شعرها فيجذب رأسها ناحيته واوشك ان يقبلها بجنون عندما شعر بحركة حولهما فشتم برقة ليبتعد قليلا هامسا بتوسل عاطفي

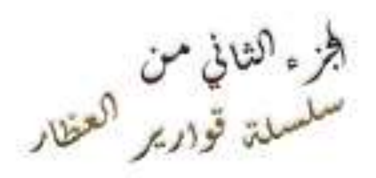
" اقضي باقي النهار معي "

فاجأته بسرعة القبول وهي تهز راسها بنعم ..

لكنه ألغى اي تفكير وتحليل ليستسلم لسحر هذه اللحظة الغريبة التي جمعت بينهما...







ترجل من سيارتها بينما يلوح لفلاح قادم من بعيد قائلا بثبات لايعكس عواصف روحه وقلبه " السلام عليكم .. نعتذر .. زوجتي اصيبت ببعض التوعك فلجأت لبستانك .. "

اوشك ان يضحك ملئ شدقيه وهو يفكر هل سيظل يخبر الغرباء ان هذه الفتاة التي تثير جنونه زوجة له ؟!

ساعدها لتركب سيارته بينما يعد الفلاح بالعودة لاخذ سيارة (زوجته) فيما بعد ...!

حالما فتح سالم باب الشقة هرولت رفيدة لتدخل قبله تكتم شهقات البكاء بطارف حجابها فيستغفر سالم الله ويحوقل باسى لاجلها ......

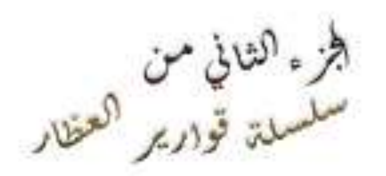
انهارت على الاريكة مستندة برجبينها على ذراعيها محنية الظهر تهتز بالبكاء الذي يقطع نياط القلب ...

جلس بجوارها مشفقا عليها مما يعتريها من الألم .. لكن هذا قضاء الله ...

جذبها اليه بالقوة وقد كانت شديدة التشنج وضمها لصدره وهي تبكي بحرقة ما بعدها حرقة ...







ابعد عن رأسها الحجاب واخذ يهدهدها بالقول اللين " كفي عن البكاء رفيدة .. استغفري اللّه وارضي بقضائه "

تشهق وتتكلم يتقطع باك " لن اشعر... يوما بما ... يملأ انوثتي... كباقي النساء ؟ طفل .... طفل .. واحد ...يملأ احشائي .. يكملني "

قال سالم بحزم وهو يرفع وجهها اليه " رفيدة.. الانسان ناقص دوما ولاكمال الا للّه سبحانه ، البحث عن الكمال في النعم هو اغواء من الشيطان ليجعلنا دوما نطمع بالحصول على كل شيء ، وعندما لانحصل نحنق ونغضب فنغضب المولى عز وجل ..."

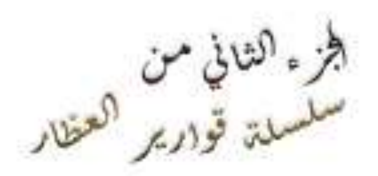
تشهق بانكسار وعيناها الصغيران تغوران في وجهها اكثر " سالم .. سالم ..."

قبل جبينها ثم اضاف بحنو " ربما قدرك ان تعطي كل عاطفتك لتلك الفتاة الصغيرة التي سنكفلها ان شاء اللّه وربما هو قدر الفتاة لانها تحتاج لكل عاطفتك لها وحدها .. رب العباد يقسم كل شيء بحكمة يا رفيدة ... ارضي بقسمتك تسعدي ..."

عادت لتلجأ لصدره تبكي بنشيج ناعم بينما يطبطب سالم على ظهرها ويقول " ابكي رفيدة .. ابكي .... الضعف ليس خطأ .. لكن الاستسلام له هو الخطأ ..."







فتح الصنبور فيجري الماء على جسده ، فيترك له مهمة ازالة رغوة مسحوق التنظيف بينما هو غارق في افكاره الخاصة ...

لقد كان قاسيا على خلود وهو يضحك ساخرا بقسوة من فكرة انها (مسحورة) التي باحت له بها بقناعة تامة ..

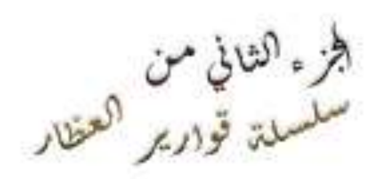
ثم قسا عليها اكثر وهو يبدي لامبالاة باردة لذلك الانكسار بل يزيد انكسارها اكثر عندما ابلغها ان سحرها يلائم جدا شروط الزواج المزمع اتمامه قريبا ..

(لازواج حقيقي .. لاحقوق .. ولا يريد منها واجبات .. ابنته وعائلته خط احمر .. وابنته تحديدا عشرة خطوط حمراء ان لم تكن مئة ! ستعيش في بيت عائلته لاتتدخل في شيء ولاتبدي تواصلا مع شيء على الاطلاق والحق الوحيد الذي منحه لها ان تعمل في مكان محترم وما تجنيه سيكون لها بالكامل ... غير هذا سينفق عليها كأي زوج عادي دون تقتير لكن في حدود المعقول ... ممنوع عليها تماما زيارة الحي الشعبي واذا ارادت امها او اخيها رؤيتها يأتون لزيارتها بعد اعلامه هو شخصيا بوقت الزيارة)

كل هذا وهي التزمت الصمت لتنكس رأسها بصمت اوقع !

يد متلهفة اجفلته وهي تلامس ظهره بشغف !







استدار بحدة عابسا والماء ما زال يجري على جسده ليرى امامه اشجان بثوب داخلي ابيض رقيق يصل لاعلى ركبتيها ، شعرها الداكن منثور حول وجهها الذي ينضح برغبة مستعرة تبهر الاعمى !

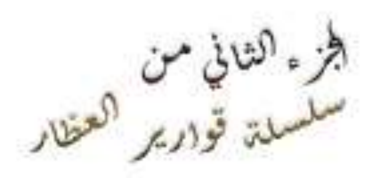
حدق فيها حذيفة لتهمس اسمه بلوعة الشوق فتلقي بجسدها الغض المغري على جسده المبلل ... نصف العاري ...

امسكها بقسوة من ذراعيها العاريتين مبعدا اياها عنه هادرا من بين اسنانه " ماذا تفعلين هنا وكيف دخلت ولم اشعر بك ؟!"

لكنها تلوت بين اصابعه القاسية تقاوم ابعادها عنه بجزع وتقول بصوت منخفض احرقته الرغبة " لاتخف لم يتنبه لدخولي احد ..خذني اليك حذيفة .. تلك المشعثة الحمقاء ليست اجمل مني ولاارفع شأنا لتتزوجها .. انا لن اطالبك بزواج ... فقط .. احبني .. ضمني اليك .. اكاد اتمزق لتسحقني ذراعيك على صدرك ..."

لم يبدِ الا مزيدا من القسوة وهو يغرز اصابعه في لحمها الذي تبلل ببعض الماء ليهزها بشراسة هامسا " ايتها الغبية ! ايتها الحمقاء .. لقد منحتك فرصة لتتنظفي ولكنك تحنين للقذارة مرة اخرى "







تمد كفيها المرتعشين تحاول ملامسة صدره العاري بتعطش شغوف " لا حذيفة .. لا ... اقسم اني احبك .. انا لم يقربني رجل منذ ان انتشلتني مما كنت فيه .. انا احبك حذيفة .. اعشقك .. وسأقدم روحي فداء لك "

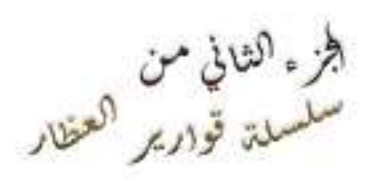
ابعدها عنه قليلا وهو يشتم لكنه لم يفلتها ليجرها بعنف خلفه وعيناه تبحثان يمينا ويسارا حتى وجد ضالته على الارض ...

تحرك معها وانحنى ليلتقط ملابسها وبعنف مستمر اجبرها على ارتداء ما سبق ورمته ارضا بينما هي تبكي برفض " لا حذيفة .. اريد ان اكون معك .... ملكك.. لاتتزوج خلود .. اتوسل اليك .. منذ ان اخبرني خليل صباحا وانا اكاد اتهاوى من هول الصدمة لكني تماسكت فقط على امل الاختلاء بك في هذا الوقت .. كنت أموت .. أموت طوال ساعات النهار كلما تخيلتك معها ... قلبي يتمزق حذيفة من شدة الألم والغيرة ... "

لم يلق بالا لكل كلماتها الباكية وحالما أتم إلباسها تنورتها وقميصها انحنى ليلتقط وشاح الرأس وعندما اراد جمع شعرها به التفت بذراعيها حول ذراعيه الصلبتين واخذت تقبل ساعديه بهوس وتقول بعاطفة نارية متدفقة

" انا احبك واحتاج اليك .. اجعلني امرأتك حذيفة .. لن تستغني عني ابدا بعدها ..."





عندها تأوهت متوجعة بشدة بينما يمسك حذيفة بشعرها من الخلف يهز رأسها بلا رحمة هادرا بصوت هامس ينضح بغضب مرعب مكبوت " خيبتِ ظني اشجان ... واقسم لو اعدت الكرة ساطردك شر طردة ! ولتلتهمك كلاب الطرق المسعورة ... لااهتم ....والان ... اخرجي من هنا حالا قبل ان يتنبه احد لوجودك يا غبية ... اخرجي ..."

ثم دفعها بعنف حتى وقعت ارضا تنظر اليه نظرة استحالت الى غضب يوازي غضبه لتقول بوحشية سافرة " سأنتقم .. سأنتقم حذيفة .. سأنتقم منها وسترى ....."

ثم نهضت على قدميها تكتم بكاءها باستعرار رغبة الانتقام ....

تحرك حذيفة وهو يشتم ليقف تحت الماء مرة اخرى يحاول السيطرة على ذلك العابث الذي عربد في رأسه للحظة بينما اشجان تقبل ساعديه... بوله .....!

قرص الشمس بدأ يميل بوضوح وكأن اشجار النخيل الحالمات تناديه باغراء لياتي اليها فتحتضنه بسعفها المشتاق للدفء المفعم بالحياة ....

على جانب الطريق حيث منطقة خارج المدينة تقريبا تعج بالبساتين المتراصة





تراقب حبيبة المنظر الخلاب عبر نافذة السيارة .. بدت شاردة لكن .. مهتمة بعاطفة خاصة ...

شعرت بلمسة يده فوق يدها ثم صوته الرجولي المؤثر وهو يقول

" هل تشعرين بتحسن الآن ؟ "

قلبها ينغزها لسبب مجهول بينما تستسلم لشعور يجذبها اليه فتنظر نحوه وترد بوهن

" نعم ..."

عيناه اصبحتا جريئتين بشكل لايوصف وهما تلاحقان كل شاردة وواردة منها ...

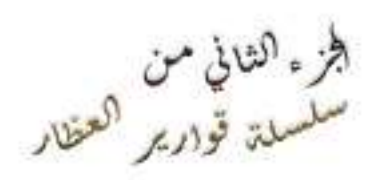
تلك العينان تتركزان في عينيها فتتوهجان باحساس التملك ثم تميلان لخديها فترسماهما باتقان! وعند الشفتين تفيضان بحرارة الشوق ....

أطرقت وما زال شعور الوهن يسلبها ارادتها فهمست " اسفة .. جعلتك تترك الشركة بسببي " رد بصوت مبحوح " كلي لك .."

احمرت بشدة وشعرت بالارتباك لاسباب لاتعد ولاتحصى ! ليس الارتباك فحسب وانما التشتت .. ووسط امواج التشتت لاتجد الا يده هو لتنتشلها فتتشبث بها تاركة لاحساس خاص نحوه يغزوها بتهمل ....

جاء صوته اكثر جدية و.. سحرا ..!





" حبيبة .. اعلم انك لم تعتادي علي .. لكن استرخي ودعي الامور تسير بسجيتها "

رفعت عينيها اليه تحدق فيه بتمعن تعقد حاجبيها قليلا بتركيز متداع لتهمس بالسؤال

" من أنت حقا ...؟! "

بابتسامة حلوة أمال رأسه وقال بمشاكسة

" حاليا ...؟ انا خطيبك .. "

عاد قلبها لينغزها وصراع مجهول الهوية يتأجج في داخلها فسألها بثبات

" هل ندمت لانك قلت نعم ؟ "

ردت بما خطر في بالها " انا ...خائفة .. "

يده ما زالت تمسك بيدها ليمد اليد الاخرى يلامس بظاهر اصابعه خدها فترتعش هي لتلك الملامسة ليقول يحيى بصوت يتغلغل لاعماقها

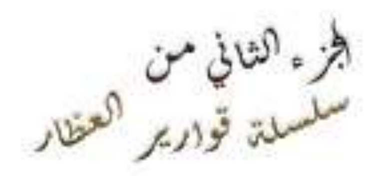
" مثلك لايخاف ... مثلك خلقت لتبهر العالم بقوتها ... وتفاجأهم جميعا ببزوغ هذه القوة من مكامن الضعف "

حدقت فيه تقاوم حساسية بشرتها لملامسته الناعمة بينما تقول بدهشة وعفوية

" انت تؤمن بي بشدة ؟! لم يؤمن بي احد هكذا الا والدي رحمه الله ثم ..خذلـ.."







تقطعت كلماتها وخنقتها العبرة بألم الجرح القديم فالتفت يد يحيى حول عنقها وقال

" نحن بشر حبيبة .. نخطئ احيانا فنسبب الخذلان لاعز من نحب دون ان نقصد خذلانه حقا ... ربما والدك خذل نفسه قبل ان يخذلك انت... الا تعتقدين هذا ؟"

بألم حي نابض تمتمت بعفوية دون ان تشعر

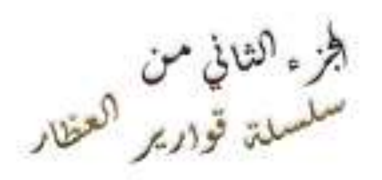
" لقد تحطم شيء في داخلي ليلة زواجه بـ...رفيدة ... شعرت اني غاضبة الى درجة لم أشعرها في حياتي .. غضب من كل شيء ... حتى من نفسي... من كينونتي كأنثى ! كرهت ابي وكرهت امي .. واخواتي البنات ... وكرهت اكثر نفسي ... مشاعر قوية انهكتني ... شعرت بالخذلان منهم جميعا .. وشعرت بالقهر لاني اضعف من ان ارد الألم عن نفسي ... "

تمتم وهي يحترق لاجل ألمها " ايتها الصغيرة .. كم تمنيت لو كنت معك بوقتها .."

دمعة سالت منها على خدها فنحت بوجهها جانبا لتهمس بصدق " انا ايضا تمنيت ! فأنت لك قدرة عجيبة على فهمي لم اجدها حتى مع آسيا .. حتى مع ابي ... تستطيع جعلي ان اشعر بالرضا عن نفسي كيفما كانت ، تجعلني اشعر بقدرتي على توجيه حتى اسوأ عيوبي لاجعلها مفيدة !







احيانا... اتمنى ان ابقى في واحد من العوالم الافتراضية التي تجيد خلقها حولي ، اجد فيها توازني واكبر طاقاتي تتجدد "

ضغط على رقبتها فاعاد وجهها ناحيته ينظر اليها بحنان شغوف

" كل العوالم هي لك يا بريّة الروح .. كوني انت ملكتها ولاتجعليها هي من تتملكك ، كوني انت المسيطرة دائما ، تماما كما تفعلين وانت تصممين اعلان ما وتنفصلين عن العالم الواقعي فتخلقين عالما حرا ترسمينه بريشتك ... عالم يقع تحت سيطرتك بالكامل ... انه نفس الامر حبيبة وانا ما ساعدتك لخلق عوالم الموازنة لشخصك الا لايماني بقدراتك على السيطرة عليها بذكاء متوقد ...."

تمتمت باختناق وعينين لامعتين

" هل .. استحقك يحيى ؟ "

تسارعت انفاسه فمال ناحيتها يتمزق لقبلة واحدة من شفتيها لكنها همست بضعف انثوي قبل يمس تلك الشفتين

" لا .. يحيى .. ارجوك..."

صدره يعلو ويهبط وهو يسبل اهدابه بينما يستشعر رقة بشرتها الدافئة قريبا جدا من وجهه..







ابتلع ريقه وهو يهمس قرب خدها بحرارة

" ما هذا الذي فيك لاحبك كل هذا الحب ؟

عندما رأيتك لاول مرة كنت مجرد صغيرة

نارية مبهرة .. شعلة مدغدغة فتنعش حياتي

التي بدت رتيبة امام توهجها النابض ... ثم

اخترقت القلب في لحظة غفلة مني برصاصة

عشق واحدة ...! "

شعر بارتعاشها بين يديه فأخذ نفسا عميقا

قبل ان يهمس

" علي ان اعيدك لبيتك الآن .."

ثم اضاف بلهجة رقيقة مرحة " اعلمي اني

مجنون احيانا .. وهذه احدى نوبات جنوني ..

لذلك لن انتظر حتى الغد وساطلبك الليلة

رسميا من والدتك "

تغيرت انفاسها وشعر انها غير مرتاحة فسألها

مرة اخرى وهو يبتعد عنها قليلا " نادمة ؟"

فنظرت في عمق عينيه وقالت بما يشبه

التحدي والاصرار " لا ... "

ثم بنفس الاصرار وكأنها تقاوم ضعفها هي

قالت

" انا بخير الآن واستطيع العودة للبيت بسيارتي

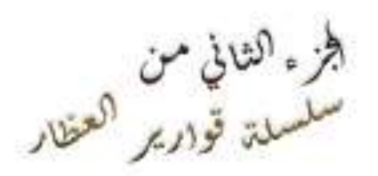
..و.. لوحدي.."

فتبسم مبتعدا عنها ولم يعلق بشيء ثم شغل

سيارته وانطلق ...







يدخن بشراهة واعصابه تحترق ، يجلس في مقعد سيارته قرب ناصية الشارع، لايفعل شيئا الا انتظار عودتها ، لقد تأكد بنفسه ان سيارتها غير موجودة في مرآب البيت... لذلك .. هي ما زالت في الخارج ...

عيناه حمراوتان مجهدتان لابعد حد كاعصابه تماما ، لايعلم ماذا ينوي ان يفعل حقا بعد كل جنون هذا النهار الطويل ..

لقد صدم جانب سيارته بجدار كونكيريتي وتشاجر مع رجل المرور واثار الزوابع في مخفر الشرطة حتى اطلقوه بضمانة من احد معارفه...

ثم عاد ليبحث عنها .. عازم بجنون لكن بقسوة باردة خطرة ...

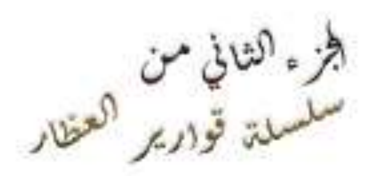
تمتم وهو يحترق كسيجارته " أتظنين اني ساتركك بهذه البساطة يا حبيبة ؟ لا واللّه ... وان خسرتك حقا فلن يربحك ذلك المتأنق ! وعلي وعلى .. اعدائي ! "

خطفت سيارة من جانبه فارتعشت السيجارة في يده ليسقط بعض الرماد على يده فيلسعها !

شتم بغلظة وهو يفتح الشباك ليرمي السيجارة بينما يتحرك خلف تلك السيارة التي يحفظها عن ظهر قلب ...

كان يقف في مقدمة مدخل الحي وقد تعب من كثرة الدوران حوله وفي شوارعه ...





لاحق السيارة حتى اقتربت من البيت فوقف على بعد عاجزا وهو يراها تترجل من سيارتها بوجه شاحب اعتصر قلبه فتفتح باب المرآب وتدخل سيارتها لتعود وتغلق ذلك الباب ..

للحظات ظل يحدق بعد اختفائها عن ناظريه ، ماذا يفعل هنا بالضبط ؟؟!

لماذا يعجز عن فعل شيء اخر عدا وقوفه الابله ؟!!!

تقبضت يداه وتشنجت عضلات جسده باكملها وهو يشعر جديا بتسرب حبيبة من بين اصابعه بينما هو يدور حول نفسه كالمجنون ...!

يراقب دخول اخيه الاكبر عبر باب المرآب بسيارته بينما يقف حذيفة في زاوية شبه مظلمة من الحديقة يدخن سيجارته بهدوء ، لقد كان بانتظاره منذ ساعة او اكثر حتى انه لم يكلم محسن بالامر وفضل انتظار رضا اولا ...

رآى رضا الان وهو يترجل من سيارته بوجه عابس ويده تمسك هاتفه النقال تثبته على اذنه ..

رمى حذيفة عقب سيجارته ارضا ودعسها بحذائه ليقترب من رضا بمشية متراخية بينما يغلق رضا باب المرآب وهو يتحدث عبر الهاتف بحاجبين معقودين قائلا بصوت مسموع وغيظ واضح







" ماذا تعني انك ستخطب حبيبة الآن ؟! هل جننت ؟ ..... يحيى لاتكن مغيظا مشاكسا هكذا ؟ ..... كانت معك وكلمتها ؟!!! انا لم اعد افهم ... ! حسنا ... انتظر حتى الليل على الاقل ودعني اكلم والدتها قبلك .. لاتكن متهورا يحيى ماذا جرى لك ؟! ايها المجنون ... حسنا ... عند التاسعة ... اذهب الان يجب ان اكلم اسيا اولا ..."

اغلق رضا الخط وما زال غير متنبه لاقتراب حذيفة منه كان يستغفر الله حنقا من يحيى عندما جاءه صوت حذيفة المتراخي

" مرحبا رضا .."

رفع رضا راسه ليرى اخاه يقف قبالته على بعد متر واحد فرد بعفوية " مرحبا حذيفة ، هل كنت بانتظاري ؟! "

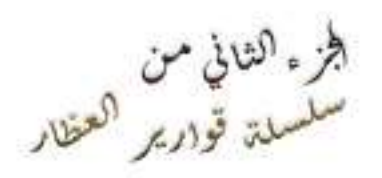
هز حذيفة راسه بنعم بينما ملامحه لاتحمل اي معنى ليضيف بنبرة جدية " اريدك في موضوع مهم .."

نظر رضا لساعة يده وعقله ما زال مشوشا بموضوع يحيى وحبيبة الذي تسارع على حين غرة ليقول بتعب " حسنا حذيفة ... فقط امهلني حتى الليل لاتفرغ لك ... لدي بعض الامور المستعجلة الآن وبعدها.."

لم يتم كلامه بينما حذيفة يقاطعه ليقول بهدوء شديد " انا قررت الزواج "







الفصل الثاني عشر

جالس على كرسي مريح في غرفة الضيوف يناظر اخويه احدهما هادئ (ظاهريا) متماسك بطريقة تثير الغيظ والآخر يعبر عن غيظه بوضوح في كل كلمة تخرج من فمه وفي كل اشارة منفعلة من يده ...

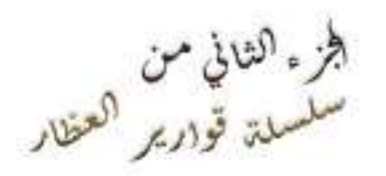
تبسم رضا رغما عنه فهو لم ير محسن فاقدا لهدوئه مثلما يراه الآن ...

ومن يلومه ؟!!

لقد فجر حذيفة قنبلة لا ترد لا على البال ولا على الخاطر !

عندما قال له في حديقة البيت قبل ساعة من الزمن انه قرر الزواج هبط قلبه حتى قدميه معتقدا ان امه اقنعت حذيفة بطلب حبيبة للزواج ، حتى انه انتابته موجة غضب عارمة بينما كان يحدق في وجه حذيفة العازم واوشك ان يسمعه اغلظ الكلمات لاختياره حبيبة دونا عن باقي البنات لكن حذيفة سرعان ما فنّد افتراضاته عندما قال بنفس الهدوء " دعنا ندخل لغرفة الضيوف نتحدث فالموضوع يطول شرحه واخشى ان امي لن تتقبله بسهولة ... فالمرأة التي اعزم الزواج منها .. لها ظروف خاصة ..."



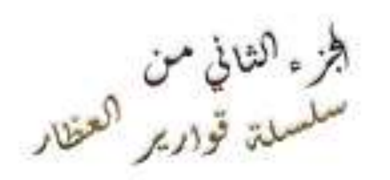


وها هو رضا يجلس بحالة من السكون التي يحتاجها كنوع من التأمل والتفكر حتى يجد طريقة للتعامل مع هذه المجازفة الجديدة التي يصر حذيفة على الاقدام عليها وقد يجرهم جميعا معه فيما لايحمد عقباه ...

عاد رضا ليتطلع لمحسن المنفعل الذي يقف بجانب حذيفة ويهدر به بصوت يكتم نبراته حتى لاتصل مسامع امهم " هل انت مدرك لما تقول ؟! يا الهي لاافهم لماذا تفعل هذا بنفسك ؟ كنت افكر لك بخير البنات ومن ارقى العائلات .. فتاة تعوضك خيرا وتساعدك في تربية سعاد ثم تقر عينيك بمزيد من الاولاد والبنات يشاركون سعاد طفولتها ..."

اطرق حذيفة مسبلا اهدابه ليقول بصوت ثابت النبرات " ان لااريد مزيدا من الاطفال وقد اخبرت رضا بهذا منذ زمن ، لااريد الا سعاد فهي تكفيني .. وزواجي من خلود ليس للاسباب التقليدية التي ذكرتها انت وانما اوضحت اسبابي المختلفة وبصراحة شديدة دون ان اخفي عنكما شيئا "

تقبضت يدا محسن وهو يهدر بغضب متزايد مكبوت " فقط قل لي الحقيقة حذيفة .. لماذا.. حقا لماذا ؟!! لماذا تورط نفسك مع امرأة محملة بكل هذه المشاكل ؟ ما الذي فيها لتجعلك تمنحها اسمك واسم عائلتك ،





يا الهي ... مطلقة لاسباب في ظاهرها فيه اساءة لسمعتها وفي باطنها غير مفهومة ...!

ناهيك عن كونها امرأة من وسط شعبي بعيد تماما عنا والقنبلة الكبرى انك تقول بأن زوج امها يتحرش بها !!! هل انت مدرك لما تقحم نفسك فيه ؟"

رد حذيفة متمسكا بنفس هالة الهدوء لكن الاصرار يشع جوله كحقل مغناطيسي مكهرب " نعم مدرك تماما ... كما انها ليست بالسوء الذي تصفه ، انها امرأة جامعية ومن اصل طيب مهما بلغت بساطته "

ثم رفع نظراته لينقلهما بين اخويه ويردف مضيفا " انا صارحتكما بكل شيء حتى تكونوا على بينة .. خلود تحتاج من ينقذها مما هي فيه .. شرفها وعرضها على المحك "
ثم نظر لرضا نظرة عميقة طويلة ليقول بصوت غريب " انه دين ....! دين في رقبتي يجب ان اسدده..... "

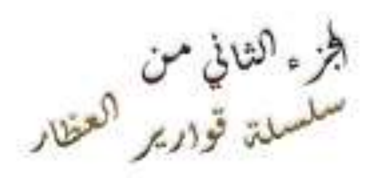
اشتعلت عينا رضا وتوسعتا وهما تواجهان عيني حذيفة بالكبرياء الناضح منهما بينما محسن يقول بتشوش " دين ؟! ماذا تقصد بالدين ؟"

فيرد حذيفة وهو ما زال يحدق في عيني رضا

" رضا يعرف.... مقصدي..."







تراخت ملامح محسن وهو ينظر لحذيفة من جهة ثم ينتقل لرضا في الجهة الاخرى ..

في لحظة انهالت على رأسه التفسيرات .. فاوجعته .. ! يا الهي كم اوجعته تلك التفسيرات ...

فقال بصوت مبحوح وهو يكتم ألمه عن اخيه محاولا ان يكون عقلانيا ومسيطرا " ولماذا تنقذها بالزواج ؟! اذا كنت تريد حمايتها استأجر لها مكانا تعيش فيه بعيدا عن اذى وتهديد زوج امها "

عاد حذيفة واطرق برأسه ليقول بغموض

" لاينفع هذا الحل هناك الكثير ليمنع ..."

زم محسن شفتيه قبل ان يقول من بين اسنانه

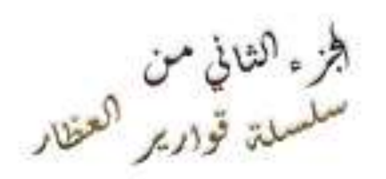
" هل هي ضعيفة لهذه الدرجة ولاتستطيع حتى السكن بمفردها ؟"

ابتسامة صغيرة عفوية مرت على شفتي حذيفة وهو ما زال يطرق برأسه .. ابتسامة ساخرة لكنها محببة بشكل غريب .. فتيل صغير من الحياة دبت على استحياء فيه .. كل هذا رآه رضا بتعجب وفضول اكبر ... تساؤلات تدور في فلك عقله

(من هي هذه المرأة حقا لتثير في حذيفة كل هذا ؟!! كيف جعلته يجد فيها تكفيرا عن ذنب قديم يتآكله من الداخل ؟) ..







لكن رضا واصل صمته بينما يسمع رد حذيفة على محسن " انها ليست ضعيفة كما انها ليست قوية .. انها خليط محير ! لكن لو رأيتها كيف تدافع عن عبد الرحمن بروحها لفهمت ما اعني .."

ارتفع حاجبا رضا هامسا في سره ..

الفتاة .... تعجبه !

بينما لم رضا يتنبه لزلة لسان حذيفة بالاسم الا عندما تساءل محسن ببعض الدهشة والتشوش " عبد الرحمن ؟!!!"

صدم رضا ليس من زلة اللسان وانما ردة فعل حذيفة المصدومة عندما نبهه محسن لتلك الزلة ! بدا مصدوما بشكل لايوصف وكأنه يقاتل ويعافر شيئا غامضا في كنه نفسه ليقول حذيفة اخيرا بنبرة شبه مخنوقة

" اقصد .. خليل ... انه ..اخوها الوحيد "

سال رضا على حين غرّة " كم عمره ؟"

تحولت له انظار كل من محسن وحذيفة وقد ظهر عليهما الدهشة وإن لاسباب مختلفة ...

محسن دهشته تنضح بالغيظ لان رضا التزم الصمت طوال الوقت ولم يفتح فمه الا بالسؤال عن عمر ذلك الفتى بينما دهشة حذيفة تعبر عن مفاجأته بالسؤال ... وكأن خلف هذا السؤال البسيط اسئلة اخرى اكثر عمقا واهمية ... تمتم حذيفة " ستة عشر ..!"





تراخت ملامح رضا وشعّ حنان من عينيه اربك حذيفة تماما .. يا الهي فقط رضا من يستطيع ارباكه هكذا .. بعد كل هذه السنوات ما زال يربكه بهذه الطريقة .... يشعره انه سيكون معه دائما حيث لايستحق ان يحظى بأخ كرضا ابدا ..

ابتلع حذيفة ريقه بصعوبة ليتماسك مرة اخرى قائلا بعفوية حتى يخرج من دائرة الارتباك التي يرفضها " خليل ... فتى طيب وبار بأهله ورغم كل هذه الظروف يريد اكمال تعليمه .. عيبه الوحيد انه سريع الغضب .. وغضبه مقلق وهذا تبعا لعمر المراهقة الصعبة التي يمر بها "

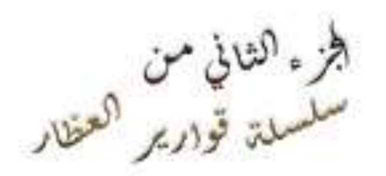
تمتم رضا وكأنه يحدث نفسه " انت تحبه ..."

تنحنح حذيفة قبل ان يتغاضى عن همس اخيه الاكبر ليقول باصرار وشموخ " انا لن اتراجع عن الزواج بها مهما حصل وقد اعطيتها كلمتي .. لااريد مغادرة البيت وسعاد بحاجة اليكم لكن .. اذا كان يريحكم ان اتركه مع ابنتي وزوجتي سأفعل "

ضرب محسن كفا بكف بينما رضا ما زال ينظر لحذيفة بتمعن ثم اخيرا وقف على قدميه وقال

" دعني افكر بالامر حتى الغد .. "

ثم تركهما وغادر محملا بمزيد من الهموم التي يجيداخفاءها عن الجميع ...





في بيت يونس العطار ...

تعقد اسيا حاجبيها وهي تجلس على السرير قبالة حبيبة وتقول " انا لاافهم معنى هذا التسرع بقبول الزواج من يحيى ؟! حقا لاافهم كيف تورطين نفسك وتورطين طرفا ثالثا في هذه الدوامة ؟! البارحة فقط كنت منهارة لرؤية مهند مع تلك المرأة واليوم تخطبين ليحيى ! ما هذا حبيبة ؟! هل انت تفتقدين للنضج لهذه الدرجة ؟!! "

ردت حبيبة وهي تضم ساقيها لصدرها قائلة بنبرة غريبة مشتتة " يحيى قادر ان يصارع هذه الدوامة بل ويحطمها ! اؤمن في داخلي بهذا .. كما يؤمن هو بي تماما .."

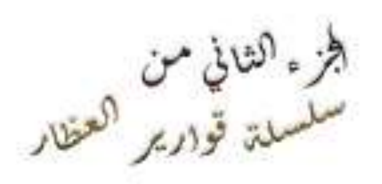
رغم غيظ اسيا الا ان القلق يتآكلها فقالت

" حبيبة الزواج ليس لعبة عقلية ، كوني واقعية اكثر اختي .. قبولك بيحيى كان رد فعل واضح لمواجهتك مع مهند في الصباح لكن هذا ..."

قاطعتها حبيبة قائلة بنظرة مرهقة

" مواجهتي مع مهند كما تقولين ليست هي الاساس يا اسيا .. الاساس في داخلي انا وفي غرابتي التي تدهشني انا شخصيا !! اشعر بتخبط فظيع فتضيع مني هويتي ولا اجدها الا معه هو ... هو فقط ..."







تمتمت اسيا بتساؤل " تقصدين يحيى ؟"

ردت حبيبة بهمس " نعم .. يحيى .. حتى قبل ان يصارحني بحبه ويعرض علي الزواج كنت اشعره في داخلي .. داخل عقلي .. داخل احساساتي المتشابكة فيلامسها بنعومة وانبهار وكأنه يلامس خيوطا من الحرير ثم يعلمني كيف اغزلها بتأن وصبر "

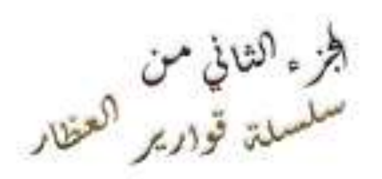
حدقت اسيا في اختها ولاتعرف كيف تعبر عما تريد قوله حقا !

من ناحية هي تشعر عن يقين بخطأ هذا التسرع الرهيب بقبول عرض يحيى بالزواج ومن ناحية اخرى تشعر ان حبيبة كالمعلولة وهذا الـ..يحيى يبدو اخطر كثيرا مما تصورته لانه الوحيد الذي فهم علّتها واقنعها بطريقة ما ان العلاج بيده ...

لكن اسيا آثرت التعقل والمنطق وقالت بتأن

" اسمعيني حبيبة .. انت لايجب ان تختبئي خلف يحيى ليخلصك من مهند او حتى باقي اثاره .. انت قوية .. يا الهي ... بل شعلة قوة وتستطيعين مجابهته بمفردك وعندما تفعلينها ستفخرين بنفسك وتكونين قادرة على اتخاذ القرار الصحيح حول صحة ارتباطك بيحيى......"





تطلعت حبيبة لعيني اختها ثم همست " انت لاتفهميني ! لااحد يفهمني الا هو ..شيء عجيب ... كيف يستطيع فعلها .. كيف ؟"

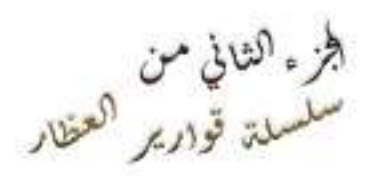
اتسعت عينا اسيا قليلا والدهشة تملؤها ! بينما تكمل حبيبة بنوع من الشرود " مهند كان حالة ضياع عشتها .. لاتتخيلين كيف يمكن ان تشعري بانوثتك تتفتح بسحر عجيب او ما تظنينه سحر ! لم اشعر يوما في حياتي بهذا .. " صمتت للحظة لتضيف بنفس الشرود حيث تعود لحياتها الماضية " لم يدق قلبي لآي انسان كباقي الفتيات المراهقات في المدرسة.. ولا حتى في الجامعة .. كنت فخورة بنفسي وبقوتي .. كان .. كان ابي..

يمنحني الرضا .. وهو يهمس لي بالقول الحاني (انت مميزة حبيبة وقلبك هذا يشع تميزا ولايقدر انسان عادي على مجابهته .. قلبك قلب رجل حر أبيّ شامخ ..)"

ترقرقت الدموع تأثرا في عيني آسيا بينما في داخلها تلوم اباها ! اجل تلومه ... دون ان يدري كان ينتزع حق حبيبة بالشعور بانوثتها .. ينتزع كينونتها ...

توشح شرود حبيبة بالحزن والألم وهي تعود لحاضرها قائلة " مهند استطاع فعلها حقا واجبر انوثتي على التفتح بطريقته العاطفية الجريئة .. لكن ..وسط هذا التفتح كانت اوراقي تذبل سريعا .. اشعرها تذبل حقا ..







كلما تكلمت اليه .. كلما لمحته يكلم احداهن .. في داخلي كنت اعلم بوجود خطأ .. لكني قاومت فسحر التفتح كان ادمانا ...! ثم تهت .. تاهت حبيبة مني ثم... شعرت اني اقل ..قيمة .. لم اعد اعرف نفسي هل انا حبيبة بقلب رجل شامخ ام انا حبيبة الضعيفة التي تتجاهل حدسها كأي انثى غبية ؟! "

رفعت انامل مرتعشة تمسد على جبينها بينما المزيد من الكلمات يتسربل من فمها " يحيى فقط من ساعدني على تجديد هويتي .. ان لااضيع في دهاليز سخيفة تشتتني .. جعلني افكر بعمق حقيقي واستعيد عقل حبيبة وقلبها ايضا .. لقد اضعت قلبي يوم اضعت عقلي ... فلا القلب ارتوى بالاختيار ولا العقل ارتضاه "

قالت اسيا بهدوء وهي تلامس كتف اختها

" ماذا يعني لك يحيى ؟ هل لامس قلبك حبيبة كما لامسه مهند ؟"

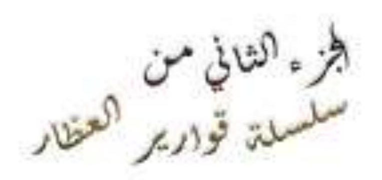
ردت حبيبة بنظرات تشع ايمانا بالكلمات

" يحيى لامس (حبيبة) .. كلها !"

فسألتها اسيا بتركيز " هل يعلم عن مهند ؟"

للحظة خبا شي ما في نظراتها لتقول بهمس مخنوق " يعلم ... لكنه لايعلم بالجزء القذر .. ذلك الجزء الذي لطخ روحي ووشمني بقذارته"







تمتمت اسيا بتاثر " حبيبة ! "

لتضيف حبيبة بجزع غريب " هل استحق يحيى يا اسيا ؟ ام انه اذا اكتشف يوما ما حصل تلك الليلة سيلمس ذلك الجزء القذر الذي اخفيه بمهارة عنه ؟!"

تعثرت انفاس اسيا وهي تمد ذراعيها لتضم اختها لصدرها بقوة هامسة بعاطفة جياشة

" انت تستحقين الافضل يا حبيبة والدها .. اياك ان تجعلي من تلك الليلة البغيضة عقبة لتنالي سعادتك .. لاتجعلي من احساسك بذنب ليس في موضعه ان يسيطر عليك .. اياك حبيبة .. اياك ... اسعدي حبيبتي .. مع يحيى .. او مع غيره ممن يستحقك حقا ويعرف اي فتاة مميزة انت ... ليعرف اي قلب بريء طاهر متعطش للحب والعاطفة تملكينه انت ..."

تلك الليلة.. بل تجاوز الوقت منتصفها تجلس حبيبة وحيدة الظلمة خلف طاولة مكتبها في الغرفة ، تتطلع لعلبة هاتف جديد اهداه لها يحيى عندما حضر الليلة لخطبتها رسميا ..

تذكرت كيف استغربت هديته التي اعطاها لها في كيس مغلق ليهمس بسرية " لاتخبري احدا انها هدية مني ، اعلم ان التقاليد لاتفترض اهدائي لك شيئا الآن .."



مع ذلك كان هناك شيئا ما يلتمع في عينيه .. شيء يجعلها تفكر الآن كم هو يفوقها نضوجا وتجربة في الحياة ...

كانت مستسلمة طيلة الجلسة التي حضرها رضا ايضا وقد كانت بعد ساعتين فقط من حديثها المطول مع آسيا .. ذلك الحديث الذي منحها الثقة والطمأنينة وبعض التفهم والتوازن ...

جلسة لم يتوانَ فيها يحيى عن اظهار جانبه الجريء ليمسك يدها بأريحية وعفوية لم تقدرها امها ولم تعجبها !

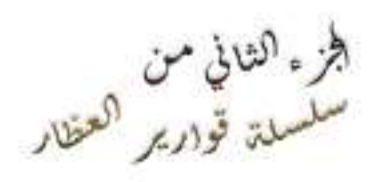
رغم ذلك ومن خلال مراقبتها الصامتة للوجوه حولها ادركت ان يحيى حصل على ما اراد ...!

لاتعرف كيف يمكن ان تصف الجلسة الا بأنها ناجحة جدا ليحيى وقد حصل على اعجابهم جميعا حتى على الرغم من توجس امها الواضح وصمت آسيا البليغ ...

عادت نظرات حبيبة لعلبة الهاتف التي استغربتها اولا كهدية منه لتدرك فيما بعد ان الكيس لم يحو هذه العلبة فقط وانما حوى ايضا ظرف خاص مما يستخدم لشرائح الهواتف النقالة !

اجل .. هذا هو مقصد يحيى الحقيقي من الهدية... خط هاتف.. جديد ...







مدت حبيبة يدها وفتحت درجا صغيرا لتلتقط

شريحة قديمة كانت قد اخرجتها بنفسها من

هاتفها القديم حال عودتها بمفردها للبيت

هذا اليوم بعد قضائها النهار برفقة يحيى ..

كانت قد صمّمت على كسر تلك الشريحة

واقتناء شريحة اخرى لرقم جديد ..

لكنها لم تكسرها حقا بل اكتفت

باخراجها من الجهاز الهاتف ورميها بهذا الدرج.

وكأن يحيى كعادته يدرك تخبطها ..

فدفعها بطريقته لتكسر تلك الشريحة ..

وبعزم ... رفعت الشريحة امام ناظريها وخلال

لحظات سمعت اذناها صوت طقطقة انكسار ..

في اليوم التالي

يقف متكتفا بهدوء ملتزما الصمت بعد كل

ما قيل في هذا الاجتماع العائلي في غرفة

والده المهيبة ، دوما اعتبرها غرفة والده دون

والدته وحتى بعد وفاة ذلك الاب المميز ...

غرفة بذوق خاص يعبر عن روح ذلك الرجل

ذو الشخصية القوية الى درجة تثير التوجس

والقلق لدى من حوله او تسحق ببساطة

وجودهم بهيلمان وجوده ...

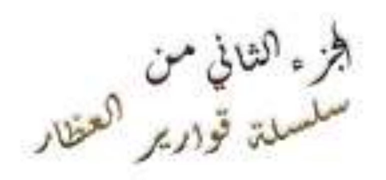
الان وهو يقف هذه الوقفة يحدق في اهم

واغلى امانة تركها والده في عنقه ..

انها امه سعاد ....







غامت عينا رضا عطفا وحنانا على أمه وهو يراها تجلس على سريرها بضعف شبه منهارة تتدلى ساقاها بعجز وارتخت ذراعاها الى جانبيها بوهن .... بينما حذيفة يجلس قبالتها على الارض يضع كفيه على ركبتيها وعيناه بدتا مختلفتين تماما عن طبيعتهما الشامخة النظرات دوما حتى في احلك الظروف ..

الآن وتلك العينان تحدقان بوجه امهم بديتا تناجيان امومتها مباشرة ...

اخفى رضا تنهيدته وهو يفكر انه لم يخبرها (كالعادة) بحقيقة الامور كيف تجري ..؟

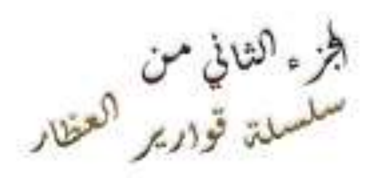
كان حذيفة قد ألح على ضرورة اخبارها بحقيقة زوج ام خلود حتى تقدر الموقف وسبب التعجل بالزواج ودون الترتيبات المتعارف عليها لكن رضا كان حازما بل وصارما انه لن يسمح له بهذا بل حتى وصل لتحذيره انه سيرفض موضوع الزواج جملة وتفصيلا اذا فعلها حذيفة واخبر أمهما ؟

فرضخ حذيفة على مضض متقبلا اقتراحا اخر من رضا بأن يكون زوج الام يريد طرد خلود من البيت وامها لاتستطيع الوقوف بوجهه او معارضته ...

عاد رضا لينظر لامه وعيناها الباكيتان الذابلتان بالحسرة والخذلان تؤذيانه ...







تذكر كلمات والده الذي اوصاه بأمه قائلا

(راعها جيدا بني .. انها امرأة لم تخلق للصعاب .. إخفِ عنها ما لاتستطيع تحمله او ادراكه .. دعها تعيش بفكر مستريح لاتحمل هما في هذه الدنيا هي ليست اهلا لحمله)

فأتاه صوت امه ضعيفا واهنا وهي تكلم حذيفة الجاثي امامها " لماذا تفعل هذا بني ؟! لماذا ؟!! كنت.... كنت اريد لك احلى البنات وافضلهن على الاطلاق .. لااستطيع القبول بهذه المطلقة ! لااستطيع القبول بمن تأتي من مستوى وعائلة اقل بكثير من مستواك وعائلتك .."

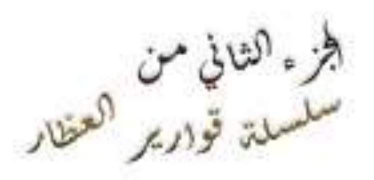
لم تكن المرة الاولى التي عبرت فيها عن رفضها ولو بكلمات مختلفة ، فهي تعيد وتكرر دون ان تشعر منذ ان اطلعوها على قرار حذيفة بالزواج ...

وكلما كررت الرفض يميل حذيفة ليقبل ظاهر كفها دون ان يقول شيئا ...!

بدا كمن يمنحها الفرصة لتستوعب دون ان يوقف اعتراضها ... لكن هذه المرة اضافت الحاجة سعاد وهي ترفع عينيها لبدرية التي تقف جوار رضا " قلبي يتوجع لاجل هذا الفتى يا بدرية ، لماذا كتب عليه قلة الحظ في هذه الحياة ؟!!"







استغفرت بدرية الله لكنها لم تعقب بكلمة .. عندها قال حذيفة " اماه اسمعيني .. هذه الفتاة ليست سيئة كما تظنين ، انا حقا اريدها فهلا فرحتِ لاجلي ؟"

ردت سعاد وهي تلتفت اليه دامعة العينين لتقول " لااستطيع بنيّ ! كيف افرح لك وانت تسيء الاختيار ؟! لااعلم كيف سأرضى بهذا ؟!! حقا لااعلم ..."

فيتمتم حذيفة برقيق القول الذي يخصها به " امي .. اتوسل اليك ... لاتحرميني رضاك .. يكفي ان والدي حرمني رضاه وعفوه حتى فارق الدنيا ليجعلني بعده اعاني حسرتي على غضبه عليّ حتى اوراى الثرى جنبه .."

شهقت سعاد وهي تحيط وجهه بكفيها المكتنزين هامسة بلوعة

" اسم الله يحميك ..."

حركة في الغرفة ليلمح حذيفة اخاه محسن يغادر بخطوات حانقة بينما اعاد انتباهه لامه ليقبل باطن كفيها اللتين تحاوطان وجهها ثم يقول بنبرة مؤثرة

" لاتجعليني اعيش حسرة بحسرتين امي .. احتاج رضاك لاقدم على هذا الامر .. لن استطيع التراجع عنه .. احتاج ان افعل هذا .. وانا اعطيت كلمتي لخلود "

شهقت الام ببكاء متحسر وهي تضم رأس
ولدها لصدرها بينما انسحب رضا مع امه بدرية
وقد ادركا ببساطة ان حذيفة فعلها !

عبر غرفة المعيشة الكبيرة وبينما رضا
يمسك ذراع امه بدرية ليتحركا معا قال رضا
بنوع من العتب " لماذا التزمت الصمت أماه ؟
كنت اريدك ان تسنديها في هذا الموقف بل
وتهوني عليها الامور لتقنعيها .."

ردت بدرية وهي تهز رأسها " لااستطيع رضا ...
لااستطيع مخادعة امك واقناعها بأمر انا لست
مقتنعة به ! نحن لانعرف هذه الفتاة ولانعرف
من اصلها وفصلها وحكايتها الا ما يقوله
حذيفة عنها .."

ثم اضافت بضيق

" لااعلم كيف ارتضيت خياره ؟!!"

رد رضا بهدوء وهما على يخرجان عبر باب
المطبخ للمرآب " انا لم ارضَ .."

فواجهته بدرية بالقول المباشر

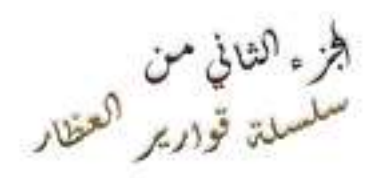
" ولم ترفض ايضا ! "

اسبل رضا اهدابه بينما يهز كتفيه ويقول

" رفضي لن يغير شيئا من الموضوع فحذيفة
عازم ومستعد تماما لفعلها ..."







تمتمت بدرية ببعض الحيرة والتفكر " لماذا اختار هذه المرأة بالذات ؟! فقط لو افهم اسبابه الحقيقية ... هل حقا يحبها هكذا ؟ لايبدو لي عاشقا متيما ..."

رد رضا بتفكير عميق " انه ليس العشق بمعناه المعرف يا امي ... بل انه شعور اقوى من العشق بنظري ، حذيفة يحتاج لتلك المرأة .. انها الشخص الوحيد الذي حرك فيه شيئا جعله يخرج من انعزاله الداخلي ... لقد كان يحكم على نفسه بالنبذ والاحتقار ويواجه الحكم بكبرياء وأنفة .. "

ثم نظر في عيني امه بدرية ليضيف بثبات

" لذلك انا عاجز عن منعه خاصة انه قال بصريح العبارة سيغادر اذا رفضنا .. وانا لااريده ان يغادر ، لااريد ان اكرر خطأ ابي معه واحرمه من دعمنا كما لاتنسي ان الصغيرة سعاد تحتاج الينا حولها ..."

قالت بدرية بفطنة

" اذن فقد فعلها وحقق ما اراد ؟! "

خرج حذيفة من غرفة امه يتلبسه الصمت ويحيط مشاعره الغموض على الاقل في ظاهرها لايستطيع احد التكهن بما يختلج في اعماقه حقا ....







لكن سكون ملامحه يعبر بعض الشيء عن بعض الراحة ...

تحرك مبتعدا عن غرفة امه عندما فاجأه وجود اخيه محسن مستندا للحائط بتحفز وكأنه كان بانتظاره !

لكن حذيفة لم يبال وتحرك متجاهلا اياه حتى تجاوزه وعندها جاء صوت محسن ساخرا في غضب واضح

" اذن.... فحذيفة القديم ما زال موجودا في مكان ما داخلك يظهر عند اللزوم ! "

ابتسامة صغيرة تحمل نوعا من الحنين لشقاوة ماضية بينما ينكر فهمه لمقصد اخيه بتساؤل اكثر سخرية " ماذا تقصد؟! "

رد محسن بغضب مكتوم وهو يتقدم ناحية حذيفة " تعلم ما اقصد .. دوما كنت تجيد التلاعب بعواطف امك حتى تنال مبتغاك "

التفت حذيفة لمحسن يهز كتفيه ويبرم شفتيه بينما يقول بعبث " لاانكر ...لكن.. هذه هي المرة الاولى التي افعلها لاجل غيري!"

رفع محسن سبابته في وجه اخيه مواجها اياه بصراحة مباشرة " لاتخدعن نفسك يا حذيفة .. انت تفعلها لاجل نفسك اولا فلا تنكر هذا الجانب الاناني منك الآن .."

تقلص وجه حذيفة للحظة واحدة فقط ثم عاد وتلبس قناع التماسك والبرود بينما محسن يتحرك مبتعدا عنه وهو يتمتم

" وكم اتمنى ان تجد حقا ما تبحث عنه... على الاقل لترتاح .."

وبدأ محسن يتسلق السلم بينما حذيفة يطالعه بجمود ......

شعرت رحاب بالعجز عن التخفيف عنه بينما تراه يتحرك بحنق واضح ذهابا وايابا في غرفة معيشتهما ...

تمتمت وهي تشعر بثقل الحمل المبكر عليها

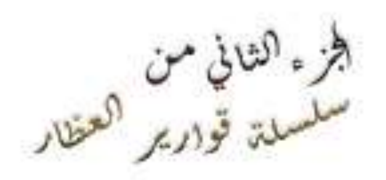
" لماذا تحمل نفسك مسؤولية كل هذا؟! انت حاولت معه وهو مصر على اختياره "

التفت اليها ينظر بحدة وهو يزفر انفاسه ببعض العنف لتضيف بترقق " انه رجل بالغ وناضج يا محسن ولم يعد شابا صغير اهوجا كما ان رضا تقبل الامر فلم لاتتقبله انت ايضا؟"

فاجأها محسن بالقول الهادر وهو يكز على اسنانه " رضا تقبله مجبرا تتنازع في داخله المشاعر بين شعور بالذنب وهو يرى حذيفة يعزل نفسه عن الجميع ويعيش حياة باردة شحيحة بالعواطف وبين غضب اهوج يكتمه حتى لايفتت اواصر هذه العائلة .."







تمتمت رحاب " اي غضب ؟! ولماذا يشعر رضا بالذنب حيال حذيفة ؟!!"

اطلق محسن صوتا حادا ناريا وكأنه زئير اسد غاضب مكبل بالاغلال بينما تتسع عينا رحاب بعجب ...

ثم تحرك محسن ليغادر الجناح باكمله وللحظة اوشكت رحاب ان تلحق به لكنها عادت وتراجعت هامسة لنفسها " اهدأي رحاب عندما يعود تكلمي معه مرة اخرى لكن دون ان تسأليه .. فقط خففي عنه .."

عند هذه الهمسة مع النفس شعرت رحاب ببعض الراحة ..

بعد بضعة ايام ....

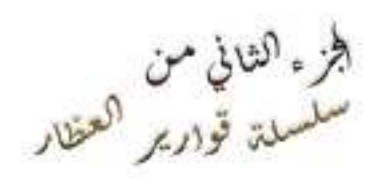
تضطجع حبيبة على الاريكة في غرفة الجلوس وتمسك كتابا في يدها تطالعه بكسل ذهني ...

اذناها تسمعاها حوارا ممتعا بين اختيها المتناقرتين .. حوارا يدور حولها واحيانا يشركاها فيه واحيانا تتجاهلهما دون ان ترد على فحواه بشيء ...

انها تعيش حالة كسل واسترخاء .. اسبوعان جازة كان قرارا صائبا جدا .. ستسعيد حيويتها خلالهما بشكل مؤكد ..







مضت ايام من الاجازة وهي تقضي النهار في رسومات متفرقة يعود بعضها للعمل وبعضها مجرد افكار ثم تساعد امها باعمال البيت لتتسامر مع اختيها عند عودتهما من المدرسة واخيرا ..اخره حلو ...وهي تستمع بحديث يحيى على الهاتف ...

يتكلمان لساعات ، يخبرها عن نهاره ، يمازحها بشقاوته .. يستفزها مغضبا اياها ..كعادته !

ووسط هذا يتلاعب بذكاء لامحدود باوتار قلبها ، يعرف متى يلامس الوتر الصحيح ليحدث التأثير البطيء الذي يبتغيه ..

له صبر شديد ... شديد جدا ويبدو غير متعجل بل مستمتع بتلاعبه معها واثقا كل الثقة من النهاية التي يريدها وسيحققها ...

جاءها صوت رقية هامسا بتنهيدة وهي تكلم رباب كالعادة عن يوم حضور يحيى المشهود

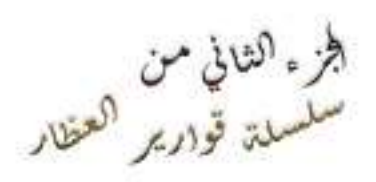
" هل رأيته كم بدا وسيما ؟! يا الهي وكيف امسك يد حبيبة دون ان يبالي بنظرات امي الممتعضة ! آآآآه لقد غمز لي قائلا اني ساحرة كحبيبة تماما "

تمتمت رباب " فتاة بلهاء ...!"

عبست رقية قائلة بغضب " لماذا تغارين ؟! ألانه لم يقل المثل لك ؟"







ردت رباب وهي تحشو فمها بالفشار

" انه خطيب اختك يا غبية "

كتمت حبيبة ضحكتها بينما تراقب من فوق كتابها الذي تمسكه كيف ارتفع حاجبا رقية واتسعت عيناها الجميلتان لتقول

" وماذا قلت انا ؟!!! انا معجبة به كخطيب لاختي واحلم بل و اتمنى لو يأتيني في المستقبل خطيب مثله .."

ثم لانت ملامح رقية وتنهدت بحلاوة وهي تعدد صفات يحيى " عينان زرقاوان وابتسامة جذابة ... طول فارع ... انه خلاااااااب "

نظرت رباب لحبيبة بعينين نصف مغلقتين تعبيرا عن الضجر والغيظ دفعة واحدة لتقول لها " اضربي رأسها بشيء علّها تستفيق ! "

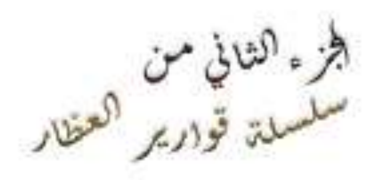
انفجرت حبيبة ضاحكة وهي ترمي كتابها ناحية رقية فتصرخ الاخيرة باعتراض حانق وهي تتجنبه ...

وبينما الفتيات يضحكن رن جرس البيت وبعد دقيقة او اثنتين اقبلت امهن من المطبخ موجهة كلامها لحبيبة

" حبيبة هناك شاب في الباب يقول انه زميلك في العمل واحضر لك اوراق مهمة .."







عبست حبيبة باستغراب بينما الام كانت تعبس اكثر منها وهي تضيف بحزم " اخرجي اليه وكلميه ولاتطيلي الوقوف معه انا لم يعجبني اصلا مجيئه للبيت "

تمتمت آسيا وهي تقف خلف قامة زوجها الذي يفتح الباب ليغادر " هل ستذهب لتكلم امي الآن ام في المساء ؟ "

التفت رضا اليها يتطلع اليها بعمق بينما يرد "لا .. الآن .."

شردت نظرات آسيا وهذه لم تكن المرة الاولى ليراها شاردة منذ موضوع حبيبة هذا ...

سالها رضا " ما بك آسيا ؟"

تنبهت لتحديق رضا فيها فابتسمت قليلا لتطمئنه قائلة " لاشيء .."

ابتسامته الصغيرة ثم مد يده يقرص خدها بلطافة ورقة هامسا " صارحيني اميرة البنات هل لايعجبك يحيى ؟" راقبها عن كثب كيف غلف القلق محياها العذب ليضيف المزيد وكأنه يفسر ما يختلجها " ام ربما لانه يكبر حبيبة كثيرا ؟"

فاجأه ردها السريع بكلمة واحدة " لا ..."

ثم فاجأته اكثر بسؤال " ستكون خطبة فقط اليس كذلك ؟" رد رضا بهدوء " نعم .."

فتمتمت وكأنها ارتاحت قليلا " حسنا ..."

حدقت حبيبة بصدمة في قامة مهند وهو
يقف باعتداد عن باب بيتها ! يا الهي انه فعلا
هناك يقف مبتسما بغرور رغم ان ملامحه
بدت لها ذابلة ...

تماسكت حبيبة وقلبها يقرع في صدرها رعبا
بينما تتقدم منه وتدعو الله ان يمر مجيئه
لبيتها على خير ودون فضائح ...

واربت باب المرآب خلفها لتقف في الخارج معه
تتكتف بحركة دفاعية بينما هو يترك
لعينيه حرية المرور عليها بتهمل مستعر
بالشوق ابتداء من رأسها حتى اخمص قدميها...

زمّت حبيبة شفتيها لتهمس وعيناها تنظران
يمينا ثم يسارا في الشارع " ماذا تفعل هنا ؟
كيف جرأت على المجيء ؟ "

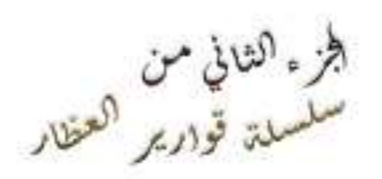
رد بتكاسل مرح " لم تتركي لي خيارا آخر
لقد اردت التكلم معك وانت الغيت
شريحتك الهاتفية كما يبدو واخذتِ اجازة
من الشركة لاسبوعين على الاقل .."

تماسكت حبيبة تماما لتسأل بسخرية

" هل تظنني اهرب منك مثلا ؟ "

رد وهو يسبل اهدابه ويهز كتفيه بغرور

" لا ... لكني لن اكون موجودا في الشركة
لدى عودتك من اجازتك فانا .. استقلت
صباح اليوم .."





عفويا قالت حبيبة بمفاجأة " ماذا ؟! "

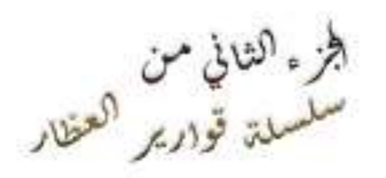
رفع نظرات عنيفة تفيض بغضب مكبوت ذكرها بذلك اليوم الذي لم يمر عليه الا اسبوع او اقل عندما تواجها في المقهى ليقول بهمس حارق مفجرا ما بداخله " هل تتصوريني سأعمل لحظة واحدة تحت إمرة ذلك الحقير المتأنق الذي يريد سرقتك مني ؟"

تمتمت تبادله غضبه بغضب بل وتضيف عليه سخرية مستهينة " يسرقني منك !! "

ثم تواجهت النظرات بحرب مستعرة بينما تضيف حبيبة بنفس الاستهانة

" هل تعلم ... لايام كنت اعصر عقلي لاجد صورة واضحة لما مثلته لي ولكني اعترف اني عجزت ! لقد استطعت تحديد ما فعلته معي وحتى تحديد اسبابه ... لكن انت شخصيا .. لم اعرف ماذا او كيف افسرك بوضوح وبعض المنطقية التي ترضي عقلي ، كانت كل الكلمات موجودة في رأسي لكني عجزت عن تركيبها وتجميعها بشكل صحيح ، كنتَ ككلمات متقاطعة اعلم يقينا اني لااحتاج الا لقدحة واحدة في عقلي حتى تتركب بشكل صحيح و الآن... بكلمة (السرقة) التي تقولها بكل هذا الصلف والغرور منحتني القدحة المناسبة التي كنت بحاجة لها .."





كان يرغي ويزبد في صمت قاتل بينما هي تضيف المزيد من الاشتعال له بكلماتها القاسية وصراحتها المربكة له

" عندما اقتحمت علي ظلمتي في غفلة مضحكة مني مددت لك يدي بغباء وكلي ترقب طفولي سخيف كيف ستشدني للنور .. "

ثم تجلدت عيناها بالقول " لكن .. بدلا من النور اخذتني لظلمتك الاشد سوادا من ظلمتي ثم تشبثت بي هناك بكل انانية وكسل .. لا انت تطلقني ... ولا انت تفعل شيئا لنخرج سوية من تلك الظلمة ! "

كز على اسنانه بعمق وهو يقول ببحة قاسية

" اصبحت الآن لاترين في الا اسوأ الصفات ؟!"

ثم اكمل بقسوة أشد " حسنا حبيبة ... انا متشبث بك في اي مكان تختارينه ولن افلتك ابدا ، ولو اجبرتني .... سأحطمك معي قبل ان يأخذك احد مني ! "

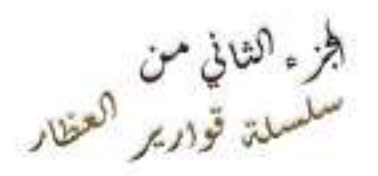
ثم هدر بالمزيد والامر يفلت منه اكثر

" ذلك المتأنق جعلك تأخذين اجازة ليبعد تأثيري عليك .. كم هو مثير للشفقة ليحاول سرقتك مني بالبعاد "

ردت وهي تشمخ بأنفها " ذلك المتأنق هو خطيبي الآن وامام عائلتي ومؤكد هو ابعد ما يكون عن اثارة شفقتك "







اشتعلت عيناه بالوجع ليشكك بكلامها وهو ينظر لاصابع يدها اليمنى

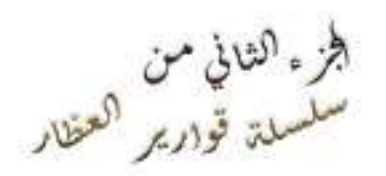
" لااراك تلبسين خاتم خطوبة "

ردت بصلابة " سألبسه قريبا "

عنف كالجحيم حاوطه لكنه فاجأها بالتراخي ليبتسم ابتسامة كريهة عابثة وهو يقول بغرور " حقا .. تتحدينني ؟ ام تنتقمين مني وانت تجرعيني كؤوس الالأم التي سببتها لك بحماقاتي؟ " اقترب قليلا منها ليهمس بصوت مبحوح غير مريح " افعليها حبيبة ودعيني اتمزق وأنا سأحتمل ! استحق منك هذا العذاب عن جدارة فافعليها وتمتعي بعذابي لتشفي غليلك مني ، عيشي خطوبتك المزعومة لاسبوع .. بل اسبوعين .. او حتى ثلاث ان اردت وانا واثق انك لن تصبري اكثر لتفسخيها ، فأنت فتاة لاتعرف ان تعيش الا بعاطفة صادقة ..واضحة ومحددة .. وهذا كان خطأي معك .. لم اقدر كم تنشدين هذا الوضوح في التفاصيل "

ثم اضاف بكبرياء ونبرة تهديد " لكن حذاري حبيبة ... الصبر ينشدني وانا لاانشده ! فلا تتمادي بالمدة اكثر من ذلك ..."

كانت تفتح فمها وهي لاتكاد تصدق غروره كما لاتصدق كيف رفضت رؤية هذه الجوانب من شخصه كما غابت عنها قسرا جوانب اخرى !!





هو لم يسمح لها لترى كل هذا ، كان يريد العاطفة فقط .. العاطفة بمعناها الفج لااكثر ...

تمتمت وهي تستعيد هدوءها بشكل عجائبي

" قل المزيد مهند ... دعني انفض عني غبارك الذي شتت الرؤيا مني .. "

شعر انه اضاع هدفه من مواجهتها فتملكته الحماقة ليقول بتهور اعمى " لاتتكلمي معي هكذا ولاتجبريني على فعل أمر لايعجبك "

فسألته بنفس الهدوء " وماذا ستفعل ؟ اخبرني بما يمكن ان تفعله في هذه اللحظة ولن يعجبني ؟!"

اوشك ان يفقد زمامه تماما ليجرها بين ذراعيه مقبلا اياها بعنف رغما عنها لكنه لم يفقد ادراكه تماما حتى لايقدر انه سيكون غباء لاحدود له ان فعلها، لكنه لم يقاوم التنفيس عن معاناته ليتحداها بالقول

" استطيع ببساطة الدخول الان لامك طالبا اياك للزواج واريني كيف ستردين عندما اخبرها اننا نحب بعضنا "

ظلت تنظر اليه دون ان يتمكن من تفسير نظراتها لتقول بعدها بنبرة باردة خنقته

" تظن نفسك ذكيا ؟! جرب ان تفعلها وانا ببساطة ساخبرها انك من تعديت علي في المكتب..."



اتسعت عيناه ذهولا بينما تضيف حبيبة

" اجل مهند لقد اخبرتها .. اخبرتها بكل شيء .. ولايغرنك مظهرها الطيب فصدقني ستنقلب لوحش يمزقك أربا حالما تعرف انك المعتدي الذي حاول اغتصابي .."

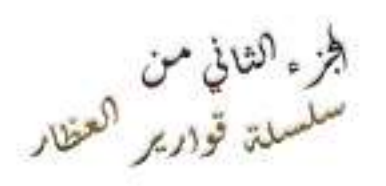
جردته من عزيمته وهو يتذكر تلك اللحظة المجنونة التي فقد فيها حبيبة حقا وقد كان يسير معها بخطوات صحيحة توشك ان توصله اليها...

قال باختناق عاطفي " لاتقولي كلمة الاغتصاب حبيبة .. تجعليني اشعر بالقرف من نفسي .."

توحشت عيناها بينما نبرتها على نفس الهدوء وهي ترد بسخرية مريرة " وماذا يفترض ان اشعر انا ؟!!! منذ ان رأيتك مع هويدة لاانفك اتساءل .. ماذا لو ضعفت تلك الليلة واستسلمت لك ؟ وانت قلتها بنفسك لي لو رضيت انا لما كنتَ توقفت ... اخبرني مهند .. لو نلت غرضك مني هل كنت ستتشبث بي كما تفعل الآن ؟ ام كنت سترميني كخرقة بالية ؟"

لم يعد يستطيع التحمل فأخذ يضغط بيده على لفافة الاوراق البيضاء التي كان يحملها لتصدر اصواتا بينما يهمس باول ما خطر في باله ليخرج نفسه من دائرة الاتهام والملامة قائلا





" تحججي بكل هذا وانت تعاقبيني بخطبتك المضحكة لذلك المتأنق "

ضحكت بمرارة اشد بينما تقول بسخرية

" مضحكة ؟! اعاقبك ؟!! يا الهي ... هل انت تافه لهذه الدرجة ؟! "

زجرها بالقول وقد فاض كيله

" صوني لسانك حبيبة ! "

بينما يقول هذا لمحت حبيبة خروج رضا من باب البيت المقابل فسارعت للقول وهي تأخذ لفافة الاوراق من يده

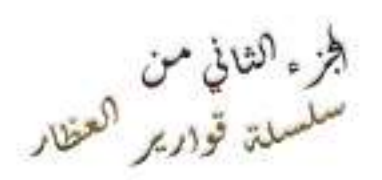
" شكرا مهند لاحضارك الاوراق "

القى رضا السلام فتنبه مهند اخيرا لسبب تغير حبيبة المفاجئ معه ، ارتبك قليلا وهو يرد السلام على هذا الرجل الذي لمحه سابقا في الشركة،اخذ رضا يراقب بنظرات هادئة وجه الاثنين معا بينما حبيبة تعرفهما لبعض ..

شعر مهند بالارتباك اكثر من نظرات رضا بينما اخذ يفسر بتلاحق " احضرت لحبيبة بعض الاوراق لرسومات تخصها ... اقصد تخص عملها..طبعا ..."

حدق فيه رضا ببرود قائلا " غريب ان تحضرها بنفسك وقد كنت تستطيع اعطاءها لخطيبها .. مديرك يحيى .."





اطرق مهند برأسه يخفي تعابيره الهائجة كما اخفى قبضته المتشنجة في جيب بنطاله ليمد اليد الاخرى مصافحا رضا وهو يقول

" عفوا لقد تأخرت على ..موعد مهم ..يجب ان اذهب .. سررت بالتعرف إليك "

تمتم رضا بسلام مناسب بينما يراقب انسحاب الشاب ليركب سيارته ويغادر دون ان يتطلع اليهما ...

التفت ناحية حبيبة التي كانت تلاعب لفافة الاوراق بحركة قلقة لم تفته فاكتفى رضا بالقول " والدتك بانتظاري .."

فسارعت للقول " اجل طبعا ..تفضل رضا .."

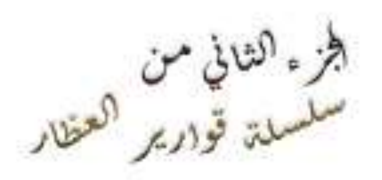
انفردت بنفسها في غرفتها تاركة رضا يكلم امها في غرفة الضيوف ، يدها ما زالت تمسك بلفافة الاوراق التي احضرها مهند متحججا بها كسبب لحضوره ..

بتفكير شارد وبحركة غير مقصودة اخذت تفتح اللفافة فانساب من بين الاوراق البيضاء شيء احمر ليسقط ارضا امام عينيها دون ان يصدر حتى مجرد هسيس !

حدقت حبيبة في ذلك الوشاح الذي اهداه لها مهند يوما فهمست

" انت لاتدرك يا مهند .. حقا لاتدرك !! "







ثم بحركة هادئة وضعت لفافة الاوراق جانبا ثم انحنت لتلتقط الوشاح من الارض فتتحرك بعدها ناحية درج طاولتها فتفتحها وتخرج منها علبة ثقاب الكبريت تحتفظ فيها هناك..

ثم احضرت وعاء زجاجي صغير تستخدمه لدمج الالوان احيانا عندما ترسم بالفرشاة وخلال اقل من دقيقة كانت عيناها تعكسان لهب النار المتصاعدة من الوشاح المحترق ...!

قال رضا ليحاول تهدئة مواطن القلق التي تبدو جلية على ملامح الخالة ابتهال

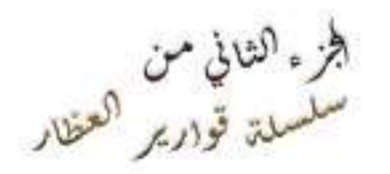
" خالتي .. حبيبة هي أخت لي بل حتى اعتبرها مسؤولة مني .. وانا لن ارشح رجلا للزواج منها دون ان اكون مطمئنا تماما له "

قالت ابتهال والتردد يسابق القلق على محياها

" انه مطلق يا رضا كما ويكبرها بالكثير "

تبسم رضا قائلا " وانا كنت مطلقا ايضا عندما خطبت منك آسيا واكبرها باحد عشر سنة ورغم ذلك وافقت مباشرة على زواجها مني حتى انك لم تتطرقي لموضوع طلاقي من زبيدة ابدا.."







قالت ابتهال بابتسامة حانية " انت ولدي يا رضا .. تربيت امامي واعرفك واعرف اهلك منذ طفولتك .. بل اعرف اصلك فصلك كله ومثلك بنيّ لايقال له لا والا أكون فقدت عقلي وكسرت حظ ابنتي ! "

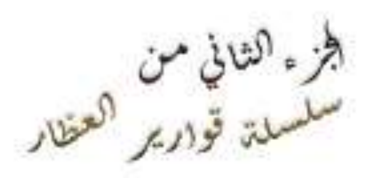
تضاحك رضا وهو يسبل اهدابه بينما تضيف ابتهال على استحياء " اما طلاقك من زبيدة فلاتؤاخذني بني بالقول ان الكل كان يعرف كيف كانت هي وصبرك عليها وطلاقك منها لم يكن مفاجئا لاحد ..."

رفع عينيه اليها لتكمل ابتهال بالقول الصريح

" يحيى أمره مختلف عنك ، هو قريبك لكني لا اعرفه الا بلمحات بسيطة من الماضي البعيد عندما كان يأتي لزيارتكم كما انه عاش لسنوات طويلة في امريكا منقطعا باخباره حتى عنك وكما صرحت بنفسك ولذلك يقلقني اني لااعرفه حقا ، لااعرف كيف عاش هناك كما لااعلم تفاصيل زواجه بتلك الاجنبية وطلاقه منها"

رد رضا مفسرا بهدء " يحيى اراد التحصن خالتي فتزوج من زميلة له في العمل ، كانت امريكية ولكنهما لم يتوافقا .. يحيى حكى لي كل ظروف هذا الزواج والطلاق وصدقيني تلك المرأة لاتعني شيئا ، لقد كانت محاولة فاشلة واختيار خطأ ..."





ما زال التردد يحوم حول ابتهال ليضيف رضا بحكمة " حبيبة تحتاج لرجل قوي مثل يحيى ، انه ناضج ومرن وبنفس الوقت حازم .. سيساعدها لتنضج بطريقة رائعة .. انها فتاة مميزة لكنها صعبة المراس ومرت بالكثير الذي ارهقها..."

لانت ملامح الام بالشجن القديم والحزن على الذي مضى ولاتستطيع فعل شيء لتغييره ..

بينما رضا يقول المزيد موضحا وجهة نظره

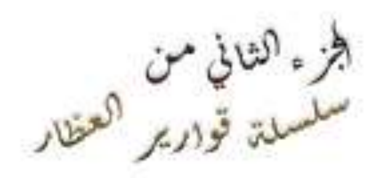
" حبيبة تحتاج لمن يتفهمها ويجيد التعامل معها وارى يحيى اكثر من مؤهل لذلك "

قالت ابتهال بجدية وهي تنفض عنها أسى الماضي " انه جريء جدا يا رضا .. لم يتوان عن امساك يدها امامي ليلة جاء ليخطبها ! "

تبسم رضا قائلا " انه يحبها جدا ومتعلق بها لكني اعترف انه جريء وهذه صفته منذ صغره ، صفة زادت ترسخا بسفره للخارج واندماجه بالمجتمع هناك لسنوات لذلك تجدينه احيانا تفوته تقاليد مجتمعنا المتحفظ .."

ركنت ابتهال لبعض الحيرة قائلة " لااعلم رضا .. يبدو رجلا جيدا لكنه غامض بطريقة ما .. لااعلم .. هكذا اشعره .."





فأكد لها رضا بالقول " خالتي ثقي بكلامتي .. هو طباعه مختلفة قليلا عنا لكنه من الداخل ما زال يحمل نفس الجوهر الاصيل والا ما كنت استأمنه على حبيبة مهما بلغت صداقتي وقربي منه ، فهذا زواج يدوم الحياة كلها باذن اللّه..."

هدأت مخاوف ابتهال قليلا لتعبر عما يجول في خاطرها " حسنا ... يقول ان الزواج سيتأخر لبضعة اشهر "

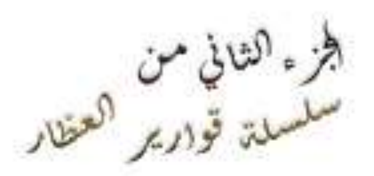
فرد رضا وهو يستشعر انها مقدمة لامر ما

" اجل خالتي فهو كما وضح امامك يريد تجديد البيت الذي ورثه وهو بيت قديم صغير لكنه يحتاج لعمل كثير "

عندها أدلت ابتهال بدلوها لتقول بنبرة حازمة " حسنا رضا ... انا افضل ان يعقد قرانه على حبيبة خلال هذه الفترة .. لااحب ان يكونا في نفس مكان العمل بالشركة وامام باقي الموظفين برابط خطبة فقط كما ان يحيى يصر على اشراف حبيبة على تجديد البيت وتصميم دواخله وهذا سيجعلهما يتواجدان بكثرة معا وانا لااستطيع ارسال الفتاتين معهما دائما خاصة وقد ابتدأت الدراسة "







ثم اضافت بنظرات رقيقة " نحن مجرد نساء بمفردنا في هذه الدنيا يا رضا والحاج يونس رحمه اللّه كان رجلا محافظا جدا كما تعلم"

عندها قال رضا بصوت رجولي ثابت بعث الراحة والطمأنينة في قلب الام" انتن لستن بمفردكن ابدا خالتي .. انت و البنات في رقبتي الى يوم الدين "

دمعت عيناها وهي تهمس له بالدعاء

" حفظك اللّه وامد عمرك بنيّ وانعم عليك بالصحة وراحة البال "

مد كفه ليربت على كف حماته قائلا بابتسامة مشرقة " ادامك اللّه لنا خالتي .."

ثم سحب يده ليطرق قليلا برأسه قائلا

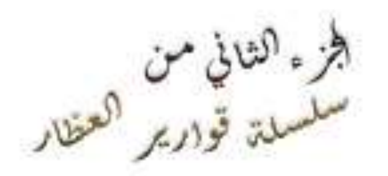
" خالتي ...اردت ان استسمحك في شيء "

فسألت ابتهال وهي تمسح دمعة سقطت على خدها " ماذا بني ؟ "

قال بتساؤل " هل علمت ان حذيفة سيتزوج ؟"

ردت بابتسامة " نعم اجل بالتاكيد .. مبارك له ولكم .."

رد رضا " اللّه يبارك بك ويسعدك برؤية الفتيات سعيدات بحياتهن .. حسنا انا اردت ان استسمحك بجعل ليلة خطبة حبيبة ويحيى في نفس ليلة عرس حذيفة "





دهشت ابتهال قليلا بينما تقول " لكن لماذا هكذا ؟ من حق العروسين ان يحظيا بليلة عرس خاصة بهما "

قال رضا وما زال يطرق برأسه " لن يكون عرس حذيفة عرسا بمعنى الكلمة .. سنقيم احتفالا بسيطا في حديقة امي بدرية يقتصر على المعارف والمقربين لااكثر .. هكذا هو يريد ... فما رأيك بجعل الليلة اكثر فرحا بخطبة حبيبة ويحيى ويمكن للمأذون الذي سيعقد قران حذيفة على عروسه ان يعقد قران يحيى وحبيبة ايضا .."

ردت ابتهال بعد لحظات تفكير

" انا لا مانع لدي على الاطلاق .. لكن نسأل حبيبة ونرى ماذا تقول ، فأنا لم اخبرها ايضا عن موضوع عقد القران فقد اردت التحدث معك اولا حول يحيى .."

وقف رضا على قدميه قائلا

" اذن .. ننتظر رد حبيبة "

سألته ابتهال بينما تقف على قدميها هي الاخرى " متى تنوون اقامة العرس ؟"

رد رضا " نهاية الاسبوع القادم ان شاء الله"







تقف اسيا مذهولة من خبر (عقد القران) وهي تسمع رضا ينقله ضاحكا ليحيى عبر الهاتف !

كان قد دخل البيت بعد عودته من بيت عائلتها وهو يضع الهاتف على اذنه ويكلم يحيى لذلك كانت صدمة كبيرة لها ان تعرف بتطور الامور بهذه الطريقة ...

اوشكت ان تذهب لترتدي ملابسها وحجابها لتذهب لامها تستفهم الامر منها لكنها فضلت الصبر وانتظار رضا حتى يكمل مكالمته مع يحيى ...

اغلق رضا الخط بعد ان نعت يحيى بالمجنون ثم اخذ يقترب من زوجته وهو يحدق في ملامحها بتمعن وابتسامته تتلاشى ليسألها بما لم يخطر على بالها " هل تعرفين شابا اسمه مهند يعمل مع حبيبة بالشركة ؟"

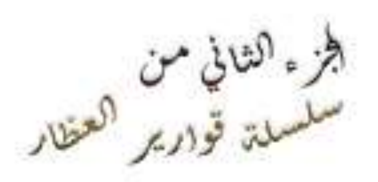
جاهدت لتلجم الصدمة لتسال بصوت غير طبيعي " لماذا ... تسأل ؟"

سايرها بالقول وهو ما زال يحدق فيها " رأيته يقف معها عند الباب عندما كنت ذاهبا لاكلم والدتك حول خطبة يحيى وحبيبة.."

تلكأت اسيا واحمرت وجنتاها رغما عنها وهي ترد " اعتقد .. انها كلمتني عنه يوما .."

ضاقت عينا رضا قليلا بينما عبّر بالقول المقلق " لم يبدُ مريحا بالنسبة لي .."





تمتمت آسيا " رضا .. ساذهب لزيارة عائلتي .. هل تحتاجني في شيء ؟ "

بدت شديدة التوتر لعينيه فشعت ابتسامته وهو يقترب منها هامسا " انا دوما احتاجك "

تراخى توترها وهي تضحك برقة بينما يقول وهو يميل برأسه ليقبل وجنتها " لمحت رفضا في عينيك عندما سمعتني اكلم يحيى عن عقد القران الذي طلبته والدتك "

نعم .. آسيا كانت ستحاول جهدها من اجل ايقاف عقد القران .. لكن .. بعد ان علمت بجرأة ذلك الحقير ليأتي للبيت اصبحت تشعر بشعور حبيبة وهي ترى في يحيى القشة التي تتعلق بها ...

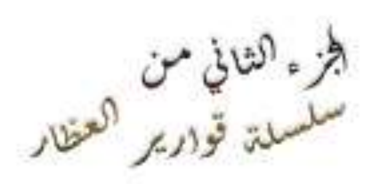
" اين سرحت آسيا؟ هل لديك اعتراض .. طبعا حبيبة لم تعرف بعد لتقول رأيها بالموضوع "

كان صوت رضا فيه جدية غريبة وكأنه يستشف شيئا ما فردت آسيا بثبات

" لا ... لااعتراض ابدا .. فليجعل به الله فاتحة خير "

مع اقتراب المغيب كان العمال يغادرون واحدا تلو الآخر وبعضهم يخرج في جماعات ليغادروا سوية في شأن يجمعهم ...







مرت أشجان في هدوء شديد من امامه بينما رجاء تثرثر جنبها دون ان ترد عليها اشجان بشيء ...

رغم ارتياحه النسبي لهذا الهدوء الا ان حذيفة لم يتقبله ببساطة كرد فعل متوقع من شخصية مثلها ...

لقد تجاهلت تماما ما حصل بينهما وكأنه لم يكن ! لكن الجميع لاحظوا صمتها وبعض العمال اخذوا يضايقونها بمزاحهم السمج لكنها لم تلق لهم بالا ..

تمتم حذيفة في سره بينما يغلق اقفال المعمل بنفسه " لابأس اشجان اذا كنت حزينة بعض الشيء، سنتتنسين قريبا وربما هو درس جيد لك ، لكني لن اتسامح معك لو اعدت الكرة هذه المرة .."

ناداه خليل " ألن تاتي معي حذيفة ؟"

تشاغل حذيفة بلملمة اغراضه من الارض وهو يرد " لا خليل ...لااستطيع .. لدي الكثير من الامور حال عودتي للبيت "



لوح له خليل مودعا بينما يبتسم ابتسامة واسعة منشرحة، هل هناك أمر ما يفوت حذيفة ام انه يتخيل بأن ابتسامة خليل اوسع واكثر انشراحا مما يستحقه امر زواجه المرتقب من اخته المجنونة !

ها هي الابتسامة تشاغل شفتيه هو كما دأبت ان تفعل معه كلما ذكرت افكاره تلك المجنونة المشعثة التي ستصبح زوجته خلال اقل من اسبوع ..

ولانه يمسك نفسه دوما (بالجرم المشهود) وهو يحمل هذه الابتسامة السخيفة فقد امتنع عن الذهاب لرؤيتها في عناد غريب ..

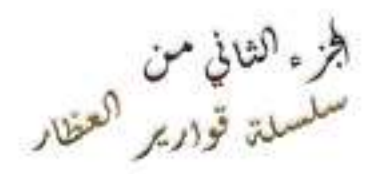
رغم انه كان ينتوي الذهاب اليها ليخبرها عن بعض الامور التي تخص اقامتهما في بيت عائلته لكنه امتنع واقنع نفسه بلامبالاة ظاهرية انها لاتحتاج لمعرفة شيء !

وعندما سيتزوجان الخميس المقبل ستأتي لترى بعينيها كيف ستكون الامور ..

نحى جانبا كل هذه الافكار المزعجة وبحث في جيبه عن سيجارة ضالة تهتدي اليه فحصل ما تمناه ووجد ضالته ليشعلها ويضعها بطارف فمها بين يحمل اغراضه بذراعية القويتين ..







" اخبريني الآن وبشكل سريع لاطمئن قبل ان يعود رضا من بيت عائلته ، هل هذا مهند من أتى للبيت عصر اليوم ؟؟"

ردت حبيبة على همس اختها القلق

" اجل.. هو .."

شهقت آسيا بالاستنكار ثم هدرت بصوت مكتوم الغضب شديد الانفعال بفعل هورمونات الحمل المتقدة فيها " هذا السافل كيف يجرؤ ؟! يا الهي كيف يجرؤ على فعلها! ذلك الحقير الذي لايملك احتراما لاحد .. اقسم بالله ان فعلها ثانية او تعرض لك ساخبر رضا عنه ليأخذ حقك من البداية الى النهاية "

ابتلعت حبيبة ريقها وعيناها تسرحان ناحية بقايا الوشاح الاحمر المحروق لتقول ببعض التماسك والهدوء " لاداعي لكل هذا الانفعال آسيا ، انه كطفل مدلل يحاول اصدار الضجيج ليتنبه اليه من حوله ، لكن لاتقلقي لن يفعلها مرة اخرى خاصة بعد ان رأى رضا .."

ما زالت انفاس آسيا متسارعة بانفعال وهي تقول " امثاله يظنون ان النساء لقمة سائقة ما دمن دون رجل في الصورة وحالما يرون الرجل ينكسر جبروتهم وخيلاءهم الكاذب "





تمتمت حبيبة " ربما هو ما تقولين دون ان يشعر بنفسه لكن ما انا واثقة منه ان ما فعله اليوم لم يكن الا تهورا ومحاولة منه للوصول الي والتأثير بي ..."

فسألت آسيا بتوجس

" وهل فعل ؟ اقصد هل أثر بك ؟؟"

ردت حبيبة بهمس " نعم .. أثر ... لقد ساعدني لأنهي تماما تشوشي حوله ... احرق دون ان يدري آخر اثاره ..."







الفصل الثالث عشر

يوم العرس

" هيا خلود .. لقد جاء حذيفة لاصطحابنا بسيارته .. "

حدقت خلود لنفسها في المرآة مرة اخرى ، ظاهريا بدت اجمل من اي وقت فيه اعتنت بنفسها لقد داخليا كانت تشعر انها الاكثر تشوها بشعور التعاسة والاذلال !

انها لم تشعر بهذه كل التعاسة وكل هذا القدر من الاذلال حتى عندما استسلمت ليد ذلك الطبيب الذي اخذتها اليه جارتها حتى يساعدها لتخطي حاجز الاستسلام لزوجها ...

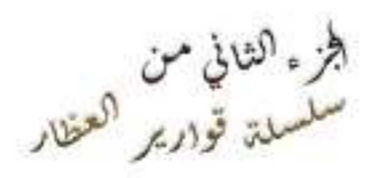
وكم شعرت بالذل وقتها عندما غادرت عيادته شعرت بالخزي والامتهان وكأنها اغتصبت....

لا اجرت عملية جراحية مبسطة لفض غشاء العذرية ...

" ما بك اختي ..؟! "

التفتت اخيرا لاخيها الذي يقف عند باب غرفتها التي ستغادرها الليلة لتذهب وتعيش المجهول ... حدقت في جمال محيا ذلك الفتى ، سيكون فاتنا عندما تنضج رجولته حقا ..







وكم ستكون سعيدة لو تلقى معاني الرجولة على يد حذيفة .. عندها ستشعر ان كل المآسي التي مرت بها تهون وان كل الذل والتعاسة مجرد ثمن بخس لاجل الفتى الاروع الذي يقف امامها بقميص بسيط وبنطال جينز قديم..

شجعها اخوها وقد رآها تلتزم هذا الصمت المؤثر " تبدين جميلة جدا بهذا الثوب ، حقا يليق بك "

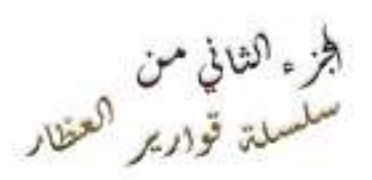
كان صادقا حقا باعجابه بالفستان الابيض .. لم يكن فستان عرس لكنه كان ابيضا ؛

سكين انغرزت في انوثتها وهي تشعر انها لاتليق بالفستان المشغول باناقة ونعومة لاتوصف كما لا تليق بلونه الذي يعكس الطهر ... فتاة لم تمس ... وهي فتاة لمست بطريق عدة كلها تستجلب الألم لروحها والكآبة لنفسها .. دون ان تمنحها السعادة او الشعور بالاكتمال الانثوي ... حتى لم تعد تعرف هل هي فتاة ام امرأة ؛

صدقت النسوة اللواتي يعايرنها واصفات حالتها بـ(العاهة) ...

قال خليل ببعض النزق " اختي ؛ هيا بنا ... لقد تاخرنا جدا وحذيفة ينتظر منذ فترة "







ثم اضاف مناغشا " سيفرح حذيفة جدا برؤيتك ترتدين هذا الفستان الذي احضره لك بنفسه "

تمتمت خلود " تقصد الذي ارسله معك .."

تنبه خليل لنبرتها الباردة الكئيبة فاقترب منها متسائلا باهتمام رقيق

" هل ازعجك انه لم يزرك خلال الايام الماضية ؟ هل لهذا تبدين حزينة كئيبة ؟"

كيف تخبره انها تشعر بالخزي ..بالضآلة وكأنها أمة تساق لسيدها ..

ربما يكون التشبيه ظالما لمعروف حذيفة معها لكن المؤكد هو انه شعورها الذي يجعلها تعيش المرارة والكبت وانكسار الروح ...

رسمت ابتسامة واهنة على شفتيها المطليتين بلون وردي خفيف ثم قالت " لاتهتم .. انه تدلل العرائس لااكثر ..."

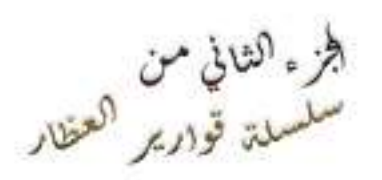
اشرق وجهه بالابتسام فاقترب منها محاوطا كتفيها بفرح غامر ثم قبل رأسها وهو يتطلع لتسريحة شعرها البسيطة قائلا " سعيد انك رتبت شعرك بهذه الطريقة .. حقا تبدين جميلة جدا .."

تحركت معه قليلا ناحية باب الغرفة بينما تهمس له بألم لم تستطع كتمه

" هل .. ستأتي ... امنا؟ "







غابت بشاشته وهو يرد عليها بهمس ايضا

" تعلمين ان (القذر) اقسم بيمين الطلاق على ذهابها "

تنهدت بارتعاش لتهمس ببعض الضياع

" سنذهب بمفردنا لنواجه كل أولئك الناس؟! "

رد خليل مطمئنا برجولته اليافعة الوليدة

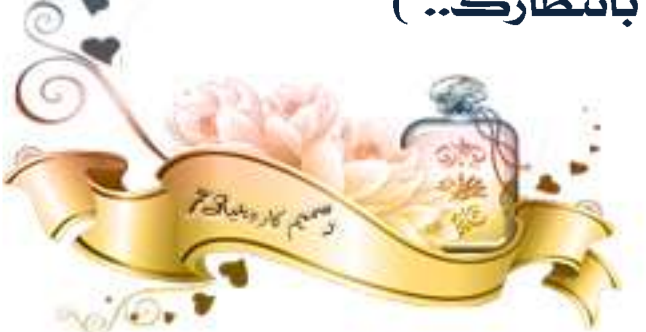
" اللّه معنا اختي .."

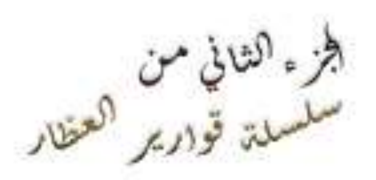
فاطلقت نفسا وهي تردد جملته " اللّه معنا .."

وبينما تودع غرفتها للمرة الاخيرة تذكرت نظرات فواز المقززة لها ليلة الامس وما همس به في اذنها ، كانت قد غادرت الغرفة حيث علا شخير خليل بنوم عميق يعبر عن ارهاقه الجسدي لذلك أبت ان توقظه ليحضر لها كوب ماء وقد انهكها العطش ، فجازفت بالخروج على اطراف اصابعها لكنها للاسف وجدت القذر في المطبخ بمفرده يشرب الماء ايضا لكن بطريقته المنفرة ...

حالما ارادت التراجع لاحقها ليرميها بكلماته التي نفذت لاعماقها وحطمتها ...

(مرحبا بالعروس ! استمتعي بالدور مرة اخرى لكن تذكري انه سيرميك كما فعل عزيز معك .. وستعودين لهذا البيت مرة اخرى .... وانا..... ساكون دوما بانتظارك..)







تركته وقد نسيت عطشها بينما صدى كلماته يحطم ويحطم في عمق انسانيتها المهددة بالامتهان ..

جلست لساعات طويلة في سريرها تحدق في جسد اخيها الصغير الذي يفترش الارض بلحاف قديم ، ينام قربها.. يحميها بطريقته كما اوصاه حذيفة ...

حذيفة .. حذيفة ...

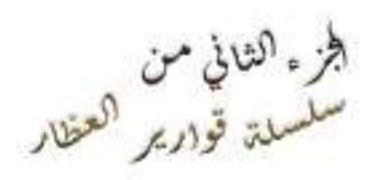
دق قلبها وهي تتذكر ما قاله لها في اخر مرة راته فيه في المكتبة .. لقد تنبأ حذيفة ان القذر فواز حالما يستعيد قواه قليلا سيعاود تحرشه بها وها هو فواز يحقق النبوءة باسرع مما توقعت ليتوعدها بالانتظار حالما يرميها حذيفة كما فعل عزيز ...

" هيا اختي .. عريسك بانتظارك .."

بانكسار لايعادله انكسار اخر غادرت غرفتها وفستانها الطويل المطرز يصدر همسة ناعمة بدت كلحن حزين في اذنيها ...

خنقتها العبرة وهي تمر عبر غرفة المعيشة التي تتوسط شقتهم المتواضعة فلمحت باب غرفة نوم امها مواربا وعبر الشق الصغير رأت عينا دامعة كسيرة ذليلة تحدق فيها تستجدي الغفران .....!







حالما ادارت وجهها عن باب غرفة امها الذي اغلق بعنف رأت طرزان بأضخم صورة يقف عند باب الشقة ببدلته الكحلية الانيقة التي ملأها بضخامته ينظر اليها بغرابة وينتظرها بصبر..............

سؤال وحيد خطر في باله وهو يراها تتقدم نحوه بثقة مهزوزة ووجه ....كئيب مرتعب ..!

(ما نوع الغباء بالضبط الذي دفعه لشراء هذا الفستان تحديدا لها ؟!)

حسنا... يعترف انه اشتراه لها بناء على اختيار مليكته الصغيرة ، لقد اخذها معه ليشتريا الثوب مخبرا اياها ان الثوب لصديقة جديدة ستأتي لتعيش معهما في البيت ..

صديقة جديد ؟!! غباء آخر !! يعرف هذا ..

والاكثر غباء من كل هذا اصراره على اللون الابيض رغم ان صغيرته ارادت الاحمر !

احتبست انفاسه رغما عنه وهيئتها تتضح له اكثر باقترابها الشجاع منه ..

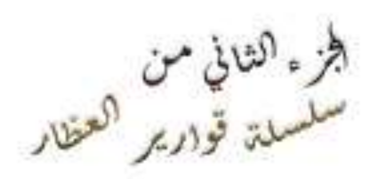
اكثر ..فأكثر ...

لقد ..بدت ... بدت ... مختلفة !

لم يظهر انفعالاته على الاطلاق بينما تقف امامه مباشرة بقامتها التي استطالت قليلا بفضل كعب حذائها العالي ...







هل تلبس حذاء بكعب عال حقا ؟!!

فاحت منها رائحة الصابون فخدرت تركيزه لثوان بينما تدغدغه نظرة شاردة في عينيها الجميلتين ، الا تكف تلك العينان عن الاستنجاد وشكوى الحال .. ؟!

يا لها من عروس خبأها الزمان له ؟!!

ابتسامة ساخرة صغيرة مرت على شفتيه وهو يقول " مساء الخير عروسي .."

ولم يطاوعه لسانه لقول المزيد .. حتى الجرح في نظراتها لم يُلن ذلك اللسان لينطق ولو بكلمة واحدة قد تمحو بعض البؤس الذي يعتلي ملامحها ...

صوته بدا باردا حتى لاذنيه وهو يقول " هيا بنا .. الكل ينتظرنا ليتعرف بالعروس "

للحظة صغيرة .. صغيرة جدا خانته عيناه بتركيزهما على هذا اللون الوردي الباهت الذي لامس شفتيها المرتعشتين .. فرفعهما بحدة لعينيها فيصدم برؤية الدموع فيهما..

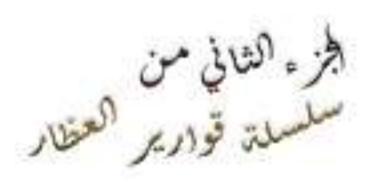
يا الهي هل ستبكي (العروس) الان ؟!

ما هذه الورطة ؟!

هربا من أزمة (ورطته) اطلق حذيفة ابتسامة مرحة في وجه خليل الذي يقف خلف اخته حاملا حقيبة كبيرة بيده رجحها لملابس خلود ثم قال له وهو يمد يده بمفتاح السيارة







" اسبقنا انت بالحقيبة للسيارة فاختك مع كعبها العالي هذا الذي لم تعتده ستحتاج لقرون حتى تنزل الدرج ..."

ضحك خليل وهو يلتقط المفتاح من يد حذيفة ويتجاوزهما لينزل درجات السلم قبلهما بينما فاجأ حذيفة نفسه قبل ان يفاجأ خلود وهو يمسك يدها النحيلة يسحبها اليه خارج الشقة ثم اغلق الباب خلفهما هامسا بصوت ساخر مبحوح

" العروس تبدو عروسا حقا .."

تمتمت وهي تحاول تحرير يدها من يده

" هذا بفضل اختيارك .. رغم اني لم أكن افضل الابيض "

عناد لايوصف جعله يتمسك بيدها اكثر ولايفلتها رغم كل محاولاتها المرتعشة ، لكنها لم تهدأ بل زادت عنفا وهي تهمس بحرقة ألم

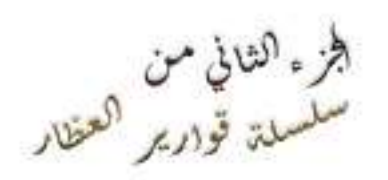
" اترك يدي حذيفة .. اترك يدي "

تزايدت قسوة قبضته مع استماتتها للتحرر اقترب منها بجرأة هامسا في اذنها بنبرة ساخرة

" منذ ان خطوت خارج هذه الشقة معي وانت ترتدين فستانا اخترته لك بمزاجي اصبحت ملزمة بطريقتي في قيادة حياتك "







رفعت وجها شرسا تحدق فيه والقهر ينضح من نظراتها لتقول من بين اسنانها " هل تعني انك اشتريتني حذيفة ؟! هل هذا ما عنيته ؟"

تفاجأ جدا بما قالت وعبرت !

لم يخطر في باله ابدا ان يشعرها بهذا ...

قد يقسو عليها ... يعاملها بخشونة تستحقها لتوريطه في شيء رغما عن أنفه ، لكن فكرة ان يشتريها هذه جعلته يشعر بالغثيان ..

شعت عيناه وهو يحدق فيها بصمت فهدأت هي الاخرى وهي تحدق فيه بارتباك ترك يدها التي تراخت ولاشعوريا ارتفعت يده لشعرها الطويل ...

احتبست انفاسها بينما يمرر اصابعه في خصلاته الكثيفة التي يراها متناسقة لاول مرة ...

همس لها وهو ما يزال يحدق فيها بلحظة انبهار غريبة جمعتهما " انت انسانة خلود .. مهما جارت عليك الدنيا لاتنسي هذه الحقيقة .. بل انك من اكثر من رأيتهم انسانية ، يكفي ما تفعلينه لاجل اخيك وقد تناسيت نفسك وحياتك ..."

صدرها يجيش بالمشاعر وعيناها لاتحيدان بعيدا عنه ، تمتمت باختناق " شكرا..لك"

" هيا حذيفة ... ألن تنزلا ؟!"



صوت خليل المنادي من اسفل السلم شتت انبهار اللحظة حولهما فتنحنح حذيفة مبعدا يده عن شعرها بينما اطرقت خلود ارضا ..

تحرك حذيفة يسبقها بنصف خطوة على الدرج ثم التفت اليها مادا يده والابتسامة الساخرة عادت تتلاعب على فمه قائلا

" هيا يا عروس والا ساضطر لحملك على كتفي كرجل الكهوف .. "

تحركت خلود اخيرا ولاسباب عديدة غير مفهومة لكنها عديدة وحسب ... شعرت بالتحسن .. الكثيييييير من التحسن ...

يشرب ويشرب ويشرب ... لم يعد يحتمل صحوة عقل تذكره بخطبتها الليلة .. تلك الـ(هويدة) اللعينة تنقل له الاخبار بتلذذ....

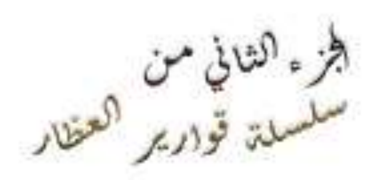
عاد ليملأ كأسه وربما تلك المرأة الغانية جواره هي من تملأه له ، لم يعد يحتفظ بشيء من التنبه او القدرة على التركيز ...

حتى لم يعد يعرف هل هو في شقته ام شقة صديقه ام ربما في مشرب او ملهى ما !

كل ما يعرفه انه يتعذب .. يتعذب .. يتعذب .. يكاد ينهار من شدة العذاب والكبت ...

افلتت الكلمات من فمه بتراخ يفرضه الخمر عليه " يا قا....سية يا حبيب....ة ... قاسية ... كيـ..ف سأحتمـ...ل عقـ..ابك ؟ كيـ...ف.."





تراخى جسده كما تراخى لسانه ولم يشعر الا وهو يفقد وعيه على جسد انثوي وضحكات خليعة اوجعت اذنيه !

فكرة واحدة علقت في رأسه كآخر رمق من التمسك بوعيه " احبك حبيبة .. احبك"

تطلع رضا باشفاق تام لتلك الفتاة ، حقا بدت له فتاة صغيرة وليست امرأة في الثلاثين سبق لها الزواج ....

صغيرة الحجم نوعا ما مرتبكة مما حولها الاغتراب يرسم سيماء وجهها وعيناها تنضحان برغبة عارمة في الهروب !

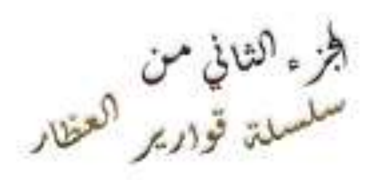
اخوها افضل منها بكثير ورغم انعزاله قليلا عن الحضور الا انه كان مبتسما لطيفا حتى انه وجد بعض الصحبة ممن هم في سنه ..

لكن هذه المسكينة خلود تتحمل الكثير من الضغوط ...

امه لم تستقبلها كما يجب بل يكاد رضا يقسم انها اوشكت على الصراخ في وجهها وهي تعضعض شفتيها بتحسر ....

اما سعاد الصغيرة فقد احرقتها الغيرة وهي ترى خلود تدخل بصحبة حذيفة ، وها هي تدفع بكتف العروس محرجة اياها بينما تلتجأ هي بتملك لحضن والدها تتمسك برقبته وتمرغ وجهها في صدره ...







" رضا .. افعل شيئا .. سعاد تأبى التحرك من حضن والدها وقد حان الوقت لعقد القران "

التفت رضا لرحاب متسائلا " اين محسن ؟ لماذا لايأخذها بعيدا حالما نتم العقد ؟ "

ردت رحاب بامتعاض " انه يرفض التدخل ! ما زال غاضبا لاختيار حذيفة ..."

تنهد رضا .. فرغم تفهمه لمحسن وانه كان يريد زواجا طبيعيا مناسبا لحذيفة لكن الامر .. الامر اكثر من زواج ... اكثر بكثير..

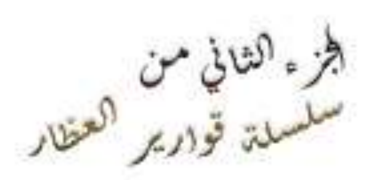
تحرك رضا الى حيث يجلس حذيفة وبجانبه خلود وعلى بعد نصف متر تجلس حبيبة ويحيى ...

ابتسامة شقت شفتي رضا وهو ينظر بطارف عينه ليحيى الذي يميل بين الفينة والاخرى ليهمس شيئا لحبيبة يجعلها تضحك ببشاشة وبعفوية مريحة ..حسنا على الاقل هناك عروسان طبيعيان في هذه الحفلة !

" سآتي صباح الغد لاخذك حتى تري بيتنا "

توردت حبيبة بينما همس يحيى يداعب اذنيها وسط الاصوات الصاخبة حولهما ...

ثم تمتم يحيى بمشاكسة محببة " وبما انك ترتدين الاحمر الليلة فربما سنلعب غدا لعبة ليلى والذئب فالتهمك هناك يا حبة الفلفل الاحمر "



عبست بمرح وهي تتساءل

" من اخبرك عن الفلفل الاحمر ؟!"

ادار وجهه ناحية رقية التي اخذت تلوح له بحماسة ثم قال غامزا " (الخلطة السحرية) اخبرتني بكل شيء.. والدكن انسان ذو بصيرة خاصة وقد استمتعت بمعرفة اراءه حولكن .. وحولك خصيصا يا فلفلتي .. "

هزّت حبيبة رأسها وهي تضحك وتقول

" لافائدة منك ! الا تكف عن فضولك حولي ؟ "

رد بصوت مبحوح وهو يقترب من اسفل خدها

" آآه لو تعلمين فضولي اين يصل باطماعه ! "

احمرت حبيبة بشدة لتوبخه بالقول " لاتكن قليل الحياء وابتعد عني قليلا امي ترمقنا بنظرات غير راضية "

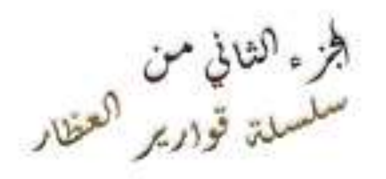
ابتعد وهو يضحك برجولة فياضة أسرتها ثم هدأت ضحكاته لتتعلق ابتسامة حارة على شفتيه مكتفيا بنظرات قالت الكثير عما يعتمل في صدره ...

مال رضا ناحية اخيه الجالس يمد ذراعيه ليسحب سعاد المتشبثة برفق وهو يقول لها

" عمك رضا يشعر بالغيرة يا صغيرة ، تعالي ألي "







قاومت الصغيرة للحظات وهي تزداد تشبثا بعنق ابيها بينما بدا حذيفة مرتبكا وهو يحدق في عيني اخيه الاكبر بقلق ...

تبسم له رضا مطمئنا ليميل اكثر نحو اذنها هامسا بعدة عبارات لم تصل مسامع حذيفة لكنه ارتاح بعض الشيء وهو يرى سعاد تتراخى من تشنجها ليتراخى تشبثها به ثم استسلمت لذراعي رضا اللتين حملتاها بعيدا عن حضن ابيها ...

تمتم رضا لحذيفة " حان وقت عقد القران "

ثم ابتعد رضا وهو يحمل سعاد وما زال يهمس في اذنها بالكلمات بينما قلب حذيفة كان يتمزع بالألم .. لم يكن يتصور ان سعاد ستتألم هكذا ؟!

يا الهي ... الا طفلته ... هبّ على قدميه متناسيا كل شيء حوله ليتقدم بخطوات واسعة لاحقا برضا بينما تطالعه خلود تستنجد به بصمت ان لايتركها ....

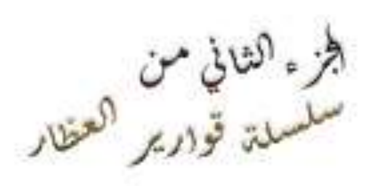
" مرحبا عزيزتي ..."

التفتت خلود باضطراب ناحية الفتاة المحجبة التي تنظر اليها برفق وحنو ...

انها آسيا اخت العروس الاخرى وزوجة رضا ..

همست لها اسيا باطف بالغ " لاتقلقي .. انها فتاة حلوة جدا وستحبينها لكنها غيور على ابيها قليلا .."





ثم اضافت بابتسامة " ستكون الامور بخير ان شاء اللّه ، والليلة ستقضي سعاد الصغيرة ليلتها معنا انا ورضا .."

شحب وجه خلود واتسعت عيناها بصدمة مما جعل اسيا ترتبك فتساءلت بقلق

" هل انت بخير يا خلود ؟ "

وقبل ان تجد خلود ما تعبر عنه جاء صوت رحاب زوجة الاخ الثاني محسن لتقول على عجل " هيا خلود ... المأذون ينتظر في الداخل ليعقد قرانكما .."

ووسط الضجة والزغاريد التي ارتفعت سحبتاها كل من اسيا ورحاب وقادتاها الى الداخل ...

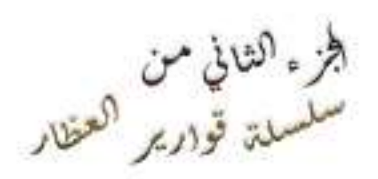
تم عقد القران والعريس يحتضن ابنته لصدره، لقد أصر ان تبقى معه اثناء عقد القران دون ان يرضخ لرضا الذي اراد ان يحملها هو على الاقل...

كله الا سعاد .. الا طفلته .. فليحترق بنار الحجيم وليمت والكل يلعنوه لكن طفلته .. لا ... لن تعاني الألم ما دام في صدره نفس..

بتجاهل تام صدم خلود اكثر وقف حذيفة على قدميه وهو يضاحك ابنته ويبتعد بها متجاهلا عروسه بالكامل ...

الاذلال بلغ اشده وعصف بخلود حتى اوشكت ان تنهار ....







سارعت رحاب للاقتراب وهي تزغرد وتقبلها مباركة وكذلك فعلت اسيا بينما (حماتها) قبلتها ببرود شديد لتنسحب بعيدا مع امرأة اخرى من سن حماتها قيل لها انها الخالة بدرية ، اقرب المقربات للعائلة ، ورغم ان الخالة بدرية كانت لطيفة ودافئة معها الا ان نظراتها اليها كانت متوجسة ..مفكرة ..!

ثم تلتهما الاخت رفيدة ، بدت هادئة لاتعبر عن شيء او ربما لم تجد فيها ما يثير الاهتمام فاكتفت بمباركة وقبلة صغيرة ..

اوشكت خلود ان تشعر بالضياع التام وهي تتلقى التهاني من نساء مختلفات غريبات عنها تماما بينما حذيفة اختفى في مكان ما مع ابنته لكن رحاب واسيا لم تتركاها وببشاشة متعمدة اجلساها على اريكة قريبة وهما تغمزان لها ان العروس الاخرى قادمة ايضا لعقد القران ...

وهكذا تم العقد الثاني وخلود تتطلع بحسرة للعروس الاخرى بثوبها الاحمر وجمالها المبهر بينما عريسها يبدو لايطيق صبرا للابتعاد عنها ...

وعندما تم العقد اخذها العريس في احضانه دون خجل ليقبل وجنتها بينما العروس تحمر بشدة كاحمرار ثوبها ....







بعد ساعات ....

تطلعت خلود حولها للغرفة الواسعة التي اخذتها لها رحاب ... حذيفة اختفى تماما بعد عقد القران وكان شعورها بالاغتراب يتضاعف ويضيق الخناق حولها اكثر واكثر..

لم تلمح حذيفة بعدها الا عندما حانت مغادرة اخيها خليل..

خليل الذي بدا مرتاحا وسعيدا وهو يأخذها في احضانه لتشعر بجسده يرتجف قليلا فأدركت انه يقاوم البكاء .. مثلها تماما ..

ثم احتضن حذيفة بشدة واخذ يسرف في توصيته خيرا بأخته بينما حذيفة يتمتم (لاتقلق) ....

وحال مغادرة خليل والاختناق يتزايد بتزايد الاغتراب بينما حذيفة عاد واختفى مع ابنته مرة اخرى ....

تطلعت للسرير الكبير المزدوج فتمتمت

" مؤكد هذا لايخصني في شيء "

ثم انتقلت عيناها لاحدى الزوايا لترى سريرا ورديا علمت ببساطة انه يفترض ان يعود لسعاد الصغيرة...



بعقل يطفو فوق اي احساس اخر خلعت خلود حذاءها كالمخدرة ثم سارت بخطوات وئيدة ناحية السرير الوردي ..

رفعت الغطاء واندست تحته تلملم ساقيها قليلا ليتلاءم حجمها مع حجم السرير ، وبصمت تام طال حتى دواخلها العميقة المضطربة اغمضت عينيها واستسلمت لنوم اقرب للموت !

تحرك في الغرفة الواسعة عيناه تبحثان عن ... عروسه ... ترى هل قفزت من الشباك ؟ تفعلها المجنونة !

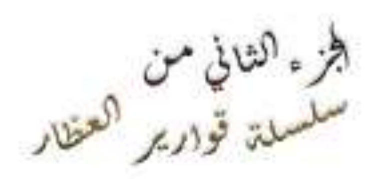
السرير المزدوج فارغ بالتأكيد !

فابتسم بسخرية وهو يوجه نظراته ناحية السرير الآخر ليجدها هناك متكورة على نفسها تغط في النوم !

هذا السرير الصغير هو من اصر على ان يوضع في هذه الغرفة رافضا رفضا قاطعا اقتراح رضا بأن تنام سعاد الصغيرة بمفردها في غرفة عبد الرحمن الشاغرة حتى يتم بناء الملحق في الحديقة الخلفية ..

صغيرته لن تبتعد عنه ولن يشعرها بالنبذ وهي تظن ان هناك من ستأخذ ولو جزءا ضئيلا من حبه ومكانتها في قلبه ...







اقترب بخطواته منها حتى وقف جوار السرير الوردي ثم اخذ يحدق فيها بمشاعر مختلطة يصعب عليه فك شباكها الآن ...

انها نائمة ! نائمة فعلا ولاتدعي ...

بارهاق شديد مال بجسده ليجلس على الارض ، اخذ يفك ربطة عنقه بضيق ثم تخلص منها وهو يرميها بعيدا ...

اتبعها بسترته الكحلية ...

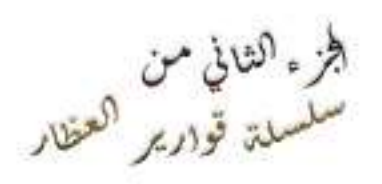
عاد بتركيزه لهذه الكتلة المتكورة في سرير ابنته الجديد ، بمشاكسة داخلية فكر.. الا تعرف هذه المجنونة الشعثاء انها لايفترض بها استخدام سرير طفلة صغيرة قبل ان تستخدمه الطفلة اولا ؟؟ السرير لم يصل الا صباح اليوم وقد اراد مفاجأة ابنته في الغد حتى يفرحها ... لكن المفاجأة فسدت كما يبدو ..و كله بسبب هذه النكدية..!

كان يعلم انه ليس عقلانيا ابدا وليس عادلا ايضا لكنه لايستطيع مقاومة القاء اللوم عليها في كل شيء ...

بل انه يستمتع بفعل هذا ويشعر بطاقته العابثة الشريرة تتفجر معها ...







في داخله يعترف انه استمتع عندما رأى حجم السرير الذي يقل قليلا عن ملائمة حجم جسد خلود واشتراه دون تردد كما استمتع بشراء السرير المزدوج الضخم وهو يعلم جيدا ان خلود لن تقربه ابدا ....

ضحك رغما عنه ...ثم بهتت ضحكاته وهو يتطلع اليها تتحرك في نومها ..

كانت في البداية توليه ظهرها وتغمض عينيها في استكانة بينما شعرها يفترش الوسادة الوردية بالرسومات الكارتونية المفضلة لابنته ..

انقلبت على ظهرها تتنهد في نومها تتحرك بضيق وتذمر حتى ابعدت الغطاء عنها تماما..

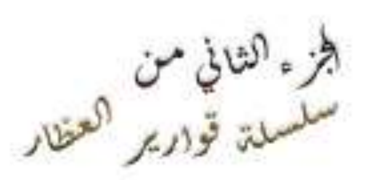
عادت واستكانت لكن الضخم الجالس قبالتها فقد استكانته وهو يحدق فيها بانفاس بطيئة ... ثقيلة ...

ما تزال بفستانها الابيض الذي ارتفع عن ساقيها المطويتين الآن اكثر مما يجب فكشف عنهما حتى الركبتين ...

ساقان نحيلتان رقيقتان .. ناعمتان ... تبدوان ناعمتين جدا .. حتى ان اصابعه تكاد تخبرانه كيف سيكون ملمسهما لو اقدم فقط على بعض الاستكشاف ...!







فتيل خبيث توقد في داخله لنار تهدد بخطورتها بينما يجمع اصابعه في قبضة متشنجة ..

سافرت عيناه بجموح على طول جسدها الانثوي برقته وثناياه المستفزة لأي رجولة حية ...

جموحه اشتعل حتى وصل الشفتين البارزتين بفتنة بينما أبت صاحبتهما ان تطبقاهما وكأنها تؤكد حتى في منامها ان هذا الفم لايعرف كيف يصمت !

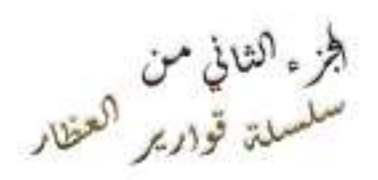
كم هو فم كبير يحتاج لمن .. يغلقه !

ارتعد جسد حذيفة بارتعاد مشاعر فجة فيه ليهب على قدميه مبتعدا عنها وكأن مس كهربائي اصابه ...

مسح على وجهه بعنف ثم اخذ يشد شعره وهو يعنف نفسه بتمتمة مخنوقة " توقف .. توقف .. توقف عن فعل هذا ..."

ثم استدار بحدة ناحية الحمام ليفكر بقسوة ضارية " فلتعاني تلك المجنونة في السرير الصغير الذي اختارته هي لنفسها اما أنا فسأحظى بمساحة للنوم شاسعة ومريحة بمفردي وليلة الغد ساتشاركها مع صغيرتي سعاد .. سعاد فقط ..."







صوت أجش مبحوح عبر الهاتف " ليتني اختطفتك الليلة .. لماذا يحظى حذيفة بعروسه بينما انا اعود كسير القلب وحيدا ولم احظَ حتى بقبلة من الشفتين ! اكاد اموت غيرة وحسدا "

احمرت وهي تهمس بارتباك رقيق " يحيى .. توقف عن الكلام عن .. عن ..."

ضحك يحيى ثم قال بنبرة حارة مشتعلة

" تقصدين عن القبلات ؟ حسنا .. لم يكن يفترض بأمك طلب عقد القران سريعا هكذا انه اشبه باعطائي مفاتيح مغارة علاء الدين.."

ضحكت حبيبة من قلبها فاستمتع يحيى بضحكاتها ايما استمتاع ...

انه ليس غبيا ليوهم نفسه انها تحبه حقا كما يحبها لكنها تشعر نحوه بما هو اكثر من الحب ... وهذا مصدر قوته معها ... انها هي من اعطته مفتاح مغارة روحها وليس عليه الا ان ينهل من كنوز تلك الروح الفريدة ...

سيعلمها كيف يأتي العشق مزدانا بالكبرياء الذي يليق بشخصها ... بالبراءة التي ترقق من شراسة نظراتها ... سيعلمها القوة في العشق تمنح سعادة تفوق سعادة الضعف فيه ...

همست له " يحيى .."



رد برقة " نعم ..."

سألت بصوت منخفض وكأنها توشك على النوم " هل تحبني حقا ؟"

تنهد ليقول " اسئلتك عذاااااب يا بريّة "

بدت مرتبكة اكثر وهي تهمس

" لا .. تتعجل الامور .. بيننا .."

قبضة اعتصرت قلبه لكنه رد ببحة مميزة

" وطلباتك اكثر عذابا ..."

صباح اليوم التالي

انقشعت غمامات النوم الثقيلة عندما داهمها صوت خشن بنبرة تعسفية !

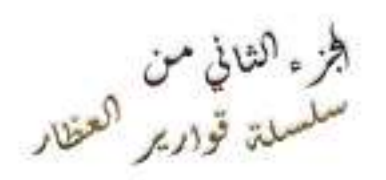
" استيقظي ايتها الطفلة .. ألم تكوني تنامين في بيت عائلتك ؟!"

رمشت خلود بعينيها بينما عقلها يتيقظ ببطئ حركت ساقيها بعفوية فارتطمت بقوة بجزء صلب اذاها وجعلها تتوجع ...

تمتمة خشنة ثم شتيمة ليلحقها صوت راعد

" استيقظي خلود ! ليس لدي اليوم بطوله لانتظر تدللك السخيف هذا "





فتحت عينيها على وسعهما وهبت كالمجنونة من السرير ولم تشعر الا وهي تقف فوقه بشعر منكوش تحدق في وجه طرزان مباشرة !

عبس حذيفة فازدادت ملامحه قسوة ثم تخصر وهو يقول بسخرية " ها هي المجنونة استيقظت اخيرا وقد عادت لطبيعتها الشعثاء!"

بدت فعلا كالمجنونة وقد انعقد لسانها وتحدق فيه ملأ عينيها ثم فجأة اخذت تتأكد من فستانها وتلامسه في كل جزء كالمعتوهة ..

تأفف حذيفة مبديا الضجر بتعمد ثم استدار موليا اياها ظهره ليتحرك مبتعدا عنها وما ان وصل الباب حتى التفت اليها قائلا بنبرة غامضة تشع برودا

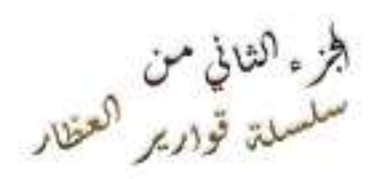
" في الخزانة ستجدين ملابس جديدة لك ، اما ملابسك القديمة المهلهلة فقد اعطيتها جميعا لسيارة جمع النفايات .."

توقف عن تفقد فستانها لتعود وتحدق فيه وكأنه هو المجنون هامسة بلا تصديق

" رميت ملابسي .. للقمامة ؟! القمامة ؟!! "







لم يستطع حقيقة ضبط نفسه اكثر فانفجر ضاحكا وهو يعاود الاقتراب منها بنظرات عابثة ساخرة فانكمشت خلود على نفسها لتتراجع للخلف وهي ما زالت تقف على السرير لتلتصق بالحائط وقلبها يقرع كالطبل بينما تراقب اقترابه بوجل ...

وقف امامها وقد اصبحت تقاربه طولا بوقوفها المضحك فوق السرير ..

قال لها بمشاكسة " لاداعي لالتصاقك بالحائط هكذا فانا مؤكد لن آتي اليك والا حطمت هذا السرير المسكين بوقوفي معك فوقه .."

اخذت انفاسها تتسارع وهي ما زالت تنظر اليه بوجل فتهمس بارتعاب " لماذا رميت ملابسي ؟"

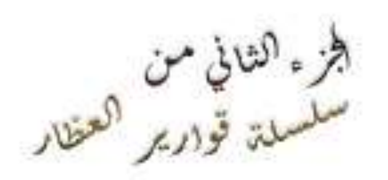
غامت عيناه وتلاشت ابتسامته فقال بصوت هادئ " لانها لم تعد لائقة بك .. وانا اشتريت لك الكثير عوضا عنها "

تمتمت باحراج شديد " وماذا عن .. عن .. يا الهي .. هناك امور خاصة .."

ابتسم ببطئ والتمعت عيناه قبل ان يسبل اهدابه ويقول بصوت أجش " لاتقلقي .. اشياؤك الخاصة وضعتها بنفسي في احد الادراج "

كادت تتوسل اليه ان يخرج في الحال فلم تعد تقوى على مواجهته ومواجهة وضعها الجديد ..





يا الهي الا يعرف الرحمة ؟ لماذا لايتركها قليلا تستعيد بعض القوة والتحمل ... الا يرى كم هو كثير ما يحصل لها ...

قال حذيفة اخيرا وقد طال الصمت المتوتر بينهما " ساذهب لارى ابنتي وانت يمكنك ان تغيري ملابسك فربما ستأتي رحاب للاطمئنان عليك .. "

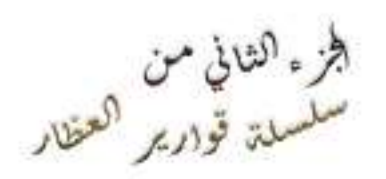
ثم استدار مغادرا بتلكؤ واضح ليتوقف مرة اخرى وهمس بخشونة " ستعتادين يا خلود ، فقط اهدأي قليلا ولا داعي لنظرات الارتعاب هذه التي ستفضحنا ..."

تحرك مرة اخرى وعند الباب اضاف بصوت منخفض " ساعود اليك بعد ساعة ، خذي حماما او افعلي اي شيء ترغبينه ، في البراد الصغير ستجدين طعاما اذا كنت تشعرين بالجوع لكننا سنتناول الافطار الاساسي مع العائلة في الاسفل "

وبقنبلته هذه عن الافطار الاساسي غادر مغلقا خلفه الباب بينما تراخى جسد خلود حتى جلست بعشوائية على السرير وهو تردد بارتعاب مضاعف

" افطار مع العائلة ؟! رباااه"







" صباح الخير .."

قالها للمرة الثانية حالما غادرت امها لتتركهما بمفردهما مستئذنة لاعداد الافطار..

المرة الاولى قالها وهو يبتسم ممسكا بيدها بينما ثلاثة ازواج من العيون تراقبهما اما الان وقد انسحبت الام ومعها الاختين الشقيتين فالنبرة العاطفية غلبت بينما يتقدم نحوها بجرأة وهي تقف عاجزة عن صد هجومه ليضمها لصدره حيث ارتعش جسدها بين ذراعيه فتخفي وجهها بين ثنايا قميصه توشك على الاغماء حقا من فرط انفعالاتها الشديدة حتى انها عجزت عن النطق ..

انفاسه على بشرة رقبتها كانت دافئة جدا وهو يقول بعاطفة جياشة

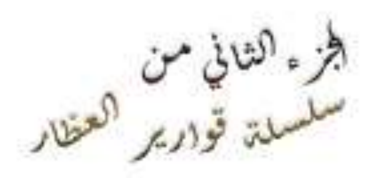
" حبيبتي البرية .."

تمتمت بخجل شديد " يحيى .. ارجوك ابتعد .. امي قد .. تدخل .."

تأوه وهو يلامس بشفتيه رقبتها فترتعش اكثر ليتحطم هو بشوق اكبر ...

عادت لتهمس بضعف " ارجوك .. يحيى .. لقد قلت ستصبر علي ..."







لم تتوقف شفتاه عن ملامسة رقبتها برقة شديدة وكأنه يستعذب هذه الملامسة الناعمة بينما حبيبة بدأت تتشنج وتدفعه قليلا في صدره وتتوسله

" ارجوك يحيى .. ارجووووووك "

اطلق نفسا عميقا ثم رفع رأسه واكتفى بضمها لصدره بقوة محتويا جسدها بالكامل ..

بعد لحظات اطلقها فتنفست هي الصعداء لتهرب منه متحججة بمساعدة امها بينما يناظر يحيى خطواتها الهاربة بتفكير عميق...

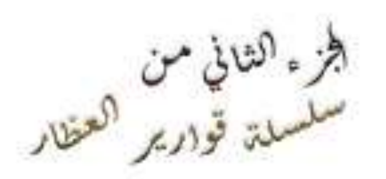
ابتسمت رحاب لخلود عبر مائدة الطعام مشجعة اياها محاولة بث الثقة فيها ورفع معنوياتها لكن الحالة كانت مزرية جدا !

فالحاجة سعاد كانت متجاهلة تماما لوجود العروس ولم تبارك لها عندما رأتها صباحا تهبط درجات السلم مع رحاب ...

كانت باردة كما لم ترها رحاب من قبل .. الحاجة سعاد كانت محبطة .. بل تنضح احباطا وحسرة كلما وقعت نظراتها على وجه عروس حذيفة ..

اغتاظت رحاب اكثر من زوجها الجليدي الذي كان يعامل خلود بالمثل وان كان اقل قساوة من امه ...







اما الاكثر اغاظة حقا هو (العريس) !!

فحذيفة حتى لم يبدِ تنبها لوجود عروسه بجانبه وكان يسرف بتدليل سعاد الصغيرة الى درجة تثير الحنق !

فقط رضا واسيا كانا مريحين ويتحدثان بسلاسة تخفف من جو التوتر الخانق هذا ..

سامي وعقيل اخذا يجذبان سعاد من حضن والدها لتشاركهما اللعب وبعد جهد جهيد وافقت الصغيرة المحتالة وقد اصبحت محترفة بفن التدلل على الجميع ...

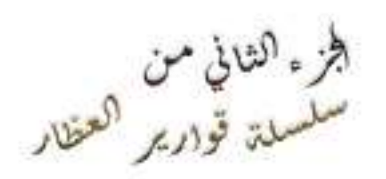
اوشكت ان تضحك رحاب بقوة عندما انتهى الطعام ولم تتمالك خلود ان تهب واقفة على قدميها وهي تتنفس الصعداء بصوت واضح للجميع ..

ثم احمرت الفتاة والكل يتطلع نحوها ببعض العجب .. اما حذيفة فكان لاينظر ناحيتها اصلا وقد انفتحت شهيته فجأة لمزيد من الطعام !

تعاطفت رحاب مع حال خلود لابعد حد ، رغم انها (كالعادة) لاتعرف ابعاد الموضوع جيدا لكنها لم تعد تهتم ، وكل ما يهمها الان ان هذه الفتاة رغم بساطة اصلها الا انها طيبة القلب ومسكينة حقا ..







لقد وجدتها تائهة في غرفتها لاتعرف ما يفترض ان ترتدي من ملابس .. فساعدتها باختيار فستان ناعم سماوي جعلها تبدو اكثر رقة وهشاشة .. ثم جمعت لها شعرها الكثيف في تصفيفة بسيطة..

حقا بدت اكثر انوثة بهذا الفستان ...

انحدرت نظرات رحاب ناحية حذيفة بينما تقف على قدميها لتساعد بجمع الاطباق ، لم يبدُ لها عريسا على الاطلاق ! ما هذا ؟!

اذن فلماذا تزوجها حقا ان كان لايرغبها ولايهتم بوجودها ...؟؟!!

تبسمت رحاب في وجه خلود التي اخذت تساعدها في جمع الاطباق فقالت لها ببشاشة

" ارتاحي يا عروس .. انا واسيا سنتدبر الامر "

ارتبكت خلود وبدت حائرة حقا لاتعرف ما يفترض ان تفعل ليفاجئها رضا بالاقتراب وهو يقدم لها علبة مستطيلة ويقول مبتسما

" هذه هدية العروس .. مبارك "

لم تهتم رحاب برؤية انفعالات خلود قدر ما جذبها انفعال حذيفة المصدوم وهو يرفع راسه عن الطبق الذي كان يلتهم الاكل منه .. ثم التفت بقوة ناحية رضا وخلود يحدق فيهما وفي العلبة المستطيلة التي فتحها رضا للتو فاحتوت عقدا واسورة وخاتما وحلق ..



ابتلع حذيفة لقمته ووقف على قدميه يتمتم لرضا

" شكرا اخي .. لكن ... لم يكن هناك داع لهذا.."

قاطعه رضا بهدوء " صغتها للعروس بنفسي فاتمنى ان يعجبها ذوقي "

كانت خلود تائهة تماما وهي تنقل نظراتها بين رضا وحذيفة بينما الحاجة سعاد تمصمص شفتيها وقد بلغت حسرتها اوجها ..

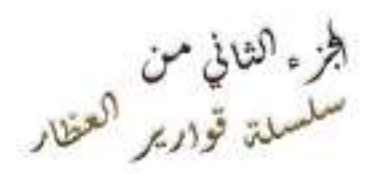
وهنا .. اقتربت اسيا لتقف بانضباط كامل بجانب رضا ثم قالت بنظرات هادئة " مبارك خلود .. مبارك ...حذيفة .."

عدة العمل الخاصة به يحملها بيده بينما يتطلع للسرير الوردي للحظات طويلة .. طويلة جدا .. (مبارك حذيفة) .. كلمتان نطقت بهما آسيا وفعلت به الافاعيل ... !

طاقة .. طاقة .. طاقة ... هذا كل ما يشعر به في هذه اللحظات ... بينما فستان سماوي يتلاعب بمفاتيح تلك الطاقة ...

بملامح عازمة ذهب حذيفة ليتأكد اولا من اغلاق باب الغرفة بالمفتاح ثم عاد ناحية السرير .. وضع العدة على الارض ثم فتحها ليخرج مفكا !







حالما اغلقت رحاب باب جناحها حتى تلاشت الابتسامة اللطيفة المشجعة التي ودعت بها خلود ليكسو وجهها التجهم وهي تستدير فتتطلع بغيظ لزوجها الذي خلع نظارته ليضعها في جيبه ليقترب من الاريكة الكبيرة ملقيا بثقله عليها ثم يتمدد هناك رافعا ذراعه الايمن فوق راسه مستندا بساعده على جبينه حتى اختفت عيناه ...

زاد غيظها وهي ترى ابنها عقيل قد سبق اباه بالتمدد بنفس الطريقة على الكرسي الكبير بعد ان عجز عن مسايرة سعاد في لعبتها باحتساء الشاي في اكوابها الوردية الصغيرة على عكس سامي الذي كان مستمتعا جدا معها ... لاتعلم ايهما اغاظها اكثر الاب ام نسخته المصغرة ؟!

بخطوات تضج بالشحنات السالبة اقتربت رحاب من زوجها لتقول له من بين اسنانها

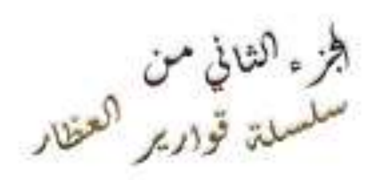
" محسن تعال من فضلك للغرفة احتاج ان اتكلم معك بأمر مستعجل "

ابعد محسن ساعده قليلا ليتطلع لزوجته بنصف اغماضة قائلا بصوت منخفض " لدي صداع .. الا يحتمل الامر التأخير ؟"

كزت على اسنانها لتقول بملامح تعبر عن غيظها المكبوت

" لا .. لايحتمل التأخير لحظة أخرى ..."





ثم تركته وسارت في مشية متمايلة دون ان تشعر فيطالعها زوجها بابتسامة عفوية ...

نهض محسن ليتبع خطوات زوجته وهو لايتوقع خيرا منها ! لكنه ولاسباب كثيرة شعر بالحاجة اليها .. للوصال معها ....

دخل غرفتهما واغلق الباب خلفه ليجد زوجته متخصرة حتى برزت بطنها المنتفخة اكثر بينما بدا حاجبيها معقودين تماما ...

تنهد وهو يقترب منها ويسأل

" ما الذي يزعجك رحاب ؟"

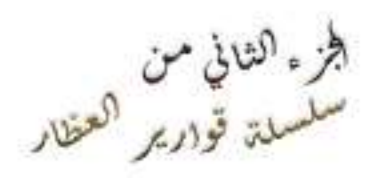
ردت وهو تلوح بسبابتها في وجهه " الا تستطيع ان تكون اكثر دفئا واحتراما في تعاملك مع خلود ؟"

تجهم وجهه وهو يرد ببرود " وماذا فعلت لها ؟ لم اوجه لها كلمة واحدة ولا حتى نظرة "

فردت رحاب بغضب " وهذا قمة قلة الاحترام يا محسن ولا تقل لي انك لم تتعمد الامر "

مسح محسن على وجهه قائلا " لااستطيع التعامل معها بشكل طبيعي ، ببساطة لااستطيع ... لااستطيع حتى تقبل فرضها لوجودها في بيتنا كزوجة لحذيفة ..."







كانت رحاب تهز رأسها بعجب وتقول " حقا انك انسان ظالم ! انه اخاك هو من اختارها كزوجة واحضرها لهذا البيت ! لاافهم لماذا تحملها هي مسؤولية قراره ؟ "

ثم عادت لتعبس وتسأل " ثم ما عيبها الذي ترفضها لاجله بهذه الطريقة ؟ هل لانها من بيئة شعبية مثلا ؟ انا لم ارها ارتبكت اي خطأ قد يعبر عن تلك البيئة ، هل رأيتها مثلا تأكل بطريقة مخجلة او منفرة ام هل سمعتها تتكلم بكلمات تختلف عنا ؟؟ انها ليست اقل شأنا منا اذا كان اهلها بسطاء ! و ان كنت لاتعلم خلود خريجة جامعية من قسم علوم الرياضيات "

كانت تعلم انها تبالغ في المساواة كما تعلم يقينا ان هناك فروقا اجتماعية واضحة لكنها لم تحتمل هذا الظلم !

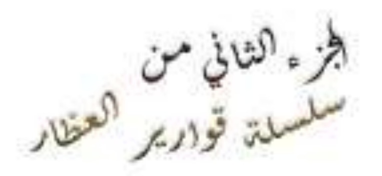
فاضافت المزيد وهي ترغي وتزبد

" وان كان موضوع طلاقها يؤرقك فاخوك نفسه سبق له الزواج بل ولديه ابنة ايضا ، قد تقول الرجل غير المرأة وهذه تقاليد مجتمعنا البالية لكن اتوسل اليك لاتفجعني فيك وتقولها بوجهي الآن ! "

رغما عنه تبسم ليقول لها وهو يقترب ملامسا اياها بيده " لم يمر يوما على وجودها وقد بدأت باستخدام بعض المصطلحات الغريبة ! "







ارادت الابتعاد وهي تطلق صوتا مغتاظا فامسكها بقوة مرغما اياها على الاقتراب جدا منه ثم مال بوجهه ليستند بجبينه على جبينها هامسا بتعب

" مع كل هذه الامور التي قلتها الآن .. هناك امور اخرى لااستطيع.."

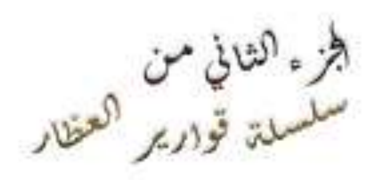
فقاطعته بهمس حاد " لاتستطيع اخباري عنها .. نعم اعرف ! كما هو المعتاد منك .. "

ابتسم بحلاوة بينما هي تكمل باحباط

" مؤكد رضا يعلم هذه الامور لذلك اذهب وتكلم معه ونفّس قليلا عما يعتمل في داخلك من المشاعر "

رد وما زال جبينه على جبينها " رضا لديه ما يكفيه يا رحاب ليتحملني في مزاجي هذا ، انت ترينه يضحك ويوزع اهتماماته وتفهمه على الجميع لكن في داخله يكبت الكثير لاجلنا ، انه انسان فريد لكنه يبقى انسان وطاقته لها حدود ..."

وضعت يدها على صدره تناشده برقة انثوية بينما عيناها تدمعان " ارجوك محسن تغاضى قليلا عن هذا التفاخر بعائلتك واصلها العريق وتقبل الفتاة كما هي ، حتى لو كان حذيفة يغيظك باخطائه في الاختيار والتصرف هي ليس لها ذنب .. المسكينة تعاني كثيرا وهي تائهة هكذا في بيت كبير ضخم وسط اناس لايشعرونها بالترحيب ..





حتى زوجها يظهر تجاهلا لها بشكل مريب !

واكاد اجن لاعرف لماذا تزوجها اذن ؟!!"

ثم رفعت رأسها اليه فسحرته بتلك الدمعات الصغيرة المعلقة برمشيها بينما ترتعش شفتاها بتاثر بالغ لتضيف

" ارجوك محسن .. لاجلي أنا .. انها تكسر الخاطر بكل ما تظهره من ضياع وحزن .. يكفي خالتي سعاد ان تعاملها بتلك الطريقة .. انه شيء مؤلم محسن .. مؤلم جدا .. ولااريد ان افكر انك قاس هكذا ! احب ان اراك رفيقا متفهما .. حنونا ... على الاقل بين الفينة والاخرى اظهر بعض مشاعرك الحقيقية دون كبت او قناع دفاعي من السيطرة والجمود.. لانك .. لست كذلك ..."

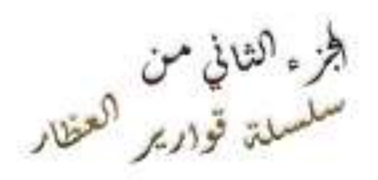
كان يميل بفمه لشفتيها هامسا بعاطفة

" اقسم ان هذا الحمل يؤثر بك كما لم يحدث مع حمليك الاخرين ! اصبحت .. عاطفية جدا وانثوية الى ابعد حد يا جميلة العينين .. "

توردت لتبتسم رغما عنها ثم ذابت بين يديه تماما وهو يشدها اليه بقوة هامسا بعاطفة أشد وصوت مبحوح

" اعدك ان احاول .. لاجلك فقط ..."







تكاد تضيع في هذا البيت الضخم ، لولا رحاب لكانت ضاعت فعليا ...

التشوش يسيطر عليها منذ الامس ولايعتقها ابدا ...

علبة المجوهرات في يدها بينما تتحرك في الممر ناحية الغرفة التي يفترض تتشاركها مع حذيفة ... انها حتى لاتعرف ما التسمية التي يفترض ان تطلقها على تلك الغرفة ؟!

اخذت نفسا عميقا وهي تستعيد كلمات رحاب المشجعة ، لقد ساعدتها كثيرا عندما اخذتها لجناحها مع الاطفال ..

امرأة طيبة ولطيفة وولداها رائعان ، لم تدخر جهدا لجعل سعاد الصغيرة تلين من جهتها فحاولت مرارا ان تقرب بينهما وهي تطلب منها احضار بعض الامور واعطائها لخلود ..

رحاب ام رائعة ايضا وتعاملها حتى مع سعاد محبب جدا ..

لكنها ما زالت تائهة رغم كل محاولات رحاب لمساعدتها، ما زالت تشعر انها اقل شأنا من الجميع وان لامكان لها هنا ولن يكون يوما !

بيد مرتعشة امسكت قبضة الباب لتفتحها فوجئت انها مقفولة !







ارتبكت ولم تعرف ما يفترض ان تفعل ، هل تعود لتستنجد برحاب ؟ يا الهي لكن زوجها عاد للجناح وهو لايشعرها بالترحيب اصلا ..

لحظات وسمعت بعض التحركات من خلف الباب فاحتبست انفاسها وتراجعت عفويا للخلف ..

فتح قفل الباب ثم الباب نفسه ليطل نصف وجه حذيفة عبر الشق البسيط الذي سمح به، ارتبكت اكثر بينما يهمس لها حذيفة

" اين سعاد ؟"

ردت وهي لاتفقه شيئا " ما زالت في جناح رحاب تلعب مع الولدين "

تبسم بشقاوة ففتح الباب على مصراعيه فجأة ليسحبها من يدها سريعا ويدخلها ثم اغلق الباب خلفها وبالمفتاح !

قلبها ينبض في صدرها بجنون واعتصرها الخوف عصرا وهي تحدق فيه بارتعاب واضح ..

انفجر حذيفة ضاحكا ثم استدار ليبتعد عنها وهي تتابع خطواته باختناق والافكار تتضارب في رأسها (لماذا اقفل الباب ؟ هل يعقل انه سيفرض نفسه علي؟)

هدأت قليلا وهي تراه يجلس على الارض بجانب السرير ثم اكتشفت ان السرير منقوص من اللوح الجانبي فادركت ان حذيفة يفككه !

همست بتحشرج " ماذا تفعل بالسرير ؟!"

رد ببساطة مغيظة دون ان يلتفت اليها

" افككه ..."

اغاظها رده الى ابعد حد فهتفت بحنق " مؤكد لدي عينين لاعرف انك تفككه ! سؤالي معناه لماذا تفككه اصلا واين سأنام انا ؟"

ضحك حذيفة وهو يرمقها بنظرة جانبية لامعة قائلا بصوت أجش " ها هو الفم الكبير يعود لطبيعته ! "

كزت خلود على اسنانها بينما يضيف حذيفة بتفكه ساخر " لم اتعرف عليك منذ الامس وانت تعيشين دور الضحية التي تساق للمذبح كقربان ! "

تجاهلها مرة اخرى وعاد لينشغل بما يفعل ، جلست خلود على الاريكة في الزاوية ووضعت العلبة في حجرها ...

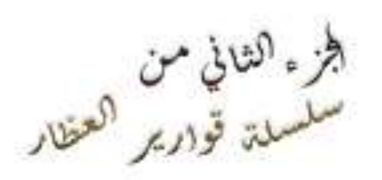
دمعت عيناها وهي تتطلع لتلك العلبة وهمست دون شعورها " لااريدها .. انا لااستحقها .."

رفعت عينيها لتجد حذيفة يتطلع اليها بنظرات غامضة فقالت بحشرجة " ارجعها لاخيك ارجوك ، اشكره نيابة عني .. انه رجل طيب ليتذكرني بشيء "

ظل يحدق فيها بنفس الغموض ثم تمتم بابتسامة شاردة " بل هو رجل ساحر وقد اكتسب قلبك من اول يوم .. ولذلك لن تعيدي اليه هديته "







اخذت تهز رأسها بانفعال وهي تهمس

" لا حذيفة .. لا ... انا لايفترض ان اخذ شيئا ثمينا كهذا .. انا .. لااستحق منكم شيئا .. يكفي .. اني فرضت وجودي عليكم .."

فاجأها حذيفة بالقول الهادئ الغامض

" بل انها لك وتستحقينها ما دمت زوجتي ، وانسي مسألة (فرض وجودك) هذه ..الامر انتهى.. وانت في بيتنا الآن ، اما ما اهداه لك رضا فكان تعويضا عن تقصيري معك وقد كان يفترض ان اقدم لك شيئا ولو حتى امام الناس "

اخذت تعض شفتها السفلى تخنق عبرة البكاء فالتفت حذيفة بعض الحدة ليعود لفك باقي اجزاء السرير ..

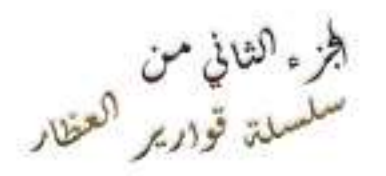
تمالكت خلود نفسها لتسأله بتردد وحيرة

" لم تقل لي .. لماذا .. تفكك السرير .. اقصد .. اين سأنام انا ؟!"

رد حذيفة دون ان يلتفت اليها " كانت مشاكسة سخيفة مني وانا اجعلك امام خيارين اما ان تنامي على السرير الصغير الذي اشتريته اساسا لابنتي ام تنامي على الارض ! لانك مؤكد لن تشاركيني سريري مهما بلغت ضخامته .."

هتفت بوجه محمر " مؤكد لن اشاركك به!"





التفت عندها نحوها يبتسم ابتسامة غريبة وعيناه تمعنان النظر فيها ليهمس " السرير ضخم فعلا ويسع اربعة اشخاص "

هبت على قدميها جسدها يتقلص بشدة فتقول بهدير مشحون " لن انام جوارك ابدا ... ابدا ابدا ابدا ..."

ضحك حذيفة بخفة قائلا بسخرية " ومن قال لك اني ساسمح لك اصلا بمشاركتي سريري ؟! مليكتي فقط من ستشاركني به "

احساس مؤلم فظيع طعنها ، هل يجب ان يكون قاسيا معها لهذا الحد ؟!!

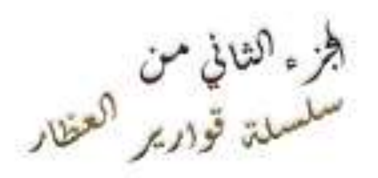
نكست رأسها لتسأل بهمس متألم " حسنا حذيفة فقط قل لي اين سأنام "

امتدت لحظات الصمت بينما خلود ابت رفع رأسها لتنظر اليه واخيرا جاء صوته لطيفا بشكل عجيب وهو يقول " اخر هذا النهار سيكون لك سريرا يناسبك موضوعا في نفس المكان "

تمتمت " شكرا .."

بينما اضاف حذيفة " اما هذا السرير فسأخفيه عن سعاد واجعله مفاجأة لها عندما يتم بناء الملحق لنا ويكون لها غرفتها الخاصة "







لم تعلق خلود بشيء بينما تعود بهدوء لتجلس
على الاريكة تمسك بالعلبة الانيقة
تتحسس بعض الدفء منها ...

بعد بضعة ايام

كان يقاوم شعور التحطم بالغضب !

لايستطيع ان ينهار الآن .. لقد صبر لايام بدت
طويلة كالدهر مغرقا نفسه في الشرب حتى
لايفكر لكن ... مكالمة هويدة الخبيثة
قبل ساعة حطمته ....

هل حقا عقد القران ام ان تلك الخبيثة
تتلاعب باعصابه ؟؟ اخذ يضرب على مقود
السيارة ومطارق تضرب بنفس القوة في راسه ...
لايستطيع التعامل مع هذا ...

حبيبة زوجة لآخر ؟؟

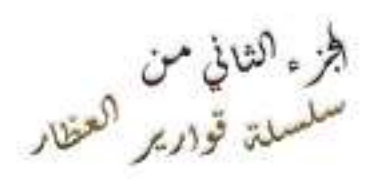
يا الهي ... مكتوبة بأسم رجل اخر غيره .. ؟

منتمية له شرعا وقانونا .. ؟

آآآه .. تلك الحقيرة هويدة ضربته بمقتل
عندما اتصلت به خصيصا لتخبره ان حفل
الخطوبة كان حفلا مزدوجا !..







اوقف السيارة امام بيت حبيبة وبتهور ترجل منها متوجها ناحية باب المرآب وقبل ان يقرع الجرس لمح فتاة تقارب عمر اخته مروة تجلس في ارجوحة كبيرة في االحديقة ...

تنبهت له الفتاة لتقفز من الارجوحة تقترب بابتسامة لطيفة ووجه متورد ...

نظر لوجه الصغيرة فاوجعه قلبه .. انها تملك عينا حبيبة ... حبيبته هو ...

قالت الفتاة " مرحبا ... هل تحتاج لشيء ؟"

ابتلع مهند ريقه وهو يقاوم صداع رأسه بينما عيناه تلمحان سيارة حبيبة بالمرآب فقال

" كنت اسأل عن حبيبة ، انا .. زميلها في الشركة و..احتاجها بأمر ضروري يخص .. العمل، هل تستطيعين مناداتها لي لو سمحت ؟"

ردت بنفس اللطف والبراءة " حبيبة خرجت مع خطيبها قبل قليل لمتابعة العمل في بيتهما الجديد ، مؤكد انت تعرف انها مخطوبة للمدير اليس كذلك ؟"

تمزق قلبه اشلاء واشلاء ... لم يعد يحتمل .. لم يعد يستطيع ...

نظر للفتاة ليقول بنبرة يائسة " آه .. نعم .. المدير يحيى .." ثم اختنق اكثر لكنه قاوم ليسأل بصوت أشد اختناقا " سـ...معت .. انهما .. سيتزوجا..ن قريبا ..هل هذا صحيح ؟"







ردت رقية ببعض التردد وقد اربكتها قليلا ملامح وجهه " لا .. ليس قريبا جدا .. امامهما بضعة اشهر .."

للحظة وجيب القلب هدأ فعلق ببعض التماسك " اذن هما ما زالا مخطوبين فقط حسبت .. انهما عقدا القران .. ايضا "

لتحطمه تلك الفتاة وهي تقول " نعم.. هما عقدا القران فعلا في يوم الخطبة "

لم يعد يشعر بشيء اخر ... فقط هذا الألم الذي جعله يكاد يهذي ....

همس بصوت لاحياة فيه " هلا تصفين لي عنوان البيت ؟ يجب ... ان اراها الآن ..."

استغربت حبيبة الهدوء المستتب في المكان بينما يفتح لها يحيى الباب الخشبي لتدخل للبيت ...

تمتمت حبيبة بريبة بينما يغلق يحيى الباب خلفهما " اين العمال ؟"

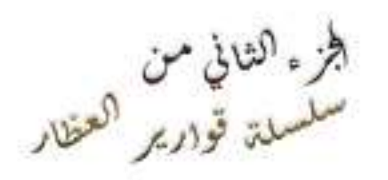
تبسم يحيى ثم امسك بمعصمها ساحبا اياها معه بينما يرد ببساطة مغيظة

" لقد صرفتهم لهذا اليوم "

كان قد دخل بها ما يفترض انها ستكون غرفة الضيوف مستقبلا لتقاومه حبيبة حتى يفلت يدها وهي تقول

" يحيى .. اعدني للبيت حالا .."







ضحك يحيى عاليا بينما يحرر يدها لكنه لم يسمح لها بالمغادرة وهو يغلق الباب ويستند عليه بظهره متكتفا باستمتاع ...

يراقب غضبها اللذيذ فيصب عليه مزيدا من الزيت وهو يقول بصوت مبحوح

" اردت الانفراد بك ..."

زمجرت حبيبة واخذت تهتف به " ابتعد عن الباب اريد العودة للبيت ..."

كل ما فعله ان استدار قليلا ورأته بعينين جاحظتين يقفل الباب بالمفتاح ثم يخرج المفتاح من مكانه ليضعه في جيب بنطاله الجينز ...

ارتبكت حبيبة لكنها لم تفقد تأهبها للمقاومة بينما تراه يتقدم ناحيتها ...

لكنه فاجأها بتجاوزها مبتعدا الى الجانب وعندما التفتت اليه صدحت انغام موسيقى رائعة في المكان ...

تمتمت بغباء " ما هذا ؟"

فمد يده في لحظة ملتقطا يدها ساحبا اياها لاحضانه هامسا لوجهها المنفعل " سنرقص .."

رمشت وهي تحاول التخلص من ذراعيه

" انا ... لااعرف كيف .. ارقص .. دعني .."

امسكها بقوة هامسا اسمها بحزم " حبيبة اهدأي .. انظري الي .."







توقفت عن مقاومته لتنظر في عينيه مباشرة فقالت بصوت رجولي " انا احضرتك لانفرد بك قليلا فنستمتع مع بعض كأي خطيبين، لايعقل ان نظل نلتقي فقط برفقة الاخرين ، اما مع عائلتك ..او مع العمال ! "

ما زالت مرتابة فترققت ملامحه مضيفا

" لااطلب رقصا محترفا .. اغمضي عينيك واطلقي لحواسك العنان ودعيها هي من تقودك .."

ثم ابتسم غامزا " انظري هناك .. لقد اعددت مائدة طعام "

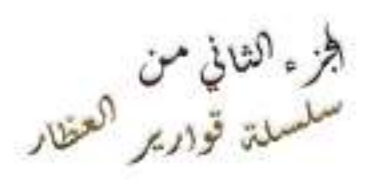
التفتت حبيبة بوجهها فوجدت سجادة مربعة انيقة وسط الغرفة الفارغة لم تتنبه لها عندما دخلت مع يحيى وقد كانت في قمة الانفعال ، وعلى السجادة بدت هناك عدة اطباق مغطاة .."

سألت بعفوية " ماذا في هذه الاطباق ؟"

رد وعيناه تضحكان لعينيها " سنكتشفها انا وانت لاحقا .. والان .. دعينا نعود للرقص "

حاولت ان تشرح له انها لاتجيد الرقص حقا عندما مد يده لعقدة شعرها هامسا " اولا .. دعينا نطلق العنان لسنابل القمح ونحررها .."

حل شعرها وبعدها... لم تعد تشعر بسيطرتها على شيء ... ولم ترغب بالسيطرة اصلا!



كان هذا اجمل شعور عاشته .. شعرت وكأنها
طائر حر محلق في عنان السماء ..

دورانها .. رقصها العشوائي بين ذراعيه .. شعرها
المنثور بين اصابعه .. قبلاته المسروقة
لخديها .. كلها جعلها تشعر بالانتعاش ..

بعد ساعة كانا يفترشان الارض يأكلان سويا
وهما يضحكان .. هي كانت تضحك حتى
دون سبب !

حالة من الابتهاج ملأتها واشبعتها رضا ...

يحدق فيها بانبهار .. ابدا لم يرها اجمل من
هذه اللحظة .. شعرها منثور ومتشابك عيناها
الزرقاوان تلمعان بالشقاوة والفرح ... كانت
مبتهجة ومبهجة ....

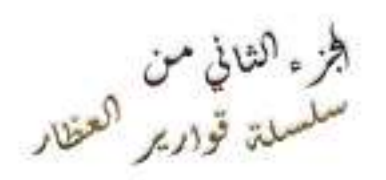
عيناه انحدرتا لساقيها المطويتين تحتها لتصل
لقدميها الحافيتين ..

مد اصابعه بشقاوة ليلامس تلك القدمين
فسحبتهما وهي تحذره ضاحكة

" توقف حالا .."

ضحك هو الآخر ثم أمال رأسه وهو يمد يده
لجيبه الخلفي فاخرج علبة صغيرة وفتحها ..
خاتم من الذهب الابيض مكتوب عليه
حبيبتي البرية ..





شهقت باعجاب وهو يلبسها اياه ثم رفع يدها لشفتيه يقبل اناملها بينما هي تهمس بتأثر

" انه رائع يحيى ... رائع جدا ..."

همس بحرارة وجرأة وعيناه في عينيها الخجولتين " احتاج... لقبلة "

ابتلعت ريقها وهي تسحب يدها لتقول " لقد سرقت ما فيه الكفاية اليوم .."

تقدم اليها مائلا بجسده نحوها و الشوق يعصف به عصفا " احتاج شفتيك حبيبة .."

مالت هي الاخرى تبتعد عنه برفض مرتبك

" لا .. يحيى "

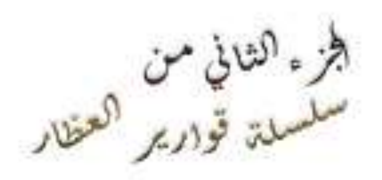
لكنه واصل ميله حتى اشرف عليها بجسده ودون مقدمات غرز اصابعه في شعرها الجامح وقبل ان تهمس باعتراض اخير متوسل كان قد حقق مبتغاه ...

في البداية كانت متشنجة ويداها تدفعان كتفيه بوهن شديد ثم شيئا فشيئا وهو يلامسها بشغف استجابت واثارت جنونه باستجابتها هذه ... وفجأة ... تشنجت بقوة ويداها امتلكتا القوة لتدفعانه باصرار وتهرب شفتاها من شفتيه وهي تهمس بحدة وانفعال

" لا ... لا "







في لحظة واحدة ابتعد عنها وقد ادرك ان هناك خطأ ما وفي اللحظة التي تليها كانت هي تفر منه تهب على قدميها وتبتعد بخطوات لتوليه ظهرها وجسدها يرتعش ... لفت ذراعيها حول جسدها تريد ايقاف ارتعاشه دون نجاح يذكر..

وقف يحيى على قدميه يحاول ضبط انفاسه وهو يقترب بحذر هامسا بصوت أجش " لم كل هذا حبيبة ؟! مؤكد ان تثقين بي وتعلمين اني حريص عليك اكثر من نفسي "

اخذ ارتعاشها يتزايد بدل ان يقل فأوقف خطواته لينظر اليها بدهشة بينما يردف قائلا ومؤكدا بصريح العبارة

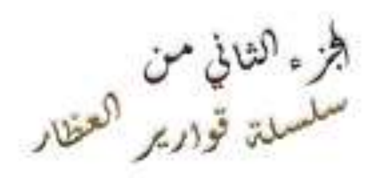
" هل تتصورين اني لن انتظر ليلة الزفاف مثلا؟ انا اشتاق اليك كرجل نعم ... لكن اشتاق ان يحدث هذا بيننا في وقته الصحيح ومكانه الصحيح "

تمتمت حبيبة بارتجاف

" اريد العودة ... ارجوك ..."

كان يحدق في ظهرها ويشعر بوجود الخطأ بشكل مقلق لكنه آثر عدم الضغط عليها ليقول " حسنا .. هيا بنا "





كان يحيى صامتا تماما وهو يغلق باب المرآب لافا بضعة سلاسل حديدية بين قضبانها حيث ان الباب قديمة ولاتغلق بشكل طبيعي اما حبيبة فقد تحركت بكآبة نحو السيارة التي يركنها على يحيى جانب الطريق ، لم تعدل هندامها ولم ترتب شعرها المنثور بفعل الجنون الممتع الذي تشاركته مع يحيى ...

وبينما هي تتحرك سمعت صوت توقف سيارة بشكل مفاجئ وما ان رفعت رأسها حتى جحظت عيناها وهي ترى امامها مهند يترجل من سيارته ويتوجه نحوها وقد بدا في عينيه نظرات الجنون !

عيناه باتتا اكثر جنونا وهو يحدق في شعرها وهيئتها من جهة وفي يحيى الذي ما زال يغلق الباب من جهة اخرى ...

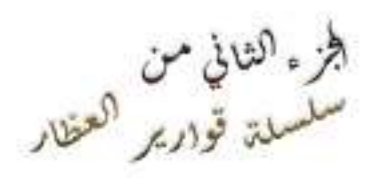
كادت حبيبة تفقد توازنها وهي لاتعرف القادم ماذا يخبئ لها بينما ارتفع صوت يحيى الهادر وهو يقترب " ماذا تفعل هنا ؟"

كان الغضب الاسود يطفح من عيني مهند بينما تقدم يحيى ليقف بينه وبين حبيبة المصدومة فما كان من مهند الا ان قال بصوت غريب ينذر بالمصائب " كنت امر بالصدفة "

تمتم يحيى بقسوة " ارحل .."







رأت حبيبة من فوق كتف يحيى كيف ابتسم مهند ... يا الهي ... انها نفس الابتسامة تلك الليلة .. بعد ان ... عضت شفتيه !

قال مهند بابتسامة منتقم " فتاة مميزة حبيبة اليس كذلك ؟ اسألني انا عنها لايمكن الشبع منها ما ان تتذوقها للمرة الاولى "

فقد يحيى سيطرته فامسك مهند بعنف ورماه بظهره على مقدمة السيارة صارخا بغضب جنوني " ايها الحقير السافل الكاذب .."

رد مهند وهو يضحك ضحكة بشعة

" لماذا تغضب هكذا ؟ قد اكون حقيرا سافلا لكني لست كاذبا .."

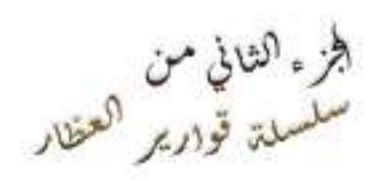
لم يتنبه الاثنان في خضم العراك لحبيبة التي اخذت تتراجع للخلف بنظرات ميته وكأنها تواجه قدرها المحتوم ...بينما مهند يكمل ذبحها بالمزيد

" ما نلته منها قبل قليل كما يبدو جليا سبق ان نلته انا ايضا وفي مكتبها الخاص وسط شركتك واسأل الحارس الامني شهاب عندما فاجأنا بوضع ... محرج ! "

صدمة جمدت يحيى لثوان مما يسمع فالتفت لحبيبة بعنف ليجدها وسط الشارع الهادئ تنظر اليه .. اليه وحده نظرة لن ينساها لاخر عمره بينما مهند يضيف مستلذا بانتقامه كالمجنون







" هذا ان كانت هي تملك الجرأة الكافية
لتمثل النكران .."

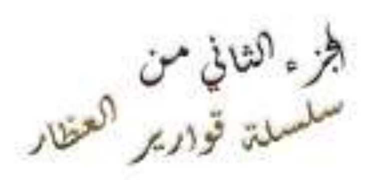
ما زال يحيى يحدق في حبيبة لتهمس شفتاها
الشاحبتان " انا .. لااستـ..حقك .. انا ..."

كل شيء جرى خلال لحظات .. لحظات فقط
حبيبة تركض بتخبط وشعرها كأمواج اللهب
لتعبر الشارع الخدمي الهادئ ومنه للشارع العام
السريع وبينما يركض وراءها يحيى مرت
شاحنة ضخمة ومع صوت البوق العالي هز
صراخ يحيى الارجاء ....

" حبيباااااااااااااااااااااااا......."

اما مهند.... يحدق بعينين جامدتين مرعبتين ،
جسده متسمر في مكانه قرب سيارة يحيى
بينما يعيش هياجه الداخلي وكأن خلاياه
كلها تحترق و تغير مواضعها بتشتت جنوني
عشوائي ثم .. في لحظة ... انفجرت .... كلها
... دفعة واحدة في ألم مبرح لم يعرف شعورا
اوجع منه في حياته !







الفصل الرابع عشر

بعد اسبوع

منتصف النهار

يقف الاب عاجزا عند باب غرفة ولده الوحيد يحدق فيه بقلق رهيب متزايد .. لم يقلق عليه هكذا طوال حياته ... حتى عندما اصيب بذات الرئة في طفولته وكاد ان يفقده....

الآن بدا ولده اقرب لمعتوه بملابسه المجعدة الوسخة والتي يأبى تغييرها وشعره المنكوش وذقنه النامية ، عيناه غائرتان وشحوبه اشبه بشحوب الموتى ، لقد فقد كثيرا من وزنه خلال اسبوع واحد ومن يراه يعتقده معلولا بمرض خطير !

وربما هو معلول حقا ..

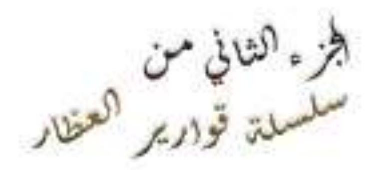
معلول ..وعلته في روحه لا جسده....

منذ اسبوع اتاهم شبه محطم في تلك الليلة البهيمة ! ملامح وجهه تحمل ذهولا حادا كمن تعرض لصدمة رهيبة...

لم يقل كلمة لعائلته وهو يحدق بتوهان ونظرات زائغة ثم ببساطة تركهم ليتسلق السلم متوجها لغرفته القديمة لكن تمتمته الغريبة وصلت اسماعهم جميعا

(لقد قتلتها ... قتلت .. حبيبة!)







جنت الام مولولة ومروة الصغيرة اخذت تصرخ بفزع وقد ظنتا حقا انه قتل امرأة ما ! حتى هو الاب اوشك ان ينهار بتخيلاته ...لكنه تمالك صدمته والتياع قلبه لمعنى كلمات ابنه فصرخ بهما ان يصمتا ثم لاحق خطوات ابنه على الدرج حتى وصل غرفته ليدخل اليه فيجده مستلقيا على سريره القديم بلا حراك ومحدقا في السقف بجمود ...

تحايل عليه باللين تارة والحزم تارة اخرى عسى ان يفصح عن معنى تمتماته الرهيبة تلك لكن مهند لم يرد بشيء فقط ظل يعيد نفس الكلمات الجوفاء الرهيبة بمعناها

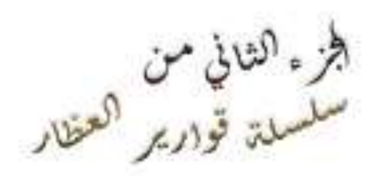
" لقد قتلتها .. قتلت حبيبة"

بعد ساعتين قضاها الاب يحاول ان يلم شتات نفسه ليعرف بما تورط به ابنه تذكر صديقه مجد فسارع للاتصال به يسأله بطريقة غير مباشرة ان كان يعرف فتاة اسمها حبيبة...

بدا مجد في حالة تأثر وحزن وقلق وهو يخبره ان حبيبة زميلة لهم في الشركة وقد تعرضت عصر اليوم لحادث دهس بشع بشاحنة...

هذا كل ما استطاع معرفته و غريزة الحماية لديه كأب منعته من اخبار مجد بحالة مهند لانه لايعرف الى اي مدى ابنه متورط في هذا الحادث...







مر اسبوع شديد الصعوبة على الجميع .. عانى الاب الامرين .. زوجته .. بناته لايتوقفن عن التساؤل القلق واحيانا البكاء وابنه بعد ليلة الصدمة الاولى كان يعيش في حالة هستيرية والهاتف النقال لايفارق يده رافضا الكلام مع اي من افراد عائلته...

كان الاب يستمع باستمرار لمكالمات ابنه المستمرة مع صديقه مجد .. كلماته كانت متراخية تارة ..انفعالية تارة اخرى لكن في مجملها عشوائية غير مترابطة وغير متوازنة ما كان واضحا تماما انه اراد الاطمئنان انها بخير ..

مكالمة بعد اخرى و مهند يتحطم اكثر ..واكثر .... والحياة تذوي منه شيئا فشيئا..

وهو الاب كان يعلم اسباب تحطم ابنه .. !

فهو ايضا لم يتوقف عن السؤال عن الفتاة بطريقة غير مباشرة وكان وضعها حرجا طوال الاسبوع ... و الآن تحديدا كان يوشك على الاتصال عندما قادته قدماه اولا لغرفة مهند..

عاد الاب ليراقب ابنه وهو يتحرك على غير هدى حاملا هاتفه في يده المرتعشة .. انه ينتظر مكالمة من مجد كالعادة ولايشعر بمن حوله ...



اخيرا رن الهاتف ففتحه مهند بعجلة مرتجفة وظل للحظات مسمرا في مكانه وعيناه فقط من تبديان حياة وهما تجحظان ببطئ

ابتلع الاب ريقه وهو يهمس بدعاء " استرنا يا رب وانقذ الفتاة المسكينة وانقذ ولدي معها"

تقدمت خطوات الاب ليعبر باب الغرفة نحو ابنه الذي اخذت انفاسه تتسارع بوضوح ليسمعه اخيرا وهو ينطق بجمود

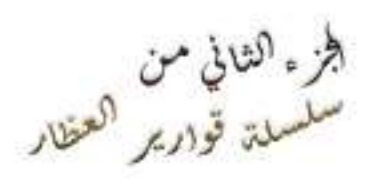
" هل انت ...متأكد مجـ..د .. متأكد ..؟!"

وقف الاب خلف ابنه تماما ليسمع صوت مجد واضحا عبر الهاتف " مهند .. أهدأ .. اجل متأكد .. لقد تحدثت للطبيب بنفسي.. وقال انها عدت الخطر .. وستتماثل للشفاء ان شاء اللّه "

خرجت تمتمات الحمد من فم الاب وعيناه تدمعان بينما ابنه ينهار امامه الى الارض جاثيا على ركبتيه فيتدحرج الهاتف من يده ويقع ارضا لينهار والده خلفه بينما يطلق مهند صرخة بكاء متألم لتتبعها صرخات تشقق صدره وتصدع اركان غرفته...

احتضنه والده من الخلف بقوة واخذ يبكي قهر الرجال بينما صوت مجد ما زال يأتي عبر الهاتف الملقى على الارض " يا الهي مهند .. توقف .. ماذا تفعل بنفسك ... انها بخير .. اقسم لك انها الان بخير .. انا لااكذب عليك "





اعتصر الاب ابنه اكثر واكثر.. يبكي ويقول " اهدأ بني ؟ اهدأ ... انها بخير .. ستكون بالف خير بإذن الله ..."

كان جسد مهند يهتز بعنف في بكاء رهيب والاب يواصل تمتماته المهدئة ليتملك الارهاق الشديد مهند فيتراخى جسده مرغما فأخذ والده يحثه على النهوض قائلا بتماسك

" قم بنيّ معي .. ارفع جسدك .. تعال .. يجب ان تأخذ حماما وبعدها سنصلي معا ركعتي شكر الى الله ثم ..سنتكلم .. سنتكلم طويلا ..ولدي "

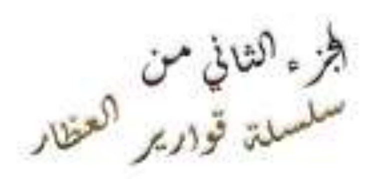
شمس العصر تعكس ألقا خاصا على حديقة المستشفى .. ريح الخريف الخفيفة تتلاعب بحواف فستانها الابيض الطويل واطراف حجابها ناصع البياض ، اوراق الاشجار القليلة المتساقطة تلامسها ايضا في تتابع ساحر بطيء دون ان تزعجها وكأنها تنجذب بإجلال لذلك الصوت الشجي الذي يلهج بقراءة القرآن دون ان تقطع استرسالها المتعمق فيه ...

يدها الرقيقة النحيلة تمسك بالقرآن ويدها الاخرى تلامس بحنان فطري بطنها حيث يستقر طفلها في مراحل تكونه الاولى ...

اقترب من توأمة قلبه .. رغما عن ارادته يتآكله القلق لكل هذا التجلد والصمت منها،







لم تنهَر ابدا طوال الايام الصعبة الماضية وصباح اليوم عندما اخبرهم الطبيب ان حبيبة عدت مرحلة الخطر اخيرا لم تبدي انفعالا واضحا كأمها واختيها وهن ينهرن في احضان بعض يبكين بفرح غامر وانما اكتفت اميرة قلبه بأن تمتمت بالحمد فقط لتعكف بعدها على قراءة القرآن وبشكل متواصل ...

كانت متماسكة بطريقة تثير الاعجاب و.. العجب ... كم يود لو انها تبكي كما بكت يوم انكسرت ذراع رباب لكنها .. فقط ... متماسكة .. !

متماسكة بشكل رهيب فتعكس هول المصيبة التي اوشكت ان تحدثت لو فارقت حبيبة الحياة ..وقد فارقتها حقا لثوان عندما توقف قلبها اثناء اجراء العملية بعد اصاباتها البليغة ..

في الليل يحتضنها بقوة يبثها كل ما يستطيع من الاطمئنان بينما تلجأ هي لصدره بصمت ..

اقترب رضا ليجلس قربها على المصطبة الخشبية فهمست وهي تستشعر وجوده

(صدق الله العظيم)

التفتت اليه بوجه ينضح بالانهاك الذي تتجاهله فسألت بهدوء " اين أمي ؟"



رد بابتسامة وهو يمد يده يلامس حجابها المتطاير بخفة " تقرأ القرآن مثلك لكن عند رأس حبيبة النائم .."

عيناها الجوهرتان النادرتان غامتا بالحزن والألم فتقول

" لقد تعذبت حبيبة كثيرا ، الآلآم كانت فظيعة! "

ردد رضا يهون عليها " لابأس يا درّة الروح ، هي فترة ايام قليلة وستخف الآلام .. الحمد للّه انها نامت سريعا حالما اعطتها الممرضة المسكنات اللازمة "

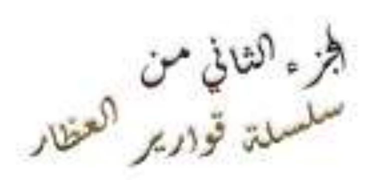
تمتمت اسيا بالحمد وهي تطرق برأسها فحادت عينا رضا بعيدا الى ذلك الشامخ .. الصامت الآخر .. يحيى ...

كان يقف في اقصى الحديقة يتطلع الى المجهول .. اسبوع مر على حادث حبيبة الاليم كان فيه يحيى في حال يرثى لها ..

يصرخ كالمجنون في الجميع وقد فقد كل صبر يتمتع به ومنطق عقلي يميزه ...

بدا منهارا لكن .. بطريقة أبيّة جامحة !

واليوم تحديدا وعندما افاقت حبيبة لتعاني خلال لحظات من الآم مبرحة جن جنون يحيى وهو يصرخ بالممرضة لانها تأخرت باعطائها المسكنات ..



بدا وكأنه يتألم كألم حبيبة نفسها ولم يسترخ الا باسترخائها وعودتها لغفوتها الاجبارية ويدها اليسرى تستقر في يده ...

تمتم رضا بعفوية وهو ما زال يتطلع ليحيى من بعيد

" يحيى يقلقني ، اشعر ان في داخله غضب رهيب ! حاولت معه مرارا ليتكلم ويفصح ولكنه كالصندوق المقفل،اشعر اني لست الشخص المناسب ليخبره عما يختلج في صدره"

رفعت اسيا رأسها لتتطلع ناحية يحيى هي الاخرى وقد بدا خلال هذا الاسبوع كجبل شامخ لكن بخزين مرعب غامض من براكين تبدو خامدة في ظاهرها لكنها تثور في لحظة!

بسلاسة وقفت على قدميها حاملة قرآنها في يدها فتتحرك هامسة

" دعني أكلمه انا ..."

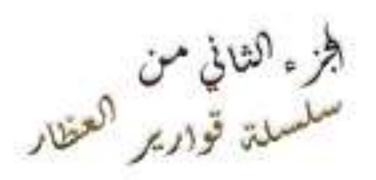
دون ان يرد ودون ان يعترض ... شعر بحدس غريب ان آسيا بيدها مفتاح القفل ...

" مرحبا ..."

التفت يحيى للصوت الهادئ الرزين خلفه ليرد بنفس الهدوء " مرحبا آسيا .."







اقتربت لتقف جواره فتلمح بعض نزيلي المستشفى يتجولون في الحديقة ..

عيناها توقفتا على رجل في كرسي دوار تحيط الاربطة الطبية بأكثر من جزء من جسده ...

اهتاج قلبها في ألم فظيع وهي تتذكر الاربطة المحيطة بجسد حبيبة ...

ارتجاج في المخ ، اضلاع مكسورة .. فطر في الحوض ، كسر في الذراع الايمن واخر في عظمة الفخذ اليمنى .. عدا الكدمات والجروح على طول جسدها...

لكنها عادت واحتمت من احساس الألم بحمد اللّه .. لافائدة من النواح على اب غائب في دنيا اخرى .. اب عاملهن كأرق القوارير فهل كان ليتوقع ان يحصل لهن كل هذا ؟!!!

همست آسيا بتجلد " حبيبة ستكون بخير ان شاء اللّه ... اشعر انها ستكون حتى اقوى "

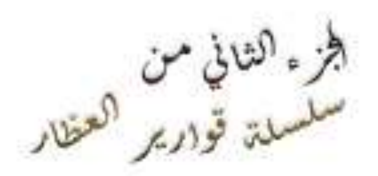
فاجأها يحيى بالقول المتشنج وكأنه يعتصر الكلمات في جوفه عصرا قبل ان ينطقها

" كله بسببي أنا ... كله بسببي .."

اشفقت عليه فهمست بحنان وهي تتطلع لجانب وجهه المتشنج بالالم" انه مجرد حادث يحيى .. ليس خطأك انك لم تستطع اللحاق بها وهي تركض خلف جرو صغير ارادت انقاذه "







التفت اليها بحدة ليقول بهياج عنيف اخافها للحظة " بل لم استطع حمايتها من كلب مسعور نهشها ونهش قلبي معها ..."

اتسعت عيناها باحساس مرعب بينما تسأل بتمتمة مضطربة " ماذا تقصد يحيى ؟ انت قلت انها ركضت لانقاذ ...جرو صغير ...يعبر الشارع ..."

ابتسامة قاسية مرت على شفتيه قبل ان يقول " هذا ماقلته حقا لكني ... كذبت ! "

اهتاجت مشاعر آسيا المكبوتة هي الاخرى لتسأله بهدير غاضب " ماذا حصل لاختي ؟! اريد ان اعرف ...اخبرني يحيى ... "

عندها حدق فيها يحيى طويلا ، عيناه الزرقاوان بدتا شديدتي الدكنة ليسأل بعدها بنبرة غريبة " اخبريني انتِ ماذا حصل لها فعلا ؟! اشعر انك تعرفين كل شيء .."

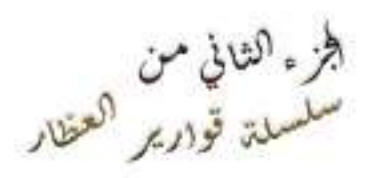
اتسعت عينا آسيا وهي تهمس بسؤال متوجس " ماذا تعني ؟ انا لاافهمك ! "

شحوب زحف لوجهه بينما يهمس من بين اسنانه " اعني... مهند يا آسيا "

عيناها اتسعتا اكثر وللحظة لم تستوعب مقصده وهي تردد" ما علاقة مهند بـ...." ثم صمتت لترفع يدا مرتعشة تغطي فمها شاهقة بصدمة "... يا الهي ! "







عينا اسيا في مواجهة عيني يحيى لتسأل آسيا بوجل " هل كان .. موجودا معكما ساعة الحادث ؟! "

غامت عينا يحيى واكتسحه الألم للذكرى بينما يتمتم " كنا خارجين من البيت وانا اغلق الباب عندما تفاجأت به قربها وهي تقف بجانب سيارتي "

قلبها يقرع في صدرها وهي تسأله

" مـ.ما..ذا ..قال ؟؟"

ادار وجهه بعيدا وشمخ بذقنه وهو يغلق عينيه هامسا بوجع " قال الكثير.....الكثير مما يجعل حبيبة تهمس بتحطم كامل انها (لاتستحقني) ثم تركض دون وعيها للشارع السريع العام..."

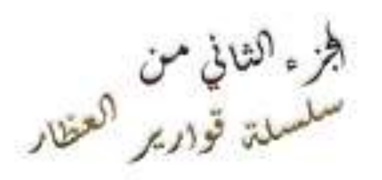
افلتت من لسان آسيا الكلمات الشاتمة كما افلتت الدموع مدرارا على خديها " السافل ...المنحط ! الا يكفي ما فعله معها ؟ الاتكفي نذالته وخسته ؟!! يا الهي انه كالوباء بل ...كلعنة لا فكاك منها ! "

فتح يحيى عينيه بقوة ليدير وجهه اليها يسألها باصرار لايلين " احتاج ان اعرف كل ما حصل بينهما .. كل ما لم تستطع حبيبة اخباري به ..."

زمت آسيا شفتيها قبل ان تقول بنبرة ثابتة

" سأخبرك ...."







قبضتاه متشنجتان الى جانبيه ، رأسه مطرق وعيناه مغمضتان وخلف كل هذا تستعر فيه النار للانتقام من ذلك الحقير ...

أتاه صوت آسيا الثابت الرزين

" انا كنت صريحة جدا معك وكتاب الله في يدي شاهد علي ..." ورفعت يدها بالمصحف امامه بينما يرفع وجهه اليها ...

تمتم من بين اسنانه " حبيبة .... ايتها الغبية.... غبية .. غبيبية ..."

غامت عينا آسيا بالحزن بينما تنزل يدها ببطئ ليسألها يحيى بتماسك وذكاء

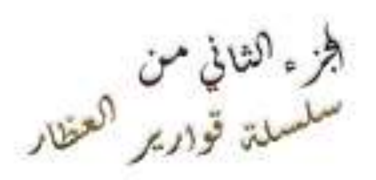
" متى حصل هذا ؟ اريد ان اعرف في اي يوم بالضبط تطاول عليها بهذه الطريقة .."

ردت آسيا بحشرجة " لااعلم التواريخ لكن ... اعتقد صادف مع حضورك لاستلام ادارة الشركة وربما سبقه .. لست واثقة لانها اخذت اجازة طويلة بوقتها .."

عندها شعّت عينا يحيى وهو يستعيد ذكرى اول لقاء له مع حبيبة .. لم تكن بمفردها .. كان ذلك الوغد السافل يقف جوارها وهي .. هي بدت ......تمتم باحتراق والاحداث تأخذ تسلسلا منطقيا في رأسه " اجل ... رأيتها عند عودتها من الاجازة .. هذا هو السبب .. يا الهي ... تلك النظرات المرتعبة !"







سألت آسيا بدهشة " اي نظرات ؟!"

لكنه بدا بعيدا باميال عن آسيا وهو يربط الحقائق مع بعض ليهمس بشرود غاضب " هذه هي القطعة الناقصة في الصورة .. هذا ما كانت تخفيه بغباء عني .. كنت اعرف ان هناك خطب ما .. وكنت اصبر نفسي اني ساكتشفه بتمهل وبطريقتي .. لكن .. ذلك الحقير دمر كل شيء .. وحطم حبيبة معه .."

هتفت آسيا بحرقة " انها طاهرة بريئة .. لكنها ... تظن ان لحظة .. مجرد لحظة ضعف كانت كافية لتصمها بالقذارة .."

احترقت الكلمات على لسانه وهو يلفظها

" تكفي لحظة مع ذلك النذل لتصم امة بحالها بالقذارة ! "

ثم اخذ يسأل بغضب هادر " كيف لم تخبرني عن مجيئه للبيت ؟! كيف ؟؟"

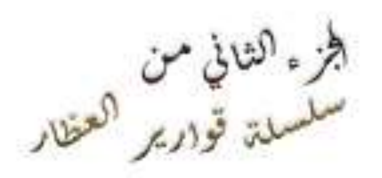
ليضيف وهو يمرر يده في شعره باضطراب

" ورضا لماذا لم يخبرني ايضا ؟"

ردت آسيا وهي تمسح دمعات اخر فرت من عينيها " لااعلم .. ربما لم يتذكر او ربما لم يرد اثارة ظنون غير مؤكدة وقد كنتما مقبلين على حفل عقد القران فلم يرد التعكير عليكما .. "

سألها بتوجس " هل .. يعلم .."







فردت بانفعال " لا ...مؤكد لا .. لااستطيع ان اكسرها هكذا حتى لو كان رضا .."

شردت نظرات يحيى وانغلقت افكاره فسألته آسيا " ماذا ستفعل معها الآن ؟"

ضحكة خافتة ساخرة ليقول بعدها " ماذا سأفعل ؟! يا الهي آسيا ....كم هو سؤال صعب الرد عليه "

اضطربت آسيا فسألته " لماذا تقول هذا ؟ هل لديك .. شك فيها .. الا تصدقني ؟ ام انك تلومها على مجرد تفكيرها فيه وضعفها امامه في فترة حرجة من حياتها ؟! "

نظر اليها يحيى طويلا ليقول بعدها " انت لاتفهميني آسيا ..انا تسببت بهذا ايضا .."

عبست آسيا بالسؤال " كيف ؟"

اجاب بصوت أجش " لقد رضخت لضعفي امامها وتوقي لتملكها وقد كان يجب ان اساعدها اولا لتتخطى ازمتها .. واضح الان ان ازمتها كانت اكبر مما اعتقدت حتى وفرضي لعواطفي عليها جعلها تشعر بالتخبط وربما حتى النفاق العاطفي ... آآآه ... المغفلة الصغيرة لاتعرف كم كنت قادرا على استيعابها لو افصحت اكثر .. "





ابتلعت آسيا ريقها لتقول بصدق

" انت تؤمن بها ... وهي متعلقة بك الى ابعد حد "

رد بشجن وهو يتطلع للبعيد كما كان يفعل قبل حضور اسيا اليه " اعلم هذا .. لكني آذيتها يوم استسلمت لقرارها بقبول الزواج مني .. كان يجب ان آخذ بيدها دون رابط جدي ملزم كالزواج .. انها صغيرة ولديها انفعالات معقدة ..."

سرحت آسيا لتهمس " يجب ان اكلمها .."

إلتفت اليها يحيى مسارعا بالقول " لا آسيا... ارجوك .. دعيني انا من يكلمها .. يجب ان تواجهني انا لانها تشعر بالخزي مني .. يا الهي .. تلك ..الغبية البريئة "

تطلعت اليه بتمعن لتسأله بجدية

" وبعدها ... ماذا تنوي ؟"

رد بغموض والشعلة تخبو في عينيه

" لااعلم .. يجب ان افكر بكل هذا .."

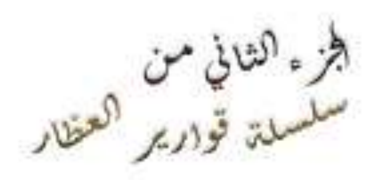
اصاب آسيا القلق وهي تسأله بالحاح

" ماذا تقصد.. هل ستتخلى عن حبيبة ؟!"

رد بثبات

" لن اتخلى عنها طوال حياتي لكن .. "

شاب نظراته حزن غامض وهو يضيف بشرود "هذه المرة ...ساسندها بطريقة مختلفة "





ليلا ....

قاوم ان لايتقلب في السرير بينما نشيجها الباكي المكتوم يقض مضجعه ويعكر صفو استسلامه للنوم ..

ماذا حصل لها هذه المجنونة ؟! منذ اسبوع وهي ليست على طبيعتها .. قبل هذا الاسبوع كان قد اعتاد وجودها المزعج الغوغائي من حوله .. يعود البيت ويجلس وسط السرير الضخم وفي حجره حاسوبه المحمول بينما يلمح طيفها يتحرك هناك وهناك في الجناح بالاصوات المزعجة التي لاتكف عن احداثها ، تنظف هنا وترتب هناك تعيد تنظيم الاغراض مرارا وتكرارا ...

لقد اثرت حتى على صغيرته التي اصبحت تهمل وجوده بعد ان كانت تحب التعلق بساقيه وهو مشغول بامور عمله على الحاسوب وبدلا من ذلك اصبحت تلاحق خطوات خلود التي لاتهدأ بل انها اصبحت تقلدها فاختارت احدى زوايا الجناح كمخزن شخصي لالعابها فتقوم بترتيبهم ومسحهم على الدوام بقطعة قماش صغيرة ..

شهقة ناعمة منها وجدت طريقها لتنزغ قلبه فاصابه الضيق اكثر !







همس في سره بغيظ " فقط لو اعلم ماذا بها ؟ ماذا حصل قبل اسبوع تحديدا لتتغير هكذا وتصبح كئيبة ساكنة اكثر مما يجب فتركن طوال الوقت للاريكة بحجاب الصلاة لتقرأ القرآن بخشوع كامل "

حتى صغيرته اصابتها عدوى الهدوء فتجلس بجانبها تمسك باحدى القصص المصورة وهي تلف وشاحا حول رأسها !

لكن اليوم بدت .. بدت ..لايعلم كيف يصفها .. بدت اكثر بعدا عن الشعور بوجوده وحتى بوجود سعاد قربها حتى انه شعر بها تلهج باحساس جياش وهي تقرأ القران ثم لمحها تمسح دموعها وانفها محمر .. لقد جعلت سعاد ترتبك وحاولت مواساتها .. تطبطب عليها حينا وتحضر لها العابها حينا آخر ثم في النهاية مالت برأسها الصغير الاشقر على ذراع خلود تستند اليه في دعم يعتصر القلب حنانا وغفت وهي بهذا الوضع ...

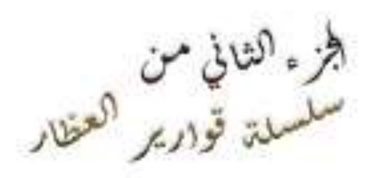
(كيف هي زوجتك ؟ لماذا لاترسل لي صورة لكما معا)

كز حذيفة على اسنانه وهو يتذكر الرسالة الالكترونية التي استلمها قبل ايام من عبد الرحمن .. وتذكر ايضا كيف انه لم يشعر باصابعه وهو يكتب ردا بعفوية شاردة ..

(بشعر مجنون وانوثة كالمغناطيس !)







لم يرسلها طبعا فلم يكن من الحمق ليفقد عقله ويرسل ردا سخيفا كهذا ..

في قرارة نفسه كان يعلم ان الرد ليس بسخيف على الاطلاق .. بل معذب لابعد حد خاصة وهي ترتدي تلك الاثواب الناعمة التي اشتراها لها بقلة عقل !

لقد كان متعمدا باختيار الوان تناسب لون بشرتها ورقة جسدها الانثوي .. محتشمة نعم لكن .. انثوية .. يا الهي لم يتصور انها ستكون انثوية لهذه الدرجة ..

بطريقة مثيرة للسخرية والشفقة في ان واحد يلجأ لوجود صغيرته ليتحصن حتى لاتفلت زمام الامور منه كما انه يعترف بالتهرب من الانفراد بها ويكاد لايقضي الا ساعتين في اخر الليل معها ومع سعاد لايوجه لها الا بضع كلمات متفرقة ...

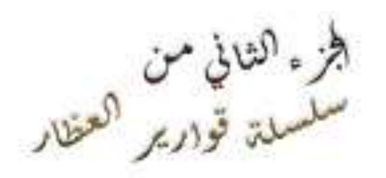
شهقة اخرى افلتت منها و.. طفح الكيل ....

سيعرف الآن تحديدا ما يقض مضجعها هكذا منذ اسبوع كامل ...

تسحب من جانب صغيرته النائمة وغادر السرير على مهل حتى لايوقظها ..

اخذ نفسا عميقا وهو يتطلع للسرير الاخر حيث تقبع خلود متكورة على نفسها بتشنج واضح ...





اقترب وهو حافي القدمين فرآها تهدأ بجمود للحظات ثم رفعت ذراعها لتحيط برأسها وتخفي وجهها ..

تبسم بشقاوة صبيانية ليقترب بثقة مدركا انها شعرت به ثم بنفس الثقة جلس جوارها على الارض كما فعل اول ليلة لها هنا ...

تطلع اليها ليعترف ... نعم ... هو منجذب جدا لها .. كرجل .. كرجل فقط ... وما الذي يقف بوجه هذا الانجذاب ؟! لاشيء !

انها حلاله وتنام على سرير قريب جدا منه تعذبه بتقلباتها فيه وانكشاف ساقيها احيانا يؤرق ساعات ليله الطويلة ....

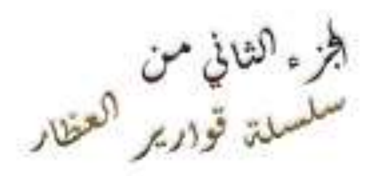
ابتلع ريقه بصعوبة وخرج صوته أجشا وهو يتعمد القول بتفكه ساخر خافت

" حسنا .. عليك ان تختاري اما ان تتوقفي عن نشيجك المرهق للاعصاب هذا او تخبريني بما يقض مضجعك منذ ايام لننتهي من وصلة الكآبة هذه "

شعرها تتشنج وهي تلم ذراعها اكثر حول رأسها فناداها بهمس حازم " خلود ! واجهيني الان ..سعاد نائمة ..لا تجعليني اعيد الكلام كثيرا فقد يوقظها حتى الهمس "

لعجبه استرخى جسدها تماما..







ثم التفتت اليه على مهل لتضطجع على ظهرها تحدق فيه بعينين لامعتين تشكفهما الاضاءة الخافتة القادمة من انارة الحمام فتهمس برقة آسرة تفيض راحة " انا سعيدة ان حبيبة عدت الخطر وستصبح بخير ان شاء الله "

ظل يحدق فيها كأبله !

من بين كل الاسباب التي قد خطرت في باله لم يكن يخطر له ان السبب حادثة حبيبة !!

تمتم بدهشة متسائلة عابسة

" حبيبة ؟!! وما علاقتك انت بحبيبة العطار؟! انت لم تريها الا مرة واحدة في عرسنـ... اقصد العرس .."

عندها لم يصدق جريان دموعها كالانهار الصغيرة تشق خديها بينما تتمتم باحساس محمل بما يشبه .. الشعور بالذنب !

" اجل رأيتها مرة.. واحدة .. وقد .. قد .."

خنقتها العبرة فعضت شفتها بينما يعبس حذيفة متسائلا بنزق

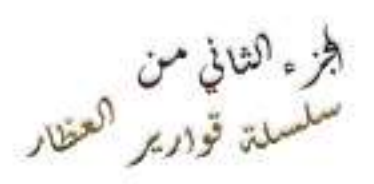
" (قد) ماذا ؟! افصحي يا خلود .. "

همست بنشيج متألم يفيض أسى " انا اصبتها بعين الحسد يا حذيفة ولهذا حصل لها ما حصل .. كله بسببي انا .."

الحاجبان الكثيفان المعقودان انحل رباطهما ليرتفعا متنافرين للاعلى !







قرب رأسه يهزه بطريقة توحي بكظمه لغيظه المتفاقم

" هلا شرحت لي ببعض الكلام المنطقي المفهوم لو سمحت "

اخذت خلود تشهق بالبكاء وتهمس بجزع

" بدت جميلة جدا بثوبها الاحمر الرائع .. راقية ومتألقة .. فخورة وسعيدة و.. عريسها .. بدا سعيدا جدا بها لايطيق الابتعاد عنها "

ابتسامة صغيرة داعبت ثغره وعيناه تلاحقان دموعها الجارية بينما يهمس باستخفاف رقيق

" وانت حسدتها لذلك ؟!! "

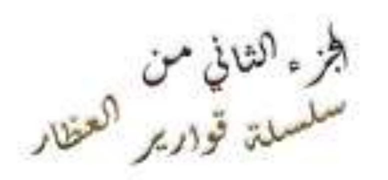
أخذ يفكر انه اكثر جنونا منها ! والا كيف يقترن بها وهو يعرف حالة عقلها المشعث كشعرها تماما !

احساس غريب يكتنفه ووجهه قريبا من وجهها الباكي .. احساس بالمتعة .. بالراحة .. بالفرح .. كل خلاياه تهلل فرحا وانتعاشا ..

يقسم ان هذه المجنونة تمنحه فرحا بطعم لذيذ لايقاوم تذوقه...

اصابعه تحركت تتلاعب بخفة باطراف خصلات شعرها المنثور امامه فيهمس بمشاكسة رقيقة " اذن بالاضافة الى انك مسحورة فانت تملكين قوى حسد خارقة للطبيعة وتعبر المسافات الطويلة ! "







ردت بطفولية عنيدة وهي ما زالت تحت تأثير شهقات البكاء

" السحر والحسد مذكوران في القرآن "

اتسعت ابتسامته وملأت قلبه قبل وجهه فيداعبها بالقول الأجش وقد توشحت مشاكسته بعاطفة مقلقة لقلبه

" حسنا ذكريني دوما بقواك الخارقة هذه حتى لاارتدي قميصا احمر يثير حسدك مني؟"

عادت ملامحها تتجعد بالبكاء المسموع فسارع حذيفة عفويا ليضع يده على فمها ويهمس

" اششششش "

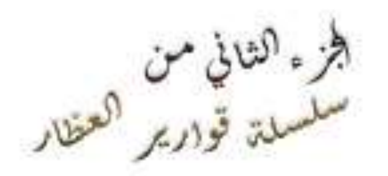
خنقت بكاءها هي لكنها لم تستطع خنق شعوره هو بملمس شفتيها فهمس والعاطفة تتأجج فيه بشكل خطر

" شفتاك رطبتان ....بالدموع ..."

غامت عيناها وهي تحدق في عينيه .. بدت له مرهقة عاطفيا لكنها تنظر اليه بطريقة بريئة ساذجة تفيض تعلقا به !

ارتبك من نظراتها كما لم يرتبك يوما ، انها لاتكف عن جعلها يشعر انه فارس نبيل وهذا يضنيه .. انه ليس فارسا حتى .. ليس فارسا على الاطلاق ....







تمتم ببعض التشنج وهو يسحب يده بعيدا عن شفتيها " نامي الآن قبل ان تستيقظ سعاد على صوتك هذا الذي لايعرف ضبط نبراته .."

تحركت يدها هي فتحط على كتفه الايسر تكاد تلامس موضع قلبه لتهمس بصدق ورقة حانية " انت رجل طيب جدا يا حذيفة واب رائع مع سعاد .."

بدت منكسرة جدا وهذا آلمه ... اغضبه هذا الضعف الذي يتولد فيه نحوها ، ضعف يجعله يريد استرضائها والتخفيف عنها بأي وسيلة ! وهذا ليس من طبعه .. ليس طبعه ابدا ...

قال بحزم ساخر لاذع

" كفي عن فعل هذا وقول السخافات "

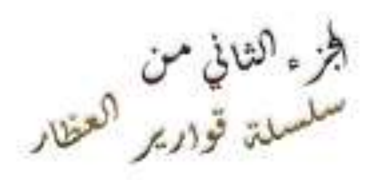
همست لتعبر عن نفسها باريحية تذهله

" انها الحقيقة وليست سخافات .. انا .."

عضت شفتها وتلك اليد تعذبه باقترابها اكثر من موضع قلبه المتفجر لتضع مزيدا من الزيت على النار بقولها " انا اتمناك .. ابا لي احيانا .." ثم تسارع بالاسترضاء والتوضيح

" لاتحنق ... اعلم انك ... متضايق مني منذ اوقعتك في هذه الورطة فلا ينقصك ان اثقل كاهلك برغبتي الحمقاء ان احصل على ابوة معنوية منك افتقدها منذ وفاة والدي رحمه الله"







غزاه احساس عجيب .. كان الامر مختلفا عن اي ضعف نحو انوثتها التي تجذبه لم يفكر وهو يقول بهمس مبحوح ساخر برقة

" حقا .. اذن تريدينني ابا ؟!! "

ثم تحركت يده من شعرها لتحط فوق بطنها فارتعش تأثرا ليهمس بالقول ورأسه يقترب اكثر منها " حسنا ... متطلباتي كـ(أب) مزعجة احيانا ومتملكة ...فتحملينني .."

كانت عيناها متسعتين وبدا واضحا انها لاتفهمه وهو لم يهتم ليشرح لها ! كان في حالة ضبابية من الحاجة للاقتراب منها بطريقة خاصة ... خاصة جدا ...

همس والدم يضج في عروقه

" في وقت النوم عادة اقبّل سعاد ثلاث قبل تحبها مني وتتحمل لاجلها خشونة ذقني .."

يدها التي كانت مستريحة على اسفل كتفه اخذت تدفه بارتعاش لتهمس بارتباك شديد

" مااا..ذا... انا لم .. اقـ.."

لم يعد يشعر بهذرها بينما شفتاه وجدتا طريقهما لرقبتها متجاهلا شهقتها الناعمة المصدومة هامسا قريبا من بشرتها

" اولا على الرقبة .. هنا في التجويف السري حيث تشع رائحة الصابون .. "





انه مجنون .. مجنون تماما لكن ضخ الدم يكاد يفجر شرايينه وارتعاشها يحطمه ليرفع وجهه فتلامس شفتاه خدها هامسا

"ثم بعدها مباشرة على الخد الناعم .."

ارتجافها تزايد بشدة وهمس توسلاتها المتقطعة المضطربة جعلته بطريقة ما يصحو من هذيانه الحار هذا ...

مارس على نفسه ضغطا هائلا ليغير وجهة شفتيه من فمها لـ....اذنها !

فيلامس طارف اذنها برقة ثم يقول بعبث متعمد ساخر " واخيرا ... قرب الاذن وانا اهمس لها .. تصبحين على خير .. مليكتي .."

وبهدوء شديد وسلاسة رفع رأسه ليبتعد بوجهه عنها فينظر لملامحها المضطربة المذعورة وقد التصق جسدها بالسرير فابتسم بسخرية وغمز قائلا

" وبما انك لست مليكتي فساكتفي بالقول تصبحين على خير يا..... مسحورة "

لم يقاوم ملامسة خدها باصبعه ثم اسبل اهدابه وهو يقف على قدميه ليدير ظهره اليها مخفيا ما يعانيه من الكبت ...!

عاد لسريره موليا اياها ظهره .. عيناه مفتوحتان بينما قلبه يهدر ويهدر ويهدر ....





بعد بضعة ايام

فتحت عينيها ببطئ على اطلالة اشعة الشمس ، احساس الألم تعودت عليه وحمدت اللّه انه يخف تدريجيا ...

" صباح الخير .." همسه المبحوح برقته الرجولية العذبة جعلتها ترغب بـ.... البكاء ..

اسبلت اهدابها بضعف بينما تسمع همسه قريبا جدا من خدها " كيف تشعرين ؟"

ردت بهمس ناعم " بخير .. الحمد للّه .."

ليسأل بالحاح وكأنه يكلم طفلة

" والألم يا صغيرة ؟"

ردت وهي تشعر بزغزغات استفزازه تثيرها

" اقل بكثير .."

فتحت عينيها فتصدم بقرب وجهه المبتسم منها فتبعد نظراتها وتداري خجلها بالقول

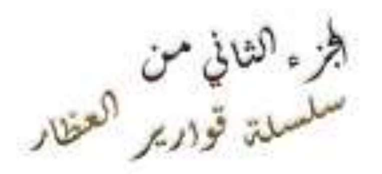
" لم تذهب للعمل ..؟!"

فيضحك بخفة وانفاسه تستفز بشرتها في استجابة مبهجة له " اليوم هو الجمعة .."

عضت شفتها السفلى وهي تتورد هامسة

" آآآ .. نسيت .."







لامس خدها ببطئ شديد بسبابته هامسا

بصوت مبحوح " متى ستنظرين في عيني ؟

مضت ايام على استعادتك لوعيك الكامل

ولكنك لاتنظرين الي .. بل حتى تذبلين

بوجودي "

غرزت اسنانها اكثر في شفتها تحاول خنق

عبرة البكاء لكل هذا الحنان الذي يغدقه

عليها لكن دموعها أبت الامتثال لرغبتها

فسالت بحزن كأنها لحن شجي يحكي

حكاياتها المؤلمة ...

سبابته تلامس تلك الدموع ليهمس بشجن

" دمعاتك هذه تذبحني ايتها الصغيرة الغبية"

ابعدت وجهها جانبا وهي تسأل بتهرب

" اين .. امي ..؟ "

تنهد فلفحتها قوة انفاسه ثم قال " ذهبت مع

رضا للبيت حتى تحضر بعض الاغراض "

يدها اليسرى تتحرك الى جانبها باضطراب

وهي تتساءل ببحة قلقة " ورباب ورقية ؟"

رد بلطف مشاكس " انهما مع اسيا .."

الا يمكنه فقط الابتعاد ؟ انفاسه رائحة

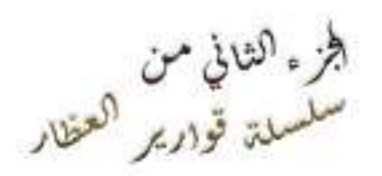
عطره .. وجوده كله يؤلمها اكثر من ألم

جسدها ... تمتمت بضياع " حسنا .."

وأبقت وجهها جانبا تسبل اهدابها بضعف

شديد ...







لحظات وقال بجدية

" اسيا حكت لي .. كل شيء .."

فتحت عينيها على اتساعهما بصدمة دون ان تتجرأ على النظر نحوه ، انفاسها تحشرجت في صدرها والألم ينتشر في كل جسدها وروحها..

شعرته يجلس بجانبها على السرير فابتعدت انفاسه قليلا عن وجهها ليقول المزيد وبصوت ثابت " هل تعرفين معنى تعاطف الضحية مع المعتدي عليها ..؟"

شهقت بعنف وادارت وجهها فتواجه عينيه لاول مرة وتتوسل اليه " ارجوك لاتتكلم .."

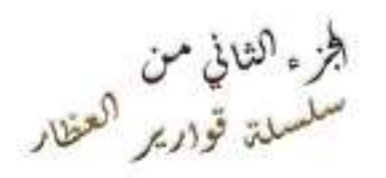
لكنه لم يرضخ لتوسلها فاكمل بملامح غامضة متماسكة " نوعا ما انت تعانين من حالة مشابهة وما يشوش عليك اكثر هو (لحظة ما) ضعفتِ فيها وقد كنت منهارة .. انا افهم هذا وقد مررت بلحظات ضعف عديدة من نوع اخر وارتكبت الحماقات خلالها .."

عادت دموعها لتسيل بقهر وهي تهمس

" توقف... اتوسل اليك .."

للحظة ارتعشت عضلة في خده وتوهجت شعلة ضعف في عينيه سرعان ما تماسك ليقول بصوت رجولي هادئ " لايجب ان تخجلي من خطئك فنحن بشر ونستغفر الله على الدوام لاخطائنا وندعوه لستر عيوبنا "







اتسعت عيناها قليلا بينما دمعاتها تسيل بشرود على طول خدها فابتسم لها بحنان ثم مد يده يمسح خديها تماما من الدموع ويسأل برقة عذبة " هل تستغربين كلامي ؟"

ردت وهي تحدق فيه

" لم اتوقعه ان... يبدر منك ..! "

خبت ابتسامته وشردت نظراته وهو يسترسل

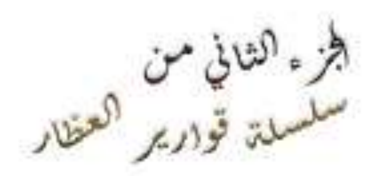
" لقد عشت ضياعا من نوع ما في اولى سني اقامتي في امريكا .. ولو عدت بالوقت لما قبل ذهابي لامريكا فقد كنت دوما في حالة نزاع مع طبع والدي المتحكم السلطوي .. كان رجلا عسكريا بامتياز .. خارج بيته وداخله ...

بعد وفاته ولاني كنت وحيدا تماما قررت الهجرة لامريكا .. كنت اريد الانطلاق .. عشت انفتاحا وحرية لاحدود لهما هناك .. كنت كالجائع ونهم لكل انواع التحرر من القيود ... اخذتني تلك الحياة وضعفت امام المغريات التي لاتعد ولاتحصى .."

عاد بنظراته اليها ليجدها تتابعه باهتمام شديد ، ما زال لايستطيع كبح الألم لرؤية وجهها الشاحب والجرح العميق في جبينها الذي لم يبرأ بعد اما جسدها الذي نحل تماما فكان يجلده بالسياط بكل هذه الاربطة التي تحيط به والجبيرتان لذراعها الايمن واعلى ساقها ...







تنحنح مبتلعا ألمه وشعور بالذنب يعذبه ليتمتم " ثم حصل لي حادث بشع كدت سأموت بسببه "

عبست قليلا وهي تتساءل " حادث سيارة ..؟ "

رد بابتسامة فكاهة " نعم ... لكنها لم تدهسني كحمل وديع مثلك .. وانما كنت اقودها بسرعة جنونية وانا .. ثمل .."

اعترافه البسيط اذهلها بينما تردد " ثمل ؟!"

هز كتفيه وكأنه ما بيده حيلة لاخطاء الماضي ثم اضاف بصدق " قلت لك .. ارتكبت اخطاء فظيعة بحق نفسي وانا شاكر حقا لذلك الحادث الذي جعلني استفيق .."

رفع وجهه عاليا ليحدق في السقف ويكمل قصته " عشت مستقيما بعدها وانغمست في حياة العمل واكمال دراستي العليا .. لكني وصلت لعمر الخامسة والثلاثين وبدأت اشعر بالوحدة والفراغ .. احسست ان حياتي تجف تماما.."

عندها قالت بنبرة غيرة تملكتها بقوة

" فتزوجت سارة ؟"

التفت اليها يحدق في عينيها وتلك الشعلة التي اتقدت فيهما ليرد بلؤم " نعم .. ضعفت وتزوجتها ! ... كانت تحبني .."

كزت على اسنانها تسأله بحنق ناري " وانت ؟"







لم يقاوم وهو يميل اليها واوشك ان يسحق تلك الشفتين الغاضبتين لكنه تراجع عن فعلها فاكتفى بهذا الاقتراب من دفئها ليهمس بارهاق عاطفي مكبوت

" لاتغاري من اي امرأة في الكون حبيبة .. فلا واحدة تضاهيك ألقا وسحرا بروحها .."

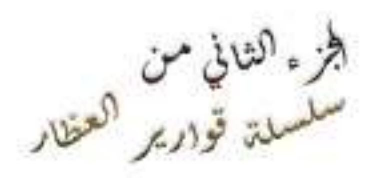
ذاب التحدي من عينيها وغادرت الغيرة تاركة اياها تصارع احساسا عنيفا من نوع آخر فتهمس بألم خانق " انا لااستحقك.."

تشنجت ملامح وجهه ليقول بغضب " لاتقوليها مرة اخرى .. هل فهمت ؟! انت تستحقين من هو افضل مني .. بل تستحقين الافضل ! تستحقين ان تحظي بالحب الحقيقي دون صراعات تنهكك .. دون ازمات .. دون ضغوط ..."

كانت ترتعش وهي تحدق في عينيه الغاضبتين بينما هو يردف بالمزيد وقد فاض به الكيل " حبيبة .. انا قد تقتلني الغيرة لانك شعرت للحظة بالاستسلام له .. لكن من أكون أنا لاحاسبك ؟! كل ما اعرفه وما يهمني ويفترض ان يهمك انت ايضا ان طهارتك .. براءتك ... اكبر بكثير من لحظة ضعف سرعان ما تداركتها .. حياتك حبيبة اهم عندي من اي خطأ تعتبرينه بجهل انه جسيم .."







ثم ابتعد بعنف وهو يحاول السيطرة على مشاعره المستنفرة نحوها بكل اتجاه ليهمس معترفا بصوت أجش وكأنه يذكر نفسه بما قرر فعله " انا ..اخطأت... بحقك .. لم يكن يجب ان اضعف واسايرك بقبول الزواج وانت غير مستعدة عاطفيا .. كان امرا خاطئا .. خاطئ ويجب تصحيحه.. "

تمتمت تسأله باضطراب " ماذا تقصد ؟"

اكتسى ملامحه هدوء غريب غامض ليبتسم لها بل لم يقاوم ان يميل ليطبع قبلة على خدها وهو يهمس لعينيها الخائفتين

" لاشيء محدد.. ارتاحي الآن .."

نادته لاشعوريا وهو يبتعد عنها " يحيى .."

لكنه لم يستجب لما خلف النداء ليقف على قدميه مبتعدا عن سريرها وهو يقول

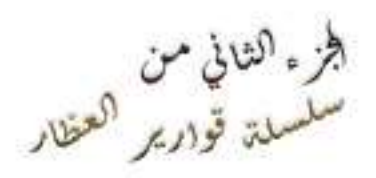
" لااريدك ان تفكري بشيء عدا حبيبة .. اريدك ان تعودي معافاة بالكامل .."

حاولت ان تحرك جسدها لكن الألم منعها لتهمس بسؤال اوجعها " وستكون معي ؟"

حطمه هذا الضعف منها .. انها تحتاج للكثير لتسترد قوتها الجسدية والنفسية ، تحتاج للتفهم حتى تعود لعنفوانها الذي كسر !

قال يطمئنها " مهما حدث .. سأكون معك .. ودائما معك ... وبأي صفة تحلو لك..."







بدلا من ان تطمئن زاد قلقها فتسأله بتحشرج

" ماذا تقصد بـ(أي صفة) ..؟"

رد بسلاسة وهو يضع يديه في جيبي بنطاله

" انا انوي تدليلك ... فاختاري الصفة التي تناسب ما قررتُ فعله ..."

تساءلت بحيرة " تدليلي ؟"

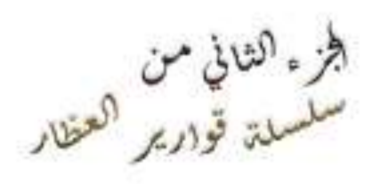
رد غامزا بابتسامة حلوة " نعم .. انسي اني خطيبك او زوجك .. ولنقل اني صديقك المقرب فقط .. صديق يملك تصريحا رسميا لابقى قربك كما اشاء وادللك كما تستحقين ولا احد يملك ان يعترض او ان يمنعني .. "

فتح حذيفة عينيه وهو يتمطى في سريره ، ليلة الامس لم ينم جيدا والحمد لله اليوم هو الجمعة ولا عمل لديه في المعمل فأخذ كفايته تماما من النوم والكسل ...

حرك رأسه جانبا وهو يشعر بخيال يجثم فوقه ! الواقع كان خيالين وليس واحدا فقط لكن احدهما اقصر من ان يصل لمستواه !

تجاهل حذيفة بمشاكسة خشنة الخيال الاطول الذي يبدو عليه العبوس وتوجه لخيال مليكته يبتسم لها بجذل هامسا وهو يفتح ذراعيه لها " صباح الخير حلوى بابا .."







تفاجأ بسعاد لاتستجيب له بينما ترمش بعينيها وهي تتطلع لخلود ثم رفعت ابهامها بعفوية لفمها ليتفاجئ اكثر بخلود تمد يدها وتسحب الابهام من فمها بثقة وحزم وهي تحذرها بالهمس

" ماذا اتفقنا ؟ لن العب معك مرة اخرى "

فتستجيب مليكته لجبروت تلك المجنونة ثم تضع كفها الصغير في كف خلود ..

لم يعد يعجبه هذا فهب بجذعه جالسا عابسا هو يسأل بصوت حانق " ماذا يحصل ؟! لماذا تخفين فوق رأسي هكذا وانا نائم ؟"

شمخت خلود وهي تقول بصلابة " سعاد تريد الالتحاق بالمدرسة كباقي الاطفال "

طرفت عينا حذيفة من خلود لابنته سعاد التي تنظر اليه ببراءة فسأل حذيفة

" هل هي من شكت لك ؟"

ردت خلود بثقة " نعم .."

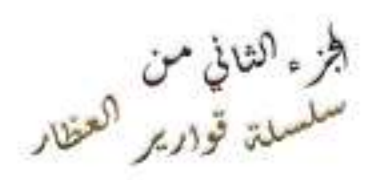
فهز كتفيه بلامبالاة متعمدا استفزاز خلود وهو يقول " حسنا .. هي ما زالت صغيرة لتقبلها اي مدرسة .."

ثم تبسم لصغيرته يناديها بحركة من اصابعه بينما يهمس ببشاشة

" ألم نتكلم في هذا مليكتي ؟"







اوشكت ان تستجيب سعاد لوالدها عندما تشبثت خلود بيدها لتواجه حذيفة بالقول الحازم " رياض الاطفال يقبلونها .. انا سألت بنفسي .."

هتف حذيفة بعبوس ممتعض

" وبأي حق تسألين؟ "

ثم اخذ يتأفف بينما تتجاهل خلود امتعاضه لتقول بتوبيخ " لاتكن عنيدا كالثور هكذا .. الفتاة تحتاج للمشاركة مع اطفال اخرين وعقيل وسامي بدأ دوامهما المدرسي بينما هي تقضي النهار في الملل والتذمر كطفلة افسدها الدلال "

تجاوز لفظ (الثور) منها وقد اوشك ان ينفجر بالضحك ليتمسك بقناع العبوس بتعمد وهو يغادر السرير متوجها ناحية الحمام وهو يقول

" قلت لك مرارا لاتتدخلي .."

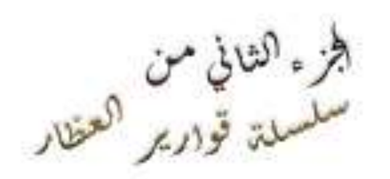
لاحقت خطواته بنارية مشتعلة وهي تسحب ابنته معها بينما تهدر بالقول الغاضب

" انت تقول ما تشاء لكن ...اوووه ..."

طارت باقي الكلمات منها مع طيران بلوزته البيتية عن جذعه فتحلق قليلا للاعلى قبل ان تسقط فوق رأسها !







زمجرت خلود بغضب شديد وهي ترمي البلوزة ارضا تحدق فيه وعيناها تقدحان بالنار بينما هو يبتسم لها باستفزاز ثم انحنى ارضا ليلتقط بلوزته ويناولها لصغيرته سعاد قائلا

" مليكتي هلا اخذت بلوزتي المسكينة لغرفة الغسيل خارجا .."

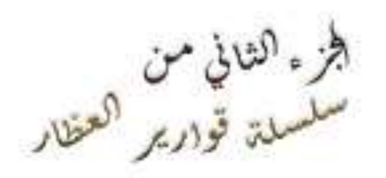
هزت سعاد راسها بنعم وافلتت يدها من يد خلود لتأخذ البلوزة وتسارع بالركض مغادرة الغرفة ومغلقة الباب خلفها تاركة خلود تواجه والدها بمفردها ...

اقترب حذيفة بنظرات عابثة مهددة من خلود التي اخذت تبلع ريقها بصعوبة وقد ادركت انها تجاوزت حدودها معه ...

كانت تتراجع للخلف وهو يستمر باقترابه حتى احتجرها بينه وبين الحائط ..

وضع كفه على الحائط بجانب رأسها ليهمس بصوت قاس اخافها " اسمعي يا سليطة اللسان يا فضولية يا مزعجة ولاتطاق .. ابنتي اربيها بالطريقة التي تعجبني .. انت لاتتدخلين في هذا .. ليس لاني سمحت لك باللعب معها لعبتكما المجنونة بالتدحرج على الارض وشعركما مشعث في كل اتجاه !







او اعود مبكرا للبيت فاجدكما بمناشف
حمام صفراء فبدوتما كصوصيّ دجاجة
بينما تلطخان اظافركما بالالوان .. او تلك
التنورة المضحكة من الخرق الملونة الخشنة
التي خِطتها لها وجعلتني اتحمل شكشكتها
لي طوال الليل .. كل هذا تغاضيت عنه لانه
يبهج سعاد "

عقدت حاجبيها وهي ترفع وجهها عاليا لتحدق
بتحدٍ شجاع في وجهه ذو الملامح القرصانية
بينما هو يضيف بنفس النبرة

" اما قرارات مهمة كذهابها للمدرسة فلا
علاقة لك به .."

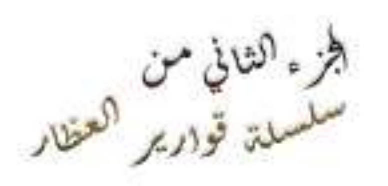
زمجرت بعنف من بين اسنانها فابتسم بسخرية
وهو يرفع حاجبا واحدا قائلا بحلاوة مستفزة

" لااحب هذه الزمجرة تذكرني بالحيوانات
المفترسة وانا لااقتنيها في بيتي "

ثم لم تشعر الا وهو يقترب بجسده اكثر منها
وكأنه يوشك ان يبتلعها بضخامته فابدت
خلود تحديا واصرارا وهي تدفعه في صدره
وتقول " ابتعد حذيفة .. لن ترهبني بافعالك
هذه وانت تتنمر بضخامتك علي .."

تمتم وهو يميل قرب اذنها " ضخامتي ؟! ام
يخجلك مواجهة طرزان وهو عاري الصدر ؟
لااذكر انك خجلت هكذا في اول مرة
رأيتني فيه بنفس المنظر "







تمتمته الساخرة ذكرتها بتلك الليلة عندما سخر منها ايضا واخذ يقبلها كما يقبل سعاد ، ثلاث قبلات ما قبل النوم ! لقد اربكها بل جعل قلبها يئن استجابة لكنها رفضت الاستسلام لعواطفها البلهاء ..

الا يكفي انه تحمل ورطتها ليتحمل منها مشاعرها السخيفة ؟ انها تعلم انه طيب حتى رغم سخريته القاسية منها لكنه رائع وعطوف جدا من الداخل ... لقد تحمل سخافاتها باستمرار .. فعدا تلك الليلة وبكائها المثير للشفقة تذكرت ببؤس ذلك النهار عندما عاد مبكرا ووجدها بمنشفة الحمام الصفراء مع سعاد لتشعر بالحرج

الشديد فتركض هنا وهناك بغباء بحثا عن ملابسها وهو يضرب كفا بكف بينما سعاد اخذت تجري هي الاخرى في انحاء الغرفة ظنا انها لعبة ما !..

وانتهت المهزلة باحتجاز نفسها في الحمام لساعة كاملة فتخرج وتجده يغط على السرير في نوم عميق بملابس العمل وسعاد بملابس نظيفة وشعر مضفور تجلس فوق بطنه تدندن باغنية ما بلغة غريبة ..

رفعت وجهها اليه تنظر اليه بنفس حرج تلك اللحظة قبل يومين فقالت بتورد مختنز وهي تعانده بلسانها الطويل



" لا اخجل من رؤيتك .. نا فقط اشعر بالاختناق وانت تأخذ مساحة الاوكسجين من حولي .."

انفجر حذيفة ضاحكا فابتعد عفويا عنها فغافلته لتهرب من تحت ذراعه تلملم اطراف ثوبها حول جسدها النحيل وتكاد تتعثر بخطواتها الراكضة ناحية الباب بينما تسمع سخريته منها تلاحقها

" اهربي ايتها الارنبة المذعورة .."

عند الباب التفتت اليه فقالت بتحد اخير لم تقاومه " موضوع المدرسة لسعاد لن اتوقف عن المطالبة به .."

ثم خرجت سريعا مغلقة الباب خلفها بعنف !

ضحكاته هدأت ولم يبق منها الا ابتسامة تنبض بالحياة فيهمس ببحة حارة

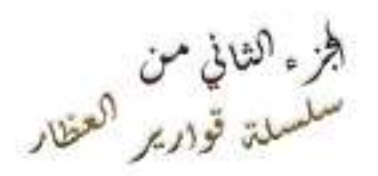
" المشعثة المجنونة.. شهية... الشفتين .."

ليلا...

ابعد شفتيه لاهثا عن شفتيها المغريتين هامسا بانفاس متقطعة من الاثارة بينما كفاه يرتعشان بتلكؤ مرتبك على جسدها " لا ... اشجان .. لا ... ليس هكذا ... فلنتوقف ... هذا حرام .."







نظرت اليه بعينين تخفي مكرهما باظهار اغراء فج لايجيد مراهق كخليل التعامل معه الا باعطائه مسمى عاطفي كالحب ...

لقد صبرت كثيرا وهي تسحب خليل اليها بحذر شديد حتى لاتثير ريبة حذيفة ، لم يكن صعبا استدراجه ليقع في هواها وقد كان ميالا لها منذ البداية لكن ما كان صعبا هو السرية التامة التي حرصت عليها حتى لاتفسد خطتها قبل ان تتمها ...

تعلقت اناملها باطراف قميصه الذي فتحت ازراره بنفسها قبل قليل لتثيره اكثر وهي تلامس صدره بينما هو يقبلها بتلهف لايعبر الا عن مبتدأ يتخبط بقلة خبرته في اساليب تبادل العشق بين رجل وامرأة

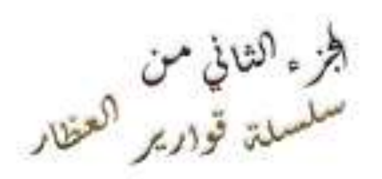
همست وفمها يكاد يلمس فمه " لا تكن متشددا هكذا حبيبي .. كل الشباب يفعلونه .. وانت تحبني اليس كذلك ؟"

رد بوله ساذج " احبك جدا اشجان .."

تصنعت البراءة وهي تحدق في عينيه وتهمس " حسنا .. انا اعتبرك زوجا لي... فهل يرضيك هذا ؟ "

شاب نظراته الولهة بعض الجدية وهو يقول بتهور" اذن دعينا نتزوج حقا.. حتى .. حتى لانفعل ما يغضب اللّه "







ارتبكت للحظة لكنها اجادت دورها وهي تنظر اليه نظرات الاحساس بالذنب وتقول بممازحة " ليس الآن ايها العجول .. سننتظر حتى تكمل الثانوية اولا ..."

ثم منعته الاعتراض وهي تلتهم شفتيه بقبلة مشتعلة ثم ابتعدت بدلال وهي تنظر بتشف داخلي لنظرات الشوق المستعر في عينيه الجميلتين فاضافت ببحة مصطنعة تعني بها العاطفة الحارة " حسنا اراك ليلة الغد في المعمل كما اتفقنا ولاتقلق .. ساحضر لك ما يجعلك اكثر تركيزا في... دراستك "

كان يقاوم بشراسة ادركت هذا وهي تراه يهز رأسه رافضا بوهن

" لا... لا احبذ مجيئك للمعمل "

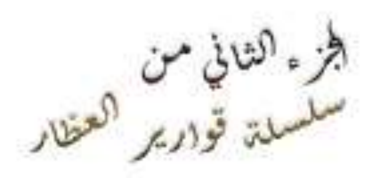
اقتربت واخذت تلامس صدره مرة اخرى وتهمس له

" لماذا غيرت رأيك ؟! ألم اقنعك قبل قليل اننا لن نفعل اكثر من .. تبادل القبل ايها الوسيم الخطير .. تماما كما فعلنا الآن ايها العاطفي المتهور "

ثم غمزت له قائلة بوعد" لكن بدلا من هذا الزقاق المظلم وقد يفاجئنا احدهم سنكون لوحدنا .. وحدنا تماما .."







كانت تدرك انه الان في اضعف حالاته

وكم ودت لو تأخذه لمكان ما فتستفرد به

لكنها آثرت بعض الصبر لتجعله اكثر تشوقا

وبهذا يصبح اكثر ضعفا تجاهها ، كما انها

لاتطيق صبرا للشعور بالنصر ولذة الانتقام

وهي تجعل خليل ينغمس بالرذيلة في عقر

المعمل حيث الامان الذي يعتقد حذيفة انه

يمنحه للفتى ...

تمتم خليل باحساس الذنب الشديد

" لكن .. اشجان .. لااريد .. في المعمل اشعر

اني اخون ثقة حذيفة بي وقد سمح لي

بالبقاء لادرس فقط "

اتخذت ملامحها طابعا رقيقا وهي تهمس لاذنه

" هو سمح لك بالبقاء للدراسة كما تقول وانا

مجرد ضيفة لادللك كما تستحق واعتني

بك فأجعلك اكثر تركيزا يا احمق .."

قبلة اخيرة على فمه لتبتعد بعنف ضاحكة

فتركض بعيدا عنه وهي تلوح له ...

بضع لحظات وهدأت خطواتها الراكضة بين

الازقة المظلمة فتسير بشرود منغمسة

بافكارها وملامح وجهها تتشوه بالوعيد

" حسنا ايها الفتى الغبي .. سأجعلك تحظى

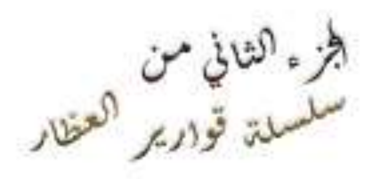
باكثر من مجرد قُبل خرقاء مبتدئة !

ساعلمك كل ما يجعلك مدمنا على جسدي

انا وحدي ...







كما ساجعلك مدمنا على المخدرات التي
ساحضرها لك طواعية حتى لو اضطررت لبيع
جسدي يوميا لاتحصل لك عليها ... "

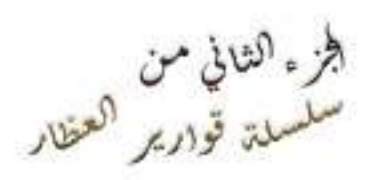
خلعت وشاح شعرها لتنثر خصله على كتفيها
ثم مزقت كمي الفستان من الكتفين
فتكشف عن زنديها المغريين ...

همست بصوت مسموع ينضح سما زعافا

" اقسم لاحرقن قلبك يا حذيفة وقلب تلك
الحقيرة كما حرقت قلبي يوم اتخذتها زوجة
لك وفضلتها علي .. اقسم بكل دمعة
سكبتها ليلة عرسكما الاسود ان اجعلك
تتحطم عذابا وانت ترى حبيبك خليل مجردة
مدمن للشهوة والمخدرات .. لادراسة ..
لامستقبل .... وأرني كيف ستنقذه عندما
يصبح حقا ملك يميني "

سارت بملامح كئيبة تبحث عن موقع لها في
شارع معروف بتواجد الغانيات بينما تخرج من
جيب فستانها احمر شفاه فاقع فتحدق فيه
للحظات ثم همست بغِل وكره

" كل هذا الصمت والهدوء امامك يا حذيفة
يكلفني الكثير... بينما انا اغلي في اعماقي
بالحقد والغضب .. لكن لذة الانتقام برؤية
الانكسار في عينيك وانت تراه محطما
هكذا تستحق مني كل التحمل والصبر ..
وليلة الغد سنبدا باولى الجرعات من ..
الادمانين ...معا! "





الفصل الخامس عشر

ترافقه الذكريات الحية النابضة وسط الظلمة التي يلتجأ اليها برغبته باحثا عن وحدة روحية ينشدها .. يحتاجها ...!

اغمض عينيه يتجرع الألم بكل مذاقاته كلما فرض عليه ذهنه استعادة تلك اللحظة وجسد حبيبة يرتطم بعنف الشاحنة الضخمة لتطير عن الارض مسافة قبل ان تهوي بعنف فوق الاسفلت ويهوي هو في ظلمة مُغيبة في نفس اللحظة !

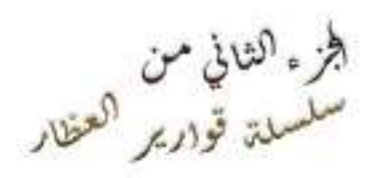
صراخ واكتظاظ وارجل تتراكض بينما هو وجد نفسه دون وعي يعود لسيارته و يقودها ببطئ وانشداه عقلي كامل خدره ... وكأن ما حدث خرج عن نطاق عالمه الواقعي واستيعابه الطبيعي ...

اخذ يلف ويلف لساعات ... ولايعلم اي الطرق سلكها او هي من تسلك دروبها في عقله !

روحه كانت ما تزال مسجاة هناك جنب جسد حبيبة المدمى بينما جسده هو يتحرك بما تبقى من تلك الروح بتتابع ذهني بطيء .. شديييييد البطئ ...

حتى التقطت عيناه بيت عائلته فتفاجئ مبهوتا ! كيف وصل ؟؟ لايعرف !





كل ما يعرفه انه ترجل من سيارته بنفس
الانشداه الذي سيطر على كل حواسه ليتطلع
طويلا لذلك البيت الذي بدا شامخا جدا ..
حقا بدا شامخا بشكل عجائبي بينما هو يشعر
بنفسه صغيرا .. ضئيلا .. مشردا ..تائها ...

حتى هذه اللحظة وبعد مرور اسبوعين على
الحادث لايزال يعيش ذلك الاحساس بتتابع
متكرر لاينتهي كأنه حبيس حلقة محكمة
بل وتضيق نطاقها حوله بدلا من ان تتسع
بتباعد الحدث ....

العجيب في تلك اللحظات وهو لايعرف كم
امضى من الوقت واقفا على عتبة ذلك البيت

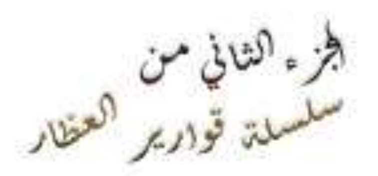
في ظلمة الليل ووسط انشداه عقله بزغت
ذكرى قديمة ..

ذكرة بعيدة .. تعود لمراهقته وهو بسن
الثالثة عشرة ...

عائدا من المدرسة يترجل من الحافلة امام
باب البيت ليقف على عتبته بنفس
الاحساس..انشداه و....دونية لاتوصف ..!

يذكر بوضوح شديد انه حالما دخل البيت
لاقاه وجه ابيه الهادئ فهرب منه لوجه امه
الحاني التي تلاقيه دوما بالاحضان والقبلات
وكأنه سيظل طفلها الصغير المدلل ...







العرق كان يتصبب منه فيهرب من احضان امه كما يهرب من وجه ابيه ليلتجأ لغرفته مدعيا رغبته بالنوم رافضا بتعنت كل محاولات امه

لإطعامه اولا مفضلا الهروب من عيني والده التي كانتا تستنطقانه بصمت ...

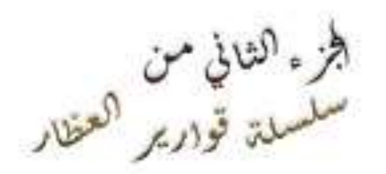
لايعرف كيف اكتسحته تلك الذكرى في اكثر لحظات حياته غرابة وصعوبة ،

اجل .. تذكر في تلك اللحظات تحديدا كل تفاصيل فعلته الشنعاء في مراهقته المبكرة والتي كانت ستودي لحريق هائل قد يتسبب بمقتل كثير من الطلاب ..

فعلة لم يكتشف احد – حتى الآن - انه هو فاعلها ...! لقد تسلل للمنور الخلفي من احدى مباني المدرسة وبعد ان تأكد من خلو المكان اخرج قداحة لاتفارق جيبه يستخدمها احيانا ليشعل سيجارة يفتخر بتدخينها امام زملائه لكن هذه المرة لم يشعل سيجارة بل اشعل النار في كتب قيمة سرقها من استاذه للغة العربية وقد اراد الانتقام منه لتعنيفه اياه وتوبيخه امام باقي زملائه لبعض الشقاوة التي يرتكبها دوما في الصف ...

لذة الشعور بالانتقام لم تدم طويلا عندما اشتعل جزء معشوشب يميل للصفرة ،





ثم تأججت النار باشتياق هستيري للمزيد والمزيد فتأخذ مسارها الجامح نحو بعض قطع الخشب المكسرة الملقاة جانبا ... النار اصبحت نيرانا .... وهو ... مهند .. لم يفعل شيئا سوى الانشداه بعجز عن الإتيان بفعل ما لينقذ الموقف .. فيهرب اخيرا تاركا معالجة الدمار الذي احدثه على عاتق الاخرين ...

تماما كما فعل مع حبيبة في عصر ذلك اليوم المشؤوم ... أحرقها بالخزي والتجنّي عليها بالباطل ثم تخلى عنها وهي مسجاة على الارض تشتعل روحها لتفارق جسدها تاركا للاخرين محاولة انقاذها !

نعم كان مشدوها .. محطما .. يعيش ألما رهيبا وهو يعتقد انه قتل حبيبة لكن .. هل يشفع له هذا ليبرر تخاذله الجبان ؟؟

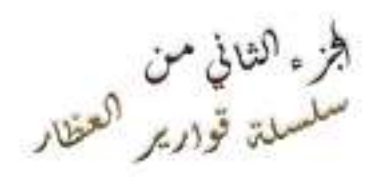
لقد اوشك ان يتسبب بمقتلها حقا وبدلا من ان ينقذها سارع لانقاذ نفسه واللجوء لعائلته...

رفع مهند كفيّه لوجهه يضغط باصابعه بقوة مؤلمة ابتداء من اعلى جبينه ومرورا بصدغيّه ... فخديّه ..

الظلمة .. الظلمة .. يحتاج للظلمة فيتدارى بها من شقائه بنفسه ... اجل نفسه شقية وهو شقي بها وسيحمل ثقل آثامها الى يوم مماته ..







فقد حبيبة ... وفقد نفسه .. وها هو لايرى في نفسه الا شابا طريّ العود متخاذلا ضعيفا..

" صلاة العشاء بنيّ ..."

عبر الظلمة التي يختبئ فيها يبزغ نور والده ودعوة الصلاة ينتظرها دوما في حاجة غريزية للتشبث بيد الانقاذ ... فتتسع تلك الحلقة الشيطانية وتخفف من ضيقها حوله ...

كف والده تهبط على كتفه فيضغط قليلا ويقول بحنان " سنتجاوز معا المحنة .. رحمة اللّه لاتنقطع ابدا بني ... فقط اطلبها بصدق منه وهو سبحانه لن يبخل بها عليك "

في اليوم التالي ... ما بعد الظهر

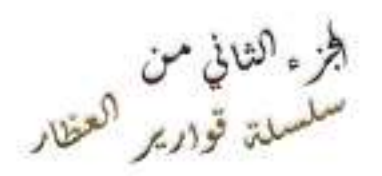
تعمل بشرود على لفات النحاس الاصفر بينما يصيبها القلق من تباعد خليل عنها منذ مجيئه المعمل ظهرا لقد تجنب بوضوح النظر اليها او التواجد قربها !

تأففت وهي تفكر بحنق اسود .. هل سيتراجع هذا الابله ؟!

ابدا ..! لن تسمح له بل لن تعطه فرصة ...

لن يفسد الامر مهما تمنع وتشبث باخلاقياته التافهة التي تمنعه ....







بشحنة من الحنق والقلق رمت البكرة الغليظة من يدها على الارض بعنف والتفتت ناحية رجاء لتهتف بها بغضب غير مبرر

" لقد جعلتني اخطأ باللف مرة اخرى "

نظرت اليها رجاء بعجب لتتساءل " وماذا فعلت أنا ؟! انا اعمل بصمت ولم اكلمك حتى "

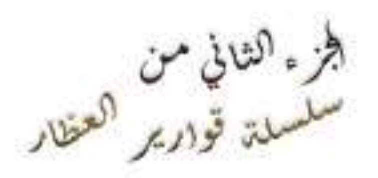
فصرخت بها اشجان تنفس عن بعض مما يعتمل في داخلها وهي تلوح بذارعيها حولها قائلة

" بل انت السبب ! انظري للفوضى التي في المكان ولاتجيدين لف النحاس كما يجب بينما انا اعمل ويجب ان اراقبك بنفس الوقت لاتأكد من اجادتك لعملك "

عقدت رجاء حاجبيها لترمي هي الاخرى بكرتها ارضا وتقف على قدميها تصرخ في اشجان بغضب مماثل " انت لاعلاقة لك بي .. حذيفة منعك من التمرؤس علي .. انا حالي من حالك فلا تترفعي وتظني لنفسك اهمية اعلى من قيمتها " ثم اضافت بلهجة تحمل معاني مستترة " كفي عن النظر عاليا اشجان حتى لاينكسر عنقك ! "

اتسعت عينا اشجان بذهول لجرأة الفتاة الاصغر سنا ثم توحشت نظراتها وزمجرت بعنف قبل ان تهجم على الفتاة فتسقطها ارضا وتكيل لها الصفعات والضربات وأبذأ الشتائم ..







تصاعد جنون اشجان وهي تنزع عن رأس رجاء وشاحها لتشد شعرها بقسوة والفتاة تصرخ وتبكي من شدة الألم بينما اشجان تستمر بعنفها وهي تشتم ببذاءة قذرة ...

لحظات وكان كل العمال متجمهرين ليحاول بعضهم فض الاشتباك وابعاد اشجان عن الفتاة الاصغر والاضعف بنية ، لكن اشجان بدت في حالة تفريغ غضب هستيري ولم يوقفها الا هدير حذيفة المخيف " توقفي اشجان حالا ! " للحظة ارتعشت يداها وهي تكيل صفعة جديدة لوجه رجاء ، فعلى هدير حذيفة اكثر ليبدو مرعبا للجميع

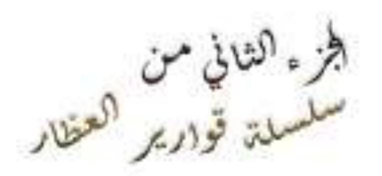
" الآن اشجان ستبتعدين بنفسك دون ان يبعدك احدنا والا اقسم ستنالين ضعف ما تفعلينه بالفتاة "

تراخت ذراعا اشجان لكنها لم تبتعد بينما بكاء رجاء يتعالى بقهر وعجز والجميع التزم الصمت الحذر بمن فيهم خليل المذهول !

تمتم حذيفة دون ان يتطلع لوجوههم

" ليذهب الجميع لاعمالهم .. لااريد رؤية متفرج واحد والا سيكون اخر شيء يتفرج عليه في هذا المعمل .."

تقدم خليل لاشعوريا ناحية اشجان يريد ان يساعدها لتقف وتبتعد عن جسد رجاء لكن قبل ان يلمسها صرخ به حذيفة





" خليل ..! اذهب لانجاز عملك المتأخر .. لم اعطك فرصة الدراسة الصباحية حتى تقضي باقي اليوم في حل نزاعات النساء السخيفة .."

تمتم خليل باعتذار مرتبك وهو ينقل نظراته بين اشجان برأسها المطأطأ وحذيفة بنظراته النارية الغاضبة ليستسلم ويبتعد فيتقدم حذيفة خطوة آمرا بلهجة قاطعة " قفي على قدميك وابتعدي تماما عن الفتاة "

اخيرا رفعت اشجان نظرات سامة لحذيفة فلم تهتز به شعرة بينما يضيف بهدوء قاتل " لاخر مرة اقول لك ابتعدي عن رجاء واذا لم تتحركي حالا ستلفين بكرات النحاس عنك وعنها لبقية اليوم "

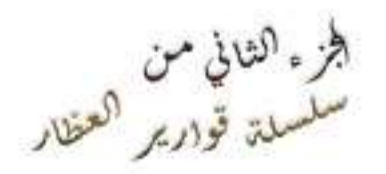
زمجرت اشجان وهي تبتعد بعنف عن رجاء لتقف وتتحرك مبتعدة بخطوات نارية دون ان تنبس بكلمة ...

لم يأبه بها حذيفة لها فتركها تغادر بينما اقترب من الفتاة الاخرى التي ما زالت تبكي وهي تلملم ثوبها حولها وتبحث عن وشاح شعرها الذي نزعته اشجان عن رأسها بعنف، التقط حذيفة الوشاح ومد يده اليها ليقول بهدوء

" خذي وشاحك ... ولاتستفزيها بالكلام مرة اخرى "







فردت رجاء بشهقات البكاء " اقسم بالله لم افعل ! انها هي التي تبدي توترا غير طبيعي منذ الصباح .. وانا اعرف .. اعرف لماذا هي متوترة هكذا !"

التمعت عينا حذيفة ليسألها وهي تقف على قدميها وتلملم شعرها لتشد الوشاح حوله

" اخبريني لماذا هي متوترة ؟"

اخذت عينا رجاء تزوغان بعيدا عنه وهي تتمتم بحرج " لاعلاقة لي .. ارجوك حذيفة .. يكفيني ما نالني منها اليوم "

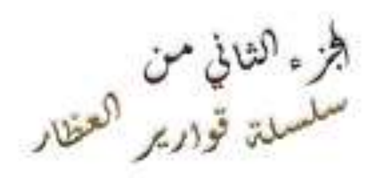
لكن حذيفة وقف في طريقها يمنعها الهرب ليسألها بصوت خافت حازم

" لن اخبرها انك قلت لي شيئا "

ثم اضاف ليطمئنها اكثر " وربما انا اعرف اصلا ما يجول في خاطرك واريد بعض التأكيد لااكثر ..."

كان وجه الفتاة محمرا اصلا من اثر الصفعات لكن احمراره تضاعف وهي تتطرق برأسها ارضا ويدها تمسك بجانب فستانها القديم بارتباك واضح واخيرا تمتمت بخجل " انه .. خـ..ليل .. تظن ..اني غبية ولاافهم ... تظن اني اغبى من ان الاحظ ما تفعله .. تلك النظرات التي... تـ...غويه ..بها عندما تظن ان لااحد متنبه اليها ..."







وهو الابله يتعثر امامها ! لاعرف لم تفعل هذا معه .. انه لايعجبها حتى ..! هي... متوترة اليوم لانه يتحاشاها بشكل .. غريب .. "

تشنجت قبضتا حذيفة وشعر بالدم يصعد لرأسه بضخ مرعب .. اذن حدسه في محله ... لكنه لم يظهر انفعاله وهو يطلب منها بحزم

" لاتخبري احدا بهذا .. لا احد على الاطلاق .. مفهوم يا رجاء ؟ "

هزّت رأسها بنعم وسارعت لتركض هربا من حرجها ...

" هل وجدته ؟"

تطلع يحيى لآسيا بينما همسها يأتيه وسط تهريج رباب ورقية وهما تثرثران مع حبيبة عن يومهما المدرسة ..

حتى الخالة ابتهال بدت منشرحة الصدر وهي تتطلع لفتياتها الثلاث غافلة عن الرابعة التي انتحت بيحيى جانبا تسأله بما يقض مضجعها و... مضجعه ...

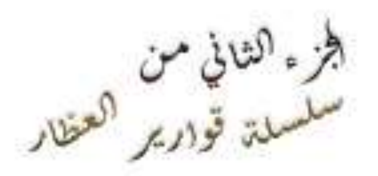
تبسم في وجهها مخفيا توتره هامسا

" لاتقلقي .. لقد وعدتك اني لن اسمح له بأذيتها مرة اخرى .."

لكنها عادت لتسأل باصرار " هل وجدته ؟"







تمتم بهدوء " ليس بعد .. صديقه مجد يناور معي ويرواغ مدعيا انه لايعرف اين هو ولايعرف عنوان عائلته رغم اني علمت بأنهما صديقان قديمان منذ الصغر .."

تشنجت ملامح آسيا وصمتت .. لكنها فاجأته بتراخ متعمد لترسم ابتسامة على وجهها وتخطو نحو مكان جلوس امها على حافة سرير حبيبة قريبا من قدميها ، احتضنت كتفي امها وقبلت رأسها لترد الام على اسيا بقبلة على خدها وتربيتة على ذراعها ...

اسيا ... امرأة غريبة حقا .. عندما رآها للوهلة الاولى اوحت له بمنتهى الهشاشة وما كان ليصدق انها اخت حبيبة ... **فحبيبته المشتعلة** فارعة الطول باهرة المحيا بفتنة مشاكسة لأي رجولة ، انها جذابة كلهب النار..

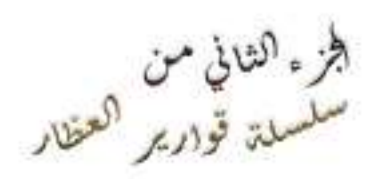
اما اسيا فجمالها هادئ ناعس ، انها ناعمة جدا بهيئتها وتعابير وجهها ... توحي بالسكينة لمن حولها كما تستنفر فيهم روح الحماية والتعامل معها كالخزف الرقيق ...

ربما حجابها ايضا اضاف لهيئتها مزيدا من الروحانية .. لايعلم حقا .. المهم الآن اكتشف كم هي قوية من الداخل ..

قوتها في عائلتها ... لديها تعلق رهيب بهم وقوة هادرة للدفاع عنهم وحمايتهم ...







حقا تليق ان تكون زوجة لرضا بعذوبتها وروحها المعطاء ...

دق قلبه وعيناه تصطدمان بعيني حبيبة ..
ابتلع ريقه يقاوم هذا الوجيب العالي الذي يرتفع بين حنايا صدره ...

ابتسم لها غامزا فابتسمت له بارتعاش تتورد وجنتاها وتذوب نظراتها بعاطفة آسرة ...

حسنا .. سيكون الأمر صعبا .. لكن لابد منه .. لابد منه.. لاجلها ... هو يدين لها بهذا .. ما تشعر به الآن ليس مهما ... المهم ان تجد نفسها اولا ....

تحركت خطواته ناحية الشباك ليستند على ظهره بجانبه بينما عيناه تعودان اليها ..
يحب النظر اليها .. الاحساس انها موجودة ..

يا الهي .. موجودة ..

موجودة على سطح نفس الكوكب !

حيّة...تتنفس.. دافئة بالحياة ..

حياة طويلة هنيئة يتمناها لها وسيسعى جهده ان يوفرها لها بأي وسيلة ...

بأي ثمن .. حتى لو كان (هو يحيى) الثمن ..

اخذ جفنا حبيبة يتراخيان بوهن لكن نظراتها ما زال نحوه هو ....





مستسلمة ليديّ رباب التي اخذت تقسّم شعرها الطويل لخصل متفرقة وتطلب من رقيّة ان تضفر الخصل معها لضفائر صغيرة متعددة ....

كانت الفتاتان تلهوان بينما حبيبة تستمتع بلهوهما بشعرها وهي تستسلم للرقاد ... انها تنام كثيرا والطبيب قال انه امر طبيعي بل وصحي لتستعيد قوتها ...

انغلق الجفنان تماما فسكنت الزرقة الفاتنة خلفهما .. التفت للشباك يحدق في اللاشيء !

خلف قناع وجهه الساكن كانت تضطرم النيران ، سيجده ... سيجده وسيتأكد بنفسه انه لن يقترب ...منها ....

بعد الغروب ...

تحركت بخفة وهسيس التلهف الشيطاني يلوح خطواتها .. الانتقام وشيك ... وشيك جدا ...

ربتت بشرود على جيبها الجانبي حيث اشترت للتو نوعين من المخدرات الرخيصة لكنها كافية لتكون بداية ...

عيناها تشوهت بنظرات الحقد الذي يغلي به جسدها ... آه جسدها ... لقد باعته بالامس .. لرجلين .. اصابها القرف لكنها تحملت وصبرت لاجل المال الذي تحتاجه ...







لاح لها المعمل من بعيد والانارة الخافتة تتسرب من تحت الباب الحديدي الكبير المغلق ..

ابتسمت باسترخاء .. اخيرا سترتوي بالانتقام .. ولابأس من ان ترى خليل ينزل من عليائه واخلاقياته ... سيكون امرا رائعا ان تراه محملا بالذنب للخطيئة الاولى ... لقد جربت هذا الاحساس عندما اغواها حبيبها الاول واقنعها بمعاشرته على افتراض انها ستكون زوجته بل أكد لها انها زوجته فعلا ...

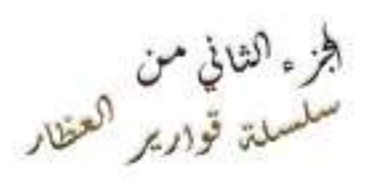
وهي بغباء سلمت له .. لازالت تذكر شعورها عندما انتهى كل شيء .. لازالت تذكر تأثير لمساته التي تشربت بها مسامها لتغور عميقا بذنبها تحت الجلد !

لكنها كابرت .. تخنق احساس الانتهاك وتؤمن بميلاد الرابط الذي يحلل هذا الانتهاك ... لكن ... لا الاحساس مات..ولا الرابط وُلد !

تلهث تقريبا عندما وصلت باب المعمل تطلعت حولها في الظلمة لتتأكد من خلو المكان ثم أتتها الخطوات وابتسامتها تتسع مع كل خطوة فاخذت تنثر شعرها اكثر وتضغط على شفتيها بقوة لتزيد بريق احمر الشفاه ...

فُتح لها الباب الضخم فسارعت للتسلل وهي تضحك بينما الباب يغلق خلفها ...







قالت وهي تستدير لخليل

" لاتقل انك تدرس..."

الكلمات ماتت على شفتيها كما انتحبت الضحكة فتئد فرحتها ويخبو توهجها في عينيها ...

تمتمت وهي تتطلع للعينين الحجريتين المحدقتين فيها " حذ..يفة ؟! "

تكتف حذيفة وهو يستند بظهره للباب الذي اغلقه للتو ليقول بهدوء مرعب " نعم حذيفة ... ومن كنت تتوقعين او .... تريدين ؟ خليل مثلا ؟! "

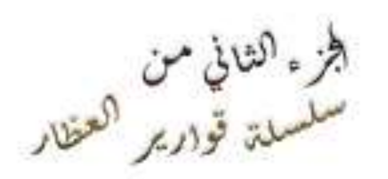
ابتلعت اشجان ريقها بصعوبة وقلبها يقرع في صدرها بينما تتلفت يمينا ويسارا وتهمس بصوت مبحوح من شدة الرعب

" ايـ..ن .. اين ... خليل..."

ابتسامة جانبية ساخرة لاتقلل شعرة من حجم الغضب المرعب الهادر في عينيه ليقول بسلاسة " وماذا يهمك من الفتى ؟! "

ثم اشتعلت نظراته اكثر ليقول بصراحة فجة " انه فتى صغير لن يرضي احتياجاتك .. بينما انا ... استطيع ان افعل ... وانت راغبة بي انا لا هو ..."

نظراته تحركت من اخمص قدميها لاعلى رأسها بينما اشجان ترتعش بالفكرة !





ان تكون بين ذراعي حذيفة .. يا الهي ستموت من شدة العاطفة ان فعلها حقا ...

لم تجرؤ على الاقتراب وهي تتطلع اليه بوله دون ارادتها بينما يقترب منها حذيفة بضخامته الرجولية يحدق في شفتيها بلونهما القاني هامسا بصوت غريب " هل تذكرين اول يوم احضرتك فيه الى هنا يا اشجان ؟ كنت بنفس الهيئة تقريبا مع فارق الشعر الاشقر الفاقع .."

ردت والرغبة فيه تخدرها بينما يقف قريبا جدا من جسدها المتلهف اليه

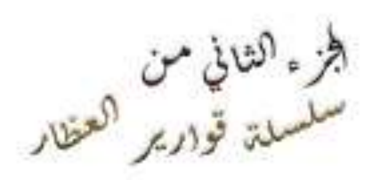
" أأ..أأجل ..أذكر .. اردتني .. ان اترك عملي في ..الشارع واسلك طريقا شريفا ..معك .."

مال حذيفة ناحيتها فارتعد جسدها نداء صاخبا وهي تنتظر قبلته لكنه لم يفعل بل اكتفى بالصوت الساخر

" اذكر انك سألتني (هل تريدني ان اخلع ملابسي ام لا) ؟ "

نظرت اليه بانكسار وقد بهت كل شيء حولها الا هو ! ليضيف حذيفة بقسوة " اعطيتك النظافة ونظفتِ حقا لاشهر لكنك عدت للوساخة وانت تفاجئيني وانا شبه عار آخذ حمامي في الغرفة الخلفية للمعمل .."





تمتمت باختناق ويداها ترتفعان بارتجاف عاطفي لصدره

" لاتقل وساخة .. ارجوك ... كنت اشتاقك طوال الوقت .. انت ... لاتعرف ما اهميتك عندي .."

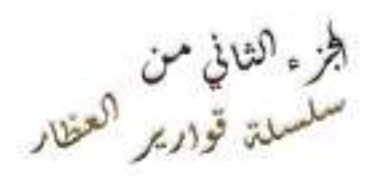
رد وهو يستعدل بوقفته ليمسك كفيّها المرتشعين على صدره قائلا بنبرة غير واضحة " كنت بملابسك الداخلية تقريبا وعرضت علي نفسك دون اي رباط .. فقط حتى لا أتزوج خلود ..."

سهم ناري اخترق نظراتها واشعلها بالغضب والحقد في لحظة بعد ان كانتا ذائبتين بالعاطفة الفجة لتقول من بين اسنانها " وانت رفضتني .. رفضتني بقسوة ... لاجل تلك النحيلة الوضيعة ..."

احتدت نظراته وقست قبضتاه فوق كفيها لكنه تراخى سريعا ليبتسم بسخرية هامسا "اذن فأنت حقا تنتقمين مني يا اشجان لاني رفضت.. عرضك ! فتوجهتِ لـ..خليل "

صرخت وألم رفضه لها لاجل خلود تأجج " اجل .. اردت ان اجعله يصبح خاتما في يدي فاحطمه عندما اقرر انا ... اردت الانتقام منك فيه ... في خليل الذي تحبه اكثر من الجميع وتعامله دوما بشكل خاص .. كما انه اخوها هي ... الحقيرة السارقة ..."





ارتعشت عضلة في خد حذيفة وبدت عيناه هائجتين بالغضب لكنه اكتفى بالقول الغامض " ضربة ذكية منك لاختيارك خليل تحديدا فتنتقمين مني ومن خلود بضربة واحدة ..."

تراجعت اشجان خطوة للخلف وهي تسترد وعيها وسبب مجيئها الليلة فتحدق بهلع هنا وهناك في المعمل بحثا عن اي اثر لخليل لتهمس بالسؤال " اين خليل؟ "

ضحك حذيفة بقسوة بينما يفاجئها وهو يسحب جسدها اليه قائلا باغواء رجولي

" قلت لك انه لن يرضيك .. اما انا فاستطيع ... فما لك به وتسألين عنه .."

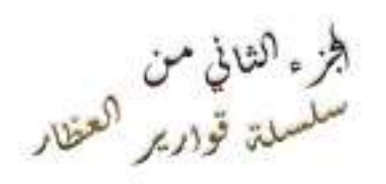
عادت لترتعد بل اوشكت ان تنهار وحذيفة يحتضنها بهذه الطريقة فاخذت تلف ذراعيها حوله والكلمات تتسابق بجموح على شفتيها القانيتين " فليذهب خليل الى الجحيم وليأخذ ... اخته معه ... انت المهم عندي ... انت من اريد حذيفة ... اريدك واحبك ..."

ثم دون انتظار ارتفعت بجسدها لتطبق بشفتيها المحملتين بالشوق فوق شفتيه ..

للحظة شعرت بانها تشتعل لكنها لم تكن الا لحظة ... ففي اللحظة التالية كانت تهوي الى الارض وحذيفة يحدق فيها ببرود ...







اخذ حذيفة يمسح فمه بينما يقول

" هذا... ليس حبا ! انه شهوة قذرة فقط ..."

كانت انفاسها تتسارع في صدرها وهي تحدق لذلك العملاق بغباء لكنها همست بانفعال

" لا .. ليست شهوة .. انها الحب .. "

مرت شفقة سافرة في عينيه اذهلتها وبطريقة ما اشعرتها بالانتقاص !

ثار احساس غامض فيها وكأن كرامة منسية ميتة احتيت من جديد ...

صوت اخر جاء من خلف بكرات النحاس المصففة باكداس في الزاوية القريبة منها

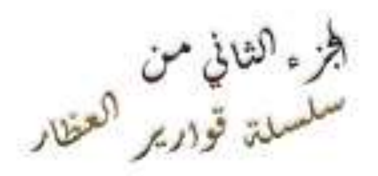
.. صوت بدا محطما مشحونا بالغضب مشحونا بالانكسار ! " لم اعد استطيع التحمل .. يكفي حذيفة .. يكفي .."

تطلعت اشجان بلا تصديق لوجه خليل المكفهر ... بدا مجروحا غاضبا كاعصار ... لكنه يكتمه ليهدر عابثا في صدره الذي يجيش بالانفاس ...

قال حذيفة اخيرا وهو يتطلع اليها بكآبة غريبة " لقد خيبتِ ظني لابعد حد يا اشجان لاتعلمين كم فعلت ...! وهذا هو انتقامك الحقيقي مني ... اردتُ ان ...اعطيك فرصة حقا ... فرصة يحلم بها غيرك ولم يحظَ بها ..







لكن التطبع على القذارة غلبك وكنتِ
تريدين طعني من الخلف لاني لم اتدنَ
لقذراتك معك ... لاني حفظتك واردت لك
العلو عن اهانة جسدك ونفسك "

كان صدرها يعلو يهبط باضطراد وعيناها
غائرتان بعجز .. بدت محطمة بل تمزق القلب
بتحطمها ...

تنظر تارة لخليل ثم تارة اخرى لحذيفة ...

عيناها اغرورقتا بالدموع فاختلطت بمساحيق
الزينة التي تلطخ وجهها لتبدو بائسة ...
بائسة كما لم يرها حذيفة يوما ...

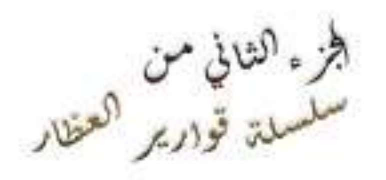
تمتمت وهي تحدق بحذيفة بعذاب

" ارحمني حذيفة .. سامحني ... "

كان حذيفة يهز رأسه وهي تنطق كلماتها
بينما يرد بالقول " لا ... لن افعل .... لقد
حذرتك اشجان واعطيتك بدل الفرصة عدة
فرص لكنك .. خذلت نفسك قبل ان
تخذليني ... ستغادرين العمل هنا الى غير
رجعة "

شعرت انها تضيع ! يا الهي .. هل سيبعدها ... لا
... لاتريد ... المعمل بالنسبة لها هو حذيفة
... وحذيفة يعني ان كل الامور ستكون
بخير .. ان لاحد سيجبرها على شيء .. انها لن
تخاف ابدا .. انها محمية ... حتى وهي ترتكب
الحماقات وبل واكبر الخطايا فهي محمية ...







جحظت عيناها برعب ... لا .. لاتستطيع ترك المعمل ... لاتستطيع ...

هبّت على قدميها وهي تمسح دموعها بعشوائية فتزيده بشاعة بالخطوط السوداء التي غلبت على الوانه لتقول بتوسل وابتزاز عاطفي واضح

" هل تريد رميي للشارع حذيفة ؟؟ هل تريدني ان اعود لما كنت عليه ؟!! لا .. انت قلبك طيب ولن تفعل ... لن تفعل اليس كذلك ؟"

كان خليل يحدق فيها بذهول ... فبعد انكسار كرامته وجد نفسه يرى انكسارا اقوى فيها ...

بدت ذليلة قبيحة مثيرة للشفقة بكل توسلاتها .... يا الهي ما هذا الذل ؟!!

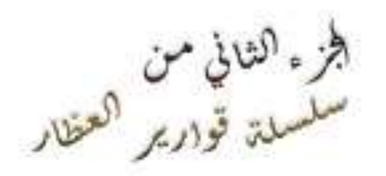
لماذا النساء يذللن انفسهن لهذه الدرجة ؟!

لماذا ؟؟ لايعلم لماذا تذكر امه .. وذل امه امام فواز ... شعر انهما متشابهتان بملامح الذل مع فارق الوضع بينهما ...

اوجعه الاحساس بأمه .. اوجعه ...

جاء صوت حذيفة بعد صمت متوجس طال الجميع ليقول " حسنا .. لن ارميك حتى تعودي لما كنت عليه ولذلك ... ساكلم صاحب مصنع اخر في منطقة صناعية اخرى حتى تعملي عنده "







تقلبت ملامح اشجان بين السعادة اللحظة لتهبط نحو المفاجأة والصدمة فتحل بعدها التعاسة والذعر فينهض الرفض السافر من اعماقها وهي تردد " لا .. لااريد... انا اريد ان اعمل هنا ... معك ... في هذا المعمل .. انا اريدك انت ... "

خليل مبهور بينما قست نظرات حذيفة وهو يقول ببرود شديد

" اذن فأنت لاتريدين ان تعملي حقا يا اشجان .. لاتريدين ان تنظفي ابدا ... انت تريدين امرا لن تحصلي عليه ابدا مني ...! "

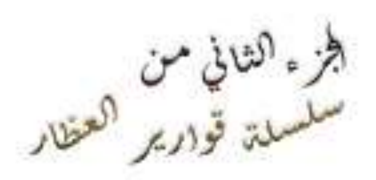
لم تعرف ماذا يجب ان تفعل .. تحدق فيه تتوسله .. تولول وتصرخ وتقتلع شعرها من منابته بل اوشكت ان تلطم وتشق ملابسها التي عليها وكل هذا لم يحرك فيه شعرة بينما خليل يزداد اشفاقا و.. نفورا ....

قال حذيفة بلهجة قاطعة " انتهى الكلام اشجان .. وانا لاطاقة لي لكثرته وانت تعلمين طبعي ، الحياة صعبة وقاسية ولامجال لتحمل كل هذه التفاهات التي تفتعلينها ... "

تشنجت ملامح وجهه وهو يقول " قد أكون فشلت بانقاذك اشجان لكني رجل تعودت الخسائر ! كما ان لدي غيرك لامنحهم الفرص واحاول الحفاظ عليهم حتى يشتد عودهم ...







اما انت .. فيا خسارة ... والف خسارة ... لقد رددت المعروف بالغدر يا اشجان وهذا ما لن استطيع مسامحتك عليه ... "

انهار كل احساس فيها وهي تنظر اليه ... ارتخى ذراعاها جانبا بيأس قاتل وقد ادركت انها خسرت كل شيء .... انها مهما فعلت فلن تحصل على شيء ... اي .. شيء !

بهدوء غريب جرجرت اذيال تحطمها لتغادر بخطوات معنونة باليأس وكأنها تخطو اولى خطواتها نحو الموت الوشيك ...

تحرك خليل في خطوتين اوشك ان يلحقها وقد تمزق قلبه لاجلها لكن حذيفة امسك ذراعه بقوة ومنعه بصوت صارم

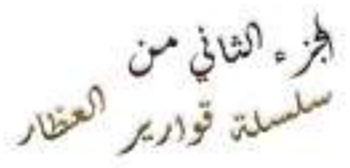
" اياك يا فتى ! اياك واللحاق بها لانها ستأخذك معها الى التهلكة التي لارجعة منها .."

هدر خليل بانفعال والدموع تلمع في عينيه "لماذا كنت قاسيا هكذا ؟! كان بامكانك مسامحتها لتبقى .."

ردد حذيفة بكآبة مؤلمة

" هل تظنني لااهتم حقا ؟! لا .. خليل ... الحياة ستعلمك .. كما علمتني ... ان الهداية لاتأتي الا من صاحبها ..







مهما فعلت لتحاول مساعدته فيجب ان تأتي منه هو اولا .. وبقاء اشجان هنا كان خطرا .. ليس عليك وعلي فحسب وانما على باقي العمال ومنهم من هو قريب من سنها او اكبر قليلا قد يتأثر بها وتضيع حياته معها .. "

ثم اضاف ببعض القسوة التي لاتخلو من الحكمة " العضو الفاسد ان لم يعالج نبتره .."

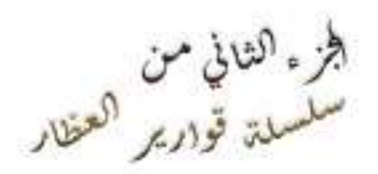
هتف خليل وقد هبطت دمعة على خده " انت تبترها لاجلي انا اليس كذلك ؟؟ تطردها وتشردها للشارع بسببي ؟ حسنا انا اعترف اني كنت غبيا وقد ظننتها تحبني حقا .. انا اعترف اني لا احمل رجولة كافية ترضيها او ترضي غيرها ... اذن أعدها حذيفة ... وانا اعدك اني لن اقربها بأي محاولة .. بل لن اقرب انثى في حياتي .. فقط سامحها ..."

فاض قلب حذيفة بحنين موجع وهو يتذكر جملا غاضبة وجهها له يوما عبد الرحمن

" لاتحاول اثارة عاطفتي لاسامحك ! حتى لو سامحك رضا ومحسن وكل من في البيت ... حتى لو سامحك ابي رحمه اللّه ... انا لن اسامحك ... لن اسامحك لكل ما جعلتني اعيشه خلال السنوات الماضية وانا اظن نفسي سأكون نسخة عنك ! كنت اخاف ان انظر حتى نظرة عابرة لاي فتاة خوفا ان .... ان ...."







لم يشعر حذيفة الا وهو يحتضن خليل هامسا بخشونة " ايها الغبي ألم تسمعني اعرض عليها العمل بمكان اخر ؟ اليس هذا تسامحا مني ؟ لكنها رفضت ..لذلك هي وحدها من تتحمل المسؤولية ... فلا تحمل نفسك ذنبا ليس ذنبك .. وكن ذكيا كما عرفتك دوما .. "

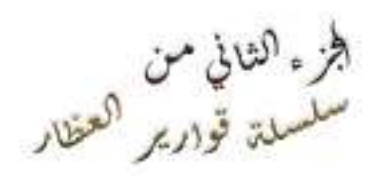
شدد من احتضانه وهو يضيف ليفسر اكثر

" افهم اني لم اعد استطيع ان أامن على الاخرين منها يا خليل ويبدو جليا انها عادت لسيرتها الاولى وانا لن اقضي الوقت ابحث وراءها ومن تغوي !..."

كان خليل متشنجا للغاية مما اثار قلق حذيفة اكثر فقال له بتماسك ونوعا من السخرية المرحة " ثم انت غبي فعلا لتنتظر اثبات رجولة من اشجان .. هل جننت يا فتى لتجعلها هي المقياس ؟! انت رجل حقا بكرامتك وعزة نفسك .. بحمايتك لامك ولاختك .. بالذود عنهما في احلك الظروف وقد كنت تستطيع الهرب من كل هذا والعيش لنفسك ... انت رجل بكفاحك لتدرس وسط كل العراقيل والبؤس ... انت رجل بطيبة قلبك وانت تبكي فتاة كاشجان وتدافع عنها شفقة بها رغم انها ضربت كبرياءك بقوة .."







اخذ خليل يبكي على كتف حذيفة بكاء طفوليا لكن بخشونة صوت رجولي .. ثم اخذ يردد " لقد .. ضربت قلبي .. يا حذيفة .. لم اصدق ما قلته لي قبل ان تأتي هي بنفسها لتقوله بل لتقول ما هو اكثر وافجع ... آه .. ضربت قلبي بمقتل وقد احببتها بصدق "

ضحك حذيفة وهي يضربه بقوة على ظهره "ألم اقل انك غبي بما يكفي ! اي حب واي قلب هذا يا فتى ؟ انها لم تثر الا غريزتك الطبيعية وانت بقمة فورتك كمراهق وارضت غرورك السخيف لانها اختارتك فلا تعش في دراما من صنع خيالك الطائش .."

احمر خليل وهو يبتعد ويكفكف دموعه خجلا دون ان يرد بشيء فاضاف حذيفة وهو يمسك كتفه " عدني ان تكبح جماح نفسك يا خليل ولاتتنزلق لهاوية القذارة الرخيصة ، لاتفسد مشاعرك وطهارة قلبك بهذا الوحل .. عدني يا خليل .. "

كانت المشاعر تجيش في صدر حذيفة بما هو اكبر من ظاهرها بينما يهدر بالمزيد بخشونة حارقة " احفظ اعراض غيرك يحفظ لك اللّه عرضك .. تذكر هذا .. تذكر وعدني الآن .."

تمتم خليل وهو مطأطأ الرأس " أعدك .."





تركه حذيفة ليستجمع قواه وقد احتاج هو الآخر ان يستجمع قواه ، جذب نظره شيء ابيض على الارض بل تذكر انه قد جذب نظره قبل هذا عندما سقط من جيب اشجان !

تقدم بضع خطوات حيث كانت اشجان قبل قليل مرمية على الارض فانحنى والتقط كيسين صغيرين شفافين والمسحوق شديد البياض يتوهج باضاءة المعمل الخافتة ...

صوت خليل جاءه متسائلا بريبة

" ما هذان الكيسان يا حذيفة ؟ "

رد حذيفة بجمود وقلبه ينعصر للمدى الذي ارادته اشجان لانتقامها

" انهما كيسا مخدرات.."

ارتفع حاجبا خليل وهو يهمس

" مخدرات ؟! من أتى بالمخدرات الى المعمل ؟"

التفت اليه حذيفة ليقول بنفس الجمود

" لقد سقطت من جيب اشجان عندما دفعتها عني وأوقعتها ارضا ..."

ليردف حذيفة متمتما بقسوة

" الحقيرة ارادت توريطك بهذا ايضا ..."



ليلا ...

تطلع بابتسامة رقيقة لتلك الضفائر الشقراء

بدت كفتاة من السكان الاصليين لجزر

الهاواي .. بتلك البشرة الحنطية الصافية

والضفائر المبهرجة..

فالصغيرة رباب كما يبدو لم تكتفي

بالضفائر بل زادت عليها بكابسات شعر صغيرة

ملونة وزعتها بحرفية على الضفائر ...

انحنى يحيى ليطبع قبلة تفيض ولها وعشقا

على خدها وقد كان سعيدا ان يختلي بها

بمفرده وهي نائمة هكذا بينما ذهبت الخالة

ابتهال لاداء صلاة العشاء ...

جلس قربها على السرير فيهمس لها

" ارتاحي هذا الاسبوع قدر ما ترغبين

وسأدللك واجلب لك اي ما تشائين ...

ساطعمك بيدي ما تشتهين ...

واقرأ لك اي كتب تفضلين..

سأرسم.. سأغني .. بل سأتعلم ضفر شعرك

هكذا لو اردت .. ثم وانت نائمة هانئة سأحرر

شعرك كما اعلم حقا انك تفضلين "

وبهدوء شديد ورقة متناهية كان ينزع

الكابسات الصغيرة عن ضفائرها بحذر ...



ثم رويدا رويدا كان يحل الضفيرة بعد الاخرى حتى انتشر شعررها الطويل كامواج بحر لايعرف السكون ...

تحشرت انفاسه وهو مفتون بها .. يكاد يجن ليضع اسلاكا شائكة حولها فيحميها حتى تسترد قوتها على الاقل ...

همس بحشرجة وعيناه تقسوان وهو يتذكر اكثر ما يريد حمايتها منه في هذه الفترة

" اعدك ... اني سأجده .. وسأنفيه من حياتك... "

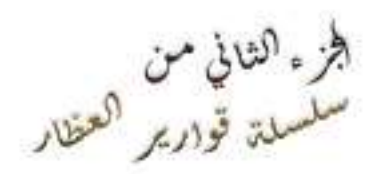
بعد عدة ايام ...

ظهرا ...

" خالتي دعيني فقط اساعدك ...ليس الآن تعصر الطماطم فوق البامياء ، يجب الانتظار قليلا حتى تصفر الحبات الخضر اولا.. "

ثم تبسمت خلود بوجه حماتها وقد بدت ابتسامة مجاملة بشكل مغيظ !

وبسلاسة واصرار سحبت المصفاة من يد حماتها المعترضة المبهوتة لتقول لها وهي تبعدها عن القدر " لابد انك نسيت خالتي هذه الملاحظة المهمة ! لكن لايهم .. انا موجودة وسأساعدك ..."





بفم مفتوح وملامح اختلط الذهول بالغيظ اخذت الحاجة سعاد تنظر بعجز لكنّتها وقد اخذت منها المصفاة (عنوة) ثم بدأت تعتصر الطماطم في حاوية بلاستيكية على جنب لتضيف خلود قائلة بنفس الابتسامة المستفزة " اذهبي خالتي لصديقتك فلا يجوز تركها بمفردها .. انا سأتم الطبخ بنفسي واعدك سيعجب الجميع "

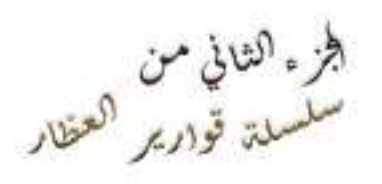
كانت بدرية تعاني الامرين حتى تكتم ضحكات مجنونة تدغدغ صدرها من الداخل برغبة عابثة للانطلاق خارجه مجلجلة بين اركان مطبخ صديقتها الذي يبدو انه يتعرض للغزو والاحتلال !

ما زالت الحاجة سعاد تصارع مع كنّتها ... الغازية الجديدة ! المختلفة جملة وتفصيلا عن كنتيها الاخريتين .. فآسيا اكبر عقلا واكثر تسامحا ورحاب اهدأ طبعا واكثر صبرا.. اما هذه (الكنة الجديدة) فهي حالة نادرة حقا ومستعصية ! بل لم تتصورها بدرية انها بشخصية مسلية لهذا الحد .. انها لاتلقي النكت ولاتمازح حتى لكن يكفي ان تتنقل حولك لتثير الزوابع ما بين غيظ وضحك ...

حادت عينا بدرية للصغيرة سعاد التي تمسك بذيل فستان خلود وكأنها تعرفها طيلة حياتها! سبحانك يا رب .. خلود لم تتم في هذا البيت شهرا واحدا حتى ملأته ضجة !







ضجة وحيوية تجعل الاخرين يحبون الاقتراب منها والاستمتاع بوجودها ... حتى الصغيرة سعاد التي قتلتها الغيرة على ابيها بيوم العرس اصبحت حليفتها الآن وها هي تدفع جدتها بعيدا لنصرة زوجة ابيها !

نادت بدرية على صديقتها وهي تدّعي العتب

" تعالي يا امرأة واسمعي كلام كنّتك ! لايجوز ترك ضيفتك بمفردها "

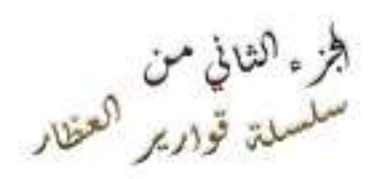
التفتت الحاجة سعاد عابسة الوجه محمرة الخدين والغيظ يطفح منها وهي ما زالت تقاوم بجسدها لتزاحم وقفة خلود المصرة المصممة قرب الطباخ ...

قالت سعاد وهي تكاد ترفع عصاتها لتضرب به رأس هذه الفتاة التي ابتلي بها ابنها " انت لست ضيفة بدرية فلا تغيظيني اكثر "

عندها التفتت خلود ناحية الصغيرة سعاد لتقول لها بجدية " احضري من البراد مزيدا من الطماطم يا صغيرة فالكمية قليلة لقدر كبير كهذا ... "

سعاد الصغيرة هزت رأسها وركضت سريعا ناحية البراد الكبير لتجلب ما طلبته منها خلود بينما لم تجد بدرية بُدا من الوقوف على قدميها لتخطو سريعا ناحية سعاد (الكبيرة) قبل ان ترتكب جناية وتقتل خلود في التو واللحظة وسط المطبخ وقد بانت نظرات الاجرام في عينيها ..





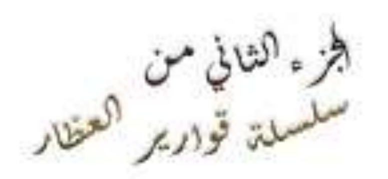
كانت الحاجة سعاد تعض شفتها السفلى بتوحش طفولي مضحك بينما خلود ساهية عنها وهي تعتصر الطماطم بمثابرة ..

امسكت بدرية ذراع سعاد وسحبتها معها عائدة للاريكة الطويلة التي تأخذ جانبا كاملا من احدى جدران المطبخ ...

اخذت سعاد تمسح عن جبينها العرق وهي ترغي وتزبد وتهمس لبدرية بغيظ رهيب

" لااريد هذه الفتاة .. لااحتملها ابدا ... اول ايام لها هنا كانت تمثل دور البريئة المسكينة وهي تعتكف في غرفتها او في جناح رحاب .. لكنها اظهرت جرأتها وقد وجدت طريقها للاسفل .. في عقر داري انا ! تحشر انفها في التنظيف والطبخ وفي كل شيء ، انها تناقشني في كل صغيرة وكبيرة في البيت ! تخيلي بدرية ؟!! لا.. لا.. لا ...لن احتمل ساكلم رضا ليجعل العمال يسرعون ببناء الملحق .. فأنا لن انتظر شهرا اخر بهذا المرار والا سأموت بنوبة سكر او ارتفاع مفاجئ بالضغط ..."

قاومت بدرية رغبتها المجنونة المشاكسة بالضحك لتقول لها همسا وبجدية " اراها فتاة نشيطة ومدبرة وعليك ان تكوني سعيدة لان هناك من يساعدك فأنت كنت دوما تشتكين بأن رحاب لاتفعل واسيا كذلك لم تتدخل بشؤونك "





ردت سعاد وهي تتعمد رفع صوتها ليصل مسامع خلود

" اسيا ورحاب ... يا ليت كل الكنّات مثلهما .. عقل وجمال وزينة وتربية حسنة "

عبست سعاد والغيظ يأكلها اكلا بينما ترى خلود غير متنبهة لها على الاطلاق بل منغمسة تماما بالطبخ وقد اخذت تعد الرز ايضا !

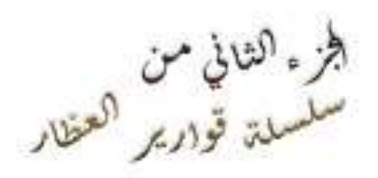
لم تقاوم بدرية هذه المرة لتنفجر ضاحكة فالتفت اليها سعاد تصب عليها جام غضبها المكبوت

" لماذا تضحكين الآن ؟؟ ها ؟؟ لماذا تضحكين ؟؟ لن اكلمك لاسبوع ... واذهبي لبيتك واتركيني ... دعيني بمفردي اعاني الامرين مع مصيبة بيتي ..."

لم تبالي بدرية بكلام سعاد الذي رددته مرارا وتكرارا وعلى مدى اربعين عاما .. هذه هي سعاد ... كلما حنقت او لم تحصل على ما تريد تلجأ لمكرها وتبتز الاخرين بالعاطفة المبالغ فيها او اللوم الشرس الذي لامكان له في الحدث ...

بمكر اكبر من مكرها جذبتها بدرية للحديث حول الملحق الجديد الذي يتم بناؤه على جزء من ارض الحديقة الخلفية .. ثم ادخلتها في الاسعار ومواضيع متفرقة جانبية حتى تنسى مؤقتا غضبها وحنقها من خلود...





لكن في لحظة عدنا لنقطة الصفر عندما اقتربت سعاد الصغيرة من جدتها تطلب تناول مزيدا من الحلويات وقبل ان تنطق الجدة كانت (الكنة) تقول بحزم " لامزيد من الحلويات يا سعاد .. انها تؤذي الاسنان ..."

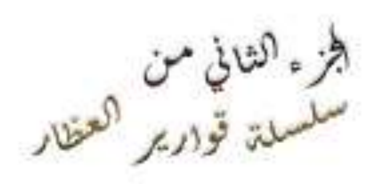
للحظة ظلت بدرية تحدق في خلود بانبهار ! انها تعجبها .. حقا تعجبها ... كل يوم تبدو وكأنها تتفتح اكثر فتظهر شخصية لامعة بطريقة مختلفة عن المعتاد .. تذكرتها يوم عرسها وقد بدت باهتة بالثوب الابيض .. باهتة كبهوت شخصها وهي تحدق بكل ما حولها بارتعاب .....!

نعم كانت مرتعبة وهذا اثار فضول وتوجس بدرية اكثر مما اثار شفقتها ، لم تعرف حتى هذه اللحظة ما الذي توحيه اليها الفتاة الغريبة ... هناك ما يجعلها تشعر ان خلود ينقصها شيء ولاتعرف ماهيته بالضبط ...

اطاعت سعاد الصغيرة زوجة ابيها (ظاهريا) وهي تطأطأ رأسها بانكسار مصطنع نجحت باستدرار عاطفة جدتها فيه فهبت الجدة لتقول بتصميم

" لاضير بمزيد من الحلوى ، والدها يشتري لها الكثير كل يوم ... وعمها رضا يخصها بالمزيد ..."





لتعبس خلود بغير رضا بينما تبتسم الصغيرة الماكرة !

تمتمت بدرية في سرها

" الصغيرة تشابه جدتها بالمكر !"

ثم غلب بدرية طبعها المشاكس لتميل ناحية سعاد فتقول " هل كانت خلود تكلم سعاد الصغيرة ام الكبيرة ؟!"

زمجرت سعاد (الكبيرة) وهي تتحامل على نفسها لتقف ثم تتحرك ناحية الخزانة حيث تحتفظ بالحلويات بكيس كبير فتخرج البعض بل الكثير منها لحفيدتها المبتهجة

وتعود للجلوس قرب صديقتها تغمرها فرحة الانتصار على كنتها المزعجة ..

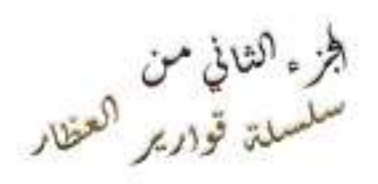
ويالا الاسف...! فالفرحة لم تدم طويلا عندما نادت خلود على سعاد الصغيرة قائلة

" سنأكل الحلوى مع بابا عندما يعود ، الان تعالي وساعديني بعصر الطماطم المتبقية "

وخلال لحظات كانت الحلوى على الارض والصغيرة جالسة على حافة احدى خزانات المطبخ تحقق متعة لم تختبرها سابقا وهي تعتصر الطماطم بيديها الصغيريتين ...

اما (الكبيرة) فكانت تعض اصبعها غيظا ...







بعد العصر ...

بدا يحيى هادئا جدا وهو يقول للرجل الاشيب الذي فتح له الباب الحديدي للتو

" مساء الخير .."

رد له الرجل بابتسامة لطيفة متسائلة

" مساء الخير .. بني .."

كانت يحيى باردا تماما وهو يسأل

" انت والد مهند اليس كذلك ؟"

راقب يحيى بعينين ذكتين تغير تعابير الرجل من الترحاب اللطيف للتوجس ثم .. القلق ..!

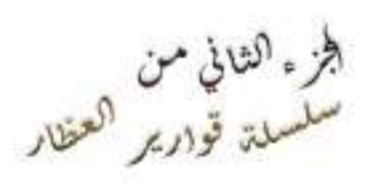
علم عندها ان بغيته هنا ....

تمتم الرجل وهو يخفي قلقه بغير اتقان

" نعم .. انا والد مهند .. تفضل ..! "







الفصل السادس عشر

" نعم .. انا والد مهند .. تفضل ..؟ "

شد يحيى شفتيه وكأنه يحاول التماسك ليسأل بصوت قاس " هل مهند موجود ؟"

ابتلع الرجل ريقه قبل ان يسأل " من انت ؟"

رد يحيى وهو يحدق في عيني الرجل المرتعبتين بوضوح " انا يحيى الصائغ... مدير الشركة التي كان يعمل بها "

بدا الرجل تائها رغم قلقه ، يحاول ايجاد صلة بين مدير الشركة وما يخشاه على ابنه ...

عندها علم يحيى ان والد مهند لايعرف الكثير عن ابنه ...

تمتم يحيى بسؤال مباشر" هل مهند موجود ؟"

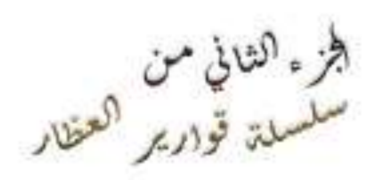
ردة فعل الاب كان النفي السريع " لا ..."

ابتسم يحيى قليلا .. ابتسامته لم تكن مريحة للاب بينما يقول يحيى بلمحة سخرية

" لقد بحثت عنه في عدة اماكن من التي يرتادها عادة بعد ان يئست من عودته لشقته المهجورة منذ اسبوعين .. "

الاب يشحب بينما يحيى يردف بالمزيد وبنفس النبرة " صديقه مجد انكر معرفته بعنوان بيت عائلته فاضطررت لاعرف العنوان.. بطريقة اخرى حتى اصل اليه ... "





تمتم الاب ببعض التعثر وهو يحاول استعادة هيبته ببعض البرود والحزم

" حسنا هو ..مسافر.."

لم يستطع الاب اخفاء توتره عن يحيى الذي كان هو نفسه متوترا اكثر منه ولو لاسباب مختلفة ...

فيحيى يكاد يفقد كل تحضره واحترامه لحرمة البيوت ليدخل هذا البيت عنوة حيث يعرف جيدا ان الحقير مختبئ فيه فيوسعه ضربا ضربا ضربا دون توقف ....

كان صوت يحيى يعبر عن رغبته المهلكة رغم ان نبرات صوته لم ترتفع ليقول بقسوة ضارية

" اذا اتصل بك اخبره ان ثأري معه قد ابتدأ للتو ... للقديم والجديد ..."

توتر الاب تصاعد وقلقه تحول لرعب حقيقي لكنه حاول تلبس قناع الغضب وهو يعقد حاجبيه قائلا " اسمع يا هذا ... لااسمح لك ان تتكـ....."

قاطعه يحيى بوحشية " اخبره ان لايقترب من الخطوط الحمراء مرة اخرى والا اقسم ساكسر ساقيه لاجعله كسيحا طوال حياته "







كان الاب عاجزا وهو ينظر لهذا الرجل الهائج بطريقة رهيبة وكل هذا وصوته لم يرتفع حتى ...

هدر يحيى بالمزيد والاب ما زال عاجز عن الرد بشيء " قل له لو كان رجلا ولديه الجرأة فليأتي ويواجهني انا.. رجل لرجل... بدلا من مواجهة من هم اضعف منه ينهش فيهم دون ضمير او ذرة رجولة .."

كان الاب ينهار وهو يردد بصدق

" لماذا كل هذا ؟؟ لماذا ؟ ماذا فعل ؟ "

تطلع اليه يحيى فادرك انه يقول الحقيقة .. بدا تائها فعلا ... رغم انه يعلم بأن ابنه ارتكب امرا جللا لكنه لايعرف التفاصيل .. مؤكد لايعرفها .... يبدو ان مهند لم يخبره

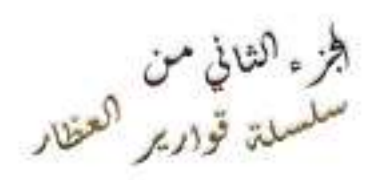
عندها قال يحيى بغموض "اسأله انت ... "

ثم اضاف بسخرية لاذعة

" عندما يعود من سفره طبعا ! "

للحظة اشفق يحيى على الاب .. لكنها مجرد لحظة ... فحياة حبيبة عنده اغلى من اي شيء اخر ... تذكر حبيبة وهي مرمية على سرير المستشفى تعاني الآلام احيانا حتى تدمع عيناها الجميلتان .. تعاني من اعتمادها على الاخرين في كل شيء وهي الفتاة الحيوية التي تعتز باستقلالها ..







تعاني وهي لاتمارس هوايتها الذهنية بالرسم والتصميم .. والاهم تعاني الألم النفسي والشعور انها اقل قيمة مما كانت ...

اهتاجت مشاعر يحيى وهو يتذكر كل هذا فهدر بعنف " اخبره اني سافعل ما بوسعي لاحطم مستقبله كما تلاعب بمستقبل الاخرين بل واقحم حياتهم في لعبة خطرة وحقيرة ترضي انانيته المريضة "

ثم التفت يحيى بحدة ليغادر قبل ان يفقد سيطرته على تصرفاته اكثر ..

عندها انهار الاب تماما وتملكه الجزع فلم يتوان عن الاقتراب والامساك بذراع يحيى هامسا بصوت مثقل

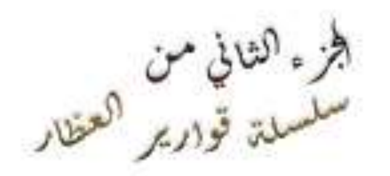
" لحظة من فضلك .. انتظر .."

التفت له يحيى بينما يحاول الاب استجماع كلمات قد ينقذ بها ولده من خطر محدق .. قال الاب باختناق " ارجوك .. يا ولدي .. دعه وشأنه .. انه محطم .. وايا كان ما فعله معك او .. مع ...اناس يهمونك فقد اخذ الجزاء اضعافا .."

رغم تأثر يحيى بحال الاب الا انه تساءل بغضب وقسوة " هل تظن فعلا بهروبه الجبان قد اخذ جزاءه ..؟!!! لا .. لااظن ..."







اخذ الاب يمرر يده فوق شعره الخفيف الاشيب وهو يقول بتأثر يدمي القلب " انت لاتعرف ... لاتعرف ما يعانيه وما سيعانيه دوما .."

ثم حدق بعنفوان في وجه يحيى فسالت دمعة على خده ليقول بصوت مبحوح " ارحم قلب اب .. مهند ولدي الوحيد .. اعطني فرصة لاحاول تعويض ما قصرت فيه معه ... لاحاول انتشاله من الضياع .. اتوسل اليك .. لن يقرب من اي شيء يخصك ولو فعلها واقترب ..رغما عني ... عندها انا اقول لك ..افعل به ما شئت .. وانا ساتقبل عوضي فيه من اللّه .."

تجمدت ملامح يحيى للحظة ثم تغلفت بالغموض وهو يقول " قل له فقط ان لايقترب .. لن ارحمه ولو وقف بيننا جيشا كاملا من الآباء الحزانى والامهات الثكالى...! "

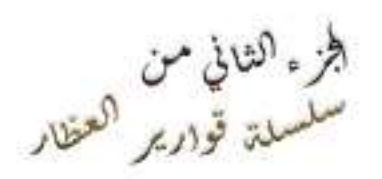
ثم تحرك يحيى ناحية سيارته ليغادر بهدوء غير مريح للاب الذي أخذ يدعو اللّه مهموما

" رحماك ربي فرج همي واكشف غمي ... أنر بصيرتي لانقذ ولدي .. لاتفجعني فيه اكثر ولاتفجع قلب امه المكلومة حسرة عليه ...."

عاد الاب ادراجه داخل البيت ليغلق الباب الحديدي طالبا الستر له ولعائلته دنيا وآخرة ..







ليلا ...

عاد منهكا للبيت .. الظلام خيم والكل آوى لفراشه ، قضى الوقت من بعد المغرب وحتى هذا الوقت المتأخر من الليل مع خليل .. الفتى ما زال تحت تأثير صدمة ما حصل له مع اشجان قبل ايام ... اليوم كان انفعاليا جدا وتشاجر مع زوج امه السكير ...

لقد احتاج حذيفة لهذا الوقت ليتكلمان معا فيمتص نقمة الفتى وغضبه ...

لم يخبر خلود انه مع اخيها حتى لاتقلق عليه وقد اتفق حذيفة مع خليل منذ البداية ان لايخبرا خلود بما حصل مع اشجان .. والا .. فلا احد يضمن ردة فعل خلود !

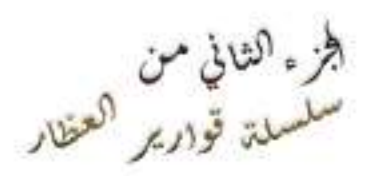
تبسم حذيفة وهو يرتقي درجات السلم متذكرا قول خليل المنفعل وهو يتكلم عن خلود (ستثير الزوابع وتصرخ بي كطفل بل انها ستجر اذني وتعاقبني بالوقوف طويلا امام الحائط .. وانا لن احتمل مزاجها هذا "

صورة (المجنونة الشهية) داعبت خياله فضحك حذيفة بخفة بينما يصل اخر درجة في السلم .. عاد بتفكيره لخليل ...

الفتى ذكي رغم عاطفيته وفي ذلك اليوم الصعب غلب طبعه الحاني على انكسار







رجولته الحديثة وهو يفكر باشجان وما سيؤول اليه مصيرها ...

لقد تعمد حذيفة كشف المخدرات امامه حتى لايحن اليها مرة اخرى يرضي نفسه بمزاعم عاطفة غير حقيقية تصور انه يحملها اليها ...

لقد كان قاسيا .. نعم ... لكن القسوة تنفع احيانا لايقاظ الغافلين من استغراقهم في احلام قد تتحول لكوابيس تدمرهم ...

وقف امام باب الغرفة للحظات .. لابد ان تكون خلود نائمة الآن .. لكنها طمأنته انها ستقنع سعاد الصغيرة بالنوم دون وجوده ..

كانت مزعجة بالحاحها واسئلتها التي تنطلق كمدفع رشاش عبر الهاتف ...

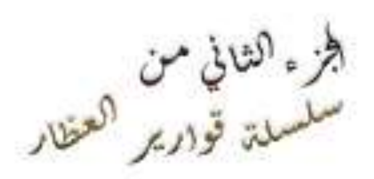
(اين ستذهب ؟ ولماذا ستتأخر ؟ وامك ستقلق عليك ...وابنتك ستبكيك وقد تعودت النوم باحضانك ... وانا سينشغل بالي ولن استطيع النوم .....)

هز حذيفة رأسه وهو يبتسم ... حقيقة ازعاجها حلو ! حلو جدا .....

غامت عيناه وهو يتذكرها بالامس ...

لقد حصل العجاب برأيه !!

كان يوم الجمعة وبعد الغداء العائلي اختلف سامي وسعاد الصغيرة على لعبة ما ..



كبر النزاع بينهما قبل ان يتنبه اليهما احد من الكبار ثم تفاجأ الجميع بسعاد تقبع فوق بطن سامي وهو ممد على الارض بينما تضربه بعنف غريب وحشي على صدره !

كان الامر رهيبا .. رهيبا عليه هو بالتحديد ..

لايعلم لم تذكر ذلك الرجل الذي قتله في السويد .... قتله امام ناظري صغيرته ...

هل فتاته الصغيرة تتذكر ؟

هل تقلده بفعلته ؟!!

وسط جموده رآى سامي يتخلص من عنف سعاد ليركض باكيا لامه فتفاجئه صغيرته بأن تركض هي الاخرى لا اليه هو والدها وانما ركضت لـ... خلود !

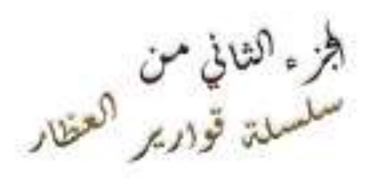
تشكوها ببكاء مرير ..

لجوؤها لخلود انساه تماما عنفها ناحية سامي ..

تنهد وهو يتمتم بمشاكسة " تلك المجنونة اصبحت تسيطر بل وتتلاعب بعقلي وعقل ابنتي .. لقد بدأت اؤمن بالسحر والشعوذة والحسد وكل القوى الخارقة للطبيعة ..."

تنهد وهو يفتح الباب على مهل ... دخل هدوء شديد دون ان يصدر ادنى صوت وقد ادرك ان الصمت والظلمة تخبرانه بوضوح ان كل من يشاركه هذه الغرفة .....نااائم ...





اغلق الباب ثم تطلع مباشرة لسريره اولا ...

خطواته تجمدت للحظة بينما عيناه تتسعان للمشهد امامه ... هل هذه المجنونة تنام نصف جالسة على الارض ؟

تقدم بخطوات تحمل نفس الهدوء الاول ....

وقف قربها .... اجل .. المجنونة كالعادة تفعل امورا لايتوقعها ... ها هي تثني ساقيها تحتها في جلسة غير مريحة بينما تلقي برأسها وذراعها الايمن وجزءا من جذعها فوق سريره الضخم وكل هذا لتمسك بيد ابنته التي تنام قريرة العين مرتاحة كملكة وسط فراش واسع جدا ....

خلع حذاءه وبأنانية صرفة بدلا من ان يوقظها لتعود لسريرها وجد نفسه يجلس ارضا بجانبها يفك ازرار قميصه قليلا ثم يتكأ بذراعه على السرير ويحدق فيها وكأنه يقول لنفسه

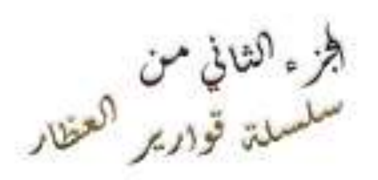
" بماذا تورطت حقا يا حذيفة ؟!! "

ابتسم ... بل شعت ابتسامته بينما يسمع صوت شخيرها لمرة ... مرتين قبل ان يخمد مرة اخرى .... انها .. مرهقة !

مد كفه يبعد شعرها المشعث عن وجهها النائم .. فمها متدل قليلا بسبب وضعية نومها المائلة ، يده لم تترك خصلات شعرها المتمردة فاخذ يملس عليها بشعور مبهج مثير ...







همس بمشاكسة من نوع آخر

" لماذا لم تنامي على سريري يا مجنونة كان سيسعنا نحن الثلاثة ... "

ابتسم ساخرا من نفسه ليبعد يده عن شعرها ويتطلع لمليكته الشقراء ... كانت الصغيرة المدللة غارقة في سبات عميق تحتضن دمية قطنية مضحكة بطول ذراعها .. دمية بلا شعر حقيقي الا من شخبطات بقلم اسود ومبهرجة بالخرق الملونة تماما كخرق التنورة التي خاطتها لها خلود سابقا .. والعينان بدتا غريبتين بنوعين مختلفين من الازرار ... حجما ولونا ...لكن من يبالي ...؟!

فمليكته تحتضنها كأنها كنز بينما يدها الاخرى الصغيرة تحتضن يد خلود ...

خلود .... هذه المجنونة ... بعثرت قلبه بامساكها بيد ابنته ... انها تصر على دك اسواره التي يعيد ترميمها بشق الانفس كلما تصدعت لتفاجئه بتصدع جديد من حيث لايعلم ...!

بدأت تتحرك في نومها بانزعاج فتنهد مبتسما ثم عاد ليلامس شعرها دون محاولة المقاومة حتى ...

مال بفمه يهمس قرب اذنها بسخرية رقيقة

" استيقظي يا كسولة يا مدعية..."



تمتمت بكلمات غير مفهومة فلم يهتم ان
يوقف ازعاجه لها ! كل ما يهمه الان هذا
الشعور وهو في ظلمة رائعة تحطيهما معا
وتجعل مشاعره تتأجج ...

عض شفته السفلى بوقاحة وعبث وهو يفكر
... ربما .. قليل من القبلات سيجعله يشعر
بالتحسن .. ثم فكر بصبيانية الا يستحق
عشرات القبل وقد انقذ اخاها من اشجان ؟؟

ثم عاد وابتسم ليفكر القليل فقط وهي
نائمة تماما هكذا ... لن تشعر حتى بها ....

اقترب بشفتيه من خدها يقبله عدة قبلات
صغيرة فتتسارعت انفاسه ليهمس بصوت خشن

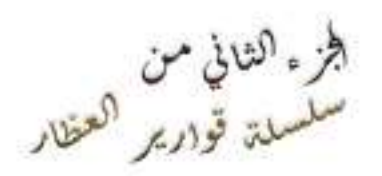
بين قبلة واخرى " قلتِ ستظلين قلقة علي ولن
تنامي حتى اعود ..كم انت كاذبة
ومدعية..."

اوشك ان يفقد كل تعقل عندما اجفلته وهي
تفتح عينيها على حين غرة ثم رفعت رأسها
بقوة فابتعد هو في نفس الوقت ...

اخذت تحدق بشكل غريب ! اولا ... حدقت
فيه ..ثم بعدها فيما حولها ! وقبل ان يجد
عذرا مقنعا يقوله لها لما كان يفعله قالت هي
بصوت شبه نائم رغم عيناها المفتوحتان

" حذيفة ... لماذا تأخرت ؟ "

فتح فمه ليرد لكنها واصلت ثرثرتها " سأذهب
للخالة سعاد واخبرها ! انه رجل مزعج ..."





كانت نائمة ... نائمة تماما ! المجنونة

تتكلم في نومها وتفتح عينيها على وسعهما

دون ان تستيقظ حقا ! انها حتى تظنه لم يعد

للبيت بعد !!

كتم ضحكته وقد كان متسليا للغاية .. بل

شعر ان كل ما كابده طوال هذا النهار البائس

قد ارتحل .....

كانت ما تزال تتلفت وهي لاتراه فعلا ففاجأها

كما فاجأ نفسه ليمسك خديها بين كفيه

ويقربها منه هامسا بصوت أجش ساخر

" لاتشكيني لامي ... لن اتأخر عليك مرة

اخرى ..."

ارتخى جفناها قليلا وهي تهمس بلا تركيز

" هل عدت ؟"

يا الهي كيف يقاوم ... لايريد الا ان يعرف

طعم هذا الفم ...

كان سيلتهم شفتيها عندما صرخت فجأة

" ايها المزعج ابنتك ظلت تبكي وانا تخدرت

ذراعي بينما امسك بيدها طوال نومها حتى

تأتي أنت ...كما وعدتها ... هل كان يجب

عليك التأخر مع اصدقائك كل هذا الوقت

.. انت رجل غير مسؤول ابدا ..."



تحسر على الفم الذي انطلق من عقاله

المتراخي كعادته بينما بدأت خلود تستيقظ

فعلا وهو ما يزال يمسك بخديها بين كفيه

فابعدت يديه عنها لتقف بترنح على قدميها

فتقول له بنصف وعي

" اخيرا سانام في سريري ... حلمت بخليل وامي

... اريد رؤيتهما ..."

ثم تركته وتحركت بخطوات متعثرة تلتجأ

لسريرها وهي توليه ظهرها فتشخر قليلا ثم

تهدأ شخراتها مع استقرار نومها بينما هو

يحدق فيها لايفعل الا ان يعض شفته السفلى

باحساس المحروم الـ...مستمتع ...

بعد اسبوع ... عصرا

رمت الاقلام من يدها فتدحرجت حتى سقط

بعضها عن حافة السرير وهي تهتف بنزق

وشعور بالتعب الحقيقي والألم " لقد تعبت

يحيى .. لااريد محاولة رسم شيء الآن .. "

لحظات مرت ويحيى لايبدي تأثرا او حتى تنبها

بينما يمسك فنجان القهوة في يده يرتشف

منه ببطئ وهو يتطلع عبر شباك الغرفة ...

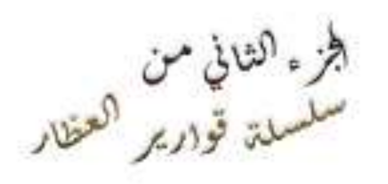
نادته حبيبة بغيظ تقاوم دمعة عنيدة تريد

فرض نفسها على كرامتها الأبية " يحيى !

انظر الي وانا احدثك ..."







بهدوء غامض التفت اليها ينظر نحوها بثبات كثبات فنجانه في يده ..

تمتمت حبيبة باحباط وهي ترخي رأسها على وسادتها " الامر مرهق جدا يا يحيى .. صحيح اني اجيد الرسم بيدي اليسرى كما اليمنى لكني تعودت على اليمنى اكثر "

لم يتحرك من موضعه وهو يقول بهدوء حازم

" بل ستفعلين .. وستتعودين على استعمال اليسرى ... فأنت لن تستخدمي اليمنى لاشهر حتى يلتئم الكسر تماما في ذراعك .. يجب ان تعتادي الامر لتعودي للعمل حال خروجك الاسبوع القادم "

ارتجفت شفتاها تأثرا بقسوته ! كانت تشعر بالضعف الشديد والاحساس بالقهر والعجز بينما جسدها واهن هكذا يضج بآلام متفرقة هنا وهناك ... حاولت التماسك فابتلعت ريقها وهي تحدق في عينيه مباشرة وتقول

" الرسم متعب في .. حالتي هذه .. حتى لو كان بيدي اليمنى "

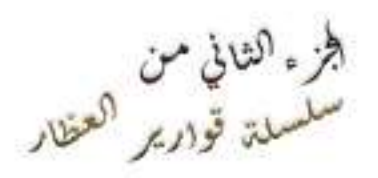
كان يتمزق لاجلها لكنه لم يظهر اي انفعال وهو يعود لارتشاف قهوته قائلا

" لقد اصبحت اقوى بكثير "

ضربت بيدها اليسرى على السرير بينما تعترض بالقول " بل احتاج لمزيد من الراحة "







تعمد الابتسامة الساخرة المستفزة وهو يتقدم نحوها قليلا واضعا فنجانه على منضدة قريبة وهو يقول ببعض الاستهانة " الراحة ام الكسل والتدلل البليد الذي افسدتكِ فيه ؟ "

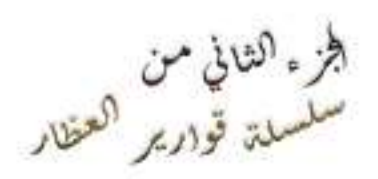
نجح باستفزازها لتتصدى له بعنف ناري

" انا لم اطلب منك تدليلي ؟ انت الذي بالغت في الاسابيع السابقة وانت تغني لي تارة وترسمني تارة اخرى ؟ تحضر لي طعاما تطهوه بنفسك وتصر على اطعامي اياه بيدك محرجا امي ومفجرا التنهدات في صدور الممرضات الولهانات بك وبكل ما تفعله ؟ "

كان يقف قريبا من سريرها فتكتف مبتسما باغاظة وهو يؤنبها بخفة مزعجة " انت تغارين فقط .. تثبتين انك مجرد انثى طفولية سخيفة ولاتريد انثى اخرى تنظر لما تحظى هي به "

رفعت رأسها قليلا تحتج بعنف رغم الألم " انا لست طفلة سخيفة..؟ ثم انك تحرج امي كثيرا بتصرفاتك هذه .. و.. غيرها .. "

رفع حاجبا واحدا قائلا بابتسامة شقية " اذا كنت تلمحين لعصر ذلك اليوم الذي نمت فيه على ذراعي متشبثة بقميصي لساعات فيفترض ان تكوني انت من احرج والدتك وقد احتجزتني بجانبك هكذا حتى تشجنت عضلات عنقي وظهري "



احمرت وهي تعود برأسها للوسادة تطلق تأففا لذيذا بالنسبة اليه تداري به على خجلها ...

تبسم وهو يسبل اهدابه يداري هو الآخر على فوران مشاعره ! لم يخبرها انه توسل لوالدتها لتركها مرتاحة دون ان تزعجها بفك انامالها عن قميصه .. لقد بدت آمنة جدا والسكينة تلون محياها

تمتمت بشرود " كنت... نائمة تماما .. غفوت فجأة وانت تعلمني على ذلك البرنامج الجديد للتصميم .. " نظرت اليه لتلومه بأكثر مما تفصح عنه " كان يفترض ان تبعد يدي عن .. عن .. عن قميصك .."

هزّ كتفيه دون ان ينظر اليها ليقول باستفزاز رقيق " طفلة صغيرة مزعجة متدللة .. لكني اتحملها ..."

عادت لتأفف بقوة " اوووووف "

تنحنح وهو يمد يده للاوراق على حجرها فيسألها بصوت مبحوح

" هل رسمت شيئا مما طلبته منك ..؟ "

تمتمت بعناد وهي تتطلع لرأسه المنحني فوق رسومها او خرابيش رسومها " لن ارسم .."

رفع عينيه الزرقاوين اليها وهو يهمس بثقة

" سترسمين والا سانهي عقدك المكلف مع الشركة .."



همست باختناق ولم تعد تتحمل ما يعتمل في نفسها " يحيى ..."

تجمد للحظة قبل ان يبتسم لوجهها قائلا بلطف يزعجها " نعم .."

لم تفارق عيناها المتألمتان عينيه بينما تسأله بجدية

" هل هناك شيء .... يزعجك مني ؟ "

ارتفع حاجباه قليلا وهو يقول

" لماذا تقولين هذا ؟"

ردت وهي ترخي اهدابها بينما يدها تتحرك بجانبها باضطراب قلق

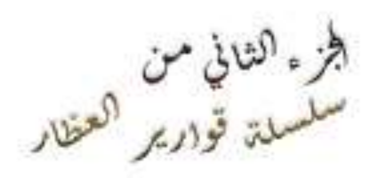
" اشعر ...انك .. تتباعد .."

لم يغفل عن معنى الكلام لكن اختار تجاهله ليقول بتأنيب ساخر " هذه اسخف جملة تقولينها ! انا يوميا معك ادللك واهتم بكل شؤونك ولاابغي الا ان اراك خارج هذا المستشفى معافاة واكثر نشاطا وحيوية من السابق "

رفعت اهدابها وعادت لتتطلع اليه بنظرات ثابتة ... كانت تمعن فيه النظر وهو يواجه تمعنها بشجاعة !

انه يشتاقها ... يشتاقها لابعد حد .. يدللها نعم لكن .. ليس بالشعور الذي يضج في اعماقه مطالبا بتملكها ...





انه لايجد متنفسا لهذا الشعور الا وهي نائمة ..
عندها فقط ينزع قناع اللطف والاهتمام
لتظهر حقيقة العاشق المتيم الذي يتلوى قلبه
من شدة الألم ...

يعلم انها تتشبث به .. لكنها تفتقد دعما
رجوليا في حياتها ... دعم الاب الغائب الذي
كان يفهمها اكثر من الجميع ...

لكن السؤال ... اين قلب الانثى في كل
هذا..؟؟ هل ستحبه يوما بكامل ارادتها
وحريتها ؟ ام ستعترف لنفسها انها احتاجت
وجوده فقط ؟؟

وفي كل الاحوال عاهد نفسه انه سيترك لها
الخيار ولن يطالبها بشيء بل لن يحاول اثارة
انوثتها ليحصل عليها .. يكفي ما عانته من
شد وجذب وانهاك وصراعات في جبهات هي
اكثر جهلا من خوض حروب فيها ...

جاء صوتها باردا حازما وهي تقول " حسنا ..
اعطني الواني ... اريد ان ارسم .. وحدي .."

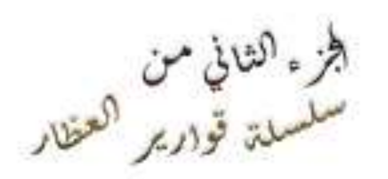
انحنى ارضا ليلتقط اقلامها وهو يسأل بنبرة
هادئة لاتعكس ما يعانيه

" هل ستبدئين بالمشروع الجديد ؟"

مدت يدها لتأخذ الاقلام من يده وهي ترد
بجفاء " سأبدأ لاتقلق .. لكن ليس الآن .. اريد
ان افرغ بعض الشحنات في رأسي .."







ثم حدجته بنظرة محذرة وهي تقول بجدية

" رسوماتي... انت تحديدا لاتطلع عليها ابدا الا باذن مني..... مفهوم ؟ "

ارتعشت عضلة في خده وهو يتمتم بنظرات شاردة " مفهوم ..."

صباح اليوم التالي

كانت تشعر بالارهاق هذا الصباح بينما تضع الشطائر في حقيبتي سامي وعقيل وتوصيهما بأن لاينسيا أكلها ...

سبق سامي والده واخاه راكضا من باب الجناح ليلتقي سعاد في الممر فيركضان سوية على الدرج ليذهبا معا ويلعبا كالعادة في الحديقة قبل ان يغادر سامي للمدرسة مع ابيه واخيه ...

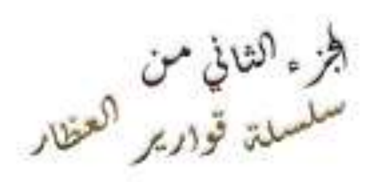
تطلع محسن لوجه زوجته ثم طلب من عقيل ان ينزل قبله ويصبّح على جدته ففعل عقيل برزانته المحببة بينما اقترب محسن من رحاب يمسك حقيبته الجلدية بيد ويرفع يده الاخرى يتطلع لساعته ويقول

" نحن مبكرين اليوم ..."

ثم هبطته يده لشعر رحاب القصير بتلاعب بخصله برقة فيبتسم لها ويسأل باهتمام " هل تشعرين بالندم لاخذك اجازة لعام كامل ؟"







رفعت وجهها لزوجها وهي تقول ببعض الحيرة

" لااعلم محسن .. احيانا اشعر بالندم عندما تنتابني حالة ملل فظيع ، لكني مع هذا مطمئنة لقراري وانا ارى ان تعبي في هذا الحمل مختلف .. اشعر بنفسي ثقيلة جدا رغم اني ما زلت في الخامس، الطبيبة تقول الامر طبيعي ولااعاني من مشكلة وان الحمل يختلف بتاثيره من طفل لاخر "

أمال رأسه ليطبع قبلة على خدها هامسا بمداعبة رقيقة " القسم لايطاق بدونك "

فحدقت فيه تسأله ببعض التوتر " هل .. حقا تفتقدني هناك ؟ الا .."..

ضيق عينيه قليلا بتساؤل وحيرة بينما يراها لاتتم جملتها ..

عيناها بدتا قلقتين حقا ويدها تحركت لاشعوريا لبطنها المنتفخ ...

سألها " ما بك رحاب ؟ هل فعلت شيئا ضايقك؟ "

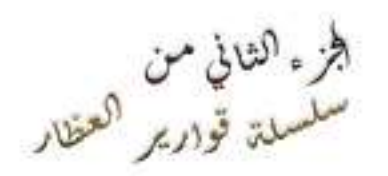
ردت بنظرات مرتبكة وخدين متوردين " لا .. شيء .. انا فقط .. اتساءل عن .. الطلاب و .."

في لحظة توهج معنى محدد في رأسه بينما زوجته تعاني مع جملها المبتورة ..

شعر بالذنب هو يستذكر تفاصيل ما حصل في العام الدراسي الماضي ...







رفع ذقنها عاليا اليه قائلا بكل الحب الذي يحمله في قلبه اليها .. وُلد منذ رآها لاول مرة

" انا احبك رحاب .. هل تعلمين معنى هذه الكلمة ؟! انا اعنيها تماما .. اعني كل حرف منها .. انسي ما حصل في الماضي بكل اخطائه رغم انه قربنا من بعض اكثر .. لذلك تمسكي فقط بهذا القرب والتواصل بيننا .. انا سعيد معك .. سعيد لابعد حد "

اغرورقت عيناها بالدموع تأثرا فهزت رأسها وهي تهمس باختناق " وانا احبك ... احبك جدا ولااعرف هل يصلك حقا ما اشعره نحوك ام لا ..."

ضحك وهو يلامس شفتيها بخفة هامسا بحرارة " ليلة الامس وصل بالتمام والكمال "

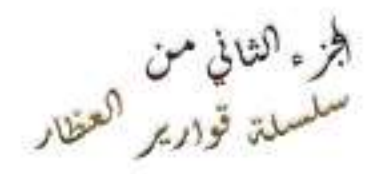
ضحكت رحاب ودمعة تفلت منها فانحنى ليطبع قبلة اخيرة على حافة فمها ثم غادر ليلحق بولديه بينما رحاب تشيعه بنظراتها وهي تشعر بحمل ثقيل ينزاح عن صدرها ...

كان قريبا من نزول الدرج عندما صادف اخاه حذيفة هناك ..

بادره حذيفة بالقاء التحية " صباح الخير "

تمتم محسن ببعض البرود وهو يكاد يهبط الدرجة الاولى " صباح الخير "







اوقفه حذيفة وهو يمد ذراعه امامه ليسال بهدوء " هل ستظل على جفائك معي ؟"

رفع محسن نظراته لاخيه يحدق فيه وهو يشعر بتوهج مشاعره السلبية نحوه ..

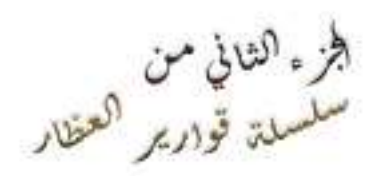
لم يشعر الا وهو يفلت تلك المشاعر بعد طول كبت ليقول بحاجبين معقودين ملقيا بوجهه التهم دفعة واحدة " ماذا تريد مني بالضبط ؟! انت حققت ما تريد ورغما عن انوفنا جميعا ! استغليت ضعف امك المسكينة وهي تخاف هجرانا اخر منك ولويت ذراع رضا باحساسه بالذنب نحوك "

تصلبت ملامح حذيفة قليلا وهو يرد بفتور

" الا ترى انك تظلمني محسن ؟"

لوح محسن بسبابته ناحية حذيفة وصوته يرتفع بالقول الغاضب وهو يفصح عن الكثير مما يحمله في صدره " انت من ظلم نفسه ولست انا ! بل قد ساندتك منذ عودتك ووقفت بجانبك لاساعدك حتى تتخلص من عبء الماضي البغيض ، سنوات وانت منفي عنا بأمر من والدنا دون ان اعلم حتى انك منفي ! وهذا اشعرني بالذنب .. اشعرني اني لم أكن اسند عائلتي كما يجب ، كنت اريد ان اخفف الحمل عن رضا واخذت مكانه وانا اساعدك لبدأ صفحة جديدة تطهر بها صفحاتك السابقات ،







صفحة تمنيتها لك من كل قلبي مع امرأة تناسبك ومن اصل كريم دون ماض شائن وتعقيدات انت بغنى عن التورط فيها .. فخيبت ظني فيك وانت تستغل حتى خطاياك الماضية لتضغط على امنا مبتزا عاطفتها وتبتز رضا ايضا وهو لايريد ان يكرر موقف ابينا معك في الماضي ... لقد فرضت مشيئتك بزيجة اكذوبة من امرأة لاتليق حتى بأسم عائلتك "

احتدت نظرات حذيفة ورغم تماسكه الخارجي الا ان كلماته فاحت برائحة العنف " خلود امرأة طيبة لاتستحق منك هذا القول .. وامنعك ان تهينها او ان تقلل من شأنها "

لم يكن محسن بأقل منه عنفا وهو يرد بخشونة " انت من تهين نفسك دوما وتقلل من شأنك بافعالك الرعناء الطائشة "

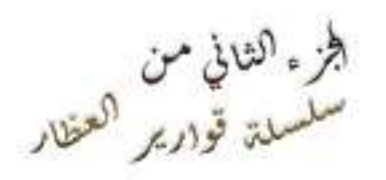
كاد حذيفة ان يفقد اعصابه عندما هب من خلفه اعصار مجنون مصاحب بصراخ انثوي مألوف " لماذا تكلمه هكذا ؟! "

لم تكن الا ذات الفم الكبير وقد حشرت نفسها حشرا بينه وبين اخيه لتبدو مضحكة جدا وهي تتطاول بقامته بعفوية مزمجرة في وجه محسن المتفاجئ !

امسك حذيفة باعلى ذراعها هامسا اسمها بغيظ " خلود .. لاتتدخلي انتِ "







لكنها لم تهتم بتحذير حذيفة بل حتى
نفضت يده عن ذراعها وعادت لتتطاول بقامتها
وهي توجه كلماتها الغاضبة لمحسن قائلة

" من تحسب نفسك ؟! لايحق لك ان تقول
عنه هذا الكلام البائس ..."

كسا البرود ملامح محسن فرفع نظراته
لحذيفة قائلا بقسوة " لو سمحت حذيفة
أسكِتْ من فرضتها علينا زوجة ! "

قبل ان ينفجر به حذيفة كانت خلود تقول
باختناق " انها انا ....انا من فرضت نفسي زوجة
عليه .. وهو كان كريما لابعد حد حتى
لايخذل استنجادي ورأف بحالي وحال اخي .."

اخذ محسن يتطلع لوجهها .. بدت خليطا رهيبا
بين الانكسار والشموخ ...!

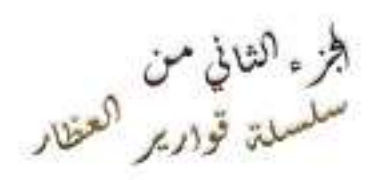
اضافت وهي تمسح بعنف دمعة فرت من عينها

" حذيفة رجل شهم ولن اسمح لك او لغيرك
باهانته ولو بكلمة واحدة ..."

ثم فجأة التفتت خلود لحذيفة تقول له بتهور

" حذيفة .. طلقني ... انا سأعود لبيت ..عا..
اقصد بيتنا .. "

تنهد حذيفة وهو يتطلع لفمها المرتعش تاثرا
ثم قال من بين اسنانه والمشاعر المختلطة
تفتك به " هذا الفم الكبير يئست من
تعليمه معنى الصمت ؟!! "





تمتمت " حذيفة ! "

اسكتها بالقول الصارم " اذهبي لغرفتنا فورا خلود وانتظريني هناك ..."

توترت وهي تهمس " لكن .. حذيفة .. انا "

صرخ بها " حالا ..."

اطرقت براسها وهي تهرول عائدة للغرفة مغلقة الباب خلفها بعنف !

بدا محسن مبهورا من كل ما قيل فعلق قائلا بنبرة غامضة " يبدو ان هناك من يؤمن بك ويقاتل دفاعا عنك بشراسة ..."

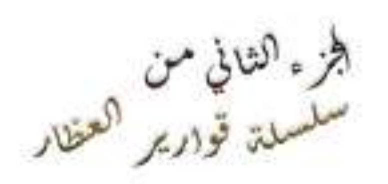
عندها اقترب منه حذيفة محذرا بل مهددا وهو يهمس " اياك .. ثم اياك التكلم معها هكذا مرة اخرى ... انها اخر مرة اتسامح مع تقليلك من شأنها.. ابدا لاتكررها محسن ... ابدا ..."

ثم تركه واستدار عائدا لغرفته بينما محسن يحدق في اثره وابتسامة دهشة صغيرة تداعب ثغره ....

اغلق حذيفة الباب خلفه بنفس العنف الذي اغلقته به خلود قبله ...







حدق فيها وهي تلتصق بظهرها للحائط خلفها تنظر اليه بوجل وهي تضع يدها في قبضة متوترة قرب فمها وبدت .. بدت وكأنها تقضم اظفر ابهامها !

اقترب منها حذيفة يكتم الكثير مما حركته به هذه ... هذه ... يا الهي لم يعد يعرف تسمية يطلقها عليها وتخفف من وطأة ما تشعره به ...!

صرخ بها هادرا " هل استطيع ان اعرف ماذا دهاك لتتدخلي بيني وبين اخي ؟"

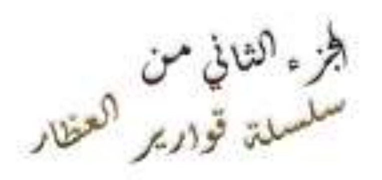
ابعدت يدها عن فمها لتتقدم منه بجرأة هاتفة بشجاعة " اصرخ في وجهي كما تشاء لكني لست نادمة .. انه مغرور "

حدجها بقوة وهو يحذرها بنبرة غاضبة

" خلود ! لاتتجاوزي الحدود "

لكنها اقتربت اكثر منه تتخصر بتحد مستفز وترفع وجها عاليا اليه تقول بحقد طفولي ولسان سليط " اجل مغرور ولا يطاق واقسم بالله لاوجعن غروره بالمزيد اذا سمعته يوجه لك كلاما مماثلا .."







لم يعرف كيف يتصرف ! حقا لم يعرف ...

فترك ليديه حرية الامساك العنيف

بخصرها النحيل من الجانبين ليشدها اليه

هامسا بخشونة " تعالي .."

شهقت وهي ترمش بعينيها خوفا هامسة

" ماذا ؟ ما...ذا ؟؟"

بدت خائفة منه ولبؤسه وشقائه خوفها لم

يكن في الاتجاه الذي تبتغيه مشاعره

المحترقة !

بدت وكأنها تتوقع منه ضربها مثلا !!

انها مجنونة .. حقا مجنونة ولا وصف ادق

لحالها ...

تعجبه .. تعجبه جدا ... جدا!!!!

أحني رأسه ناحيتها وانفاسها تشتعل وهي

لاتشعر به فهمس بخشونة مهددة

" لقد اتفقنا ان عائلتي خط احمر .."

لم تهابه وهي ترد بحمائية عالية " وانت

بالنسبة لي خط احمر فليلزم هو حدوده

معك فالزمها انا .."

كان يصارع نفسه في نفسه بينما يجاهد

للقول " انا لا احتاجك لدفاعك المستميت

هذا ، صدقيني اجيد الدفاع عن نفسي بما

لايخطر لك على بال "







الاحساس بها بين يديه قاتل .. قاااااااتل...

بينما هي تستمر بهذرها العصبي

" لم ارك تدافع بشيء هناك! "

عيناه لم تفارقا شفتيها وقد انتصر احد
وحوشه في الصراع الدائر في احشائه ليهمس
بفقدان سيطرة وهو يكز على اسنانه

" هذا الفم ! ..."

ربااااه ... كانت تفرفر كعصفور ضعيف وهو
يسحقها على صدره .. كما اشتهى ان يفعل من
زمن ... زمن بدا طويل جدا ...

الفم الكبير كان لينا دافئا بل مشتعلا وربما
هما شفتاه من تشعل تلك الشفتين الشهيتين ..

شعر برفرفة على كتفيه فادرك متأخرا انها
تقاوم ! يا الهي هل جن ؟! ماذا يفعل ؟؟

ابتعد في لحظة يخفي صدمته من فقدانه
السيطرة هكذا بشق الانفس بينما هي تمتم
بما يغيظه " لماذا .. فعلت هذا .."

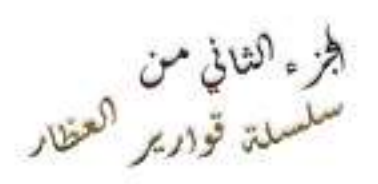
كان ما يزال يلصقها بصدره ولم يجد القوة
ليبعدها الآن .. كفى ما استهلكه من القوة
وهو يبتعد بشفتيه عنها ...

تمتم بتسلية رقيقة وبصوت مبحوح

" انها الوسيلة الوحيدة لاسكاتك "







عادت لترفرف بقبضتيها على كتفيه وهي تهمس بانفاس متقطعة لاهثة

" لـ...ا....لا.. تفعله مرة اخرى .. ارجوك .."

لم يستطع مقاومة ان يعتصرها اكثر لصدره حتى كاد يحطم اضلاعها وهي تتأوه بينما قال بصوت أجش بلمحة سخرية ناعمة

" قلبك يدق بعنف .."

بعد ان عجزت عن تحرير نفسها اخذت تدير رأسها بعيدا بكل اتجاه وهي تهمس

" فقط لاتفعله حذيفة .. انا .."

تمتم وهو يتشممها " انت ماذا ..؟"

اوشكت عبرة بكاء ان تفلت منها وهي تتوسله بالهمس الضعيف وعيناها استقرتا في عينيه

" لااريدك ان تسخر مني في هذا .. اسخر مني بأي شيء اخر .. اضحك علي وانا ابكي افزعني من النوم صباحا وانت توبخني .. اضحك علي ليلا وانا اخبرك بغباء ان اتمناك ابا لي كسعاد فتسخر مني وانت تقبلني الثلاث قبلات .."

داعبها بالقول المشاكس " لقد عددتها .."

فعبست وهي ترد " بل انت قلت العدد .."







ابتسامة شقية على شفتيه بينما كفاه تتحركان بشغف وبغير ارادة منه على طول ظهرها .. انه فقط يعيش .. يشعر انه يعيش ....

بينما تأوهت هي بعذاب هامسة " يا الهي ... ارجوك .. حذيفة .. لاتلمسني هكذا ... ارجوك .. لاتتلاعب بي .. انا لااستحق مزيدا من الألم .."

حالما ذكرت الألم توقفت يداه عما تفعلانه فحدق فيها طويلا وملامحه تنغلق بتعابيرها ثم فاجأها بالسؤال وهو يرخي حصاره لجسدها

" اين سعاد ؟"

تمتمت وهي تشعر بالضياع " تلعب مع سامي في .. الحديقة ... قبل ذهابه للمدرسة ... كنت ذاهبة لاحضارها .."

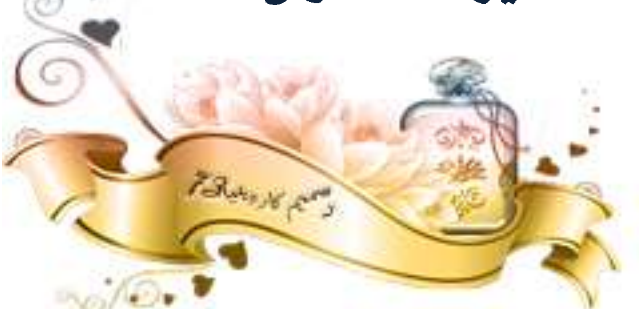
تركها لتتحرر منه تماما فهربت منه بخطوات متعثرة ناحية باب الغرفة..

ناداها بغموض " خلود .."

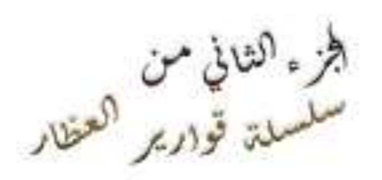
فالتفتت اليه وقد بدت هشة جدا " نعم .."

غامت عيناه بما استعصى عليها فهمه وهو يقول " شكرا لانك تعتنين جيدا بسعاد .."

هزت رأسها ببلاهة بينما يضيف بنفس التعابير والملامح " وشكرا لانك .. دافعت عني بتلك الشراسة .. لم يفعلها احد غيرك منذ زمن بعيييييييييد"







قلبها ينبض في صدرها يكاد يصرخ هياما به ... هربت .. تركض خارجة من الغرفة تهرول على الدرج وقلبها يصرخ .. آه من حبك الذي يتملكني يا حذيفة ....

ظهرا ..

لم يتقيد باوامرها التي تقضي ان لايقترب هو تحديدا من رسومها الخاصة الا باذنها .. حسنا ... انه رجل كان يخالف القوانين دوما في مراهقته وشبابه اليافع فما الضير من بعض المخالفات ؟!!!

تبسم يحيى وهو يسحب بخفة اوراق الرسوم التي كانت تضعها تحت يدها وتقلبها على ظهرها حتى لايتطلع اليها احد ...

هي نائمة نوما عميقا وبدت متعبة .. متعبة جدا الى درجة شعر معها بالذنب لانه يضغط عليها لتستعيد نشاطها وحيويتها ...

لكن يجب ان يفعل ... يجب ان يشدها لتخرج للعالم قوية من جديد ...

تبسم وهو يقلب الرسومات .. كانت رسوما شخصية لااكثر....

امها وهي تقرأ القران على الاريكة الجانبية لغرفة المستشفى ..



آسيا تتطلع بشرود من الشباك ومسبحتها في يدها وقد اجادت اضفاء روحانية على صورة اسيا تحديدا بذلك الحجاب المتطاير قرب كفها المفتوح المرفوع وكأنها تبعث دعوة للسماء ...

رباب بوجه شقيّ ضاحك وخصل شعرها العسلية تتطاير بطريقة مضحكة متفرقة بمجاميع تبدو وكأنها محمولة ! ثم ادرك ببعض التدقيق ان الخصل محمولة فعلا بنحلات صغيرات طائرات حولها .. ابتسم يحيى باستمتاع للفكرة ... شعر عسلي ونحلات يهتممن به ويتلاعبن فيه ...

ثم الصغيرة .. ذات العينان الزرقاوان الشاكيتان في تدلل .. وشفتاها الممتلئتان مبرومتان بخصام وعتب .. لكنها ابدعت برسم انوثة رقية المميزة ... بتعبير وجهها الخاص..

قلب الورق ليأتيه بياض .. عبس .. وهو يقلب اكثر فبياض اخر .. اذن ..هل هذا كل ما رسمته اليوم ؟ فقلب اكثر واكثر حتى .. طالعته عيناه !

رسم دقيق جدا لتفاصيل عينيه .. عيناه وحاجباه فقط .. الزرقة فيهما حية .. ترسم اختلاج مشاعر غير واضحة ..





لمعة من التحدي ومشاعر مكبوتة .. لكنها غير واضحة ...

يا الهي ... ابهرته ... لكنها حطمته ايضا !

لقد بدات تشك ..تشك انه ..لم يعد يحبها.!

اجل ... انه لايرى تعابير العشق في رسم عينيه ... لاتراه ابدا لترسمه .....!

للحظة اراد رمي الاوراق وايقاظها من نومها بقبلات مشتعلة تعبر عن بعض الشوق الذي يقتله والعشق الذي يضنيه ...

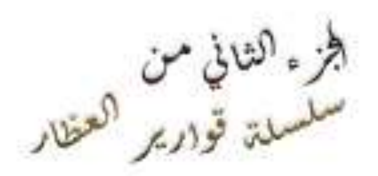
لكنه .. تماسك ... تماسك والاوراق ترتعش في يديه وهو يحدق فيها ...

قبيل الغروب ....

عند باب الغرفة كان حذيفة يحاول جاهدا رسم ابتسامة على شفتيه ، لقد استطاع فعلها امام امه وخداعها بسهولة حول بساطة الجرح في يده المضمدة برباط طبي ...

اما خلود فأمر آخر ... يحتاج منه لمجهود مضاعف .... اخذ نفسا قبل ان يرسم تلك الابتسامة ضاغطا على احساس الألم النابض في يده المجروحة ...





انه يشعر حتى بارتفاع حرارته وبضعف عام في كل جسده وهو امر متوقع مع الجرح البليغ الذي احدثه في يده بغباء بتلك الماكنة القاطعة ...

كان غبيا حقا وهو يشرد بعقله هائما بما حصل بينه وبين خلود صباح اليوم...

فتح باب الغرفة ليدخل وهو يرمي سلاما معتادا " مرحبا .."

تأوه وكتلة بشرية هوجاء تنطلق ناحية جسده بعنف تتعلق برقبته وتبكي بحرقة !

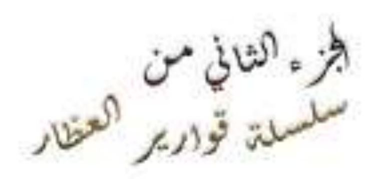
ابتلع ريقه بصعوبة وهو يهمس بصوت أجش ساخر " ماذا حصل لكل هذا الاستقبال العاطفي الباكي ؟!"

ردت بصوت متقطع من شدة البكاء دون ان تفلت تعلقها برقبته " خليل ... قال انك .. اوشكت .. على فقد ... آآآه .. "

شتم خليل في سره ، هذا الفتى الثرثار يبدو انه اتصل باخته بعد ان غادرا معا المستوصف الطبي حيث عالجوا له جرحه البليغ واعطوه بعض الدم تعويضا عما فقده ...

حسنا ..يعترف انه اوشك حقا على قطع يده !







اخذ نفسا عميقا وهو يربت على شعرها قائلا

بارهاق جسدي ومعنوي " اششششش ... انا مرهق
خلود وقد نزفت كثيرا .. احتاج فقط للراحة
.. تعالي وساعديني لخلع قميصي هذا فقد
كرهت رائحة المستوصف الطبي الذي كنت
فيه وعلقت رائحته به "

سارعت خلود للابتعاد وهي تمسح وجهها وتقول
" اجل اجل .. تعال .. ارتاح "

قادته ليجلس على سريره وقد بدا شاحبا
لدرجة مقلقة ...

كانت تتحامل على نفسها حتى لاتجهش
بالبكاء مرة اخرى بينما تفك ازرار قميصه
وتخلعه على ذراعه السليم اولا ثم تنحني
بعفوية لتخلعه بحذر شديد عن ذراعه الآخر
بينما تشعر بلهاثه على رقبتها ..

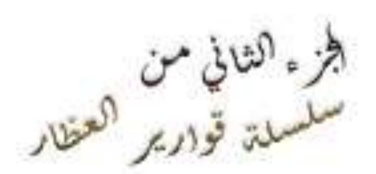
اصابها القلق وهي تترك القميص لتحدق في
وجهه للحظة تسأله

" هل انت بخير ؟ هل آلمتك ؟"

فتح فمه ليرد لتفاجئه بموجة بكاء جديد
وهذه المرة اغرقت وجهها في عنقه تبكي
بحرقة وهي تلف ذراعيها حول جذعه تشده
اليها باحساس ارتعاب وخوف ...

تمتم بصعوبة وهو يحاول ان يكون ساخرا
كعادته " ماذا الان ؟ لماذا عدت للبكاء ؟ "





همست وهي تبلل عنقه بدموعها " انا خفت عليك .. لااحتمل ان يصيبك مكروه ..."

ذراعه السليمة التفت حول جسدها وهو يهمس " لم اصب بمكروه .. انه مجرد جرح .."

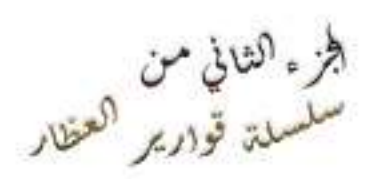
رفعت وجهها تنظر اليه بنظرات هائمة جعلت عيناه تتسعان فتهمس بشغف غريب ينضح صدقا وبراءة في آن واحد " انا احبك .. انا حمقاء اعرف ولا يحق لي حبك.. لكني لم استطع الا ان احبك .. واتألم بوجع لايحتمل لاي أذى يصيبك .."

شهقت وعيناه تشتعلان ليميل معها بنفس الوقت بعنف عاطفي ...

كانت في لحظة مضطجعة بظهرها على السرير وحذيفة يشرف فوقها بضخامته ، صدره العاري يعلو ويهبط بقوة وعيناه تأججان بمزيد من الاشتعال ليهدر بعنف عاطفي اكبر " خلود ... يا خلود ... ياالهي .. اين كان زماني يخبؤك لي ؟!! "

هبط اليها بشفتيه هامسا بخشونة " طاقتي على التحمل والمقاومة ...... انتـ....هت ..."







الفصل السابع عشر

مارد مجنون هبّ من قمقمه نافضا سباته بعنف
بعد ان كان لفترة طويلة يعاني تململا قلقا
في غفوته الاختيارية .... كان كل ما يحدث
له هائجا .. عاصفا ... مجنونا ! كامواج بحر
متلاطمة وقد بلغت اعلاها لتغرق كل سفن
التراجع معها .. عاطفته كانت تتصاعد
بشكل ينهك جسده بينما خلود تتلوى بين
ذراعيه تتمتم جزعا بهمسات متقطعة ضعيفة
شديدة الانوثة تزيده اشتعالا ورغبة فيها

" حـ..ذيفة .. بالله..علـيـ..ـك .. توقف "

لكنه لم يكن يفهم الطلب فهمساتها كانت
ذو معنى مختلف لحواسه التي اشتعلت في
لحظة ..

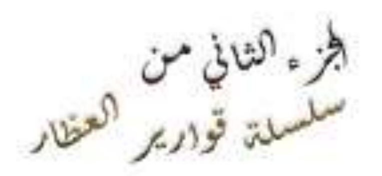
ذراعه السليمة تلتف كطوق حول جسدها
بينما يده المضمدة ترتعش بضعف وهي تلامس
ازرار ثوبها لتفتحه بحركات خرقاء ضعيفة ..
يا الهي لم يشعر في حياته بكل هذا التوق !
جسده يخذله من شدة رغبته فيها .. لقد قالت
(احبك) .. هذه المجنونة الشعثاء الشهية !
سيعلمها معنى ان تقول له (احبك) .. معنى ان
تحطم كل اسوار السنين الماضية بكلمة
مستفزة واحدة ... كلمة من اربعة حروف
لاغير ...

" آاااااااااااااااااااااا ... "









موجة معادية بل طوفان هادر من الألم حطمه
والشتائم تنعصر بين شفتيه ليبتعد عنها
فيضطجع بظهره على السرير جنبها يمسك
يده المجروحة فوق صدره والألم اللاهب يُشعل
في تلك اليد نارا لاتحتمل ...

كانت خلود مصدومة وانفاسها تتلاحق وهي
ترفع نفسها تستوعب ما حصل ...!

في لحظة كانت تتصرف كالعادة بغباء وتهور
وهي تبثه خوفها عليه وحبها اللامحدود له
وفي اللحظة التي تليها كان يهاجم انوثتها
بعنف عاطفي رهيب .. يا الهي كان .. رهيبا
جدا ..

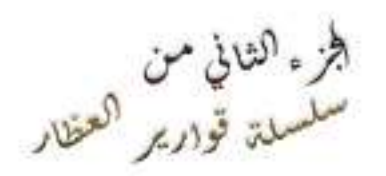
لتأتي لحظة ثالثة فاصلة حيث كل ما فعلته
انها دفعت يده بحركة عنيفة لاارداية عندما
حاول نزع الثوب عن كتفها ... ليبتعد عنها
متوجعا في لحظة رابعة صادمة ...!

يا الهي ايُّ لحظات ؟!! لقد بدت دهرا وهي
تتخبط كخرقة بالية بين ذراعيه ...!!

نظرت اليه بعينين جاحظتين تلملم ثوبها
كما تلملم مشاعرها التي تبعثرت في اشلاء ...

صدمها هذه المرة شحوبه الرهيب بل جعلها
تستفيق وهي ترى معالم وجهه يعتصرها الألم
المبرح بينما يمسك يده المجروحة بتوجع
يهتز له جسده الضخم بأكمله ...





ما زالت تمسك طرفي ثوبها بيد بينما مالت جزعة نحوه تلامس بارتعاش ووهن يده المضمدة فتهمس وعيناها تتغرغران بالدموع

" اسفة حـ..ذيفة .. اسـ..فة .."

كان يغمض عينيه بشدة ويعض شفته السفلى يقاوم بصمت متشنج والعروق الزرقاء تبرز من صدغيه بينما شحوب وجهه وتسارع انفاسه يخبرانها الى اي درجة هو يتألم حقا ..

تضاعف احساسها بالقلق فأخذت تشهق بالبكاء وتتوسله بالقول

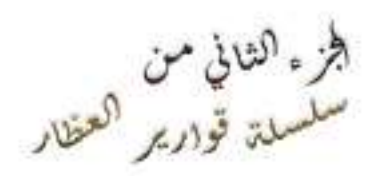
" رد علي حذيفة .. اتوسل اليك سأموت من شدة قلقي عليك .."

ارخى اسنانه عن شفته واخذ يتمتم بما لم تفهمه فمسحت وجهها سريعا وتركت ثوبها بعفوية ليعود وينفتح عن اعلى صدرها بينما تقترب باذنها من فمه تستند بكفيها الى جانبي جسده لتسأله بخفوت " أعد كلامك .. فقط قل لي ما تحتاجه وسأحضره في الحال"

ضحكة شديدة الضعف والخفوت سبقت كلماته الساخرة الهامسة " ما احتاجه .. لايعينني عليه جسدي الآن يا شعثاء .."

رمشت بعينيها وهي ترفع رأسها لتتطلع في وجهه القريب جدا من وجهها .. عيناه نصف مغمضتين لكنهما تلمعان بشقاوة .. وجهه ما زال شاحبا وبدا واضحا انه ما زال يعاني شديد الألم رغم الابتسامة المتلاهية على شفتيه ..





لملمت شعرها المشعث بهمة لتسأله بجدية طفولية وهي تقرب اذنها مرة اخرى من فمه

" اخبرني هل احضر لك دواء او مسكنا "

انتظرت بصبر رده بينما تشعر بشفتيه تلامسان اذنها بل شعرت حتى باسنانه تنغز طارف تلك الاذن قبل ان يهمس

" دوائي في جيب قميصي .. ستجدين شريطين"

سارعت للابتعاد عنه ثم بحركة واحدة انبطحت ببطنها فوق ساقيه لتميل عبر نهاية السرير نحو الارض حيث سقط قميصه آنفا ، التقطت القميص ورفعت جسدها بخفة وهي تبحث في الجيب لكنها لم تجد شيئا !

رمت القميص في اي اتجاه ثم عادت وانبطحت بنفس الطريقة تبحث عن الدواء ارضا بينما حذيفة يضحك بصوت منهك ليرفع رأسه قليلا متحاملا على الألم الذي خف بعض الشيء فينظر لوضعية جسدها حيث اختفى رأسها وشعرها الاهوج مع نصف جسدها العلوي بينما نصفها السفلي متكوم على ساقيه !

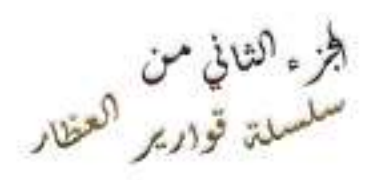
همس بشقاوة ويده تتجرأ لتلامس ساقيها تحت ثوبها

" لاتكفين عن اغرائي يا مجنونة ..."

لم تبدُ انها متنبهة لكلامه وحتى افعاله وهي تبحث عن ضالتها ثم فجأة رفعت نفسها وهي تهتف بحماسة " لقد وجدتهما .."







ثم ابتعدت تماما لتنزل عن السرير ويده تتحسر على نعومة الساقين التي تسربلت من بين اصابعه ..

استرخى رأسه للخلف بتنهيدة وهو يغمض عينيه تماما .. يسمع اصوات تحركها فأدرك انها تجلب له الماء ..

فتح عينيه حالما شعر باقترابها منه لتجلس بجانبه مرة اخرى ، نظر اليها وهي تضع القدح جانبا بينما تخرج حبة دواء من احد الشريطين فقال لها بضعف " اجعليهما اثنتين .. ومن الشريط الآخر واحدة فقط .."

هزت رأسها بنعم بينما يحاول جهده رفع جذعه لكنه كان يشعر بالدوار .. كما بدأ يشعر بالحرارة تغزو كل جسده .. والانهاك الشديد يسيطر على حواسه وكأنه سيغمى عليه !

مالت اليه خلود تحمل حبات الدواء بيدها فتنظر اليه بقلق وهي تهمس " افتح فمك لاساعدك على ابتلاعها .."

كان يحدق فيها .. لم يملك الا ان يتفرس فيها هكذا .. آثار هجومه العاطفي المباغت تركت معالمها على شفتيها المتورمتين وتفرقت تلك الاثار الحمراء على رقبتها واعلى صدرها المكشوف ..







ابتلع ريقه وهو يهمس بصوت مبحوح " اغلقي .. ازرارك .. انت تستنفدين النذر اليسير المتبقي من قوتي ! "

شهقت وهي تنظر لنفسها لتزرر ثوبها كيفما اتفق بينما وجهها يتخضب بحمرة قانية راااااقت له الى درجة الجنون ..

اعطته الحبة تلو الاخرى وساعدته في كل مرة باسناده ليشرب من قدح الماء ..

واخيرا تمت المهمة وعندما حاولت الوقوف منعتها قبضة قوية تمسكت بمعصمها فاستدارت اليه بلهفة تسأله وهي تميل باذنها لفمه " هل تحتاج لشيء اخر ..؟"

كانت بمنتهى التركيز عندما جاءها رده بهمس أجش " افلتِ مني مستغلة جرح يدي وضعف جسدي .."

ارادت الابتعاد وهي تكاد تختنق من مشاعرها المختلطة لكنه امسكها هذه المرة من اعلى ذراعها فمنعها الابتعاد هامسا باصرار " المرة القادمة وحالما استعيد قوتي اعدك حتى لو كنت مدججة بالاسلحة ستكونين... لي ..."

في لحظة واحدة ارتخت يده عنها كما ارتخى كل شيء فيه ، كان قلبها سيشق صدرها وهي تحدق في وجهه .. لقد نام من فوره... !



وبدلا من ان تبتعد عنه مالت لتنام قربه بوضع جانبي تتوسد كفها هامسة بدموع رقيقة

" كم اتمنى ان لاابخل عليك بشيء .. لكن.. امري ..ليس بيدي .. ! ليتك تكتفي بقلبي فقط الذي ملكته دون ان تطلبه .. بينما جسدي فلا سلطان لي عليه لامنحك ما تريد .."

ظلت تحدق بجانب وجهه النائم وتبكي بصمت ثم شيئا فشيئا تلاشى بكاؤها لترفع يدها وتلامس شفتيها فارتعشت وهي تهمهم

" انا احبك .. اه كم أحبك .. لو تعرف ما فعلت بي .. !"

" انا لم أعد احتمل يا طارق .. افعل شيئا .. ولدنا سيضيع منا.. كم اسبوعا سيبقى هكذا؟! كم بالله عليك... اخبرني ؟!! "

جمل متفرقة لأم اوهنتها امومتها ، امومة حطمت ركائز مبادئها السليمة وبنت بدلا منها ركيزة واحدة لاغير .. ارضاء الولد ....! الولد الذكر الذي رزقها الله به بعد فتاتين لتذبح الذبائح سبعة ايام فرحا وابتهاجا ...وهو سايرها بطلباتها للاحتفال ...بل كان سعيدا وفخورا مثلها واكثر ! لايستطيع ان ينكر الامر ... انه جين متسيد على كل افراد هذا المجتمع الذي يعظم وجود الذكور ، جين لايتكون بقوانين الوراثة البايولوجية وانما ينتقل بالوراثة الاجتماعية ...



تنهد الاب وهو يستغفر الله محدقا في جلسة زوجته المكلومة على الارض قرب باب غرفة ولدها الوحيد والقلق عليه يقتلها ببطئ .. تتكوم هناك مطأطأة الرأس تهزه الى الجانبين بتواتر مقلق عاجزة عن فعل شيء آخر غير البكاء بصمت والدعاء بظاهر القول وباطنه ، وماذا بيدها ان تفعل اكثر من هذا وقد امتنع مهند عن الكلام مع احد الا لماماً...

هذه احدى الحالات التي تنتابها عندما تجزع من صبرها على الحال فتجلس ها هنا وكأنها تتلمس بقربها من فلذة كبدها نوعا من الاطمئنان الاجوف ونوعا من الحماية والسند تظن انها تقدمهما لابنها ...

لقد اعتزل مهند الجميع قابعا في تلك الظلمة لاهيا او متلاهيا عن الحرب الضروس التي يخوضها والده لاجله فساعة يشده هذا الاب من ظلمته نحو نور الاستغفار وساعة الظلمة تنتصر فتحتجزه في عمقها ساخرة من يأسه تتغذى من آثامه ...

منذ ان علم مهند ان حبيبة عدت مرحلة الخطر وهو يعيش هذه الحالة من الركون للعزلة التامة ، متوائما مع وقفته الخطرة على حافة جرف هار تجتذبه الى قاعها السحيق وكأنه يجد خلاصه فيه ....



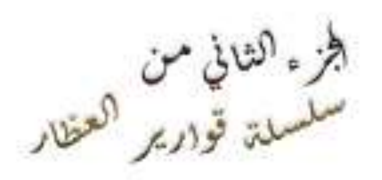
تحرك الاب ليدخل غرفة ولده وهو يعلم انه بانتظاره ، لقد اصبح ينتظره مع موعد كل اذان للصلاة دون ان يفصح بشيء فقط يجده الاب متوضئا متهيئا للصلاة وحالما ينتهيان يتحدث الاب معه قليلا في امور شتى .. طفولته .. مراهقته .. شبابه ... حتى حدثه عن لينا ولماذا رفض حقا زواجه بها .. اعترف انه لم يكن يستطيع مواجهة انتقادات الناس لو حصل هذا ..

اعترف له كيف ان الموروثات الاجتماعية المتسيدة دوما والتي لم تتغلب على الموروثات الجينية وحسب وانما قولبت موروث الدين والاخلاق بما يناسبها ! .....

دوما كان مهند ينصت له فلا يعلق بالكثير ، لكن في ذلك اليوم اعترف الاب بضعفه عن المواجهة فتمتم مهند بصوت مبحوح " لاتلم نفسك ابي ، حتى لو ضعفت لايهم .. انت كنت وما زلت قدوتي التي لايدانيها احد وجبنت ان اتبعها حتى لااتقيد بحدودها .. انت منارتي العليا التي اقف صغيرا امامها .. حلم رجولة حقة تمنيت ان اراها في نفسي يوما .."

كانت كلمات مهند تقتله .. لم تسعده او تخفف عنه بالعكس ... شعر انه لم يكن قريبا كفاية ليغرس هذه المعاني في ولده كما يجب فكبر الفتى فارغا رغم توقه للامتلاء .. الامتلاء من قدوته ... ابيه ...





رآه الاب بانتظاره كما تعود منه وتوقعه ،

وبعد اداء الصلاة اوشك مهند على النهوض عن السجادة وهو يهمس " تقبل اللّه .."

امسكه والده من ذراعه يمنعه الوقوف وهو يردد " منا ومنكم ... اجلس بني .."

عاد وجلس لكن مهند قال بانهاك

" اعذرني ابي اشعر بالتعب هذه الليلة و ..."

قاطعه الاب بهدوء " قبل ايام حضر يحيى الصائغ .. وكان .. غاضبا جدا .. "

تجمد مهند وتوالت مشاعر لاتعد ولاتحصى على وجهه حتى عجز الاب عن ملاحقتها وتفسيرها ...

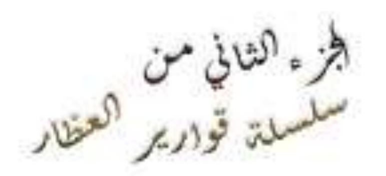
قال الاب ببعض حزمه القديم " لايهم ما فعل الرجل وما قاله ، اريد ان اسمع منك .. من ولدي ... لقد صبرت كثيرا عليك يا مهند حتى تخبرني من نفسك عما جرى مع تلك الفتاة ... حبيبة .."

ألم .. كل ما اصبح يراه الاب في وجه ابنه هو الألم .. ألم مبرح ...

تحامل الاب على نفسه ليسأل ولده بنفس الحزم " هل هي الفتاة التي اخبرت امك عنها؟ انك تريد الزواج منها ؟"

اذا كان الألم ما كساه ملامحها آنفا فالآن رسم التحطم الكامل محياه... !







قال مهند بصوت مزق قلب الاب عليه " حبيبة ضاعت مني ابي .. اضعتها بين خنادق ظلمتي ومزقت احلامها بحقيقتي وقتلت روحها بانانيتي وغروري .."

لم يصدق الاب عندما رأى دمعة تسيل على خد ولده .. دمعة واحدة كانت تحمل رجولة تعكسها كلماته واعترافاته ...

تحشرج صوت الاب وهو يقول بصعوبة

" احكي لي بني .. احكي لي من البداية .. كل ما حصل .. واقسم بالله لن اوبخك او اثقل عليك .. انا اريد مساعدتك بني ..

فأعنّي لأعينك .. حان الوقت لتشاركني الاعتراف ... دعني احمل البعض عنك .."

شردت نظرات مهند والذكريات تحمل حملها من الألم والبهجة معا !

همس والكلمات تخجل من شفتيه " اردتها اولا كأمرأة .. اشتهيتها كما لم اشتهِ غيرها من النساء وقد اشتهيت الكثيرات ..وحصلت عليهن .. لكن مع حبيبة لم يكن الامر جسديا فقط بل اشتهيت ان تكون لي بكليتها .. ملكي .. وكم كنت حقيرا .. نذلا وانا اتقرب اليها اتلمس طريقي لمواطن ضعفها بحرفية صياد قذر ... خسيس .. "



احنى الاب رأسه في خزي لم يستطع تجاهله

بينما مهند لاه عنه يحكي حكايته ...

حكاية حبيبته .. حبيبته التي خسرها

بطيش.. لا .. ليس بطيش بل بحمق الغرور

وسواد النفس الممرغة بالخطايا ...

لايعرف من انتهى في حضن من ؛ من يجهش

بالبكاء اكثر ... هو... ام ولده ...؟!

جبين مهند على كتف ابيه وجسده يختض

وكأن الذنوب اثقل من ان يستطيع حملها ..

اخذ الاب يحتضن ولده وهو يحوقل .. يبكيه

ويبكي الحمل الثقيل لهذا الولد الذي عاث

فسادا اينما حل ....

وجد الاب نفسه يتمتم

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

خفت صوت بكاء مهند شيئا فشيئا ليتمتم

بعد لحظات دون ان يرفع وجهه لابيه

" ساعدني ابي .. ساعدني ..لم أعد احتمل ...

ساعدني لاجد ما ألهمني به اللّه دون ان اراه..."

صباح اليوم التالي

تحرك ببعض الصعوبة في السرير ، الألم

اخف وطأة .. مؤكد النوم لفترة طويلة افاده..



كان واضحا ان الفجر أشرق فالاضاءة الخافتة الناعسة تمر على استحياء عبر الستائر الخفيفة ..

شعر بيد ناعمة تتشبث بيده السليمة الملقاة الى جانبه ، رفع رأسه قليلا ليجد خلود هناك .. بنفس الوضعية التي رآها فيها قبل بضعة ليالي وهي تنام جالسة على الارض وتمسك بيد ابنته ..

لكن هذه المرة كانت تمسك بيده هو ..

قلبه يضخ الفرح والبهجة في كل انحاء جسده ... هذه المجنونة ستكون له ..

بل هي له فعلا ...

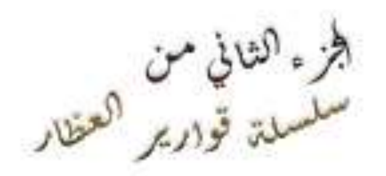
وباصرار منفعل ضغط يدها اكثر يبتلع ريقه بصعوبة والمشاعر الملتهبة تثقل على انفاسه..

عيناه تحركتا ليلمح صغيرته تنام على سرير خلود تحتضن تلك الدمية البشعة المبهرجة..

غامت عيناه وقد ادرك ان خلود من جعل صغيرته تنام هناك خوفا من تحركاتها اثناء نومها التي قد تؤذي يده المجروحة ..

همس وهو يشدد من امساك يدها " خلود .. تعالي ونامي بجانبي .. ستكونين مرتاحة "







كان يعلم انه يتلاعب بالنار .. يعلم انه سيتعذب ان فعلتها حقا ونامت بجانبه وهو لن يستطيع فعل (ما يريد) بها وصغيرته تنام قريبا منهما ..

لكنه يريد قربها .. يريد الشعور بها بتلهف متعطش مجنون ...

يا الهي .. لقد فقد السيطرة تماما ولم يعد حتى يقاوم او ينكر الامر ...

تحركت خلود في نومها لترفع رأسها وتفتح عينيها بتشوش وهي تقول

" هل اصبحت بخير ؟ هل تحتاج لشيء ؟ "

تمتم وداخله يغلي " احتاج ان تأتي بجانبي "

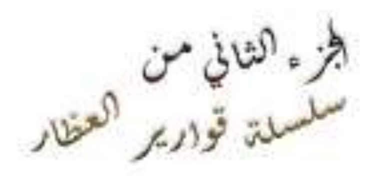
رفعت نفسها لتقف بينما يده ما زالت تتشبث بيدها فتطلعت اليه بتركيز اكبر ثم همست بتورد وهي تحيد بعينيها بعيدا عنه

" سأنام .. جنب سعاد .. قد تستيقظ وتشعر بالوحشة وحدها..."

ودون ان تنتظر رده حررت يدها من يده لتبتعد وهو يراقبها حتى اضطجعت على سريرها جنب ابنته لتوليه ظهرها بينما عيناه تشعان بالوعود الشقية ...







بعد ساعتين ...

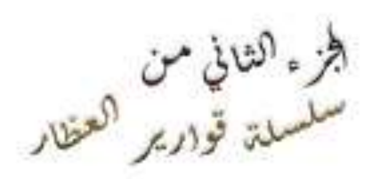
حالما غادرت سعاد الغرفة راكضة كعادتها لتلحق بسامي قبل ذهابه للمدرسة حتى تسمرت خلود مكانها وسط الغرفة الفسيحة عاجزة عن اتخاذ قرار !

عيناها على باب الحمام المغلق واذناها تستمعان بتنبه قلق لصوت الماء الجاري بضوضاء مكتومة بينما قلبها لايطاوعها لتركه والهرب من مواجهته ، فماذا ان احتاج لشيء حقا وهو يستحم ، هي حضرت له ملابسه ومنشفته بل حتى اعطته دواءه قبل ان تلف له يده المضمدة بكيس من النايلون حتى لا يتبلل الضماد وهو يأخذ حمامه ..

كل هذا فعلته له منذ استيقاظها وانفاسها اللاهثة تفضح انفعالها وكيف لاتنفعل وتضطرب وهو لم يرحمها من نظراته الجريئة وابتساماته العابثة ...

وكانت قد عانت الامرين وهي تلف ذلك الكيس حول يده ...فهو لم يسهل عليها الامر ابدا ...لقد تحاشت النظر اليه وهي تطلب منه الجلوس على حافة السرير الضخم بينما تسلقته سعاد حافية القدمين لتتشبث بظهر والدها العاري فيلاعبها بيده السليمة ويدغدغها بخشونة احيانا حتى تسقط الصغيرة بصخب على السرير خلف ظهره ...





كل هذا يفعله وعيناه لاتعتقانها هي !

يجلس بخيلاء والابتسامة المشاغبة تواجهها كلما رفعت وجهها عفويا اليه ...

كادت ان تنهي اللف عندما همس بصوت مشاكس مبحوح وكأنه يكلم سعاد

" حلوى بابا اصبحت تبحث عن احضان اكثر نعومة من احضانه لتغمر نفسها فيها .. الا يفترض ان اتلقى دعوة كهذه ؟! "

اربكها فاخطأت بالعقدة لينفتح الكيس ويذهب تعبها هباء ..

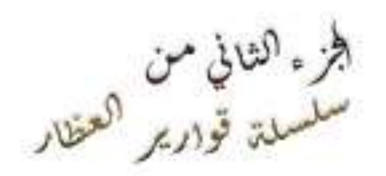
نفخت من بين شفتيها بقوة بينما هو يضحك منها ببهجة مغيظة فاعادت اللف من البداية و هي تعقد حاجبيها ملتزمة الصمت الغاضب ووجنتاها متوردتان ...

وقبل ان يدخل الحمام وقف امامها كالطود الهائل فأمسك ذقنها ليرفع وجهها اليه عنوة هامسا بتحذير

" اياك ان تهربي وانا في الحمام "

حسنا .. ها هي تنفذ ما يريد رغما عنها ... لا لانه حذرها بل لانها تخشى عليه فعلا .. لقد قضت الليل تراقب انفاسه وهو نائم .. شعرت ان قلبها سيتوقف من شدة القلق ...







وهو يعلم ! اللئيم اصبح يعلم كل شيء بسبب غبائها منقطع النظير واعترافاتها السخيفة وها هو يبتزها بطريقته متلاعبا بعواطفها وكأنها لعبة ممتعة ...

ماذا ستفعل الآن ؟! كيف ستفسر انها لاتستطيع ارضاء رغبته فيها كرجل .. اجل هو يرغبها ولماذا لايفعل وهي امرأته شرعا وقانونا ...

صحيح هو اصدر شروطا قبل الزواج ان لا علاقة من هذا النوع ستكون بينهما لكنه يبقى رجل واحتياجاته تحكمه ...

الكارثة انها اعترفت له بالحب فكانت وكأنها اعطته الضوء الاخضر ليفعل معها ما يشاء .. يا الهي .. ماذا ستفعل الآن ؟!

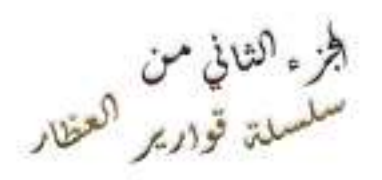
انها لاتستطيع ان تؤذيه كما آذت عزيز .. تمتمت بجزع

" ليس حذيفة .. يا رب .. ليس حذيفة ..."

لاتستطيع فعل هذا به... ستموت هي ان رفضته .. لن تحتمل رؤية الألم والغضب في عينيه كما كانت تراهما في عيني عزيز قبله ..

شهقت وهي ترفع يدها لفمها بخوف رهيب مفاجئ .. ماذا لو .. لو ضربها ! يا الهي .. هل ستعيش نفس المأساة مرة اخرى ...







هل سيفعلها حذيفة ويضربها حقا ؟ ولم لا ...

فعزيز الرقيق فعلها معها بل ان الرقة فارقته

تماما في الاشهر الاخيرة من زواجهما الكارثي

واصبح يضربها يوميا ودون سبب حتى ..

دمعت عيناها وهي ترتعش وتدعو الله في سرها

" اتوسل اليك يا رب ساعدني ..."

صوت الماء توقف في الحمام فاتسعت عينا

خلود في ترقب ووجل تنتظر خروجه ...

لكن الصمت طال وحذيفة لم يخرج !

تلاشت كل افكارها السابقة وتحركت

بخطوات قلقة ناحية الحمام ..

وضعت اذنها على الباب واصغت السمع ..

اخيرا تنفست الصعداء وهي تسمع اصواتا

خافتا .. لابد انه يجفف نفسه ..

تراجعت بضعة خطوات للخلف تنظر للباب

وقد تشابكت يداها في انتظار ...و ترقب

مرتعب ..

مضت دقائق عدة قبل ان تسمع صوت انفتاح

الباب ...ابتلعت خلود ريقها وهي تتطلع لهيئته

الضخمة ..

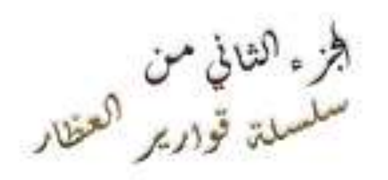
لايرتدي الا بنطال قطني بيتي وشعره رطب من

اثر الحمام ومنشفته متدلاة على كتفه

الايمن ..

عيناها انحدرتا لضمادته فوجدت انه نزع عنها

الكيس وبدت جيدة ولاتحتاج لعناية ...





تمتمت وهي تتراجع للخلف " حسنا .. ما دمت انهيت .. حمامك سا .. ساذهب لالحق بسعاد.." عيناه تلمعان بعبث خطر وتلك الابتسامة لاتفارق شفتيه فعبست خلود مدعية الغضب

" الفتاة المسكينة ستصاب بعقدة نفسية بشكل مؤكد وهي تودع سامي كل يوم عند ذهابه للمدرسة "

عيناه لاتحيدان عنها وملامح وجهه اخافتها .. لا لم تخفها .. بل جعلت قلبها يهبط لمكان ما لاتعرف اين بالضبط !

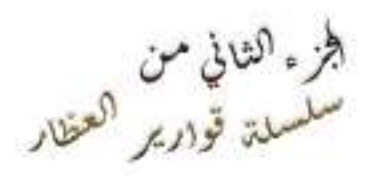
رمى منشفته ارضا واخذ يتقدم منها فاضاعت الهدف من بحثها عن قلبها الذي توارى بوجيبه العالي لتتراجع خطواتها اكثر باتجاه الباب الذي اغلقته سعاد عند خروجها وما بين خطواتها المتعثرة المتراجعة وخطواته العازمة كانت الغلبة له ليصل اليها ويسحبها لصدره الرطب بذراع واحدة لفها حول خصرها..

يحدق في وجهها بتلذذ شقيّ بينما كانت ترتعش بل تختض بقوة وهي تحاول ابعاد ذراعه عن خصرها متشبثة بغضب وهمي هامسة بهدير مضطرب " كل هذا لان والدها العنيد يعتقد .. يعتقد ان ..."

مال بشفتيه يقبل رقبتها ببطئ حارق .. فتبخر كل شيء !







ارتعاشها تضاعف وساقاها خذلتاها فلف حولها
ذراعه الاخر ذو اليد المجروحة المضمدة
وامسك جسدها بقوة يشدها اليه ويسندها
بشكل كامل دون ان ينبس بكلمة .. فقط
يقبل رقبتها بمزيد من الاحتراق .. وهي كانت
تحترق باحتراقه .. من اخمص قدميها حتى
قمة رأسها بينما تهمس بتوسل وهي تحاول
بجزع ابعاد كتفيه " حذيفة .. لا .. انت ..
لاتفهم .. ارجوك دعني .. اشرح لك .. انا "

لم يسمح لها بقول المزيد وهي يطبق بشفتيه
على شفتيها .. عجزت عن فعل شيء الا
الاستسلام .. ما هذا الذي تشعر به ؟! انها لم
تشعر هكذا مع عزيز .. !

عزيز لم يشعرها انها مرغوبة هكذا ! اما
حذيفة فيجعلها تشعر .. تشعر ....

همسه كان خشنا لاذنها وهو يعتق شفتيها

" اغلقي الباب بالمفتاح .. سعاد ستفطر مع امي
كالعادة ..."

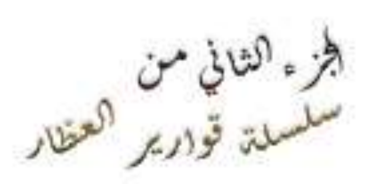
تلاشى انفعالها العاطفي الجارف ليهب انفعال
مرتعب يبتلعها ابتلاعا ....

فتحت عينيها المغمضتين لتنظر في وجهه ..
ملامحه الخشنة بدت اكثر خشونة بتلك
العاطفية التي تهدر منه ..

صُدِمتْ تلك العاطفية الهادرة منه عندما
فاجأته وفاجأت نفسها بالبكاء المرير !







عينا حذيفة تتسعان في ذهول بينما هي عاجزة عن التفسير له بشيء في هذه اللحظات!

ظلت تبكي وتبكي حتى غمرها بذراعيه اكثر فضاعت على صدره شهقاتها الباكية ..

هدأت قليلا فهمس لها حذيفة بغموض

" لم كل هذا يا خلود ؟! لم ؟!!"

لامس شعرها بل اندست اصابعه بين ثناياه ليميل لخدها المبلل يقبله ثم همس بخشونة

" اخبريني ما الذي يرعبك هكذا ؟ "

التفت ذراعاها حول رقبته تتشبث به كطفلة خائفة فتهمس بتقطع

" انا .. لاانفع لشيء .. انا لست امرأة كباقي .. النساء ... انا أموت .. بشعوري .. هذا... قلت ..لك انا مسحو..رة.. "

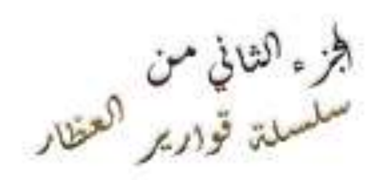
تنهد وهو يتمتم باحباط

" ها قد عدنا للسحر وافعاله ! "

بكاؤها تصاعد بينما تشهق بالقول " اقسم لك .. انا لااكـ..ذب .. انا .. لم استطع مع .. عزيز .. ولن استطيع ..حتى معك انت .. انت يا حذيفة ... آآه ..من قلبي ... يتـ..فتت ألما .."







ابتعد قليلا عنها دون ان يفلتها ثم سحبها من خصرها معه ناحية السرير ليجلس ويجلسها في حجره ..وهي كانت مستسلمة غارقة برثاء النفس والبكاء الطفولي المضحك !

اجل... فوسط هذه المعضلة التي يواجهها وجد حذيفة الامر مضحكا حقا وهي تبكي كالاطفال هكذا بينما رغبته فيها تتأجج ..

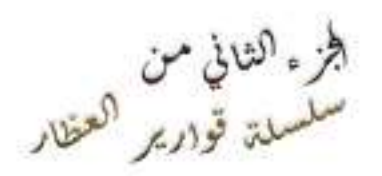
ابتلع ريقه يقاوم شعورا متهورا اهوجا يدفعه لأن يبطحها على السرير لينسيها عنوة حديث السحر هذا !

اخذ نفسا عميقا ثم زفره ببطئ علّه يهدأ قليلا فالمجنونة التي ايقظت مارده لديها (افكار) خارقة تسيطر عليها تماما ..

مد يده لمنضدة جانبية قرب السرير فالتقط علبة المناديل الورقية ..

كانت حركاته خرقاء بطيئة بسبب يده المجروحة وقد اخذت تئن عليه بينما ذراعه السليم يتمسك بها بقوة خوفا من ان تفاجئه وتقفز هاربة منه ...







اخذ يمسح وجهها وينظف انفها كما يفعل مع سعاد عندما تبكي ثم رمى المناديل الوسخة ارضا ليرفع ذقنها اليه يتكلم بتأن

" اريد ان تشرحي لي بالتفصيل ما معنى كلامك المتواصل عن السحر ؟! لم آخذ الموضوع بجدية سابقا لكن يبدو واضحا اني كنت مخطئا بتقدير تأثيره عليك .."

كانت لاتفتح عينيها بينما شهقات بكاء ناعمة تلازمها فناداها بحزم " تكلمي خلود .. انت لن تتحركي خطوة قبل ان تشرحي "

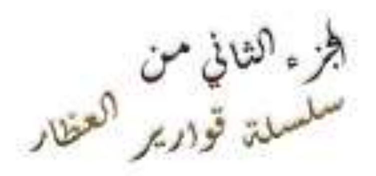
بشهقة مكتومة اغرقت وجهها في عنقه فأوشك ان يفقد حذيفة اعصابه عندما بدأت تتكلم اخيرا ولو ببعض التقطع ..

" اخت .. عزيز وحتى امه .. لم يحباني .. ابدا .. حاولتا ثني عزيز عن الارتباط بي .. هو اخبرني .. مرارا بهذا .. انهما حاولتا بكل الطرق لجعله .. يشعر اني .. لن انفعه .. اني سأعيّره دوما بنقص .. تعليمه .."

رفعت وجهها فجأة لتحدق في وجهه مباشرة تشكوه ببراءة مستفزة " انا لم اطلب منه ان يحبني .. هو من صارحني بحبه .. وجعلني اتأثر به .. احببته حقا .. واردت ان اعيش سعيدة معه ..."







اصابعه انغرزت في خصرها وهي لاتشعر بما يعانيه بينما تكمل وهي تعود للبكاء

" انا كنت بريئة جدا ولا .. اعرف الحب .. لم اكن اهتم ... كل الفتيات كن يسخرن مني ومن سذاجتي ... انا .. ليلة .. الزفاف كنت .. مرعوبة .. مرعوبة وكأن وحشا سيلتهمني !

يا الهي ظننت ان الرعب هو .. السبب .. لكن ... عزيز ... يا الهي .. كانت ليلة رهيبة يا حذيفة .. رهيبة ... لقد تحطمت ... انهرت "

تمتم حذيفة في سره متوعدا " اقسم اني من ساحطم عظامك ان شرحت لي الآن تفاصيل ليلة عرسك البائسة على عزيز ذاك ! "

بدت هي في عالم آخر بينما تسترسل بتخبط غير مفهوم " انا لم انفع ! شعرت بقوة هائلة في كل جسدي ترفضه .. بدوت .. بدوت وكأني امتلكت قوة عشرة رجال اشداء ... يا الهي لازلت اذكر نظرة عيني عزيز بعد ان اوقعته ارضا ! "

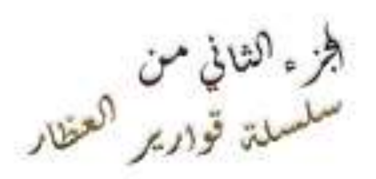
انشدهت نظرات حذيفة وهو يحاول استيعاب كلامها ! وجد نفسه يتمتم

" انا حقا لاافهم ! "

صدمته اكثر بتعابيرها الجامدة ثم ادرك انها تتذكر ماحصل بتفاصيله ...







تمتمت اخيرا وقد بدت بعيدة عنه " صفعني !

كانت المرة الاولى التي اصفع فيها في حياتي

.. ابي لم يفعلها يوما ولا امي ... بعدها ...

تركني وذهب لامه ! "

عبس حذيفة بشدة وهو يستعيد حزمه

وتركيزه ليسألها " هل تعنين انك رفضت ..

مقاربته لك ليلة الزفاف ؟ هل هذا ما حصل؟"

ارتج رأسها وكأنها صدمت بكلام حذيفة ثم

قالت ببنرة محطمة " لقد .. رفضته لسنوات ..

طوال سني زواجنا لم ... امكنه مني فزاد

ضربه لي انتقاما لجرحي كرامته ورجولته !

انا .. معاقة في انوثتي حذيفة .. معاااقة ..."

حدق فيها حذيفة مذهولا ... ثم اصبح شيئا

فشيئا ...غاضبا !

هدر فيها " ايتها الغبية من قال انك

(المعاقة) ربما هو من كان معاقا لا أنت !

كيف تكونين فتاة جامعية مثقفة

ولاتدركين هذا ... انه كان يضربك لانه

عاجز.."

ردت وهي تنكس رأسها بذل واحتقار للنفس

" لا حذيفة ... لاتظلمه كما ظلمني ،

زو..جته .... حامل .. الآن.. لقد نشر الخبر ..

ليتأكد من اثبات رجولته واعاقة انوثتي .."



كانت انفاسه تزأر في صدره .. شعور عارم بالغضب .. رغبة دموية لايجاد عزيز هذا وتمزيقه أربا ...

ليأتيه صوتها باكيا وهي تهمس بألم " ما ذنبي انا .. امه واخته سحرتاني هكذا .. اخته قالتها في وجهي بعد عام كامل من الفشل .. قالتها متشفية ان السحر لن يبطل ابدا واني لن أكون زوجة فعلية لعزيز مهما حاولت ..."

رفعت وجهها والدموع تسيل على خديها وهي تضيف بنفس الألم " قلت لها انها كاذبة .. كاذبة .. عاندت وكابرت .... حاولت المستحيل لاجبر نفسي على الرضوخ له

لكني في النهاية لم استطع تمكينه مني .. وبدأت اطرق ابواب العرافين ليبطلوا السحر ولم ينفع فالسحر كان اسودا وقويا ....دائما .. ثم سمعت عن .. عملية جراحية مبسطة من جارتي .. كانت تتكلم عن قريبتها التي تعاني رهابا من ليلة الزفاف .. حالها بدت مثل حالي وقد اخذتها جارتي بنفسها لذلك الطبيب ... عندها قلت ولم لا ... لماذا لااحاول الحل عبر الطب رغم اني كنت اعرف علّتي ليست في جسدي بل في السحر الذي ابتليت به ..مع ذلك ... لم ايأس .. لم ايأس "

خفت صوتها بينما حذيفة لايصدق انها تؤمن حقا بكل هذا ! لتسحقه بالمزيد وهي تهمس بذل ما بعده ذل

" اقسم اني اخذت الاذن من عزيز .. لم يكن مقتنعا تماما ورفض ان يذهب معي لكنه وافق ان اذهب وحدي ولااخبر احدا .. اقسم انه فعل .. ذهبت .. بمفردي كما اراد ... تحملت الشعور بالاهانة وقلت .. يجب ان افعلها مهما حصل وهكذا كان .. تركت الطبيب يشق عذريتي بمشرط ! مجرد مشرط .. يا الهي .. مشرط حطم حاجز العذرية دون ان يحطم حاجزا اكبر يقف في وجهي كالسد المنيع ..."

كان بكاؤها هذه المرة مختلفا .. عنيفا .. حتى غاضبا ... وهو حذيفة وجد نفسه امام حالة فريدة لم يتصورها ...

كل هذا عانته بمفردها ؟! كل هذه الاهانات والذل والعذاب بسبب رجل حقير ضعيف الشخصية جاهل متخلف .. معاق في عقله و ان لم يكن معاقا في امور اخرى !

أمالها للسرير كما فعل معها بالامس لكن هذه المرة كان هادئا وهو يشرف فوقها بجسده ..

عيناها الباكيتان تتطلعان اليه وهو يحدق فيها بتمعن ..

سبابة يده المضمدة اخذت تلامس وجهها تتلاعب بدمعاتها بعبث خشن ..

قال بعدها بصوت مبحوح " اسمعيني يا مسحورة .. السحر الذي كنت تقاتلينه ثم استسلمت له كان في داخلك انت .. لم يتسبب به احد .."



اخذت تشهق وتهمس بحيرة " ماذا تقصد ؟
اتظنها كذبت علي ؟"

علم انها تقصد اخت ذلك البائس فهز رأسه نفيا وقال " ألم يقل لك ذلك الطبيب انك تعانين من حالة رهاب فعلا ؟"

ردت خلود بحشرجة " نعم .. لكني لم .. اصدقه تماما .. انا كنت يائسة محبطة مشوشة "

كز حذيفة على اسنانه وهو يتمتم بحنق

" ايتها الغبية الامر كان ابسط بكثير من سحر وغيره ! الا تملكين اي ثقافة عامة ؟ الا تقرأين شيئا من هذه الامور ؟ "

ردت وهي تعود لبكائها الطفولي " انا لااحب الا الرياضيات .. لا.. افقه شيئا من كل هذا "

تطلع اليها بعنين لامعتين وهو يتمتم ساخرا

" ما هذه المصيبة التي ابتليت بها ! "

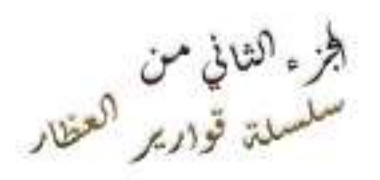
اخذت تمسح وجهها وتسأله ببراءة " اي مصيبة تقصد ؟ هل تقصدني انا ؟"

رد والابتسامة تتراقص على شفتيه " بل اقصد اني ابتليت بتثقيفك عن .. بعض هذه (الامور) "

رمشت بعينيها وهي تسأل بصوت مبحوح

" اي امور ؟ "







فرد وهو يميل ناحية شفتيها " يجب ان اجعلك مستعدة خلال اسبوعين "

عقدت حاجبيها وهي تنظر اليه بتوجس

" اسبوعان ؟!"

هز رأسه وابتسامته تتسع " أجل ... اسبوعان لاغير وسننتقل للملحق الجديد .."

قلبها ينبض بقوة في صدرها وهي تحدق فيه بينما هو يبتعد قائلا باحباط

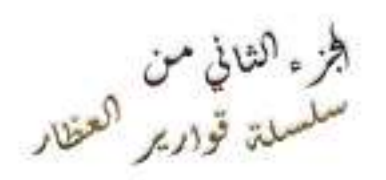
" اسمع خطوات صغيرتي تقترب لا اصدق انها انهت فطورها سريعا هكذا ! "

قبلة سريعة خشنة على شفتيها ثم فجأة ابتعد ليصبح في لحظة واقفا امامها على ساقيه وهي مضطجعة بظهرها على السرير ... تحدق فيه ... ترمش وعدم الاستيعاب يطل من ملامحها ...

لتدخل الصغيرة بضوضائها فيستدير اليها والدها ويتلقفها بذراع واحد ثم رفعها عاليا ليضعها على احد كتفيه فتستقر هناك ببهجة وكأنها تمتطي حصانا ، يداها الصغيرتان تتشبث بشعره الكثيف تشده وهي تطلق الاصوات الخشنة ووالدها يضحك بنفس بهجتها ..

احمرت خلود وسعاد تناديها " خود ... خود ..."





فهبت بجذعها لتجلس وهي تحدق في الاثنين معا بينما يغمزها حذيفة قائلا " هيا يا (خود) فقد اخذتُ اجازة خصيصا لهذا اليوم احتفالا ببدأ ... الدروس "

ثم ضحك عاليا من بلاهة تعابيرها ليتحرك ناحية باب الغرفة وصغيرته ما زالت تمتطي كتفه ليقول حذيفة لها قبل ان يغادر وبنظرات مشاكسة

" انتظرك تحت لنفطر معا .. اريد فطورا دسما لاستعيد قوتي وشايا ثقيلا من يديك ..."

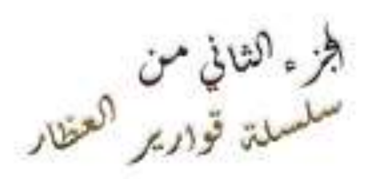
غادر فعلا تاركا اياها بفم مفتوح وعينين مصعوقتين !

اوقف السيارة في مرآب المستشفى وبينما تستعد اسيا للنزول امسك يدها فالتفتت اليه بملامحها الرقيقة المتسائلة فغامت عيناه وتبسم هامسا باسمها " آسيا .."

ردت ببساطة " نعم ..." يده انحدرت لكفها تلامس ظاهره بنعومة وهو يقول بصوت رجولي أجش " انا اشتقت لك .."

احمرت قليلا بينما تتساءل وهي تتحاشى النظر لعينيه " البارحة ... كنا معا .. لم افهم مقصدك.."







اخذ يتلاعب باصابعها قائلا " بل تفهمين يا اميرة البنات .. انت لست معي بروحك منذ حادث حبيبة .. وانا لااستطيع العيش دون روحك تسرح هانئة بين جنبات روحي .."

اطرقت ليحتوي كفها بالكامل في باطن كفه واضاف بهدوء " اريدك ان تعرفي مهما كان ما تحاولين اخفاءه عني انت ويحيى فأنا ساكون في ظهرك .. مهما كان..يا اسيا .. "

رفعت وجهها اليه لتسارع بالقول

" انه ليس كما تظن .. اقصد لاداعي لقلقك"

ابتسم ليرخي يدها فيرفع يده عاليا ناحية سلسالها المعلق على صدرها ، لامس الحمامتين والقلب المحمول بينهما ليقول بجذل " بل انت من لاداعي لقلقك ... لاداعي لتحاولي اخفاء (اثره عليك) عني أنا .. لاتخشي شيئا مهما كان ... مهما كان يا اميرة البنات وتوأمة القلب وسلطانة الحمام .."

ابتلعت ريقها وهي تنظر لعينيه ، يا لهما من عينين .. انهما العالم الرحب بأسره ....

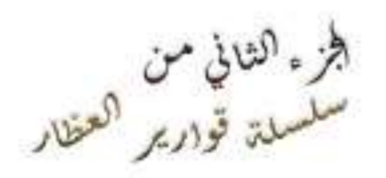
سألها بابتسامته الصغيرة

" متى ستغادر حبيبة بالضبط ؟"

ردت بابتسامة مرتعشة

" ثلاثة ايام لااكثر .. " تمتم رضا بالحمد بينما همست آسيا باسمه " رضا .."







اطال النظر اليها بينما ينتظرها تفصح لتتنهد قليلا قبل ان تقول بتردد وبعض الارتباك

" الامر ليس قلة ثقة بك .. انا فقط .."

قاطعها بالقول الهادئ الثابت مفسرا " انا لااريد ان تخبريني .. اسيا ..انا فقط لااحتمل بعادك عني .. اشعر انك تبتعدين هكذا حتى لاتضطري للبوح .. وانا أؤكد لك لاتخفي نفسك عني بسبب هذا لانك لست مضطرة .... "

ابتسمت براحة وهي تهز رأسها بينما عيناه شعتا بالعاطفة وابتسامته اصبحت اكثر حرارة ليهمس بصوته الرجولي

" اقتربي مني بخطوات واثقة دوما وشقّي الصدر متى شئت " ثم اخذ يربت على مكان قلبه ليضيف بنفس النبرة

" ثم تمرغي مطمئنة بين حنايا القلب ، هذا القلب الذي تملكين كل شبر فيه " فاتسعت ابتسامته ليكمل " وانا لن افتح فمي بكلمة .. فقط كوني هكذا حيث اريدك وانا سأرتاح ... هل رأيت اقل تطلبا من هذا ؟!! "

ضحكت اسيا وهي تتورد فهمس لها وهو يلامس خدها " سلمت لي الضحكة يا أم جعفر .."

نظرت اليه باسمة مستغربة تسأله

" جعفر ...؟! "



رد بحنان ويده تهبط لبطنها " انه ولد .. ولد ان
شاء اللّه .. ابي زارني في المنام ليلة الامس
وطلب مني تسميته بجعفر على اسم جده .."

تمتمت اسيا وشعور بالفرح لايضاهى يتنشر في
كل جزء منها " رحمهم اللّه جميعا .."

قال وهو يحدق بشفتيها " انزلي يا اميرة البنات
لقد اخرتك بما فيه الكفاية .. وسلمي لي
على حبيبة ويحيى .."

ترجلت من سيارته تلوح له بابتسامة صافية
فلوح لها مغادرا بنظرات ذائبة ولسان حاله
يدعو لها بالراحة مما يشغلها ويقض مضجعها

ويجعلها تنادي بأسم حبيبة ليلا وهي نائمة في
احضانه ...

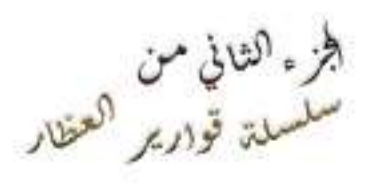
يمسك خصرها بحزم بينما حبيبة تنهت
بعض الشيء وتحاول دفع ذراعه بعيدا عنه
لتقول بنارية وتعنت

" اريد ان تساعدني الممرضة ... لا أنت .. "

لكنه لم يفلتها كابتاً كل مشاعره في
جوفه المحترق ليعقد حاجبيه قائلا بصبر

" لكني أتيت خصيصا لاجلك تاركا عملي
بشق الانفس لاتفرغ لك خلال هاتين
الساعتين من النهار"





كانت ما تزال تقاوم تمسكه بخصرها وهي تتمتم بغضب داخلي " لااريد .. عد لعملك .."

فاض كيله ليسحبها بقوة اليه ملصقا جسدها به دون ان ينسى مراعاة جبائرها ليقول وهي يحدق في العينين الشرستين

" لماذا انت عدائية هكذا معي ؟ "

انفاسها تتسارع اكثر وهي تبارزه النظرات قائلة وهي تشمخ بأنفها

" لااريد ان اثقل على .. احد .." لتضيف بعنفوان وتحدي " ثم انا قادرة على تولي اموري بنفسي .. لا داعي لتضيع وقتك معي اكثر من هذا "

ابتلع ريقه وروحه تتأجج مع روحها المتأججة

همس بحشرجة وعيناه تقاومان النظر لشفتيها

" حبيبة .. انا .."

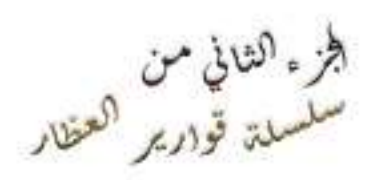
رن هاتفه فجأة فأجفل الاثنان معا ، حرك يده اليمنى من خصرها لجيبه مخرجا هاتفه فحدق عابسا بالمتصل ليغلق الهاتف ويعيده لجيبه بهدوء مستفز ...

زمّت حبيبة شفتيها وشعرت بموجة عنف تجتاحها لتسأله بصوت عال متفجر النبرات

" من اتصل ؟ ولماذا لم ترد عليه ؟ "

رد بتأفف " لااحد مهم .."







كانت يده قد عادت لموقعها حول خصرها

فتتعاضد اليدان للتشبث بتلك النارية

المشتعلة دون ان يكون له ارادة ليبتعد

ففاجأته بالسؤال ونبرة صوتها بهتت تماما

" وهل انا مهمة اليك الآن .. ام انك تشفق

عليّ يا يحيى ؟"

بانت الصدمة في عينيه ليهمس بذهول

" ما هذا الكلام ؟ هل جننتِ ؟!! "

لكنها لم تتراجع وهي تنظر في عينيه تنتظر

ردا واضح المعاني محدد الاتجاه ...

لاول مرة يشعر بهذا العجز ، كل شيء كان

في يده .. والطرق المتعددة مفتوحة امامه

ليسلك ايا منها ... لقد رمت التحدي في وجهه

وقالت له (أرني ماذا ستختار ؟)

لكنها لاتعلم كم هو صعب الاختيار معها ،

انها تحتاج للمزيد ... فقط القليل من هذا

(المزيد) لتقف على قدميها وتحدد هي

الاختيار ....

انه فخور بها لابعد حد وهي تخرج بعنفوانها

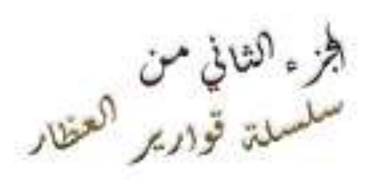
الآسر من شرنقة احداث فرضت فرضا عليها ...

انها رائعة .. خلابة .. يا الهي كم يعشقها ...

تمتم لاشعوريا " حبيبة انا ..."







تظهر تماسكا وقوة لكنه شعر أنها تقاوم ضعفها في معركة لاتهدأ فسألت هادرة وشفتاها ترتعشان غضبا وتمردا

" انت ماذا ؟ قل انت ماذا بالضبط ؟ "

صوت آسيا جاءهما مترددا حائرا

" صباح الخير .. ما بكما ؟! صوتكما عال "

بيدها اليسرى اخذت تدفعه ليبتعد عنها وهي تقول بخشونة " ها قد حضرت اسيا تستطيع ان تذهب لعملك وترد على اتصالاتك .."

عاندها بالقول موبخا اياها دون ان يفلتها " لن اذهب لأي مكان ! ضعي هذا في عقلك الصغير السخيف .."

ابتسمت اسيا قبل ان تنسحب قائلة " حسنا بالاذن .. ساذهب لابحث عن أمي واحتجزها حتى تنهيا الشجار "

خرجت اسيا وملامحها تعبر عن بعض الارتياح ما ان الباب خلفها حتى اشتعل غيظ حبيبة اكثر فتصرخ به

" هل اعجبك هذا ؟ اسيا تظننا نتشاجر "

ردد مستفزا اياها " انتِ لست اهلا حتى للشجار "

هدرت به " وماذا تقصد الآن ؟!"

اجابها وهو يرفع حاجبيه بطريقة اكثر استفزازا من كلماته " متى تنضجين وتتعلمين مواجهة ما لا يعجبك باسلوب مباشر بدلا من الحنق الطفولي المراوغ هذا "

ضربته بقوة على كتفه بينما تقول بصوت ارتعشت نبراته وبان الضعف فيه

" قلت لك مئة مرة لا تتعامل معي كطفلة !

اقسم بالله ان قلت لي كلمة توحي بأي معنى اني طفلة سأ.... "

كلمات بترتها شفتاه ...كان الامر فوق طاقته .. انه مجرد بشر مهما امتلك قدرة على الانضباط ... بعد كل ما جرى بعد ان .. اوشك .. ان يفقدها ..! يا الهي ...

يده ارتفعت لتحتوي وجهها بشوق مجنون ، بدت مصدومة وهي تتلقى هجومه المباغت .. لكنها كانت ذائبة تماما حتى شعر بدمعتها تسيل ..

تمالك نفسه ليبتعد قليلا يسند جبينه لجبينها .. ما زال يحتوي خدها بكفه يمسح دمعتها بابهامه وانفاسهما الحارة الهادرة تختلط....

تمتم اخيرا بصوت خشن

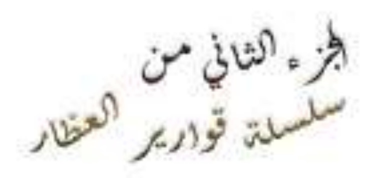
" ليتني اراك طفلة حقا .."

همست باسمه " يحيى .."

همسها الضعيف جعلته يسترجع بعض انضباطه ليعود احساس بالذنب يتملكه لكنه اغمض عينيه ليقول بانفلات من نوع آخر " فقط لو اعرف ..آه لو اعرف حقيقة القلب الذي تملكين "







رفعت وجهها اليه واوشكت شفتاها ان تمسا ذقنه لتسأل بضراوة انثوية " ماذا تقصد ..؟! فقط قل لي ماذا تقصد ؟!!"

فتح عينيه يحدق في زرقة عينيها فابتسم لها مطمئنا وهو يلامس خدها

" لا شيء .. لاشيء ...مجرد تخاريف .."

ثم حدق في تلك العينين ليقول بتركيز على كل كلمة " اريدك ان تتعافي .. هل فهمتِ .. اريدك قوية ثائرة متوهجة ... "

كانت لاتزال تحاول كسر الحواجز لتصل اليه بينما هو يقول بلهجة مشاكسة محببة

" احيانا أكون في مكتبي فاغمض عيني وانا اتخيلك تقتحمين علي المكان تصرخين وتعربدين باعتراضات على العمل لا اول لها ولا آخر .."

تمتمت بسؤال مختصر لكنه بدا شديد الاهمية " العمل ... فقط ؟!"

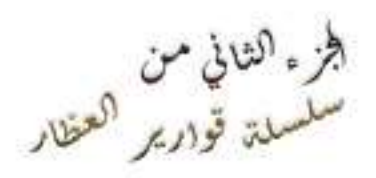
فرد بمراوغة جريئة " لااريد تخيل انك تعربدين في مناطق اخرى .. خطرة ..."

توردت وهي تسبل اهدابها لتلتف يده بتملك حول خصرها وظهرها هامسا بصوت مبحوح

" لقد .. نحلت جدا .." ردت بتنهيدة

" انا اصبحت مخيفة ولم انحل فقط .."







ضمها لصدره مغرقا وجهها في عنقها وهو يعد نفسه

(هذه المرة فقط .. فقط لاستطيع الصبر ..)

كانت ترتعش بين ذراعيه لهذا التقارب

الدافئ الحميم بينما خلاياه هو تنتفض تريد

المزيد ...والمزيد .... ولا من ملبّي !

ليهمس لها اخيرا قرب بشرة عنقها الطويل

" آه يا برية .... ليتك كنت مخيفة حقا ! "

في المساء

تحركت حبيبة في سريرها لتحاول ان تنهض

نفسها بينما الممرضة تقترب سريعا لتساعدها

فقالت حبيبة بخيبة أمل لم تستطع اخفاءها

" يبدو ان يحيى سيتأخر وامي ذهبت لتحضر لي

بعض الاغراض .. لذلك ساعتمد عليك في

تمارين المشي لهذا المساء .. تعالي لو سمحت

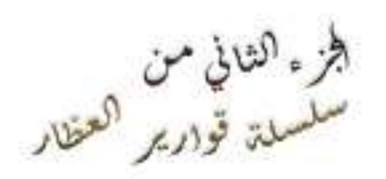
واسنديني انت لامشي في طرقات المستشفى "

اتكأت حبيبة لاهثة على كتفي الممرضة

قوية البنية رغم قصرها الشديد بينما

الممرضة الشابة تقول بنبرة اعجاب انثوي

لاتستطيع اخفاءها



" خطيبك السيد يحيى ... موجود هنا منذ فترة .. رأيته قبل قليل يتحدث عبر الهاتف "

تعجبت حبيبة بينما تردف الممرضة بثرثرة

" حقيقة بدا غاضبا وهو يتكلم باللغة الانجليزية ، لم اره غاضبا هكذا الا عندما كنتِ في حالة حرجة .. كان يجب ان تريه ماذا فعل مع الجميع وهو يصرخ بهم .."

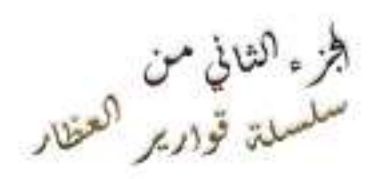
لم تخفي الممرضة تنهيدتها الحالمة مما جعل حبيبة تمتعض لكن ماذا بيدها ان تفعل ؟!! هل تضربها على رأسها مثلا لتستيقظ وتتوقف عن التنهد ؟! وماذا تفعل مع الباقيات ؟!

فالممرضات هنا اصبحن مهووسات به ويتناقلن اخباره وماذا فعل وماذا قال ... وكأنه كائن فضائي لاينتمي لجنس الرجال !!

تمتمت حبيبة من بين اسنانها وهي تخفي غيظها " حقا .. اذن هلا ساعدتني لاذهب اليه .. احب ان افاجئه بقدرتي على التحرك بسلاسة دون مساعدته .."

حالما غادرت الغرفة مع تلك الممرضة رأته من بعيد يقف في نهاية الممر ابتعدت عن كتف الممرضة واستندت للحائط بصعوبة لتقول لها " شكرا لك .. ها هو خطيبي قريب ... سيساعدني لاكمل تماريني .. "





بتحسر تركتها الممرضة وذهبت لشأنها بينما حبيبة تزفر بقوة لتتابع تقدمها الصعب ناحية يحيى بخطوات بطيئة ...

بضع خطوات منها وكانت على بعد بضعة امتار عندما بدأت اذناها تلتقطان كلماته المرتفعة الغاضبة ...

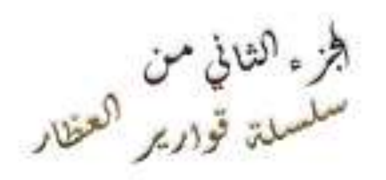
توقفت بفضول عابس ... لم تتبين هل كلامه موجه لرجل ام امرأة وهو يتحدث بانجليزية طليقة .. لكنها كانت تفهم ما يقول بكل هذا الانفعال ....

(لااريد ان اعيد التفكير بالموضوع... اتخذتُ قراري من زمن طويل .. كم مرة اعدت نفس الكلمات .. الامر ليس له علاقة بأي امرأة اخرى .. سأعود امريكا متى ما اشاء ولن يثنيني شيء من هذه السخافات .. الامر منتهٍ بيننا ..)

جمدت نظراتها وعقلها يفسر الجمل المبهمة بشكل عشوائي .. ولم تشعر بنفسها الا وهي تنسحب متراجعة لغرفتها وهي تدعو اللّه ان لايلتفت ويتنبه لها ...

ألقت نظرة اخيرة عند باب غرفتها فوجدته مازال على وقفته ويضرب بقبضته على الحائط! دخلت الغرفة ساهمة وافكارها متلاطمة ...







على مائدة طعام صغيرة قديمة صرخ فواز والخمر تتلاعب برأسه " يا وجه البوم ! ما هذا الطعام الماسخ ؟! "

وبعنف بالغ ضرب صحن الطعام حتى قلبه رأسا على عقب ناثرا محتوياته على سطح المائدة ..

سارعت شكرية لتلملم الطعام المبعثر تعيد وضعه في الصحن وهي تتمتم بجزع

" لاتغضب .. سأعد... لك غيره ...حالا "

اخذ يسب ويشتم بل ويلعنها بينما هي تمسح دموعها وتواصل تنظيف الفوضى التي احدثها...

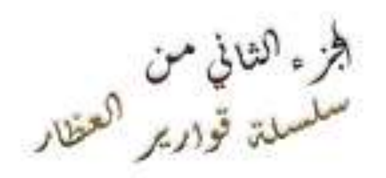
صوت باب الشقة جعلها تتماسك لترسم ابتسامة مشوهة على شفتيها تستقبل بها ولدها خليل ....

القى خليل سلاما باهتا وهو يغلق باب الشقة خلفه " مساء الخير .."

اقتربت الام منه تحاول جهدها اخفاء فواز عن ناظريه ، انها دوما تعيش ارتعاب الصدام بينهما ، ووضع فواز الليلة غير مطمئن ابدا ومزاجه يوما بعد يوم يزداد سوءا ...

قالت الام بنفس الابتسامة التي تثير الشفقة " مساء الخير بني .. هل اصب لك طعاما لتتعشى .."







صرخ فواز من خلفها وبنبرات متثاقلة " انه ليس بطفل .. دعيه يتعلم الاعتناء بنفسه .."

كان خليل يحدق في امه دون ان يلقي اهتماما لزوجها السكير وقد ادرك ببساطة ان هذا القذر قد بدأ ليلة فسقه ومجونه باكرا ...

رد خليل اخيرا على سؤال امه

" تعشيت امي ...أكلت شطيرة خفيفة عندما كنت ادرس في المعمل "

اختنقت الام في عبرتها لتمد يدها تربت بجزع على صدر ولدها قائلة بتحشرج

" خلود كانت تعد لك طعامك المفضل ، انها تطهو افضل مني اليس كذلك ؟ "

ابتسم خليل باشفاق مضاعف

" هل اشتقتِ لها ؟"

عندها صدح صوت فواز ساخرا بوقاحة وقد غادر كرسيه شبه مترنح " وما اخبارها ؟! ها قد مر اكثر من شهر على زواجها .. ألم تحمل بعد لتكيد زوجها السابق كما كادها وهو ينشر خبر حمل زوجته الجديدة "

عندها سألت الام بتلهف " هل خلود حامل ؟"

فتح خليل فمه ليرد عندما سبقه فواز بالقول الاكثر وقاحة وهو يتقدم منهما " عن نفسي لا اظن انها ستحمل طفلا في احشائها يوما ومصيرها الطلاق والعودة لجدران هذا البيت أبتلى بها كما ابتليت بأمها "





شهقت الام بعنف وخليل يبعدها عن طريقه وقد تفجر غضبه ليتقدم ناحية المائدة في لحظة ملتقطا سكينا هناك فيتوجه لفواز المترنح يمسك بفكه بعنف رهيب ويهدده بنبرة مرعبة " ساقطع لسانك بهذا السكين ان اعدتها يا فواز .."

بدأ فواز يدرك جدية الخطر بينما شكرية تولول وتتوسل فحاول ابعاد الفتى عنه عندما دفعه خليل بجسده ليحتجزه على الحائط وما زالت السكين قرب فم فواز المتهدل ...

اخذت شكرية تتشبث بذراع ولدها تشده وتتوسله ببكاء شديد

" اتركه خليل .. اتركه اتوسل اليك .. انه مخمور ...بعض الشيء.. ولايدرك ما يقوله .. "

صرخ بها فواز وقد كره صوت بكائها

" اخرسي يا امرأة .."

زمجر خليل وضغط بعنف اكبر على فك فواز وقد اوشك ان يحطمه بينما فواز يقاوم بلا فائدة ...

جنت الام وهي ترى ولدها يوشك على فعل اهوج فتذكرت كلام خلود واوجعها قلبها ايما وجع فاخذت الام تقبل ذراعها قبل هستيرية متفرقة متوسلة حتى وصلت يده لتقول بلهاث مرتعب







" اقبل يدك اتركه ... بل.. بل اقبل قدميك بني ..."

ولم تتوانَ عن النزول بجسدها لقدمي ولدها فابتعد خليل قبل ان تفعلها امه وهو يقول مشدوها " اماه ... ماذا تفعلين ؟! "

سارعت الام لترمي نفسها على صدره لاتتوقف عن البكاء والتوسل " اتوسل اليك بني لاتحملني ما لااطيق .."

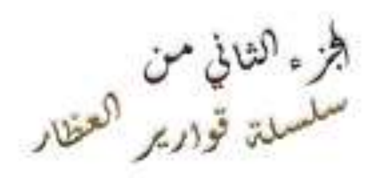
احتضن خليل جسد امه الذابل بينما عيناه تتطلعان برغبة انتقام مرير لذلك السكير المترنح ...

زمجر خليل وامه تبكي على صدره دون توقف " اعلم انك تريد التشفي بخلود لتعود منكسرة لهذا البيت .. لكنك هذه المرة لن تفلح .. "

كان يعرف ان ما سيقوله مجرد كذبة لكنه لم يقاوم رغبته بدحر ذلك القذر الحقير ولو عبر كذبة .. كذبة قد تكون حقيقة .. ولم لا ؟!

فاضاف بثقة اكبر " خلود حامل ... وهي سعيدة جدا بزواجها من حذيفة ولو كنت رجلا لما حرمت امها من ان تراها سعيدة هكذا، لكنك مجرد سادي يستمتع برؤية عذاب غيره "







لم يتنبه خليل في غمرة كذبته للصدمة على وجه فواز ... وظن انه ضربه بمقتل ..

لكن فواز في داخله تصاعد شعور اخر .. فما كان يخشاه حصل .. وخلود لن تعود لهذا البيت ... ابدا ....

حدق حذيفة عابسا في صغيرته التي تقف على سرير خلود بعد ان وضعت دميتها هناك ثم اخذت تنقل نظراتها الحائرة بين والدها وتلك المشعثة المجنونة ...

تلك الشهية تتجرأ وتقف في وجهه لتعلن بثقة مستفزة ان سعاد ستشاركها سريرها هذه الليلة ايضا حفاظا على جرح يده ...

تمتم حذيفة وعيناه تنتقلان بين مليكته وبين خلود قائلا بتذمر " لماذا يجب ان انام في هذا السرير الضخم بمفردي ..؟! "

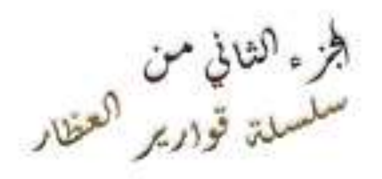
الوقحة تنظر اليه بثبات وترد

" انت كبير بما فيه الكفاية لتملأه بمفردك ... تصبح على خير .."

ادارت له ظهرها فتملك حذيفة التمرد فنادى ابنته قائلا بابتسامة حلوة

" سعاد .. تعالي ونامي انت جنبي .."





اغاظه ان سعاد راحت تحدق في وجه خلود الحانق وكأنها لاتملك كسر كلمتها

عندها قال بصوت حازم صارم " سعاد ! "

ارتبك قلبه مع ارتباكة نظرة ابنته فتبسم لها مقتربا يمد ذراعيه ليلتقط جسدها الصغير

" تعالي مليكتي ..."

وهكذا فعل ما اراد ونام قرير العين صغيرته تمرغ وجهها في صدره وهو يبتسم بانتصار بينما يسمع زمجرة خلود خلف ظهره فتتجدد روحه بالانتعاش ...

بعد منتصف الليل

استيقظ حذيفة مستشعرا البرودة !

عبس وهو يرى سريرا فارغا .. دفع الغطاء عنه ليلتفت ناحية سرير خلود ليجد صغيرته تنام قربها ....

كز على اسنانه غيظا .. ثم تراخى وعيناه تلتمعان ليبتسم وهو يغادر سريره متوجها لذلك السرير الذي يبدو انه يجذب الجميع اليه !

على الاضاءة الخافتة القادمة من الحمام رآها تنام على ظهرها وترفع ركبتيها حتى انحسر ثوبها عنهما ..





تقدم نحوها ودون تردد مد ذراعه المضمد تحت ساقيها وذراعه الاخر دسه تحت كتفيها وهو يتمتم بهمس خبيث " حسنا ... ما دامت صغيرتي تفضل سريرك فيجب ان احصل على تعويض "

شهقت خلود وهي ترمش بعينيها تنفض النوم لتستوعب ما يحصل لها وبينما يضعها على سريره ادركت حقا ان حذيفة كان يحملها فقالت وهي تحاول النهوض

" ماذا تفعل ؟ هل جننت ؟!! "

احتجزها بذراعيه وهو ينام جنبها بل حشرها حشرا الى صدره فلم تستطع منه فكاكا ليتمتم قرب اذنها

" هذا عقابك لانك افسدت طفلتي وجعلتها تفضل النوم معك .."

اخذت تقاوم وهي تهمس " دعني حذيفة .. اتركني .. ستوقظ سعاد وتقلق منامها "

لكنه لم يبال بل تحداها بالقول

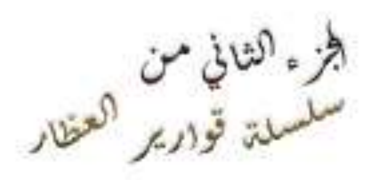
" انت من سيوقظها وليس انا ..."

حاولت مرة اخرى التملص ولكنها بدت كمن تصارع حائطا ! خاصة وهي لاتستطيع المقاومة بعنف وهي تخشى على يده المصابة

...







اخذت تنهت وهي تهمس " لا اريد النوم هنا .. دعني اعود لسريري .."

تمتم بصوت أجش وشفتاه تقتربان من شفتيها

دون ان تمسهما " لماذا ترفضين البقاء معي ؟! منذ الصباح تختلقين الاعذار لتلازمي امي بدلا مني حتى شككت انك في النهاية ستجلسين في حجرها ! .. والان لاتريدين النوم بجانبي .. لم كل هذا ؟ اتخشين ان... ان..."

لم يمهلها كما لم يمهل نفسه التفسير وقبلاته كانت شديدة الضراوة على شفتيها ..

اختنقت من شدة العاطفة وهي تبتعد بفمها عنه تلهث بالهمس " حذيـ..فة ... ابنتك .."

كان يلهث هو الآخر لكنه مستمتع بطريقة لاتوصف ، قال بصوت متحشرج مغيظ وانفاسه تلفح وجهها " ماذا فعلت ؟ انا اقبلك فقط "

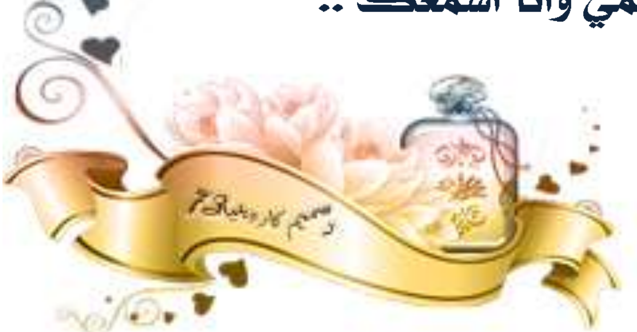
اخذت تقاوم بحركات خرقاء وهي تتوسله بضعف " دعني ...اذهب لسريري .. ارجوك "

تشبث بها لتثبت مكانها وهو يقول باصرار

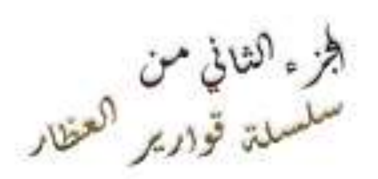
" بل ستظلين .."

عاد للهيب قبلاته وهو يعتصر خصرها النحيل اعتصارا فتأوهت بوجع " آآه .. آلمتني .."

لم يعتذر بينما لهاثه المستمتع يداعب اذنها هامسا " كلميني عن مدرستك .. حياتك في الجامعة... فقط تكلمي وانا اسمعك .. "







عندها فاجأته بالسؤال

" لماذا لاتكلمني انت عن نفسك ؟"

ابتعد برأسه قليلا يحدق في وجهها بتعجب دون ان تفارقه الابتسامة المغيظة ليهمس لها

غامزا " حياتي في الجامعة ؟ كانت كلها عبث .. هل تريدين نموذجا من بعض ذاك العبث ؟"

احمرت بشدة لكنها قالت بشجاعة " انا قصدت والدة سعاد ..كيف كانت ؟ زواجك منها .. هل .. احببتها ؟"

ساد الصمت وحذيفة يضيق عينيه قليلا ليركز في ملامح وجهها ، ابتسامة لاهية

عابثة مرت على شفتيه وهو يراها ترتبك وتعض شفتها السفلى فسأل بصوت أجش

" هل دوما انت جريئة في خطواتك نحو الاخرين هكذا ؟"

تمتمت بندم " حسنا .... اسفة .."

يده جاشت في شعرها بنوع من الخشونة فقال بلهجة غامضة " كانت جميلة جدا تشبه سعاد الى حد كبير .."

ابتلعت خلود ريقها امام ناظريه وبدا مستمتعا بما يراه ليضيف بنفس اللهجة متمّما وصفه

" مرحة ....تحب الحرية والانطلاق .."



لف اصابعه حول خصل متفرقة من شعرها يشدها بعض الشيء بينما هي تستسلم لخشونته فيضيف ببساطة وهو يتطلع لعينيها الغيورتين

" احبتني بجنون ولاحقتني حتى تزوجتها "

قالت عندها بتهور وكأنها تنفس عن مشاعرها " يبدو انك مبتلى بمن يفرضْنَ الزواج عليك"

سارع لوضع يده على فمها وهو يشعر بتململ صغيرته في السرير القريب " اشششششششش "

ظل يحدق جانبا في صغيرته حتى اطمأن لاستقرار نومها ليعود لخلود فيبعد يده عن فمها ويحدق فيه بعبث ثم ينقل نظراته لعينيها هامسا بلؤم

" قولي انك تشعرين بالغيرة "

ادارت وجهها جانبا وهي تهمس بإنكار " لا .."

اعاد وجهها اليه ليقول بصوت مبحوح " ما دمت تحبينني فمؤكد انك تشعرين بالغيرة من نتالي "

تمتمت بصوت يفيض غيرة " اسمها نتالي ؟ "

لم تفارق عيناه عينيها بينما تهمس بالسؤال

" كيف .. ماتت ؟"

غامت عيناه بمشاعر لم تفهمها وهو يرد

" بجرعة مفرطة من الهيروين .."





شهقت مصدومة ثم شعرت بالحرج لتنتهي بتعاطف صادق وهي تهمس

" يا الهي .. لابد انك عانيت بسبب هذا "

فاجأها وهو يرد بنوع من القسوة " لاتجزعي بدراما هكذا .. كنا قد انفصلنا قبلها بكثير وهي اختارت العودة لحياة الحرية رافضة مسؤولياتها كزوجة وام .."

خنقها السؤال ولم تستطع كتمه

" هل احببتها ؟"

حركة لامبالية من شفتيه ليهمس " ربما ..."

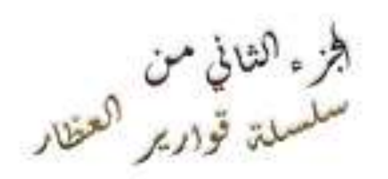
ملأها شعور غريب بالأسى فقالت بتحشرج " انا لست جميلة .. لماذا لاتتزوج اخرى جميلة كزوجتك الاولى وتعيش .. معها بشكل ..طبيعي .. انت تحتاج لامرأة في حياتك يا حذيفة .."

ابتسامة مفترسة على شفتيه وانفاس هادرة تنفث كالنار منه فيعود ليشدد من خشونة امساكه بجسدها النحيل قائلا بهمس خافت

" وماذا عن المرأة التي بين ذراعي الآن وتدعي انها تحبني ؟! "

ردت بتوسل وشعور عارم بالخزي " ارجوك كف عن تذكيري باعترافاتي السخيفة ، هل يجب ان تعيد هذا مرارا وتكرارا "





لكنه لم يبال وهو يقول بصراحة فجة " انا
كنت اتساءل كيف تقولين انك تحبينني
وبنفس الوقت تريدين مني الزواج بأخرى "

فاجأته بالقول وعيناها لامعتان بدموع لم
تنزل" لاني .. احبك .. اريدك ... سعيدا .."

ابتسامته تغيرت في معناها وهو يحدق فيها
يشعر بجوع رهيب لالتهام كل هذا الحب
الموجه له وحده ... بعفوية .. بتلقائية
طبيعية ..دون شروط .. دون حتى طلب
مقابل...انها فقط تحبه لانها تشعر انه يستحق
هذا الحب .. بل يستحق اكثر ...

كيف تتخيل هذه المجنونة انه قد يستدبلها
بأي امرأة ؟ انها ليست مجرد امرأة في حياته..

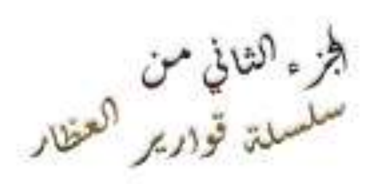
ابدا ليست مجرد امرأة ..

قال بهمس مشاغب " انا سعيد الآن وانت بين
ذراعي مشعثة الشعر دامعة العينين بفم كبير
لايتوقف عن الكلام الساذج .. "

ثم تأججت مشاعره فلم يقاوم وهو يميل اليها
بشفتيه هامسا " آه من هذا الفم .."

عندما ترك شفتيها كان الدم يضخ ضخا في
رأسه فيقاوم ليسيطر فيغمض عينيه قائلا
بشراسة " اقسم بالله لم تغريني امرأة كما
تغرينني انت "







اغرق وجهه في شعرها يأخذ انفاسا عميقة

يحاول كبت انفعالاته كما لم يفعل في

حياته مع امرأة من قبل ...

قالت وانفاسها لاتهدأ كما مقاومتها لاتهدأ

" انا لست جميلة .. لا.. لااعرف لماذا ..

اغريك ..؟!! حقا لااعرف .."

رفع وجهه يتطلع اليها بنظرات مستعرة ومشاعر

تفيض بالحاجة " انا اراك اكثر من جميلة و

احتاجك قربي خلود .. احتاجك ..

احتاجك انت .."

عاد لعنف العاطفة وهو يضمها اليه بل يداه

اصبحتا اكثر جرأة فتشنجت خلود وهي

تتمسك بثوبها تمنعه من دس يده تحته

تناديه بتوسل هامس مرتعب

" حذيفة .. لا .. ارجوك لن استطيع ..."

تماسك حذيفة قليلا ليهدأ من مخاوفها

فهمس يحاول بجدية طمأنتها من بين انفاسه

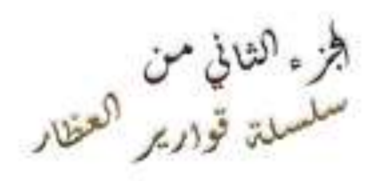
المنفعلة " لاتخافي ...ولاتضطربي .. اهدأي

خلود .. انا لن افعل ما تخشينه ..الآن .. "

كانت قد هدأت قليلا فهمس مشجعا اياها

" اجل ... هكذا .. اهدئي و استرخي تماما ..."





صدرها كان يعلو ويهبط وهي تغمض عينيها فابتسم رغما عنه ليهمس قرب اذنها

" اتركي نفسك لي واعدك ما تخافين حصوله سيحصل ولكن .. سيحصل وانت مستعدة وراغبة وواعية وسيكون في الوقت والمكان المناسبين .. اعدك خلود .. لن اخيفك .. ولن أوذيك .."

رن هاتفها فالتقطته لترى اسمه متوهجا على الشاشة .. اخذت نفسا عميقا وزفرته ببطئ قبل ان تفتح الخط ..

دون مقدمات قال بصوت أجش

" لم استطع النوم .."

تساءلت وهي تحدق في ظلمة غرفتها " لماذا ؟"

رد بغموض " لم تعجبيني هذا المساء .."

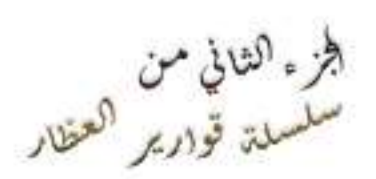
سألت بمراوغة وهي تقاوم شعورا قابضا لصدرها " ماذا فعلت ؟"

تنهد وهو يقول بعاطفة " كنت باردة .. هادئة متباعدة ... احببتك في الصباح اكثر وانت تناقرين وتشاكسين "

دون شعورها اطلقت تنهيدة عالية فسألها مخفيا قلقه خلف ممازحة رقيقة

" ماذا تعني هذه التنهيدة يا ترى ؟"







فاجأته بالقول المحير المعاني

" يحيى لقد قررت أن أخرج صباح الغد من المستشفى .."

صمت بينما هي تردف بالمزيد " وبدءا من الاسبوع القادم سأعود لعملي في الشركة .."

سأل بهدوء " لم كل هذه العجلة ؟ ماذا حدث لتعجلي الامور هكذا .."

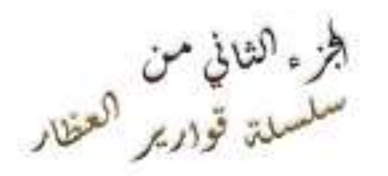
ردت وهي تخنق رغبتها بالبكاء " لم اعد اتحمل افكاري يحيى .. اريد ان اخرج من هذا الجو .. من هذه القوقعة المرعبة التي اعيشها منذ فترة طالت اكثر مما يجب "

صمت آخر ... لكن هذه المرة كان يحيى السبّاق لقطعه قائلا ببجة مثيرة تحمل شجنا خاصا

" حسن .. اخرجي .. حبيبة .. هذه غاية مناي .. لاجل سعادتك .."







الفصل الثامن عشر

بعد اسبوع

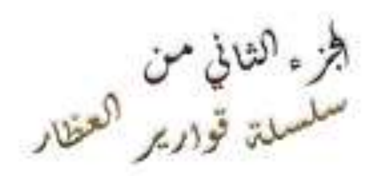
ترجلت من سيارة الاجرة بصعوبة شديدة ، انفاسها تكاد تنقطع وهي تتحامل على نفسها، لكنها ليست نادمة على رفض عرض رضا لايصالها ، كانت عنيدة وصلبة باصرارها على الذهاب بسيارة أجرة .. وكان ما ارادت فأحضر لها رضا سيارة اجرة حتى باب البيت ليشيعها بنظراته الغامضة ....

اخذت نفسا عميقا وهي تقترب من بوابة المبنى حيث الشركة ، خطواتها بطيئة وتقاوم شعور الألم لكنها تسعى بشجاعة ورباطة جأش ...

فتحت البوابة الزجاجية قبل ان تصل اليها ليخرج عبرها الحارس الامني شهاب مهرولا نحوها باسما في وجهها، اخذ قلبها ببهجة استقباله الذي لم تتوقعه بينما يقترب منها بخطوات متسارعة طفولية لتبدو قمة التناقض مع ضخامته وشاربيه المميزين ..

ارتعشت تاثرا لعودة تلك الابتسامة التي كان يستقبلها بها سابقا .. قبل ان يراها بذلك المشهد المخزي في تلك الليلة المشؤومة التي امتدت اثارها طويلا بعدها ..





وقف امامها بنفس البسمة فاردا ذراعيه الضخمين الى جانبي جذعه العريض في فرحة حقيقية ودهشة محببة بينما يتطلع اليها من قمة رأسها الى اسفل قدميها وهو يتمتم بصدق عفوي " بسم اللّه ما شاء اللّه ... تبدين بافضل حال .. حفظك اللّه ورعاك انسة حبيبة ، حمدا للّه على سلامتك "

كانت الغصة تخنقها رغما عنها وهي تتمتم بشكر مرتبك خجول ، امسكها من مرفقها ليسندها قليلا رغم رفضها المتمنع لكنها كانت اضعف من الاصرار على الرفض فأرتقت معه الدرجتين قبل ان تصل البوابة وتفتح ...

لم يتركها ليسندها ايضا وهو يسير معها حتى المصعد بينما يثرثر بالكلمات المتناثرة التي تحمل معنى الانشراح والفرح ... حسنا .. هذا الرجل منحها طاقة ايجابية عالية ... وهي تحتاج لكل طاقة ممكنة هذا اليوم ...

ابتسمت له اخيرا قبل ان تنغلق باب المصعد فتفصل بينهما ليأتيها صوته بالقول

" تبدين رائعة حقا آنستي "

تنهدت حبيبة ببعض الارتياح وهي تتطلع لنفسها في مرآة المصعد.. شعرها القمحي الاشقر مرفوع كذيل حصان ومربوط بباقة من شرائط ملونة خفيفة تتطاير مع كل حركة من رأسها ..







وجهها زينته مساحيق تجميل هادئة جعلتها

تبدو متوردة الوجنتين لامعة الشفتين

كحيلة العينين لتبرز زرقتهما اكثر ..

تطلعت للاسفل حيث ثوبها الجديد من قماش

الجينز الغامق الذي انساب على جسدها

الممشوق ملتصقا بجذعها ليستعرض عند

الخصر حتى كاحليها واخيرا صندل خفيف

ملون كألوان الشرائط ..

ولم تكتمل بهجة هيئتها الجديدة الا مع

اكسسواراتها الملونة في عدة عقود طويلة

كعقود الغجر واساور مبهرجة من نفس النوع

في معصم يدها اليسرى واما ذراعها الايمن فقد

تخفي مع جبيرته في حامل كتف مبهرج على

نفس النسق ...

كل هذا من ابداعات رباب ... حقا ابدعت في

اختيارها لهذه التشكيلة من فستان

واكسسوارات دون ان تنسى خياطة حامل

الكتف الملون.. هذه الفتاة موهوبة بحق ..

اوشكت ان تصل للطابق المطلوب فشدت العزم

تحاول السيطرة على اندفاعها اللاهث حتى

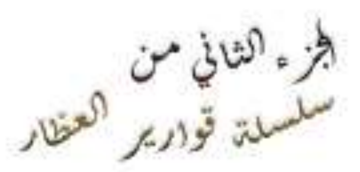
تذهب اليه مباشرة وترى ردة فعله ...

انه لايعرف عن حضورها اليوم .. خدعته

بالقول انها ستؤجل لليوم الذي يليه ..

ارادت ان تحضر بنفسها وتفاجئه في مكتبه ..







الاسبوع الماضي كان مرهقا لها كما بدا مرهقا له ايضا .. اجل لن يخدعها بصمت لسانه وعيناه تنطقان ...!

ربما بالغت بما فعلته .. فكلما حضر لبيتهم تعامله بلطف هادئ مستفز متباعد وتأبى الانفراد به بطريقة غير مباشرة لكنها محسوسة ..

وهو ذكي جدا ليلتقط الاشارات ... حسنا .. كان نوعا من العقاب وبنفس الوقت ارادت مفاجأتها له في هذا اليوم ان تكون اوقع ...

تمتمت ببعض الشرود بينما باب المصعد يفتح

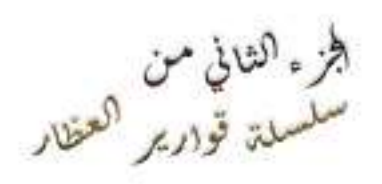
" سترى من هي الطفلة التائهة التي تعتقدها!"

ما أن عبرت ذلك الباب الالكتروني حتى علا صوت صيحة فرح من موظفة الاستقبال التي تقدمت اليها مهرولة لتحتضنها وتقبلها وخلال لحظات اخذ بعض الموظفين يتجمعون حولها مهنئين لعودتها سالمة .. ومن بين الوجوه لمحت وجه هويدة .. كانت هويدة متباعدة وعيناها كسيرتان تفيضان باحساس الذنب !

كم مضى ..؟ ربع ساعة .. اكثر .. اقل .. لاتعلم .. كل ما كانت تعلمه انها طوال الوقت حاولت ان تسيطر على رغبتها لاسكات الجميع حتى لايكتشف يحيى حضورها قبل ان تذهب اليه بنفسها ...

تنفست الصعداء اخيرا عندما تحركت ببطئ شديد ناحية مكتب الادارة ...





لايام عديدة مرت قضتها وهي تقلب في عقلها الجمل التي سمعتها منه وهو يتكلم عبر الهاتف..

فبعد صدمة التفسير الاول التي جعلتها تتقوقع في جلسة مصارحة ومواجهة مع النفس وجدت ان هناك عشرات التفاسير الاخرى المغايرة ..

وبنهاية المطاف وصلت لفكرة واحدة هي الاكثر منطقية وحسما .. انها تريد يحيى .. الامر بهذه البساطة ... ومهما كان معنى هذه الجمل لن تتنازل عنه ولن تخسره ...

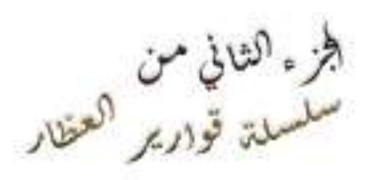
تبسمت بلطف عند دخولها للسكرتيرة الجديدة ، لم تكن موظفة جديدة في الشركة لكنها منصبها كسكرتيرة ليحيى كان هو الجديد ...

سارعت حبيبة لتغمز لها وهي ترفع سبابتها لفمها مشيرة بالصمت فاكتفت السكرتيرة بأن تقدمت منها على مهل تهمس لها بتهنئة السلامة وتقبلها ببشاشة ..

خلال لحظات كانت عند باب مكتبه ...

وقفت لتأخذ نفسا عميقا قبل ان تفتح الباب دون استئذان ...







عاري الصدر يتحرك بتمهل متعمد مغيظ في انحاء الغرفة متلاهيا عن كتلة العبوس المشعثة المجنونة المجسدة بزوجته التي لم تصبح زوجته بعد !

عض شفته وهو يرمي المنشفة ارضا ليزيد غيظها بينما يقف امام منضدة الزينة فيمرر يده في شعره الرطب بحركات متتابعة لترتيبه دون استخدام مشط بينما عيناه تحيدان نحو تلك التي تثير جنونه كل ليلة فيرتوي ولا يرتوي !...

تقف خلود محدقة في حذيفة وهي تحمل بعناد الشاش الطبي والمعقم ، لقد ظلت تنتظره حتى خروجه من الحمام ولم تيأس من محاولة اقناعه لتلف جرح يده والذي (برأيها) لم يبرأ بعد ويحتاج لضماد جديد بينما يرفضه هو ...

نظر اليها عبر المرآة والابتسامة تتراقص على شفتيه ليقول بصوت أجش ساخر " اين سعاد ؟"

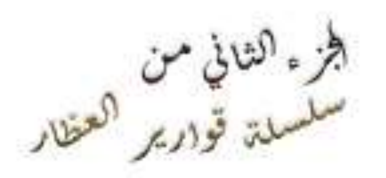
فترد بحاجبين معقودين " تعاني عقدتها اليومية بتوديع سامي قبل ذهابه للمدرسة "

ضحك من قلبه وهو يستدير اليها ليقول من بين ضحكاته " الا تعرفين الاستسلام ؟!"

هزت رأسها نفيا وهي ما زالت عابسة ...

تنهد بابتسامة صافية وعيناه تلمعان ثم همس وهو يشير لها بسبابته " تعالي .."





تراخى عبوسها بينما توردت وجنتاها .. ابتلعت ريقها على اثر همسة اخرى منه " تعالي .."

تقدمت منه وهي تتشبث بالشاش والمعقم كطوق نجاة وحالما اصبحت قريبة منه شهقت وهو يسحبها اليه ليميل بشفتيه اليها يقبلها بشغف وحرارة وهي تبادله بحرارة اشد وشغف اقوى!

لم تعد تعرف نفسها ! .. منذ اسبوع لم تعد تعرف من هي هذه الـ(خلود) التي استوطنتها .... (خلود) لم تعد تعرف معنى الحياء او الخجل وهي تستسلم له كل ليلة بعطش عاطفي رهيب متطلب !

هذا الضخم الغريب المهلك المخيف انتزع منها (خلود) التي عرفتها طيلة حياتها !

وقع منها الشاش والمعقم ارضا وهي تتعلق برقبته تقبله باشتعال عاطفي لايقل عن اشتعاله هو ...

ذكريات ليلة الامس تحديدا كانت حية بداخلها .. تتنفس هواء عشقه ...

ليلة الامس بدت وكأنها لن تنتهي !

لم يكف عن اثارة عاطفتها بشوق مذهل كما يفعل كل ليلة دون ان ينسى تطمينها بصوته الهامس الأجش انه لن يفعل ما تخشاه هي فجعلها تعيش اعلى مراحل العاطفة بانفتاح لايعرف الحدود...





انفتاح كانت تقاومه طوال الليالي السابقات ... لتستسلم بالامس ويلتزم هو بوعده ...

كان هو من ابعد شفتيه اولا بينما هي تلهث.. تطن اذناها ودوار لذيذ يغيبها عما حولها ...

همسه الخشن يداعب اذنها " لن ننتظر حتى الاسبوع المقبل .. سننتقل للملحق خلال يومين لاكثر ... وليكمل العمال المطبخ في الوقت الذي يريدون "

انفاسها تتلاحق بعنف وهي تضع رأسها على صدره بينما تهمس بتشوش " ماذا تقصد ؟!"

رد بحرارة وكفاه تحفران في ظهرها " اذا استمرينا هكذا سأفقد يدي حتما هذه المرة

وانا افكر فيك طيلة النهار في المعمل ... ستكونين لي في اول ليلة لنا في الملحق الجديد "

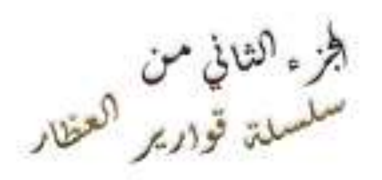
شهقت بنعومة وهي تبتعد برأسها عن صدره لترفع رأسها وتواجه عينيه المتوهجتين بالعاطفة هامسة اسمه باختناق متوسل

" حذيفة .."

ابتسم لها بشقاوة وهو يبتعد قليلا عنها ليمسك معصمها ويسحبها معه ناحية السرير وهو يقول بصوت أجش

" تعالي يا شهية .. سأخبرك بسر خطير لايعرفه الا انا وامي ... "







كان يخفي تعابيره عنها بينما يجلس متربعا على السرير الضخم متكئا بظهره لدعامة السرير الخلفية بينما هي تجلس قبالته وبدا على وجهها المتورد بعض القلق وهي تتساءل

" ماذا ؟!"

كاد ان ينفجر ضاحكا من ملامح وجهها القلقة البريئة .. تجلس على ركبتيها امامه بتركيز محبب تلملم ثوبها حولها بعفوية ، لقد كره هذه الاثواب !

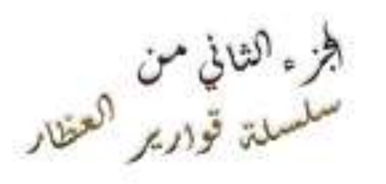
اول شيء سيفعله بعد اخبار رضا بقراره انه سيشتري لها ملابس من نوع (خاص) ترضي خياله الذي اصبح مريضا مهووسا بهذه المجنونة التي تلهب حواسه ...

ادّعى الجدية التامة وهو يقترب بوجهه من وجهها ليهمس وكأنه يخبرها بسر " انا ... لدي خرزة زرقاء في كتفي الايمن .."

اتسعت عيناها بصدمة وهي تتساءل بقلق متزايد " ماذا ؟! "

بدت مصدقة لدرجة اعتصرت قلبه لكنه لم يقاوم ... فيها شيء يستفزه دوما لاخراج هذا الجانب المحبب منها فهمس وعيناه في عينيها







" اجل يجب ان تعرفي السر .. انها خرزة .. خرزة تحمل قوة خاصة تقيني اعمال السحر طيلة حياتي .. امي طلبت من العراف زرعها في كتفي بعد شهر واحد من ولادتي "

امسك يدها ورفعها لكتفه الايسر هامسا

" تحسسيها لتصدقي .. " ثم اخذ يضغط اناملها على كتفه وهو يردف

" ابحثي جيدا .. ستجدينها حتما .."

عفويا اخذت اطراف اصابعها تضغط على كتفه بينما هو يمسك نفسه حتى لايفضح كذبته ثم فجأة توقفت عما تفعله لتسأله بحيرة

" هذا كتفك الايسر ..! وانت قلت الايمن "

ادعى التفكير هذه المرة وهو يقول " اممم حقيقة لم اعد اذكر ! هل هو الايمن ام الايسر ...؟! ربما عليك ان تبحثي في الكتفين معا "

ليمسك بيدها الاخرى ويضعها على كتفه الايمن وهي بكل براءة اخذت تدعك كتفيه بعزم جاد لايجاد تلك الخرزة !

يداه هو زحفتا في غفلة منها لذلك الخصر النحيل يخفي تأوه تأثره الرجولي بها وبشق الانفس بينما ملامساتها لكتفيه تثير مشاعره بشكل لايطاق ...







تمتمت وهي تجهد نفسها في البحث

" وهل لاخوتك نفس الخرزة ايضا ؟ "

ابتلع ريقه وعيناه على شفتيها هامسا بصوت مبحوح " لا .. انا فقط .."

فتقترب عفويا من جسده وقد اغاظها انها لم تجد الخرزة حتى الآن بينما تسأله

" ولماذا انت تحديدا دون اخوتك ؟ "

كاد يمزق هذا الثوب اللعين ! الا يوجد منفذ واحد فيه ليصل اليها ؟! رد وهو مشغول بمعضلته " كنت الولد الثالث فشهقت النسوة عندما علمن بالامر ، خافت امي علي خاصة اني كنت الاكثر وسامة .."

شعرها غمر وجهه وهي تقترب اكثر تدعك بقوة اكبر وهي تسأل بجدية

" وماذا تفعل هذه الخرزة بالضبط ؟ "

رائحة الصابون تغلغلت لخلايا عقله فيمتعه العذاب وهو يهمس مغمض العينين

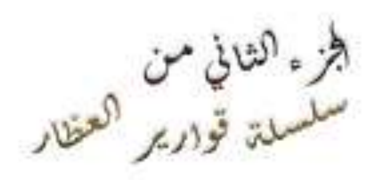
" قلت لك .. انها تقيني اعمال السحر فتبطل مفعوله مهما كان قويا .. "

ثم فتح عينيه قليلا ليقول بابتسامة شقية تخفيها خصل شعرها الثائرة

" بل انها تبطل السحر حتى عمّن يخصونني .."







وكأنه يشحذ همتها بكلماته ليجعلها تمرر يدها على كتفيه بشغف ان تجد ضالتها بينما هو فقد آخر ذرة من صبره ليميل بها بعنف الى السرير مشرفا عليها قائلا بصوت يضج رغبة وحشية فيها

" سننتقل للملحق هذا اليوم بل الآن تحديدا ! فليذهب المعمل الى الجحيم ... سأتفرغ هذا النهار لانجاز الانتقال ..."

ثم مال متأوها يقبل رقبتها ويهمس باشتياق مجنون " هذه الليلة ابحثي عن خرزتك كما تشائين بينما انا سأبحث عن مصدر سحرك لافتك به ! "

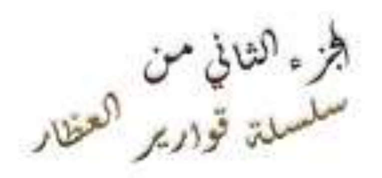
كانت مصدومة وهي تستسلم لاحتضانه الخشن ولم تعد تعرف هل هو جاد في مسألة الانتقال ام لا !

ليغمرها بلهيب شفتيه وهو يهمس بعنف

" هذه الليلة سنرى هل سحرك اقوى ام ترياقي ؟! "

دهشة وبعض الانزعاج هما اول تعبيرين لفحا وجهه عندما فتحت الباب دون استئذان ثم سرعان ما اتسعت عيناه وهو يكتشف هوية (المقتحم) لمكتبه ليرتعش الفنجان في يده وهو يهمس " حبيبة ..؟! "







شعرت بالاثارة لمفاجأته هكذا .. ثم انتعشت انثوتها بتدقيقه الرجولي الحار فيها .. في كل جزء منها وهو عاجز عن ابعاد ناظريه ....

لتشعر بعدها بما هو اكثر وهي تراه يحاول اخفاء ردة فعله القوية محنيا رأسه قليلا ومسدلا اهدابه بتعمد ليُنزل يده ويضع فنجانه بهدوء على سطح مكتبه ، أبتسم قبل ان يرفع وجهه اليها بثبات يحدق فيها بنظرات غامضة وهو يقول بنبرة خاصة " اذن خدعتيني وانت توهميني انك لن تحضري الا في الغد .."

ابتسمت له فتشع عيناها تحديا فطريا بينما ترتفع يدها اليسرى بدلال جديد عليها لتلامس ذيل حصانها وهي تقول بمرح مشاكس

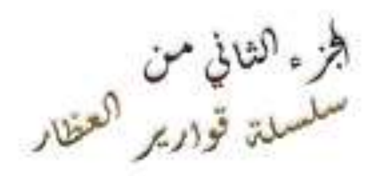
" انه خطؤك انك تصدق... طفلة ! "

اقترب منها وعيناه تستكشفان ملامحها الفاتنة قائلا بصوت أجش " اجل هو خطئي ! كنت اظن ان طفلة جميلة متدللة بديهيا لاتعرف الكذب .. "

وقف امامها .. يفوقها طولا يحدق بعينين نصف مغمضتين في شفتيها اللامعتين فتصمد امام تغزله الصامت هذا لتغمز له وتقول بجرأة " ليست ان كانت طفلة.. شقية مشاغبة عنيدة منذ ولادتها .."







قلبها يدق بعنف في صدرها لكنها أبت ان تشيح بعينيها بعيدا عن تحدي واستكشاف عينيه ، انها تشعر بطاقة غريبة وهي تنتزع منه ضعفه امامها .. حسنا ... كانت تحتاج لهذا فقط ... انه لها .. وستفهمه هذه الحقيقة التي قد تعجز الكلمات عن التعبير عنها او تقديم الاثبات الكافي لعقله الملتوي ..

هو رجلها هي .. هو من اعطاها هذه المكانة .. ولن يسلبها ما منحها اياه ... يوجعها قلبها كلما فكرت باحتمالية فقدانه .. ان يبتعد ..

يا الهي .. انه غبي !

هل يتصور انها ستتنازل عنه مثلا ...؟!

هو من اقترب متسللا على مهل حتى وصل مشارف القلب بينما كانت هي تعيش في دوامات مرهقة لاهية عنه .. ثم ارسل جيوشا خفية غزت القلب من كل جانب ...

حسنا ... لقد اراد الفلفة الحمراء الحارة فعليه تحمل لسعها له لانه لايملك خيار اخر ...

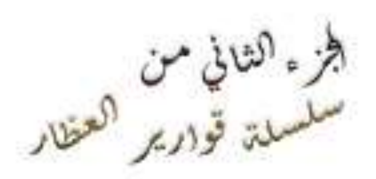
انفاسه الحارة لفحت وجهها فرأت في عينيه كيف يصارع في معركته الداخلية الخاصة ... الغبي ...! ما دمت تقاوم سأعذبك بمقاومتك ....

همست بكبرياء

" هل استطيع الذهاب لعملي الآن ؟ ..."







ابتسامة خطيرة لامست شفتيه بينما انفاسه تزداد خشونة ومقاومته تكاد تنهار ...

ببطئ شديد اخذ يميل ناحية شفتيها وعندما اوشك على تذوقهما ابتعدت بسنتيمتر واحد فقط وهي تقول بهمس شقي " احذر يا مديري وابتعد... فزوجي رجل غيور .."

تمتم وشفتاه ما زالتا عند شفتيها

" زوجك ؟! هل انت متزوجة يا صغيرة ؟"

ردت وقلبها ينتفض " نعم .. انا متزوجة اكثر الرجال وسامة و .. تعقيدا .."

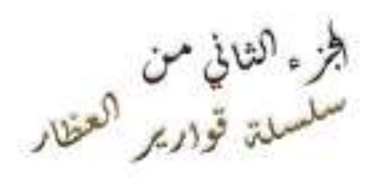
اخذ نفسا عميقا جدا واطلقه بقوة وهو يغمض عينيه ويهمس

" انت تعربدين في الاماكن الخطرة يا بريّة .. ونحن اتفقنا ان لاتفعليها حتى تدركي حقا ما تفعلين وتتحملين نتائجه بالكامل .."

ابتعدت بصعوبة خطوة للخلف ففتح عينيه تلقائيا وهو يستعدل بجذعه لتشمخ امامه قائلة بعنفوان

" نسيت ان اخبرك ان زوجي اكثر الرجال غرورا ايضا .. يظن نفسه الاذكى دوما .."

ابتلع ريقه وهو يحدق فيها وانسابت نظراته على طول قامتها الهيفاء ليضع يديه في جيبيه متسائلا بصوت مبحوح





" منذ متى ترتدين هذا النوع من الفساتين والاكسسورات المبهرجة ؟ "

هزت كتفيها بخفة وهي تلامس اعلى ساقها الايمن وتقول " مضطرة للجوء للفساتين بسبب جبيرة الفخذ .. لقد استسلمت لرحلة مضنية للتسوق مع الفتيات .."

عبس وهو يتساءل " متى ؟! انت لم تخبريني.."

ردت وهي تتحامل على شعورها بالألم لوقفتها هذه " كنا نخرج جميعا مع اسيا عند العصر.."

ثم اضافت بعينين مرحتين " لقد تركت نفسي تماما لرباب تحديدا تختار لي ما تشاء وعلى ذوقها الخاص ..."

رد بجذل مستمتعا بمزاجها الغريب " هل اصبحت طيعة لهذه الدرجة و تستسلمين ببساطة لارادة الاخرين ؟ "

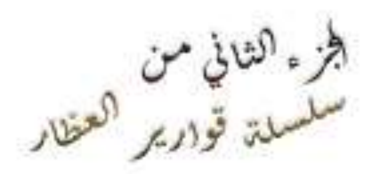
وكأنها تحاكي افكاره الداخلية لترد بنبرة غامضة " استسلم حسب مزاجي الجديد اصبحت لاامانع الاستسلام عندما ارغب حقا في هذا .."

اطبق فكيه يحدق فيها فاضافت بحشرجة وألم داخلي تعاضد مع ألم جسدها

" بالمناسبة .. اين خاتمي ؟ الممرضة اخبرتني انك اخذته .."

سأل بهدوء " تقصدين (حبيبتي البرية) ؟"





هزت راسها نعم فرد بنفس الهدوء " انه..معي.."

قالت بنبرة قاطعة وعينين مشتعلتين بالتحدي " اريده .."

فالتفت فجأة موليا اياها ظهره هامسا بحشرجة غريبة " اذن تعالي وخذيه متى شئت .."

وقبل ان تقول المزيد تحرك مبتعدا عنها وهو يقول بصوت أجش " اذهبي لعملك يا آنسة .. زوجك اوصاني بك خيرا لكني لن اتهاون في ادائك للعمل ..."

تمتمت ببضع كلمات وهي تنسحب ببطئ بينما هو يقف جوار مكتبه يده متقبضة بعنف يقاوم بشراسة رغبته العارمة فيها ..

" هل هي .. بخير .. اخبرني الحقيقة مجد "

صوته كان يرتعش عبر الهاتف ويكاد مجد لايتعرف على هزالة نبراته !

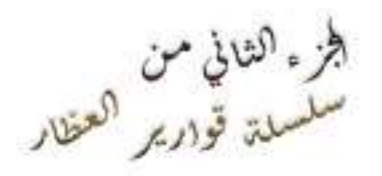
رد مجد مؤكدا بصوت منخفض " اقسم لك انها بخير ، لماذا اكذب عليك يا مهند ؟! انا الذي اتصلت بك لاطمئنك كما طلبت حالما رأيتها تدخل الشركة امامي "

جاءه صوت مهند متلهفا ليلقي مزيدا من الاسئلة " اذن هي .. سليمة معافاة تماما اليس كذلك ؟ عادت كما كانت .. صحيح ؟ "

اخذ مجد يدعك جبهته لايعرف ما يقول ! كيف يظن مهند انها عادت ببساطة كما كانت ؟! اصابه الغيظ ! نعم الغيظ ..







الكلمات افلتت منه وقد عجز عن كبت غيظه اكثر " هي لن تصبح بخير بين ليلة وضحاها فقط لانك تريد هذا حتى تشعر بالتحسن ! حبيبة لايمكن ان تعود الان كما كانت يا مهند... انت تعرف جيدا ان اصاباتها كانت خطيرة .. لديها كسور مختلفة وهي ما زالت بجبيرة لذراعها الايمن وتمشي بعرج خفيف بسبب ..."

قاطعه مهند هادرا بهستيرية " تعرج ؟! هل قلت تعرج ؟!! كيف تعرج ؟! يا الهي .. قلت انها بخير .. لايمكن ان ... "

عندها كان مجد من قاطعه بعنف مكبوت " اهدأ مهند ... كفى هستيرية ! .. "

صمت مهند ولم يعد مجد يسمع الا صوت انفاسه الهادرة عبر سماعة الهاتف ..

ليستغفر مجد قبل ان يتماسك ليقول " قلت لك سابقا انها مصابة بكسر اخر في عظمة الفخذ ، الامر سيأخذ وقتا حتى تعود لطبيعتها .. الان هي بخير ووجهها متورد وتبتسم براحة لذلك حان الوقت لتتنساها فعليا ودعها تعش حياتها بعيدة عن أذاك ..."

كان قاسيا ؟ نعم ... لكن ليس لديه حل آخر .. مهند أجرم بحق حبيبة .. انه يكاد لايصدق حتى هذه اللحظة كل ما افضى به مهند اليه قبل يومين .. عندما ذهب ليزوره ...







لايصدق كل ما فعله لحبيبة ... لايصدق ان هذا الفتى الذي عرفه مراهقا فخورا جريئا يصل به الامر ليحاول الاعتداء على فتاة ثم يصمها في شرفها امام خطيبها فقط حتى لايحصل عليها غيره !

لقد كان يتكهن ان مهند ارتكب عملا جنونيا عندما عايش انهياره على اثر حادث حبيبة لكنه لم يتوقع ان يصل به الغرور والانانية لهذه الدرجة ..

اخيرا جاءه صوت مهند بنبرة ميتة " لن اؤذيها ما حييت .. لن اتمنى .. لها ... الا السعادة .. لكن ..."

صمت مهند بينما القلق استبد بمجد ليسأله بحذر " لكن ماذا يا مهند ؟ ماذا تريد بعد؟"

رد مهند بنفس النبرة

" لاتهتم .. ولاتقلق .. ابدا .."

تهيم على وجهها في هذا البيت الضخم ولاتعرف ملجأ لافكارها .. !

لقد اعدت الحقائب بملابسها هي وحذيفة وسعاد الصغيرة كما وضعت الاغراض الشخصية الاخرى في علب وصناديق ...







ثم اخيرا نزلت لتعد طعام الغداء مع الخالة سعاد التي لاحظت شرودها وسألتها ان كان فيها شيء لترد انها متعبة فقط فسارعت الخالة المسكينة لدفعها حتى تخرج من المطبخ وتذهب لغرفتها وترتاح .. حتى انها اصرت عليها بترك سعاد الصغيرة معها لتلعب في المطبخ بالقدور والملاعق ...

فاستلمت وغادرت المطبخ فعلا ولكنها ظلت هائمة هنا وهناك واحيانا تراقب من الشباك الخلفي لتراقب حركة العمال في الحديقة وقد ابتدأ بعضهم في مساعدة حذيفة باخراج مخلفات العمل والبناء ..

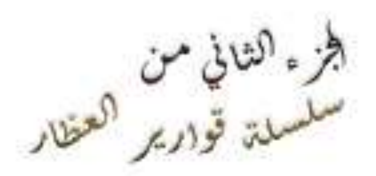
تنهدت .. كانت يائسة من التفكير ... يائسة ولاتعرف هل حان الوقت حقا ام ان حذيفة يستعجلها وستخذله ...

قدماها قادتاها لتصعد درجات السلم بينما تتذكر اخر ما تبادلاه هي وحذيفة من حوار على باب الغرفة وهو يغادرها على عجل

كانت تمسك يد سعاد الصغيرة بيد بينما تتشبث بذراعه باليد الاخرى فتهمس بتوسل مضحك

" حذيفة .. لماذا لانبقى هكذا فقط ..؟ اقصد هل من الضروري ان .. ان ...."

فنظر اليها باستخفاف مرح وهو يردد بضحكة خافتة " هل انت بهذه السذاجة حقا ؟! "





عندها شعرت بمزيج متفجر من الاحباط والارتعاب بينما سعاد الصغيرة تغني وهي تتراقص بحركات مضحكة مع دميتها لتهمس وكأنها تحدث نفسها

" كم اتمنى لو آخذ مخدرا حتى ينتهي الامر دون اشعر بشيء !"

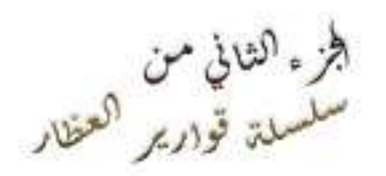
ضحك عاليا وهو يمسك بحافة الباب ليميل ويخطف قبلة من خدها هامسا " مجنونة ... "

تنهدت وهي تعترف " اعرف ! وغبية ايضا .."

مال بوجهه اليها ليهمس بحرارة قريبا جدا من اذنها " انا اريدك ان تشعري.. ان تشعري بي .. في كل لحظة وانت معي .. في كل خطوة حتى تصبحي ملكي .. اريدك ان تشعري بحاجتي اليك وتبادليني نفس الشعور .. هل تفهمين ؟"

جسدها يستجيب ... يستجيب بقوة له .. لكنها ... لاتستطيع ان تضمن استجابته للنهاية ... اخذت نفسا عميقا وزفرته بينما هو يربت على خدها غامزا لسعاد وهو يبتعد قائلا " ساذهب لاحضر من ينظف المكان ويساعدني بنقل الاثاث .. انت تولي توضيب باقي الاغراض والملابس ..و دعي سعاد تساعدك قليلا .. لقد اصبحت ماهرة في اعمال البيت مثلك "







وجدت نفسها تقف عند باب جناح رحاب ! لاتعلم كيف وصلت هنا حقا ولكنها .. لم تعد تحتمل ... يجب ان تحصل على بعض المساعدة ...

حتى لايغلبها الجبن رفعت يدها وطرقت الباب بينما قلبها يضج بصخب في صدرها ...

فتح الباب وابتسامة رحاب المرحبة بها جعلتها تسابقها بالقول المهتاج

" رحاب .. انا في ورطة ..! "

تلاشت ابتسامة رحاب ليكسو ملامحها القلق وهي تمسك ذراع خلود تشدها لتدخل وهي تقول " ما بك خلود ..؟ ماذا حصل ؟ "

فتحت خلود فمها لتتكلم على سجيتها

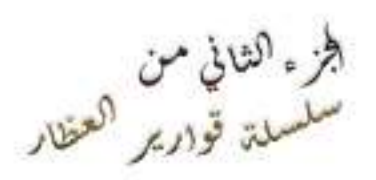
" لاتقلقي .. انه ليس امرا جللا انا... احتاج للمسـ..اعدة فقط ..."

وبينما هي تهذر بالكلام المتواصل التقطت وجود آسيا فخفتت نبرتها وهي تتطلع بفم مفتوح ...!

اتسعت عينا خلود عفويا وهي تحدق في تلك المرأة المميزة وقد بدت شديدة الفتنة بجلستها الهادئة على الاريكة وجلبابها الاخضر الفضفاض الذي يصل كاحليها بينما بدت تعابيرها مريحة تشع دفئا يحيط وجهها شعر داكن طويل جدا وبامواج متكسرة ...

انها المرة الاولى التي تراها بدون حجاب ...





تمتمت خلود مبهورة

" اسفة اسيا .. صباح الخير .."

تبسمت لها اسيا بلطف قائلة" صباح الخير عزيزتي .. تعالي وشاركينا القهوة ثم اخبرينا لنساعدك .."

رمشت خلود وبدت تائهة حائرة فعلا فسارعت اسيا للقول بتفهم رقيق " إلا اذا شئت اخبار رحاب فقط فساخرج لاتركك براحتك .."

ووقفت اسيا فعلا توشك ان تلتقط حجابها عندما تسارعت خطوات خلود نحوها لتمسك ذراعها وتقول بانفاس متقطعة

" لا .. ارجوك .. انا ..انا .."

ثم عجزت عن التعبير حتى دمعت عيناها يأسا وقلة حيلة ...

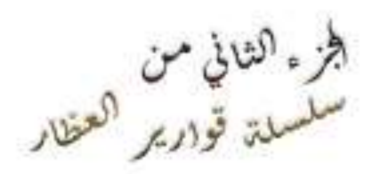
نظرت اليها اسيا بجدية وتمعن لتربت على كفها مطمئنة بالقول " اهدئي عزيزتي .. اهدئي وسنساعدك بما تشائين "

قالت رحاب عندها وهي تقف قرب خلود

" تعالي واجلسي خلود .. "

فاستسلمت خلود لرحاب وهي تجرها لتجلسها معها على الاريكة فتجلس اسيا هي الاخرى بينما توسطت خلود المرأتين وهي تطأطئ رأسها وتعتصر كفيها في حجرها باضطراب واضح ..







بدت آسيا اكثرهن هدوءا بينما رحاب تخفي قلقها بصعوبة لتهمس خلود دون مقدمات

" سننتقل... للملحق هذه الليلة .."

عبست رحاب وهي تقول بتعجب " هذه الليلة !؟ لكن العمال لم ينتهوا بعد .. محسن اخبرني ان المطبخ ما زال يحتاج ..."

قاطعتها خلود بالقول الجزع " حذيفة مصر ! يقول .. فليكمل العمال المطبخ على مهلهم .. لن يؤثروا علينا .. وهو ينفذ فعلا الآن وينظف المكان مع العمال ... "

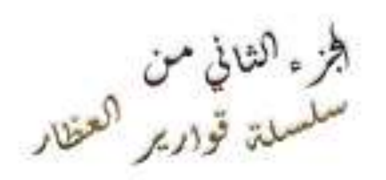
ارتفع حاجبا رحاب قليلا وهي تردد " حذيفة لم يذهب للمعمل !؟ لم يفعلها سابقا ؟ لماذا كل هذا الاستعجال ؟؟ يوم الجمعة كان الانسب للانتقال "

احمرت خلود بشدة وهي تطرق برأسها فربتت اسيا على ظهرها تستفهم بلطف " هل لهذا انت مرتبكة هكذا !؟ سنساعدك في النقل والترتيب لاتخشي شيئا "

فعلقت رحاب ببعض المرح " انت لاتعرفينها آسيا ... انها موسوسة نظافة وترتيب ... صدقيني .."

عينا اسيا لاحظتا كيف اصبحت يدا خلود اكثر عنفا وهي تعتصر احداهما بالاخرى

بينما تتمتم خلود " الامر ... ليس هكذا ... الامر .. الامر ... انا .... انا و ... حذيفة ..."



تلاشى مرح رحاب وقد لاحظت هي الاخرى توتر خلود المتصاعد فاخذت تهدئها

" تماسكي عزيزتي ... هل هناك مشكلة بينك وبين حذيفة ؟ بدوتما متقاربين في الفترة الاخيرة وهو لايكف عن مناغشتك حتى امامنا "

كانت آسيا تلتزم الصمت وملامحها مغلقة تماما لتفاجئها خلود كما فاجات رحاب بالقول " هل تعلمان... لماذا تطلقت من ... زوجي ..الاول ؟ "

كانت خلود تنكس رأسها بينما تبادلت رحاب واسيا النظرات فاكتفت اسيا بالقول " لا ..."

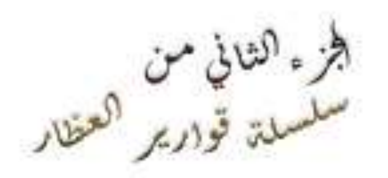
اما رحاب فقالت " انا ايضا لااعرف .. وليس مهما ان تخبرينا عزيزتي .. انت الان زوجة حذيفة و ..."

لكن خلود قاطعتها وهي ترفع وجها تخنق تعابيره الألم والحاجة للتفهم بينما تشرق عيناها بالدموع وهي تهمس بعزم رغم كل هذا الألم

" ساخبركما .. انا بحاجة للمساعدة .. لا اريد ان اخذل حذيفة ... هذه الليلة ... بل لااريد ان اخذله ... ابدا .. ابدا ..."







ثم تطلعت لوجه اسيا تحديدا وكأنها تجد فيها اطمئنانا تحتاجه لتقول بهمس متحشرج

" حذيفة منحني كل شيء وانا اريد ان امنحه كل شيء ايضا وحتى عندها..لن أفيه حقه..!"

انحنت الحاجة سعاد قليلا لتعطي حفيدتها الصغيرة مزيدا من اغراض المطبخ الخشبية حتى تلعب بها وبينما اخذت سعاد الصغيرة تكفكف كميها القصيرين اصلا مقلدة نفس حركات خلود عندما تعمل في المطبخ

اخذت جدتها تنظر اليها ببشاشة ووجهها ينضح بالبشر لتعود ناحية صديقة عمرها بدرية وتجالسها ...

تبسمت بدرية وهي تطالع الصغيرة قائلة

" الفتاة تقلد خلود في كل شيء .."

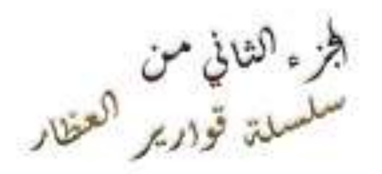
ردت سعاد وهي تهز رأسها " نعم .. انها تلاحقها كظلها وتحب كل ما تفعله .."

تمتمت بدرية " حذيفة وجد ضالته اخيرا في هذه الفتاة .."

ردت سعاد وهي ترتشف من فنجانها

" اجل .. خلود نعم الزوجة .."







فناغشتها بدرية قائلة " ونعم الكنّة ..

اعترفي بهذا يا امرأة ! لقد اصبحت مدللة جدا بوجودها وهي تقوم ببيتك على كامل وجه "

ضحكت سعاد وهي تضغط جفنيها ببعضهما عدة مرات وكأنها تؤيد الكلام بفرح ومستمتعة به ...

سرحت نظرات بدرية ناحية الفتاة الصغيرة .. انها تعبس مثل زوجة ابيها بالضبط عندما تعمل .. شيئا فشيئا تتحول لنسخة منها ..

تفاجأت بقول الحاجة سعاد " انا قلقة على خلود هذا اليوم .. بدت على غير عادتها .."

فسألت بدرية باهتمام " لماذا ؟! هل حصل شيء بينها وبين حذيفة ؟ "

ردت سعاد بحيرة " لا اعرف .. هي بدت شاردة وقلقة .. على عكس حذيفة الذي ضحكته تمتد من الاذن للاذن وقد أصر على اتمام انتقالهم للملحق الجديد هذا اليوم ..."

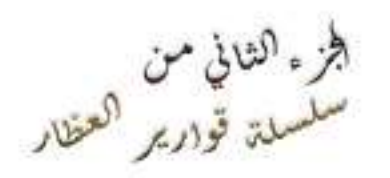
مالت بدرية ناحية سعاد تسألها بهمس

" ربما تكون حاملا .."

ردت سعاد همسا ايضا " فكرت ايضا بهذا لذلك طلبت منها ان تذهب وترتاح .. ربما سأكلم حذيفة بالامر حتى يعتني بها "

هزّت بدرية راسها موافقة لكنها في داخلها تستشعر امورا اخرى ...





دوما كان الغموض يلف كل ما يتعلق بحذيفة .. دوما الظاهر شيء والباطن ... شيء آخر لايخطر في البال ...

فجأة سألت بدرية " ألم تزرها امها قط ؟"

ردت سعاد بامتعاض " لا .. فقط اخوها خليل يأتي بين فترة واخرى ولايطيل المكوث ، شاب مهذب والحق يقال .. لكن امها هذه .. اعجوبة الاعاجيب ... كيف تخضع لزوجها بهذه الطريقة .. لاافهم ! "

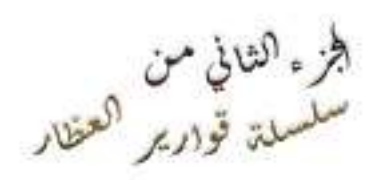
ثم وضعت سعاد فنجانها بانزعاج على المنضدة الصغيرة امامها لتضيف " نساء الحي يسألن عن امها وانا لااعرف ما ارد به ! انه امر مخز حقا اواجهه امامهن .."

نظرت اليها بدرية بطارف عينها لتقول بحزم " في لحظة كنتِ نعم الحماة وفي اللحظة التالية تتقمصين دور الحماة الشريرة بامتياز!.."

دافعت سعاد عن نفسها قائلة " انا لا ألوم المسكينة خلود لكني اقول ان الامر .."

قاطعتها بدرية قائلة " احمدي ربك يا سعاد انه منحك ثلاث كنّات طيبات .. ما دخل باقي النسوة في الحي من ام خلود او غيرها .. اتركيهن في ثرثرتهن التي لاتنتهي واقرأي المعوذات دوما اتقاء من حسد عيونهن .."





شهقة من سعاد لتقف متحاملة على نفسها وهي تتمتم " أجل ... أجل .. معك حق .. يجب ان ابخر البيت ايضا .. "

ابتسمت بدرية في سرها وهي ترى سعاد تتوجه للبحث عن البخور في ادراج المطبخ وخزاناته دون ان تكف عن التذمر من تغيير خلود لتنسيقها السابق ...

سألت بدرية بينما سعاد تحضر المبخرة

" ما اخبار رفيدة ؟ هل تكفلت الطفلة من الميتم ؟ "

تنهدت سعاد وهي تلتفت بوجهها لبدرية قائلة

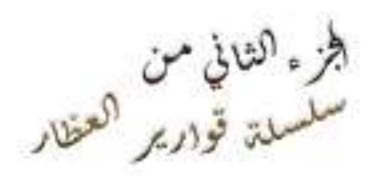
" خلال ايام ستكون معها ... لهف قلبي على ابنتي المسكينة ... قليلة الحظ ! "

استغفرت بدرية وهي تنهر سعاد بالقول

" لاتعترضي على مشيئة الله يا سعاد .. انها ارزاق .. ورب العالمين عوضها برجل كسالم يصونها ويحترمها ..."

تمتمت سعاد بنعم على مضض وهي تشعل البخور وتقرأ المعوذتين ...







اتسعت عينا رحاب مصعوقة تكاد لاتصدق لتهمس بعفوية " هل تعنين ان .. انك وحذيفة ... لم ...؟!..ابدا ؟!!!!"

اخذت خلود تبكي بل تجهش بالبكاء فتنفس عن كل مشاعرها المكبوتة لتقول بتقطع حائر عاجز " لقد صبر ...علي كثيرا... وراعاني .. لكن ..هذه الليلة .. يريد ان .... "

كانت ما تزال رحاب في صدمتها بينما اسيا غارقة بتفكير عميق ونظراتها كحجاب مستور يخفي ما يعتمل في داخلها من تناقضات...

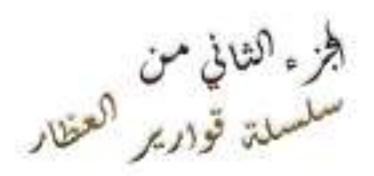
اخذت اسيا تحدق في خلود .. الآن لاح لها الكثير من التفسيرات التي لم تسعَ لمعرفتها يوما منذ زواج حذيفة الغريب ...

هذا الرجل ! ماذا يفعل بحياته حقا ؟ يظن من يراه من الخارج انه يقدم على الحماقات ويتهور دون رادع او اعتبار لاحد ... لكن من الداخل .. هو يفعل امورا اكثر عمقا واشد غموضا من ان يفسرها غيره ...

لقد تخطت معه حاجز الماضي .. وهو دون ان يشعر ساعدها بهذا .. هي خلقت توازنا لنفسها بأن تعاملت معه كـ..حذيفة العائد من هجرة طويلة .. رجل لاتعرفه سابقا ولا ماض اسود يجمعها به ... !







وهو ساعدها عندما ابرز صورة جديدة له ..

صورة لاتجد فيها انعكاسا لصورة قديمة

قررت تمزيقها وعدم التفكير فيها ...

تماسكت اسيا لتقول لخلود بهدوء

" هل تؤمنين بالسحر يا خلود ؟"

ردت خلود بيقين كامل وهي تمسح وجهها

" اجل .. مؤكد .."

غامت عينا آسيا بالاشفاق فتبسمت تسألها

" وهل تؤمنين بقدرة اللّه اكثر ام بقوة السحر؟"

شهقت خلود منكرة لتقول " استغفر اللّه ...

مؤكد اؤمن ان قدرة اللّه فوق اي قدرة لكن من ذهبت اليهم لابطال السحـ..."

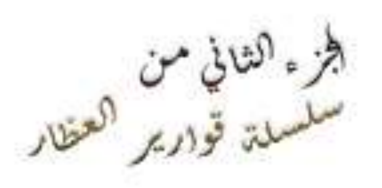
قاطعتها اسيا بالقول الواثق الحازم " اذهبي وتوضئي ثم عودي الي .. سأرقيك بالقرآن كما علمتني امي ثم سأعطيك شراب عشبي اقرأ عليه ايضا من كتاب اللّه تشربينه بعد صلاة العشاء وسينفعك باذنه تعالى .."

اخذت خلود ترمش بارتباك وهي تنظر لآسيا فقالت آسيا بنفس الثقة والحزم " عليك ان تؤمني ان اللّه سبحانه سيعينك .. فهو يقول في حديث قدسي لنبيه الاكرم

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) ..







فتذكري هذا خلود واحسني الظن بربك وآمني بعمق وصدق أنما ارادته اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون .."

سكينة لاتضاهى هبطت على قلب خلود بينما تحدق في وجه آسيا الهادئ وقد تابعت القول " قد اقرأ عليك القرآن واعطيك شرابا يريح اعصابك لتسترخي لكن كل هذا لن ينفع اذا لم تؤمني في داخلك حقيقة .. تؤمني ان اللّه قادر على حمايتك وتؤمني بنفسك ايضا انك قوية وقادرة على تخطي ما ترهبينه .. "

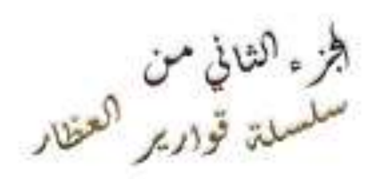
ثم تبسمت اسيا قائلة بمناغشة مرحة

" وفي النهاية اقول لك الامر ابسط بكثير مما تتخيلين .. حتى انك قد لاتشعرين به على الاطلاق .."

تضرج خدا خلود بحمرة قانية لتقول رحاب هذه المرة

" انت شجاعة ومقدامة خلود .. لقد دخلت هذا البيت وفيه من لم يتقبلك .. لكنك كنت قوية حتى حسدتك على هذه القوة ... ورأيتك كيف استطعت نيل قلب سعاد الكبيرة والصغيرة فلا تستهيني بقدرتك على تجاوز هذه العقبة .."





كانت توشك على البكاء .. لكنها رفضت الاستسلام .. رفضت ان تركن لوساوسها .. ان لم يكن لاجلها .. فلأجل حذيفة .. حذيفة الذي منحها في هذا الاسبوع ما لم يمنحه لها عزيز خلال ثلاث سنوات ...

يحمل حقيبة المدرسة على كتفه ويمسك بالهاتف ملتصقا باذنه ليسمع توصيات حذيفة بانتباه وتركيز وسط ضجيج الحي حوله ..

قال خليل وهو يعبر بين الازقة المزدحمة

" هل تريدني ان احضر لاساعدك في النقل ؟"

فرد حذيفة على عجل " لا .. لااحتاجك .. فقط اخبر العمال بما اريد منهم لهذا اليوم .."

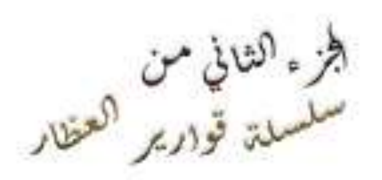
تمتم خليل بنعم ليغلق الخط بعد لحظات ويسير في دربه متجنبا المنطقى الوسطى من الزقاق حيث تجمعت بعض المياه ..

كان سيلتفت يمينا ليختصر الطريق للمعمل عندما رآه من بعيد ...

حدس جعله يتخفى سريعا لاقرب زاوية ويراقبه في وقفته مع رجل مشبوه الهيئة ... عقد خليل حاجبيه وهو يرى فواز يأخذ رزمة من المال ويسارع لدسها في قميصه قبل ان يتنبه اليه المارة ...!







بعد المغرب

نظر لساعته وهو يكاد ينفجر غيظا !

يتحرك ذهابا وايابا في مكتبه وصبره قارب على النفاد ..

تمتم بغيظ متفاقم وهو يعاود النظر لساعته

" قالت اتركني لربع ساعة اضافية وساتصل بك وها قد مر قرابة الـ نصف ساعة ولم تتصل به كما وعدت ! "

لم يعد يحتمل ..

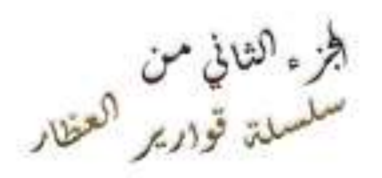
التقط مجموعة المفاتيح الخاصة به وهاتفه النقال ثم تحرك ليغادر مكتبه ...

لم يعد هناك غيرهما في الشركة فقد غادر كل الموظفين بينما تلك العنيدة تصر على البقاء لانجاز عملها ...

كاد يصل باب مكتبها وصورة وجهها الشاحب تؤرق مخيلته ! لقد فقدت تورد الصباح بعد بضعة ساعات من وصولها فقط ، حاول دفعها لتعود للبيت وترتاح ولكنها أبت بعناد شديد لتجعله يفقد تركيزه طيلة النهار وهو يفكر بها... يقلق عليها... يتحطم شوقا لملازمتها كظلها ...







لم يقرع الباب وقد بلغت مشاعرها المهتاجة ذروتها فدخل وصوته الحانق يسبقه

" هذا يكف.."

لم يكمل جملته بينما يتطلع مشدوها اليها ..

انها ... نائمة ! نائمة تماما ....

تقدم منها حيث تنام على كرسيها الجلدي ، جانب رأسها ملقٍ على ظهر المعقد وقد تناثر شعرها مع الشرائط الملونة بعشوائية على خدها ولامست بعض الخصل فمها المفتوح !

يدها اليسرى في حجرها وما زالت تمسك بالقلم ولو بتراخ ..

تنهد وهو يقف جوارها يحدق في نبضها الخافق عند جانب عنقها الطويل .. انفاسها كانت منتظمة مما اخبره انه مستغرقة في النوم ...

تمتم بحشرجة

" ايتها العنيدة .. لماذا تفعلين هذا ...؟"

تنهد مرة اخرى وهو يمرر يده في شعره بعجز ..

ثم شعر بالغضب عن عجزه التعامل معها ..

لم يكن يوما في صراع كهذا .. بين القلب والعقل .. لم يعاني يوما من اتخاذ قرار .. دوما كان هناك تنسيق يرضيه بين الجانبين ..

اما الآن فهذه الصغيرة تجعله يرتبك !







فتارة يحكمه العقل لحمايتها وتارة يغويه القلب لتملكها ...

باستسلام مال بجذعه لامست شفتاه نبضها الخافق وهو يهمس بعنف عاطفي " ساتحطم وانا اسعى هكذا لخافقك ... لكني متملك جدا ولن ارضى الا برضاك التام وانت تعطيني اياه بكُليته ... "

بحذر الشديد مد ذرعا تحت ركبتيها ثم بتهمل وحذر اشد دس ذراعه خلف ظهرها وفي حركة واحدة وكان يحملها بين ذراعيه بينما هي تتحرك وتعترض بهمس مشوش الكلمات ..

سار بها ببطئ يضمها لصدره بشغف يهمس لها مطمئنا " انا يحيى حبيبتي .. ساعيدك للبيت .. لاتقلقي .. انا معك .. دوما معك .."

هممت هذه المرة برقة وهي تغمر وجهها في صدره بتنهيدة راحة ويدها المشاكسة تلامس قميصه فيصور له خياله الجامح انها تحاول اغوائه !

وهو ينتظر المصعد لم يحتمل شوقه المضني اليها ليحني وجهه وشفتاه تلامسان خدها وذقنها بقبل رقيقة متفرقة ..

ومع دخولهما المصعد كانت شفتاه قد وصلتا شفتيها ليقبلها بعطش وقد فقد سيطرته ...



وفي سيارته .. في ظلمة المرآب الداخلي لمبنى الشركة كان يحيى يقبلها بجنون وهي تستسلم له بجنون ايضا جعله يتأوه عذابا ..

ابعد فمه عنها بعذاب مضاعف وهي مستسلمة بابتسامة راضية .. صدرها يعلو ويهبط بعنف كما صدره .. لكن ابتسامتها استفزته .. شعر انها تتلاعب به وهي تدرك تأثيرها عليه ...

تمتم قرب فمها المبتسم " هل تتلاعبين بي يا برية ؟! لم نتفق على هذا ..."

ضحكت بخفوت وعيناها مغلقتان ثم ببساطة نحت جسدها بشكل جانبي لتستسلم لرقاد ظاهري على كرسيها بينما تهمس

" امي ستقلق ..لقد تأخرت .. هيا نعود .."

ظل للحظات يحدق في وجهها .. يتملى من ملامحها .. ورغم استرخائها كان الارهاق الشديد واضحا عليها ..

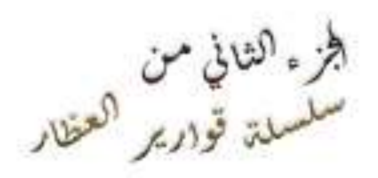
شتم في سره وهو يبتعد عنها ليستعدل بجلسته في كرسيه ويشغل سيارته وهو يفكر

" على هذه الحالة لن اصمد اسبوعا واحدا ! "

بعد ساعات ..

رائحة مواد البناء وصباغ الحائط ما زالت تفرض نفسها على المكان ...

تطلعت حولها بشعور قلق لايهدأ ...



غرفة النوم التي كانت تحتل الغرفة الواسعة في الطابق الثاني من البيت الكبير اصبحت الآن تحتل غرفة اصغر في طابق ارضي ... نفس الاثاث لكن ليس نفس المكان .... انها تفتقد سريرها القديم والذي اصر حذيفة على ابقائه في الغرفة القديمة وافترش غرفة سعاد باثاثها الوردي الجديد ...

يا الهي .. كل شيء يبدو قد تغير بطريقة ما..

احساس بالاغتراب تسلل اليها ....

ارتعشت رغما عنها فلفت ذراعيها حولها غريزيا وهي تغمض عينيها وتهمس " ساعدني يا رب .. ساعدني ... انا التجأ اليك هذه الليلة .. لاتتخلَ عني اتوسل اليك ..."

لم تشعر بدخوله ليقف خلفها فأجفلها بيده تباغت خصرها وشفتاه تقتنص قبلة من رقبتها ثم قال ساخرا وهو يلفها ليسحبها لصدره بخشونة

" اولى علامات الجنون التكلم مع النفس ..."

نظرت لعينيه التي تلمعان شقاوة لتهمس اسمه

" حذيفة ..."

انحنى ليقبل خدها وهو يسأل بصوت مبحوح

" اين سعاد ؟"







ردت بارتعاش وخدها ما زال ملتصقا بشفتيه

" اخذتها .. رحاب .. قالت ستنام عندهم.. هذه الليلة .."

صوته اصبح اكثر حرارة وهو يهمس

" اذن هي ليلة زفافنا.... وانتهت لعبة الأسرّة ؟"

اخذ جسدها يختض بين ذراعيه فاخذ باطنا كفيّه يسرحان على طول خصرها ليقبل خدها مرة اخرى وهو يقول بثقة

" ستكونين بخير .. بل ستكونين سعيدة وانت تأخذين وتعطين كما يفترض لامرأة مثلك ان تفعل .. "

ابتعد عنها لتطالعها ملامحه المبتهجة المشاكسة فقال عابسا

" اشعر بالنقص ورائحة الصابون تفوح منك كالمسك بينما انا رائحتي لاتطاق ..."

بعفوية ردت وعيناها تتعلقان بعينيه

" احب رائحتك مهما كانت.."

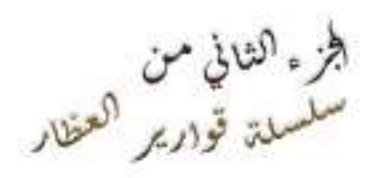
عض شفته السفلى بينما نظراته تشتعل ليهمس بخشونة " هل يوجد ما لا تحبينه بي ؟ انت تجعليني اشعر اني رجل مختلف عن اي رجل آخر .."

ردت بتأكيد وانفعال

" انت الافضل بين كل الرجال "







تنهد بقوة وهو يرخي اهدابه ليبتعد عنها على مضض ويقول بصوت مبحوح " سآخذ حماما طويلا حارا .. وانت ابدلي ثيابك على مهل .. اريدك بالفستان السماوي .."

ثم قبلة خاطفة على شفتيها قبل ان يتوجه للحمام الجديد ...

تتحرك يمينا .. ثم تذهب شمالا ..! تتقدم للامام فتدور بعينيها في كل اتجاه لتتقهقر للخلف ...

اغمضت عينيها بقوة وهي تردد " يا الله .. يا الله .. انا اظن بك ستفعل بي خيرا .. وانت لن تخذلني يا الله .. لن تخذلني .."

ثم بعزم واهن كانت تغادر الغرفة الى غرفة الجلوس الصغيرة التي خلت الا من اريكة صغيرة ، وعلى جانب الحائط وضع براد وطباخ قديم اعطته لهما الخالة سعاد بشكل مؤقت حتى يتم تجهيز المطبخ كما يجب وشراء طباخ جديد يليق به ...

بيدين مرتعشتين اخرجت من البراد شراب الاعشاب الذي اعدته لها آسيا .. لتضع بعضا منه في دلة على النار .. حسنا لقد وضعت كمية اكبر مما قالته اسيا .. لكن لابأس الاعشاب ان لم تنفع فلن تضر ...

اليس هذا ما يقال دوما ؟



بعد دقائق كانت ترتشف منه وكلمات اسيا الاخيرة وهي تسلمها ابريق الشراب تطن في اذنيها

(تذكري ما قلته لك ... الشراب لن يعطي مفعولا اذا لم تكوني مؤمنة بتأثيره بل وتريدين بقوة حصول هذا التأثير .. الايمان بكل انواعه هو احد اهم اسلحة الانسان ليحقق مايريد .. والايمان بالله هو اقوى الاسلحة على الاطلاق ..)

خرج بخطوات مسرعة من الحمام وهو يلف منشفته حول وسطه ، الماء ما زال يقطر منه وهو يحاول تجفيف نفسه بمنشفة صغيرة اخرى ..

التقط هاتفه الذي كان يرن باستمرار ليسارع ويفتح الخط ، جاءه صوتها رائقا متسائلا بخفة

" اين كنت ؟"

رمى بجسده الى السرير يضطجع بظهره يغمض عينيه وهو يمسك الهاتف لاذنه ويقول بجذل

" آخذ حماما ..."

بتنهيدة صغيرة قالت متذمرة " انت محظوظ لانك لاتحتاج للمساعدة من الاخرين كلما اردت اخذ حمام ! "

تبسم بشقاوة وهو يقول صوت رجولي أجش

" انا في الخدمة طوال ساعات اليوم لأي مساعدة لك من هذا النوع "

شعر بارتباكها وخجلها وهي تتمتم اسمه

" يحيى .."

ابتلع ريقه وهو يتذكر جنون القبل التي تبادلاها في السيارة ، الحرارة دبت في جسده وشعر بالغيظ من كل هذا الذي يحرقه ولايملك السيطرة عليه !

قال ببعض الحنق " لماذا لست نائمة ؟ تصورتك لن تفيقي حتى الصباح ، لم تشعري بي حتى وانا احملك للطابق الثاني واضعك في سريرك "

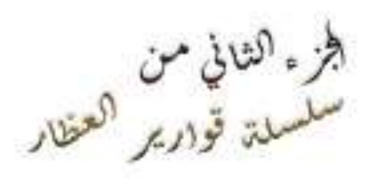
ردت وقد استعادت مزاجها الرائق " لااعلم .. استيقظت وتدللت على امي لتعد لي شرابي المفضل .."

طوى ذراعه الآخر ليضعه تحت رأسه ويسأل باستسلام لها

" شرابك المفضل ؟ وما هو بالضبط ؟"

كانت حقا مبتهجة وهي ترد بضحكة خافتة " انه شراب الورد الارجواني الدافئ مع ملعقة عسل .."

عبس يحيى متسائلا " الورد الارجواني ؟! لم اسمع به من قبل .."



فردت تشرح له " انها وريقات جافة من الورد كان ابي يعدها لنا كشراب عندما نتوتر بسبب ضغط الامتحانات .. لكنه كان يضيف اليه المزيد من الاعشاب الاخرى بمقاديره الخاصة فتكون النتيجة مذهلة .."

للحظة صمت قبل ان يسأل بتأنٍ

" وهل كنت متوترة الليلة لتحتاجينه ؟"

قالت بنبرة طفولية محببة

" لا .. لكني ببساطة احب مذاقه .."

شعر بالارتياح فعاد واسبل اهدابه ليسايرها في هذرها اللذيذ

" وهل كان يصفه للتوتر العصبي فقط ؟ "

ردت " لا .. ليس هذا فقط .. فمع اضافات مختلفة كان يصفه لبرد المعدة ايضا وعلل اخرى من اضطربات مختلفة .."

ثم اضافت بعد لحظة تفكير " اعتقد ان الورد الارجواني بحد ذاته له تأثير مهدئ على الجسد البشري .."

قال يحيى بصوت رقيق " انا اعتقد ان والدك هو من كان له تأثير مهدئ .."

فقالت حبيبة بثقة وفخر " هذا صحيح ... ولاتنسَ العامل النفسي مهم في أي علاج .."



للحظة اخذته الجملة .. قد تكون تكررت على مسامعه كثيرا من قبل .. لكن الآن مع حبيبة جعلته يفكر بشكل مختلف ...

قالت له اخيرا وبشكل مباشر " حسنا .. انا اتصلت لاخبرك ان قراراتك التعسفية التي اقنعت بها امي بأن اخذ اسبوعا اخر اجازة لن تنفذ .."

تنهد وهو يرد عليها " لماذا كل هذا العناد ؟! انت اليوم كنت تنامين على كرسيك في المكتب .."

فقالت بنبرة غريبة

" انه ليس عنادا يحيى .. انا عندي اسبابي .."

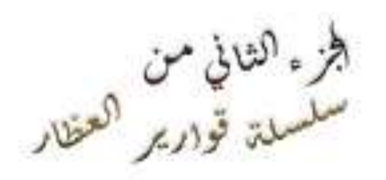
ضيّق عينيه قليلا قبل ان يستعدل بجذعه ويسألها باهتمام شديد

" اذكري ولو بعضها لي .."

فقالت بهدوء اثار انتباهه لاهمية ما ستقول

" السبب الاول اني احتاج لاستعادة صفاء ذهني الكامل .. وهذا لايحصل الا بتواجدي في محيط العمل .. انه يشعرني بالقوة والسيطرة ايضا .. قد اكون جسديا متعبة لكن فكريا في قمة توهجي .. "

صمت وهو يدقق في كلماتها ليسأل بعدها باسلوبه المشاكس " هل يوجد المزيد من الاسباب ام انت تدعين كثرة الاسباب يا صغيرة ؟! "





صوتها كان مختلفا وهي ترد " السبب الثاني .. انا اجيب - وبطريقتك الملتوية الخاصة - على تساؤلاتك "

خفق قلبه بقوة ليسألها بصوت مبحوح

" اية تساؤلات تعنين ؟ "

تلبست نبراتها المرح وهي تهمس

" اكتشفها بنفسك .. كما حاول اكتشاف باقي اسبابي .. "

تقبضت يده وهو يقول " لقد اصبحت غامضة مراوغة ماكرة بشكل غريب ! "

فترد بما يزيد غيظه

" لقد تتلمذت على يد الاستاذ الافضل ... "

وقبل ان يرد بشيء قالت وهي تتثاءب " اشعر بالنعاس ... يجب ان انام الآن فغدا لدي عمل كثير ... "

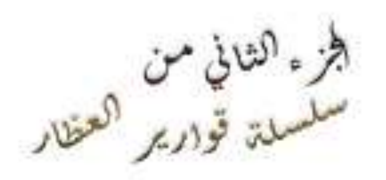
تنهد باستسلام بينما حبيبة تضيف بتدلل

" انا اذهب مبكرا للمكتب .. اريدك في الساعة السابعة الا ربعا وسأعد لك شرابي المفضل لتشاركني اياه .. "

فيسألها " هل انت واثقة ؟ "

لترد " اجل واثقة ..اريد مشاركتك شرابي ! "







الفصل التاسع عشر

تشعر باحساس غريب وهي تحدق لنفسها في المرآة .. هل حقا أحب الثوب السماوي ؟!

شعور ببعض الدوار يلف رأسها فعجزت عن التركيز لتصفف شعرها كما صففته لها رحاب يوما ..

ضربت بقدمها الارض حنقا ليأتيها صوت باب الحمام وهو يفتح ...

شهقت لاااراديا وهي تستدير بعنف ليرتطم جانب جسدها بحافة منضدة الزينة ...

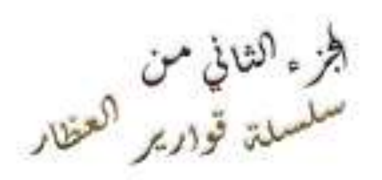
تطلعت اليه في وجل .. حافي القدمين ولايرتدي الا بنطاله القطني البيتي ..

انه ضخم .. ضخم جدا .. ضخامة رجولية ملفتة وعضلات مفتولة قضت الليالي السابقات وهي تلامسها بشغف عاطفي ...

احمرت بشدة وهي تتذكر ما تشاركته معه .. لقد جعلها تشعر باحساس شوق لايهدأ اليه ..

شوق لم تختبره يوما بل لم تعرف ان هناك شوق مضن كالذي جعلها تشعر به فتتعطش اليه .. بل والى المزيد منه ....دون ان تفهم حقا ما هو (المزيد) الذي تتلهف اليه !







وهو كان يشجعها بهمسه الشغوف وهمهماته المتأثرة كلما لامسته فتشعر بالثقة .. بالقدرة ... بالتكامل ... بالسعادة ...

التصقت اكثر بمنضدة الزينة وانخطفت انفاسها ككل مرة كلما اقترب منها .. شعره مبلل مبعثر على جبينه بينما ابتسامته الخطرة وملامحه القرصانية تزيد من خفقات قلبها ..

همس بصوت رجولي وهو يكاد يصل اليها

" الفستان السماوي .. كم عبثت بخيالاتي قطعة القماش المستفزة تلك ! .. حان الوقت لاختبر بعض هذه الخيالات .. "

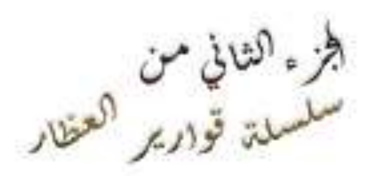
قلبها يقرع وكأنه سيحطم اضلاعها في اية لحظة ، ابتلعت ريقها بصعوبة وقد انخرس لسانها وهي تنظر عاليا لوجهه الذي يشرف عليها ..

و مع كل نبضة متفجرة تشعر بضعف جسدي رهيب وارتعاب داخلي.. لذيذ !

ورغم كل هذا الفيض من العاطفة لم تكن متشنجة !

على العكس كانت تشعر بتراخ يتناقض مع توترها الداخلي ....!!

دون كلمات كان يلف ذراعيه القويتين حولها يسحقها اليها بعاطفة ملهبة زادت من شعورها بالذوبان .. بالتراخي ...





همس وهو ينحني بشفتيه لاسفل اذنها

" جسدك متراخ جدا .. انت كلك ذائبة

بين ذراعي .. عادة ما تكونين متوجسة ..

قلقة مع أول لمسة .. وبعدها ...تذووبين .. إذن

... ما السر ؟!"

ضحك بخفوت خشن وهو يقبل عنقها ويهمس

" لااعتقد ان خرزتي لها هذا التأثير لتجعلك

طيّعة اكثر مما احتمل لأتروّى معك ..."

تمتمت بعجز وجسدها يكاد ينفصل عن

حكم ارادتها " انها.... اسيا .."

للحظة تجمد وهو يهمس بالسؤال " اسيا ...؟!"

ردت وذراعاها تخونانها وهما تلتفان بشوق

متجدد حول عنقه تجذبانه اليها وتعترف

بتعثر " قرأت علي .. القرآن .."

تراخى هو الآخر فيعود لتقبيل عنقها وهو

يواصل الحوار الساخر معها " حقا .. اذن

اخبرتها بسرك يا مسحورة ..؟ "

شفتاها ترتشعان بالعاطفة وهي تهذر

" اخبرتهما معا .. اسيا ورحا...ب .."

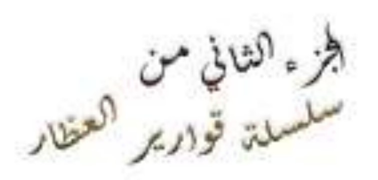
رفع رأسه ليتطلع لذلك الفم المرتعش فيقول

بحرارة " الفم الكبير انفتح على مصراعيه

كما يبدو ! هل هذا كله لاني قررت ان

تكوني لي الليلة ..؟ "







ثم اضاف بعاطفة لاهبة " يجب ان اتأكد كل يوم من غلقه بنفسي قبل ان اذهب للعمل"

كانت بلا حول ولا قوة وهو يهاجم شفتيها .. كل ما تفهمه انها راغبة بشكل لايضاهى ان تظل هكذا بين ذراعيه القويتين فيبثها هذه العاطفة التي لم تعرفها يوما الا معه وعلى يديه ...

أبتعد قليلا أنفاسه متسارعة كأنفاسها بينما هي تهمس بتقطع " ما..ذا يحصـ...ل لي ..؟ "

قال لاهثا بقلة صبر ويده تفتح ازرار ثوبها

" بل قولي ماذا يحصل لي انا ؟! "

بينما يزيح فستانها عن جانبي كتفيها همس بدهشة " طعم فمك الليلة ... مميز ... ومختلف.."

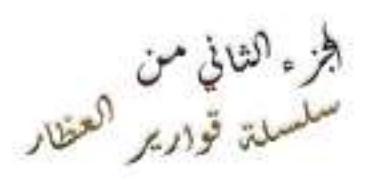
كتفاها مكشوفان امامه وهي راضية .. مستسلمة لنظرات الجوع في عينيه ... نظرات اصبحت تدركها وتعايشها معه كل ليلة .. تمتمت بمزاج رائق متوهج

" انه الشراب .."

ازاح الثوب تماما عنها لتبقى بثوب داخلي رقيق فينحني ويحملها بين ذراعيه وهو يهمس بالسؤال بلا تركيز

" اي... شراب ..؟ "







ردت وهو يضجعها على السرير دون ان يبتعد عنها فيحتجزها هناك يحدق فيها وهي تهذر بالكلمات المتراخية ككل جزء منها

" شراب اعشاب .. اعطته لي اسيا قالت .. سيجعلني اقل توترا ... و.. و ... "

تاهت منها كل الكلمات وهو لايرحم انثوتها فاغمضت عينيها تهمس بعشق صاف

" انا احبك حذيفة ... احبك جدا ... جدا ...جد...ا جدا ... "

بينما هو يزداد التصاقا وجنونا بها يردد اسمها بعاطفة " خلود ... خلود .. انت خلقت لتكوني لي .. انت تريدين هذا .. قولي انك تريدين ان تكوني ملكي ... الليلة .. الآن .."

تمتمت ويداها تتحركان بعشوائية " اريد ان اكون ... اجل .. اريدك سعيدا كما اسعدت حياتي وابهجت روحي ..."

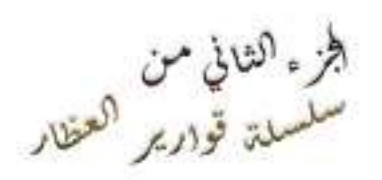
هتف بهدير حار " يا رب السموات ... انت كلك اكثر لذة وتميزا من شراب اسيا السحري ..."

ليهمس اخيرا بوعد رجولي واثق

" سأجعلك سعيدة ... كوني لي وسترين الاعاجيب ..."

باستسلام كامل كانت تترك له مهمة التحليق بهما معا الى حيث لاتدري !







يكفيها انها معه تحيطهما غمامة بهيجة لاتضاهى بجمالها .. يكفيها ان تشعر بقيمة ما تقدمه له فيمنحها في المقابل.. الكثير ...الكثير.. الكثير.....

بعد بضعة ساعات ..

" خلود ..يا قطعتي الشهية .."

تهمهم في نومها بينما الصوت المشاكس يناغشها بالمزيد " لن استسلم لاغرائك واضعف مهما فعلت .. هذه المرة يجب ان تستيقظي تماما .."

يداه تتحركان بخشونة عليها فتضايقها في نومها حتى تصدع سباتها شيئا فشيئا ...

يضحك بخفوت وهي ترمش بعينيها وتستيقظ على احساس غريب !

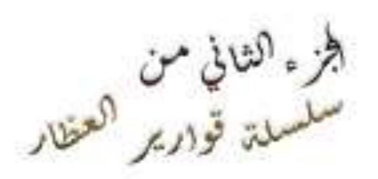
فتحت عينيها تماما لتمسك غريزيا الغطاء تسحبه فوقها وهي تتطلع لعينيه العابثين بوجل!

ضحك حذيفة عاليا وهو يقترب من وجهها المضطرب ليقول بشقاوة " انا معك تحت نفس الغطاء يا مجنونة .."

تمتمت باختناق وهي ما زالت تتشبث بالغطاء

" اين .. ملا..بسي ؟! ماذا .... حصـ..ل ؟"







يحدق في عينيها وتلك الابتسامة الغامضة لاتفارق شفتيه ليهمس بصوت مبحوح

" هذه المرة لا شراب سحري .. هذه المرة ستنظرين في عيني بكامل وعيك وارادتك"

اخذت انفاسها تتسارع كتسارع الافكار في رأسها بينما تحاول استعادة ما حصل بينهما .. كل شيء مشوش وتكاد لاتذكر الا حلما رائعا .. انها كانت معه .. انه .. انه ...

همست بذهول " يا الهي .. انا .. انت .."

لم يتردد وهو يميل اليها ليهمس بتحشرج عاطفي " اجل .. انت ... انا ... لكن .. هذه المرة ستكون مختلفة .. مختلفة .. "

وها هي الذكريات المشوشة تتوضح بقوة بينما يهمس قرب اذنها " سامحيني لاني .. اجبرتك.. في النهاية بعض الشيء .. "

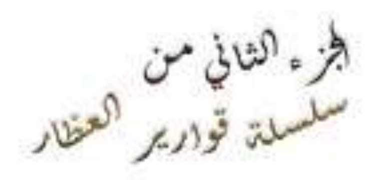
تذكرت.. لحظة ما كهذه ..ثم .. ألم بسيط .. بسيط لدرجة انها لم تعيه تماما ...

نظرت اليه بلا تصديق فتسيل دمعتان عفويتان فيبتسم لها بعاطفة مختلفة عن اي عاطفة اخرى منحها اياها ليهمس

" لقد تحررت يا مسحورة .. تحررتِ وحان الوقت لتعرفي معنى ان تصبحي ملكي حقا ، دون اي مخاوف ساذجة وعوائق وهمية ..."







صباح اليوم التالي..

خرجت اليه بوجه مشرق وعينين تلمعان بينما تلوح بكوب ابيض تحمله بيدها ..

ترجل من سيارته ليتقدم نحوها بابتسامة جذلى ونظرات لاتمل التدقيق في تفاصيلها ...

نفس الثوب لكن هذه المرة دون اكسسوارات الغجر بل اختارت عقد طويل باحجار زرقاء تشبه لون عينيها ولتزيد طلتها بهاء بشد رأسها بوشاح قصير من نفس الزرقة ...

تنهد وهو يمد يده ليداعب اصابعها الملتفة حول الكوب قائلا بصوت أجش " صباح فاتن كفتنتك يا زرقاء العينين .."

ضحكت بخفة وهي تسلمه الكوب وتسحب اناملها بنعومة من بين انامله ثم تتوجه بخطواتها المتهملة ناحية المقعد المجاور لمقعد السائق ..

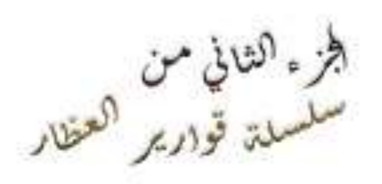
لم تنتظره ليفتح لها الباب لكنه كان جوارها بينما ترفع جسدها لتصعد بصعوبة ..

انحنى اليها بعد جلوسها ليتمتم وهي يقابل عينيها النظرات

" مشاكسة .. عنيدة .."







فتهز كتفيها بينما تمد يدها خلف رأسها وتسحب ضفيرتها للامام فتريحها على كتفها الايسر ..

اغلق بابها ثم التف حول السيارة ليصعد لمقعده وحالما استقر في جلسته ارتشف من الكوب ليقول بعدها بنظرة جانبية

" امممممممم .... لابأس به ! "

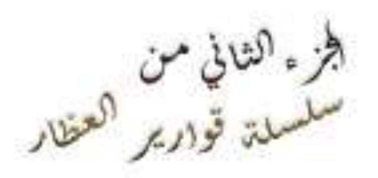
لترد حبيبة بثقة وهي تمسد على فستانها الجينز " انت مضطر لتحسين ذوقك ! فالشراب سنتشاركه كثيرا في المستقبل ..انا وانت...."

ضحك يحيى ولم يعقب بشيء بينما يتحرك بالسيارة وهو ما زال يرتشف من كوبه يستذوق طعم معشوقته في هذا الشراب الغريب ...

تتقافز سعاد فوق سريرها الجديد والفرحة تكاد لاتسعها !

تنظر اليها خلود ببعض الشرود بينما تمسك لها دميتها القماشية ..

ذراع صلبة التفت حول خصرها لتشهق بخفوت بينما يلتصق ظهرها بصدره يعتصرها عصرا وهو يغمر وجهه عميقا في شعرها المشعث حتى وصل بشفتيه لرقبتها فيقبلها دون تحرج لوجود ابنته ويهمس لها بشقاوة خشنة



" هل ستظلين بحالة ذهول لفترة طويلة ؟!
تأثير الليل عليك افضل من تأثير النهار ففي
ظلام الليل تبدين اكثر ... انفتاحا ..!"

ابتلعت ريقها وهي تتحاشا النظر ناحيته بينما
تحاول ابعاد ذراعه عن خصرها ..

كانت الكلمات تخونها .. كما تخونها
مشاعرها المضطربة .. لاتعرف كيف يفترض
ان تشعر .. بل لاتعرف ما تعبر به عن شعورها ..

هل يعقل ؟؟ حقا هل يعقل ؟!!

يده تتحرك على بطنها ويواصل همسه الشقيّ

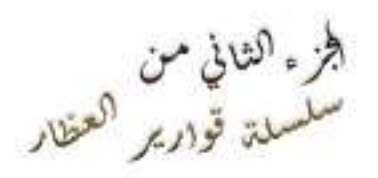
" صباح مبارك يا عروس .. لم يتسنَ لي قولها
وقد انسللت من بين ذراعي قبل استيقاظي ،
ثم تناولتِ افطارك مع سعاد دون انتظاري ..
تهربين مني هناك وهناك في اركان الملحق
... هذا عدا حالك العجيب هذا وكأنك
طفلة مصدومة بمعرفة حقيقة من حقائق
حياة الكبار ! "

قبل ان تجد خلود كلمات ترد بها اخذت سعاد
تهلل وهي تلوح بذراعيها بانفعال لايوصف

" خود .. خود ...."

كان واضحا انها تطلب من خلود ان تأتي
وتشاركها القفز على السرير الجديد ، نظرت
خلود للصغيرة الحلوة بعجز بينما والد هذه
الحلوى المتراقصة امامها يعتصرها من الخلف
دون حياء ..! واي حياء بقي بينهما ؟!





يا الهي ...

لم تدرك انها همستها بخجل فطري حتى رد حذيفة بضحكة خافته " شهقتك الناعمة هذه مريبة بعض الشيء ! اياك ان تفكري بمشاركة مليكة ابيها لعبتها .. "

التفتت اليه بوجهها اخيرا تواجهه بعبوس ليتراخى العبوس سريعا وهي تستقبل حرارة نظراته وعبث ابتسامته ... فهمس لها

" ما رأيك ان نلعب انا وانت لعبة اخرى على سريرنا الضخم ؟ "

تمتمت بجزع وعيناها تذوبان ضعفا

" حذيفة .. انا .."

عيناه لاتفارق شفتيها فيعض شفته السفلى ويهمس بتحشرج " لم تجدي الخرزة الزرقاء ليلة الامس ... لذلك اللعبة لم تنتهِ بعد "

تخضب وجهها احمرارا لتهمس بخجل فظيع

" انا .. لااصدق ان .. الامر انتـ...هى .."

فرد بسخرية مرحة

" لايليق بك جو الدراما يا قطعتي الشهية والامر ابتدأ للتو ومؤكد لم ينتهِ "

اختنقت بمشاعرها المضطربة لتعبر عنها بتشوش " انا اعيش حالة لاتوصف ! الامر غير قابل للتصديق بالنسبة لي على الاطلاق..! هل يعقل الامر كان .. بهذه البساطة ؟!!



حذيفة... انا ظللت لثلاث سنوات... اعاني كل ما تتخيله من اهانات لاني .. كنت فاشلة مع عز...."

وضع يده على فمها وقد كسا الغموض نظراته ليقول بحزم " هذا الاسم لن تذكريه ابدا بعد اليوم .. انت الآن زوجتي انا .. بل .. لم تكوني زوجة لغيري بشكل فعلي ... "

اخذت تهذر بكلمات متفرقة وقد تمكن منها الانفعال " كيف... كيف لم أكن ... انا كنت معه... لثلاث..."

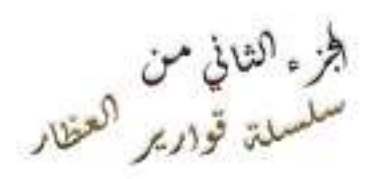
اسكتها بحركة حادة وهو يشدها ويميل ناحية اذنها هامسا بخشونة شديدة

" ليلة الامس كنتِ جسديا شبه عذراء ! ألا يدحض هذا اي ارتباط فاشل حظيت به تحت مسمى (زواج) مهما طالت مدته ؟! وها قد غدوت صباح اليوم امرأة كاملة ، امرأة لي انا يا خلود .. هل تفهمين ؟ لي .. أنا .. ولن تعيدي ذكر الماضي ابدا ... "

ابعد رأسه قليلا فيحدق فيها بعينين نصف مغمضتين ليقول بنفس الحزم " كما لن تطلعي احد على خصوصياتنا مرة اخرى ... مهما بلغت ثقتك به .. هل فهمتني خلود ؟ "

هزّت رأسها بنعم بينما تشعر بيد صغيرة تجرجر ثوبها فتنظر للاسفل لتجد سعاد تتطلع اليها بعينيها الزجاجيتين وتقول وهي تشير بيدها الاخرى ناحية السرير الوردي





" هذا سرير ... سوسو .. توتو "

فتحرك يدها لتربت بتأكيد على صدرها ثم على رأس الدمية القماشية ، كانت عيناها الجميلتان جادتين تماما وحازمتين كعيني ابيها وهما تحددان ملكيته لها قبل ثوان فقط.. اما ابنته فقد كانت تحدد ملكية السرير الوردي !

فلم تكن (سوسو) الا سعاد نفسها واما (توتو) فقد كانت دميتها القماشية ...

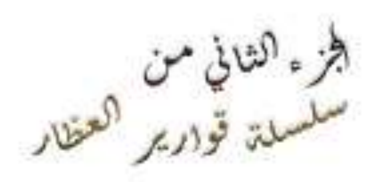
ضحك حذيفة من قلبه وقد علم ما ترمي اليه ابنته المدللة فيحرر خلود ويبتعد عنها لينحني ملتقطا صغيرته بين ذراعيه رافعا اياها اليه يقبل رقبتها بطريقته الخشنة قائلا بشقاوة بينما ابنته تضحك من دغدغته

" ايتها الصغيرة المستبدة المتملكة ..
لاتخشي شيئا فـ(خود) ستكون (توتو) لبابا "

بعد بضعة ايام ..

تطلع محسن ببعض الدهشة لدفتر ابنه عقيل فيسأله باهتمام " من علمك هذه الطريقة في الحل ؟ معلمتك تتبع دوما اسلوبا تقليديا واحدا ولاتحب التغيير .. "

رد عقيل " انها الخالة خلود ... وقد جعلتني اشرح الطريقة لمعلمتي واقنعها .."





ارتفع حاجبا محسن قليلا فوق حافة نظارته بينما يلتفت ناحية رحاب التي كانت تلعب مع سامي وسعاد على الارض فيقول

" انها ذكية جدا ولها عقل حسابي مميز "

نظرت اليه رحاب بطارف عينها وقالت بنبرة تأنيب " قلت لك انها مميزة .."

فقال محسن " لماذا لاتمتهن التدريس ؟ "

تمددت رحاب بعفوية على ظهرها فبرزت بطنها بشكل مضحك استجلب الابتسامة لشفتي زوجها بينما ترد عليه

" عرضت عليها الفكرة وهي قالت سترى ماذا يقول حذيفة "

كان محسن ما يزال يحدق فيها معجبا باستلقائها هكذا على الارض وقميص نومها القطني جعلها تبدو ناعمة ..

يحب جدا ان تنجب له فتاة هذه المرة ..

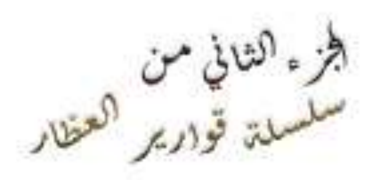
" بابا .. بابا ... هل ستساعدني في الباقي ام اذهب للخالة خلود ؟"

التفت محسن لابنه العابس فيقول له

" لا بأس .. ساساعدك أنا .."







ظهر اليوم التالي

سعيدة جدا وهي تترجل من سيارة الاجرة ،
سعيدة بما انجزته اليوم دون الحاجة لمساعدة
احد .. تكتم ابتسامتها المستمتعة وهي
تتذكر مكالمة يحيى قبل قليل وقد كان
يرغي ويزبد ...

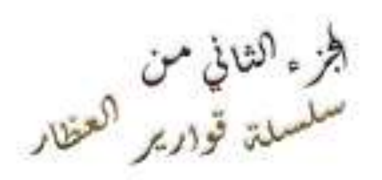
كانت تمشي على مهل تتجاهل ثقل حركتها
وتعبها الجسدي عندما رن هاتفها مرة اخرى
ففتحته وهي تكاد تصل بوابة مبنى
الشركة لتقول ببشاشة

" لقد وصلت آمنة ولم يحصل لي شيء لاتقلق ..
سأدخل بوابة مبنى الشركة حالا فلاداعي
لأرسال فرقة انقاذ لمجرد اني ذهبت دون
علمك لمركز تجهيز الورق و بضعة اماكن
اخرى "

جاء صوت يحيى هادرا " هذه اخر مرة تفعلينها
حبيبة .. سأصاب بازمة قلبية مبكرة
بسببك ! اقضي النهار مشتتا بين عملي وبين
ملاحقة تنقلاتك الفجائية هنا وهناك
بسيارات الاجرة "

هزت كتفيها وهي ترد " لماذا التشتت ؟!
ألست كبيرة بما فيه الكفاية لاعتني
بنفسي .."







كانت حبات العرق تلتمع على جبينها وهي تصعد الدرجتين بصعوبة لكنها تأبى الاعتراف بأحقية مخاوفه عليها وهي بهذا الوضع ، بل وتعاند وتصر على التصرف بحريتها وكأنها عادت سليمة معافاة ولايمنعها شيء ..

جاءها صوت يحيى يفيض غيظا " لا لست كبيرة العقل بما يكفي لتدركي انك ما زلت في فترة نقاهة وما زالت جبائرك تحيط بعظامك المكسورة .. "

اوشكت ان ترد عندما قال بصوت حاسم

" حسن حبيبة .. انا ساتصرف بطريقتي "

ثم اغلق الخط دون ان يسمع ردها ...

فتحت البوابة امامها لتحيي شهاب بايماءة من رأسها بينما تغرق في افكارها حول يحيى ..
هل بالغت حقا بتصرفاتها معه ؟

لكنه هو من يستفزها لتفعل كل هذا ..
تريده ان ينسى تماما اصاباتها .. تريده ان يحبها فقط بدلا من خوفه المستمر عليها ..
لقد باتت تشعر انه يحتمي بنفسه خلف مشاعر الخوف والاعتناء هذه حتى لايضعف امامها ...

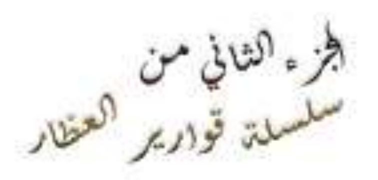
تنهدت بينما تتجه ناحية المصعد وقبل ان تصل لاحقتها خطوات شهاب مناديا لها ...

" انسة حبيبة .. آنستي ..."

التفتت حبيبة اليه لترد بابتسامة واهنة

" نعم .."







تفاجأت بتعابير وجهه المترددة ثم فاجأها اكثر بالقول الذي لامسه الارتباك

" اردت ان اقول اني سعيد .. لاجلك .."

للحظة لم تفهم ما يريد ان يقول حقا ليعقبه بالقول وهو ينظر في عينيها بثبات " السيد يحيى رجل بحق وسيهتم بك جيدا .. كما تستحقين .."

اتسعت عيناها قليلا وارتفع حاجبيها وهي تحدق فيه .... كان ما يزال ينظر اليها بنفس الثبات فشعرت انه يقول الكثير خلف بضعة كلمات تبدو في ظاهرها عادية بل مجاملة رقيقة منه لكنه لم يكن يجامل .. !

بل كان يخبرها بما يعنيه ارتباطها بيحيى .. بما يمثله لنظرة الاخرين اليها ... لفكرها .. لاختيارها..

تمتمت " شكرا..لك .."

فمد يده ليضغط زر طلب المصعد وهو يقول

" دوما كنت اراك .. فتاة رائعة ومن اصل طيب .. والسيد يحيى يليق بهذا الاصل .."

فتح المصعد فرفعت رأسها لتدخل وعندما وقفت في مواجهته هي داخل المصعد وهو خارجه قالت " ممتنة منك يا شهاب .. ممتنة لكل شيء ... انت رجل طيب "

وكانت ابتسامته الطفولية خير رد لها ...



كان ينتقل بين الاسواق ليعاين بعض القطع التي يحتاجها لماكنته الجديدة ، خرج من المحل وهو يحمل كيسا ببعض القطع عسى ان يجد ضالته في احداها ...

من مسافة ليست بالبعيدة لمح امرأة ترتدي السواد ، لم يكن السواد ما لفت انظاره وانما ذلك الشعر الاصفر الفاقع الذي ظهر من اسفل وشاحها الاسود !

تحرك حذيفة ناحيتها بخطوات واسعة حتى وصل اليها فناداها دون تردد " اشجان ..."

التفتت اليه تهمس بنبرة ذابلة " حذيفة ..؟! "

همس عفويا " يا الهي! " وقد اتسعت عيناه بصدمة يحدق في الاثار الزرقاء المريعة على وجهها ، خاصة عينها اليسرى المتورمة بقبح شديد ، شفتها مشقوقة بجرح لم يندمل بعد وسيترك اثرا دائما بلا شك ..

رآها كيف انكمشت على نفسها من نظراته فانكمشت نظراتها بالخزي واحساس التحطم..

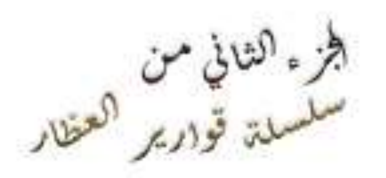
ادارت وجهها جانبا بينما يسألها بغضب

" من فعل بك هذا ؟"

ردت بنبرة فاضت بالقهر والغضب

" زبون غاضب من عجزه ! "







زم حذيفة شفتيه بقوة واوشك ان يصرخ بها لكنه امسك نفسه ليسألها بهدوء

" لماذا ترتدين السواد ؟"

غصت بالكلمات وهي ترد بارتعاش

" امي مـ...اتت ... "

ثم رفعت وجها تفيض تعابيره يأسا ..تحطما وتعاسة فأردف بالقول المختنق " ماتت ...حسرة علي.. دون أن تيأس من الدعاء لي ... حتى آخر لحظة ..كانت تدعو ! "

حدقت فيه عينها اليمنى تفصح عن مشاعر مميزة حملتها له .. قد لاتكون حبا كما سبق وتوهمته .. لكن تبقى مشاعر اهم بكثير من ترف العشق والهوى

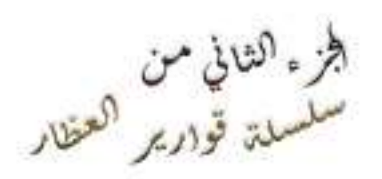
همست بألم حي " اتساءل دوما ان كانت دعوتها المستمرة هي سر دخولك في حياتي المظلمة يا حذيفة .. لكن يبدو ان لا رجاء لي في هذه الدنيا .. "

احنى رأسه قليلا ومد يده لجيبه ، اخرج قصاصة ورق فاقتطع جزء منها ثم قال

" انتظريني هنا للحظة "

دهشتها لم تطل وهي تراه يدخل احدى المحلات ليخرج ومعه نفس الورقة وقد كتب فيها سطر واحد فيقول وهو يقدمها لها







" خذي هذه الورقة .. فيها عنوان المصنع الذي سبق واخبرتك عنه .."

حدقت بيده الممدودة بتلك القصاصة الصغيرة لتنكس رأسها وتردد بنبرة ميتة يائسة من كل شيء " انا ولدت للقذارة يا حذيفة .. فلماذا انكر سر مولدي؟! "

هتف بها معنفا بقسوة " لاتكوني حمقاء وتعذبي امك في قبرها ! هل تستحق منك هذا الامتهان لها وهي تحت التراب ؟ "

اخذت اشجان تختض بنشيج مكتوم دون ان ترفع وجهها اليه ... فشتم حذيفة بصوت منخفض قبل ان يمسك يدها ويفتح كفها ليضع قصاصة الورق في باطنها ويطبق عليها باصابعها فيقول من بين اسنانه " تحدي الجميع اشجان .. تحدي نفسك واثبت انك ابنة الطهر لامرأة لم تيأس من الدعوة لك .."

تمتمت بنبرة ألم" لااريد العودة ..الى الشارع.."

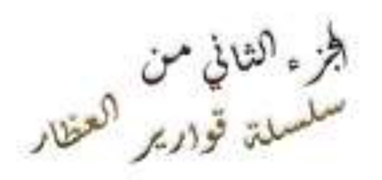
زجرها بقوة " اذن لاتعودي ! فما الذي يجبرك لفعل هذا ؟! "

همست بذل " سا...محني .. حذيفة .."

رد وهو يتحرك " فقط اذهبي للعنوان... "

تركها وسار مبتعدا تحدق تارة فيه وتارة اخرى تحدق في الورقة التي تكاد تطير من بين اناملها المتراخية ..







تنقي العدس من الشوائب بينما تستمتع باسترخاء لحديث امها المبتهج الذي يبعث في نفسها الهدوء والسرور .. انها سعيدة جدا بحيوية امها التي عادت بالكامل .. لقد تجاوزت انكسارها .. كما تجاوزت خسارتها ليونس العطار ...

وربما هذا تأثير عودة حبيبة .. عودتها بعد طول تيه واغتراب عن حقيقتها ..

وكأن امها تحاكي دواخلها فتقول ببشاشة

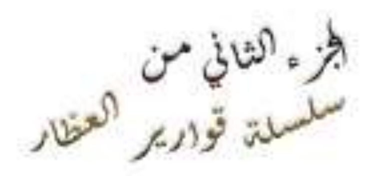
" لقد عادت لطبيعتها يا آسيا ، تتشاقى بخشونة الاولاد كما كانت تفعل مع والدك عندما تتدلل عليها بالعناد والمشاكسة ! "

رفعت اسيا ناظريها ناحية الحائط المقابل لها من المطبخ حيث علقت صورتين مرسوتين احداهما لرباب والاخرى لرقية ..

رسمتهما حبيبة بنفسها عندما كانت في المستشفى لتفاجئهن جميعا بالامس وهي تأتي بها مؤطرة وتعلقها بنفسها على الحائط ...

هزت اسيا رأسها بابتسامة رقيقة بينما امها تتابع ضاحكة " رقية كادت تصاب بنوبة هستيرية وهي تعترض على صورتها (البائسة) كما وصفتها بينما رباب اخذت تتقافز في ابتهاج وتحفز فخورة بالصورة التي تخصها بينما النحلات تحملن خصل شعرها .. "







قالت اسيا " واعطتني صورتي التي أطرتها بالمثل لكنها جعلتني اعلقها في غرفتي قائلة ان رضا سيفضلها هناك .."

جففت الام يديها بمنشفة صغيرة وهي تتنهد براحة وتقول " اتمنى ان تتعافى سريعا حتى تزف ليحيى .. انها تحبه جدا ومتعلقة به .."

تمتمت آسيا وهي منكبة على عملها " اجل .. متعلقة به وتلاعبه بطريقتها .."

عبست الام قليلا وهي تسأل " ماذا تقصدين يا جوهرة ؟! هل هناك أمر لاأعرفه ؟ "

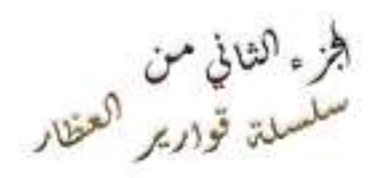
رفعت اسيا وجها مبتسما لامها فتقول بلطف

" لاتقلقي امي .. انها فقط تحب اثبات نفسها امامه ، تجعله في حالة تأهب باستمرار فتقلب الادوار ولايعود يعرف هل هو من يسيطر عليها ام هي من تسيطر عليه ..!"

شوحت الام بيدها وهي ترمي المنشفة على الطاولة لتقول ببعض الغيظ والحيرة " دوما كانت حبيبة مختلفة وصعبة في التعامل معها لكني ارى يحيى يجيد التصرف معها .. يرخي لها الحبل دون ان يفلته ..وهذا ما تحتاجه "

أكتفت آسيا بالابتسام بينما يأتيهما صوت قرع على الباب فقالت الام وهي تقترب من الباب لتفتحه " انه رضا يا آسيا .."







اظهرت اسيا بعض التعجب وهي تترك العدس في الصينية الصغيرة ثم تقف على قدميها تستقبل زوجها برد السلام ثم بالسؤال القلق

" هل حدث شيء ؟ ليس من عادتك القدوم في مثل هذا الوقت؟"

اقترب رضا بملامح هادئة مبتسما بحنو فيقبل اعلى رأسها ويقول " لاتقلقي ... كله خير ان شاء اللّه .. "

انسحبت الام من المطبخ بينما تعاود آسيا الجلوس ليجلس رضا على كرسي مجاور لها فسألته مرة اخرى " ماذا يحصل.. اخبرني .."

تمتم وهو يمد يده يتلاعب بخصلات شعرها

" انها رفيدة .. ستحضر الفتاة هذا اليوم ففضلت اخبار امي وجها لوجه حتى لايصيبها الارتباك "

ابتسامة مرت على شفتي اسيا وهي تسأل

" ما اسمها ؟" رد بصوت صافٍ " شروق ...."

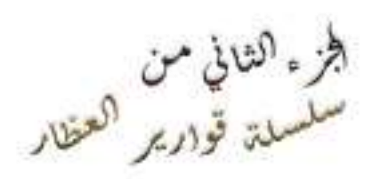
دخلت عليه مكتبه لتبادره بالقول الضاحك قبل ان يبادر هو بهجومه الحانق عليها

" احضرت لك هدية معي .."

كان سيرد بقوة متجاهلا محاولتها لتخفيف غضبه منها لكن تعابيرها الجمت لسانه وخلايا عقله اخذت تحللها ...







كانت تضحك ... تظهر الابتهاج ... متعبة جسديا ..هذا صحيح ... لكن .. هناك شيء في عينيها .. شيء مختلف ...

اقترب منها فمد ذراعه ليغلق الباب الذي تقف قربه ثم قال بنظرات ثابته هادئة " ما بك ؟"

اسبلت اهدابها وهي تتحرك لتتجاوزه مبتعدة عنه وتهذر بالقول

" لم تسألني عن الهدية ؟ اتعبت نفسي لاحضرها لك من محل ابي بعد ان قضيت نهارا طويلا بالتنقل بعدة اماكن لاتمام بعض امور العمل .."

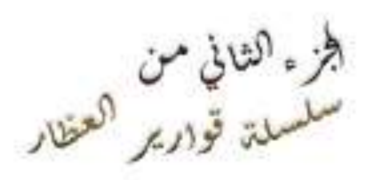
فقد هدوءه مرة اخرى فهدر بها وهو يلتفت نحوها " ذهبتِ لمحل والدك ؟!! في السوق الشعبي الكبير ؟!!! "

امالت رأسها ناحية حقيبتها وهي تفتحها وتخرج كيسا ورقيا مغلفا بعناية فترفعه اليه وتقول بنفس الابتسامة " اجل ذهبت لاحضر لك هذا ... انه ليس ورد ارجواني فقط بل خلطة مميزة لتهدئة الاعصاب "

اطبق فكيه بغيظ شديد بينما حبيبة ترفع ذقنها بشموخ لتقول بنظرات مشتعلة بروح الاستقلالية التي تنبع من تكوينها

" حتى تُهدئ نفسك كلما شعرت بالقلق غير المجدي نحوي ! "







قابل نظراتها بنظرات اقوى منها ليقول بغموض

" محاولة جيدة حبيبة .. هلا اخبرتني بعد

هذه المسرحية اللطيفة التي تتلاعبين بها

بعقلي ماذا بك بالضبط ؟ "

للحظة لاح في عينيها شيء اعتصر قلبه

لكنها سرعان ما استعادت سيطرتها لتقترب

منه ببطئ وتهمس وهي تقف قبالته تماما

" كنت سأسأل العم سالم ان كانت هناك

اعشاب تجعل الاخرين يفصحون عما في

صدورهم دون قيود ..."

ابتلع ريقه وهو يحدق في عينيها ويهمس

" تقصدين اسرارهم الدفينة "

فردت بملامح تفيض بالشكوى " بل مشاعرهم

الذي يقيدونها دون سبب .."

اشتعلت عيناه ليرد بشكل هجومي مباشر

" ربما هناك اسباب لتلك القيود ... و ربما

انت من تحتاجين لتلك الاعشاب يا حبيبة لا

أنا كما تحاولين التلميح منذ دخولك .."

انفاسها تحشرجت في صدرها وعينا شهاب

المعبرتان وكلماته لها عند دخولها المبنى

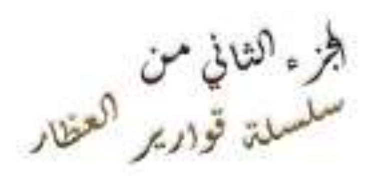
قبل قليل ما زالت ترن في اذنيها .. ما زالت

تجعلها في احتياج عارم لتأكيد من هذا

الوسيم الذي يقف شامخا امامها .. شامخا

متملكا لقلبها ...







تريد تأكيدا صريحا انه لن يتركها ابدا ...

بل تأكيد انه يفهم بشكل واضح انها لن تعطيه الفرصة ليتركها ...

مالت برأسها لتسند جبينها لصدره تهمس برقة

" هل تحبني يحيى ؟"

صدمه السؤال .. تطرحه بشكل مباشر ..

فتذكر رسمها لعينيه في المستشفى ..

لم يعد يحتمل فمد يده بعنف ليضعها تحت ذقنها ويرفع وجهها اليه هامسا بخشونة لعينيها المرتبكين وشفتيها المرتعشتين

" لاتختبري صبري يا صغيرة .. انت اذكى من ان تسألي سؤالا احمق كهذا .. ! انا لااحبك فقط .. انا اعشقك .. وتكاد تتحطم ارادتي الصلبة التي تحثني لتملكك .."

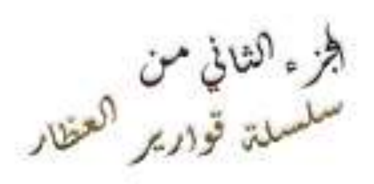
اسبلت اهدابها وتضرج خداها بالحمرة القانية فتهمس بنبرة انثوية فطرية " قبلني يحيى .. قبلني كما لم تفعل من قبل ..."

وكأنها صفعته بعنف ليستيقظ من غيبوبة التحكم التي يفرضها على نفسها ...

هاجمته مشاعره المكبوتة بضراوة فلم يقاوم ليرفع راية الاستسلام ، لم يشعر كيف كان يسحق شفتيها كما كان يسحق عظامها ..







تتأوه بألمها وهو لايشعر بينما يهمس لها بخشونة وقد فقد زمام عقله " قوليها انت .. قوليها ... قولي احبك حتى وان كانت كذبا ولاتشعرين بها حقيقة ..."

اخذت دموعها تسيل على خديها فلم تعد تبالي بألم الجسد فترفع ذراعها تلفها حول عنقه تبادله القبلات وتضحك بخفوت في نفس الوقت ...

لاتعلم ماذا يحصل لها لتكون باكية ضاحكة هادرة المشاعر هكذا !

تمتم وهو يقبل خديها بجنون " دموعك الحارة .. ضحكاتك المنعشة .. جنونك كله اعشق ... دعينا نتزوج الاسبوع القادم .. ها حبيبة .. ماذا تقولين ؟ قولي انك موافقة ... قولي فليذهب كل شيء الى الجحيم .. "

دفنت وجهها في تجويف عنقه تتنشق رائحته الرجولية وتهمس بانفاس متقطعة بينما الشقاوة تتلاعب باوتار صوتها " اولا .. يجب ان آتي بنفسي لاستعيد ما هو لي .."

سأل بقلة صبر " متى ..؟"

ردت بحلاوة لتغيظه

" امممممم ... ربما الاسبوع المقبل .."







ببعض شعور الذنب اعتذر سالم مرة اخرى من رفيدة بينما ينتظران في غرفة مديرة الملجأ

" اسف رفيدة لاني تسببت بكل هذا التأخير، لم استطع ترك المحل بوقت ابكر.."

رددت رفيدة بتشنج وتوتر ملحوظ

" لابأس سالم .. لابأس "

نظر اليها سالم وهي تجلس في كرسي مقابل له ، عيناها تدوران هنا وهناك ..يداها قلقتان لاتهدءآن في مكان محدد ، مرة في حجرها ومرة على حافة مكتب المديرة ومرة تتلاعب بذراع كرسيها ، كانت شديدة التوتر قليلة الصبر..

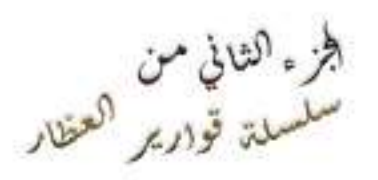
فقال سالم بهدوء وهو يتلاعب بخزر مسبحته

" عليك ان تكوني اكثر تماسكا رفيدة ، الفتاة تحتاج لدعمك حتى تشعر بالتكيف معنا ، انت ستكونين اما لها ويفترض ان تراعي حاجتها للاطمئنان حتى تتأقلم سريعا مع حياتها الجديدة .."

عجزت رفيدة عن الرد بشيء ، انه محق .. نعم .. تعلم هذا .. لكنه لايستطيع الشعور بما تعانيه وهي تنتظر بتلهف قلق لحياتها الجديدة مع الصغيرة شروق اكثر ربما مما تنتظرها تلك الصغيرة السمراء كشكولاته ذائبة ...







ابتسامة رقيقة مرت على شفتيها وهي تتذكر
الخدين السمراوين المرتفعين بطبيعتهما
فيرتفعا اكثر بابتسامة حلوة مزدانين
بغمازتين فاتنتين ..

همست دون شعورها " شروق ستكون فتاة
جميلة .. جميلة جدا ..."

ارتاح سالم بعض الشيء فمد يده ليربت على
يدها ويقول بحنان " ان شاء الله ستكبر على
يديك لتكون فتاة صالحة "

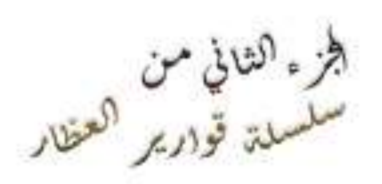
هزّت رأسها بانفعال وهي تكاد لاتصدق ان
تلك الفتاة التي سكنت احلامها ستكون
ربيبتها حقا حتى تكبر .. ستكون لها ابنة
تعوضها ما كتب الله عليها من حرمان الامومة.

فتح الباب واطلت مديرة الملجأ بوجهها
البشوش وفي يدها شروق .. سمراء صغيرة
محببة للقلب بابتسامتها الدائمة ، تبدو اصغر
من سني عمرها الستة لكن عينيها السوداوين
تفصحان عن ذكاء واضح ...

افلتت شروق يد المديرة لتركض ناحية
رفيدة وهي تحمل حقيبتها على ظهرها ودميتها
الشقراء في يدها ، بامومة تنشدها وارتباك
لاتسيطر عليه فتحت رفيدة ذراعيها للصغيرة
فتغمرها وتضمها لصدرها بينما الدموع تسيل
منها مدرارا بعاطفة جياشة لاتفقهها ...







عند الليل ...

امسكت سعاد بيد سامي باصرار عابس وهي تصر على ان يشاركها المبيت في غرفتها الجديدة ...

كانت كلا من رحاب وخلود تقفان عاجزتين عن اقناعها بينما سامي بدا فخورا باهميته !

حاولت معها خلود للمرة الاخيرة " حبيبتي دعيني انا انام جوارك الليلة ؟ "

لكن سعاد هزت رأسها بعناد رافض وتشبثت بيد سامي اكثر ..

فما كان الا ان حل (الازمة) سامي الصغير وهو يتنهد وكأن ما بيده حيلة ليقول لامه بغرور طفولي لذيذ " حسنا امي سأبيت الليلة هنا ، احضري لي رجاء فرشا افترشه على الارض "

صوت ضحكات رجولية جاءت من عند باب الغرفة لتلتفت خلود وتجد حذيفة يقف هناك مستندا للباب وعيناه تلمعان بالتوعد ..

احمرت وقد ادركت انه سمع عرضها لسعاد بأن تنام جوارها الليلة .. وقد اوضح لها في وقت سابق ان الليل هي له تماما ... وبتفرغ كامل..!







وكأن صغيرته تتآمر معه فاصبحت استقلالية بشكل مريب ولاتريد منها المبيت في غرفتها بعد اليوم بل لاتريد حتى اباها ...!

انسحبت رحاب لتحضر بعض المفارش لسامي بينما سعاد الصغيرة تسحب سامي ليتسلقا السرير ويبدآ التقافز معا فوقه ...

اما خلود فاخذت تتحرك هنا وهناك وكأنها ترتب اغراض الغرفة ليسد عليها طريقها فجأة ظل ضخم وصوت هامس خشن عابث

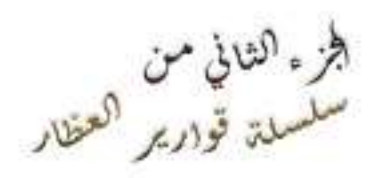
" اياك والغش مرة اخرى يا قطعتي الشهية .. "

رفعت عينيها اليه ووجهها يعبس فيقول بابتسامة تشع اغاظة

" كوني تلميذة مجدة معي الليلة واعدك ان افكر بموضوع التحاق سعاد بالمدرسة "

هتفت بانفعال وقد صدقت عرضه للوهلة الاولى " حقا حذيفة ؟! هل ستدعها تذهب للمدرسة ان كنت .. ان كنت .. اقصد .. ان " احمرت بشدة وقد ادركت قلة حياء ما تحاول التعبير عنه فضحك حذيفة عاليا ليقول بعدها بنظرات تشع استمتاعا " هل سيأتي يوم فأسد رمق هذا الجوع السافر اليك ؟!! "







بعد بضعة ايام .. قبيل منتصف النهار ...

تتشبث بساقه كمعتوهة مهووسة وهو يشتم بافظع السباب والشتائم لكنه يواصل تحركه الثقيل مع حقيبة ملابسه ناحية الباب لايبالي -اي منهما- انه كان يسحلها سحلا !

كاد يتقيأ من شدة قرفه منها وهي تتوسله طوال الوقت بصوت كره كل نبراته الذليلة الكسيرة المهانة !

" لاتتركني فواز .. اتوسل اليك لاتتركني "

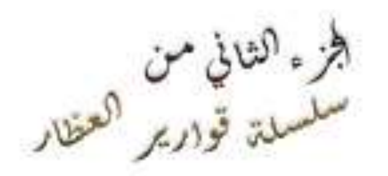
فيهدر بها صارخا " انت طالق الا تفهمين ؟! قلتها لك عشر مرات وانت لاتستوعبين كما يبدو "

بدت فعلا غير مستوعبة او ربما رافضة ببساطة استيعاب هذه الحقيقة فتهدر المزيد من انسانيتها مع دموعها وهي تتوسله " لن اضايقك بكلمة ولن اطالبك بشيء .. لكن لاتتركني وحدي .. لا اريد ان ابقى وحدي .."

فاض غضبه فرفسها بعنف في بطنها ليتخلص من تشبثها الجنوني لكنها اطلقت صيحة التوجع دون ان تفلته !







عاد ليشتم ويبصق عليها ثم رمى حقيبته ارضا قريبا من الباب وانحني نحوها يمسك شعرها بعنف شديد مقربا وجهه من وجهها وهو يقول بغل ومقت

" لو عرضت علي كنوز الارض يا شكرية فلن ابقى معك ! ايتها العجوز المقرفة .. لاتدّعي انك لا تعرفين لم بقيت معك وتحملت وجودك المقرف .. لم اكن احتملك الا لاجل خلود .. هل تفهمين ؟ هل تفهميين ؟!.."

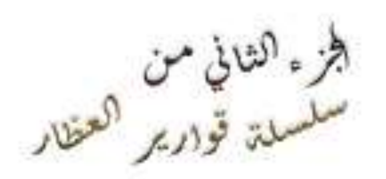
لم يهملها لترد وهو يهز رأسها هزا موجعا فتصرخ هي من شدة الألم فأخذ يضحك ضحكة متشفية ويهدر بالمزيد وقد تشوهت ملامحه بسواد رغباته المريضة " اجل انها خلود من كنت اسعى اليها على الدوام واشتهيها امرأة لي دون كل النساء .. لكني خسرتها الى الابد ولم يعد هناك ما يبقيني في هذا الجحر القذر معك .."

لم تكن تصرخ الا بـ(لا... لا ..لا ...)

حدق في جلبابها الباهت وشعرها المشعث الذي يكاد يقتلعه من منابته وقد بانت اثار الشيب الذي تحاول اخفاؤه دوما بالاصباغ الرخيصة .. وجهها الباكي بملامح هستيرية يائسة جعلته يشعر برغبة دفينة لمزيد من الاذلال لها ... بمزيد من الانتقام .. الانتقام من كل شيء !







تأججت النيران ليبوح بما يخفيه " كلها بضع ساعات وستجدين نفسك مع ولدك في الشارع ولتتسولوا من حذيفة الحقير ملجأ لكما !

لقد بعت كل شيء ...كل شيء... وسأرحل تاركا هذا البلد بأكمله حيث لم اعد احتمل رؤية وجه احد منكم ..."

كانت عينا شكرية تجحظان وهما تحدقان فيه ! بدت اكثر عجزا من اي وقت مضى ... بدت .. بدت وكأنها تستفزه اكثر بعجزها هذا فيكره اليوم الذي تزوجها فيه ...

الغل تفاقم في صدره بينما قبضته تشد شعرها بقسوة رهيبة .. جحظت عيناه هو الآخر ..

لكن ليس صدمة وعجزا كشكرية وانما كأقرب ما يكون لمجنون فقد السيطرة فقال بانفاس ثقيلة ونبرة كفحيح الافاعي التي توشك على قتل ضحيتها بلدغتها السامة

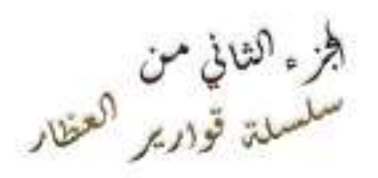
" لكن قبل رحيلي يجب ان اترك بعض الاثار التي لاتنتسى لكم جميعا " ولم يشعر بنفسه الا وقبضته تحط بعنف على وجهها ....

بعد فترة ....

ارتبك خليل وهو يحدث حذيفة عبر هاتفه النقال الرخيص ليقول محاولا انهاء المكالمة " حسنا حذيفة فقط ساعة وسألتحق بالمعمل لن .. أتأخر .. اكثر "







بدا صوت حذيفة مرتابا وهو يتساءل " ماذا تقصد ساعة ؟!!! لماذا لاتأتي مباشرة للمعمل ؟ ما الذي يشغلك منذ ايام يا فتى ولاتطلعني عليه ؟ "

فكر خليل كيف يصارح حذيفة بالامر الآن ويضمن انه لن يتدخل ويمنعه ؟ هل يقول له انه يحاول جهده البحث خلف فواز عسى ان يمسك عليه دليلا لتورطه في اعمال مشبوهة وعندها سيكون جزاء عادلا ان يدخل السجن ويتخلص منه هو وامه الى الابد .. لكنه للاسف حتى هذه اللحظة لم يصل لشيء ولم يستطع ان يعرف هوية الرجل المريب الذي سلمه مالا قبل ايام ..

لا .. لايستطيع ان يخبر حذيفة .. عليه ان يتعلم الاعتماد على نفسه وامه مسؤوليته وحده وليست مسؤولية حذيفة ..

تنحنح خليل ليجلي صوته قبل ان يقول مبررا

" انا فقط قلق على امي .. احب... الجلوس معها .. لبعض الوقت "

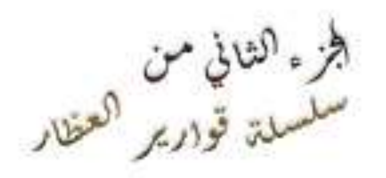
رد حذيفة على عجل " هاتفي سينطفئ في اية لحظة ، نسيت ان اشحنه والشاحن ليس معي الان .. اسمع خليل انا لااصدق ادعائك هذا .. لكني سأسايرك .. لا تتأخر اكثر من نصف ساعة .. وعندما تأتي سنتك...."

انقطع صوت حذيفة فأخذ خليل يناديه

" حذيفة .. حذيفة .. "







ثم تنهد باحباط وهو يغلق الهاتف ويتمتم

" يبدو ان هاتفه انطفأ... "

وبخطوات متسارعة توجه خليل ناحية البيت واحساس غريب بضيق الصدر يسيطر عليه ..

ذهنه مشغول مع خليل بينما يعمل على ماكنة خراطة الحديد ، الفتى يخفي امرا عنه ... تأفف حذيفة وهو ينظر لساعة يده .. لقد مرت اكثر من ساعتين منذ اخر مكالمة بينهما .. لماذا تأخر هذا الفتى ؟!!

اجفل قليلا وهو يطفئ الماكنة تلقائيا بينما يستدير لتلك اليد التي حطت على كتفه ...

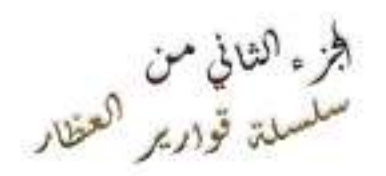
اتسعت عينا حذيفة دهشة وهو يقول بقلق

" رضا ! ما الذي أتى بك الى هنا ؟ هل حصل مكروه لاحد ما ؟"

ابتسامة رضا لم تخدعه فتضاعف القلق بينما رضا يرد عليه "اهدأ اخي .. امي كانت تحاول الاتصال بك ..وعندما عجزت اتصلت بي انا لآتي اليك "

كان يقاوم ارتعاشه الداخلي وهو يمد يده لقطعة قماش خشنة يمسح بها يديه من دهون الماكنة ليقول بتماسك " هاتفي انطفأ .. والهاتف الارضي معطل منذ اسبوع .."

ثم واجه عيني اخيه الاكبر يسأله بشكل مباشر " هلا اخبرتني بما يحدث ؟ "





بهدوء شديد قال رضا " حسنا .. تعال معي لنزور بيت اهل زوجتك .."

قلبه انخلع ! وكأن هناك يد جبارة اخترقت اضلاعه تحطمها دون رحمة ثم تصل القلب فتخلعه من مكانه بوحشية سافرة ...

تمتم بصوت مخنوق

" اهل زوجتي ؟! ماذا هناك رضا ؟ "

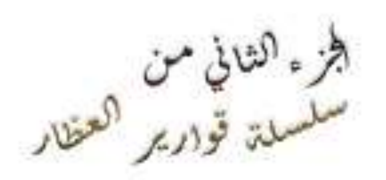
لم يستطع السؤال عنها تحديدا .. مؤكد هي بخير في بيت عائلته .. آمنة .. مرتاحة .. تلاعب ابنته .. وتنتظر عودته ليتنفس هواءها النقي فيشعر انه يعيش .. اجل كما كل يوم .. هي هناك .. في بيته .. في حمايته ...

صوت رضا بدا يحاول الموازنة بين الهدوء والاستعجال ليقول " هون عليك اخي .. ان شاء اللّه لايوجد الا الخير .. امي قالت ان هناك من اتصل بخلود فجعلها تغادر البيت جزعة دون ان تفسر فقط عبرت انها .. ان الموضوع يخص امها واخيها ... يبدو ان .. مشكلة كبيرة حصلت "

تلك اليد الجبارة انتزعت القلب خارج جسده فلم يشعر الا وهو يهمس باحساس رهيب وتخيلات لمشاهد اكثر رهبة وبشاعة

" خلود ...."







تجلس جوار مجد في سيارته وعيناها جامدتان لاتعبران عن شيء ... يكادان يصلان ناحية النهر وهي تلتزم الصمت منذ مغادرتهما الشركة معا ...

تمتم مجد معتذرا مرة اخرى وما زال يحاول تجاوز احساس بالحرج " انا اعتذر مرة اخرى حبيبة لكن انا اعرفه جيدا واعرف كم هو ... عنيد وسيفعلها عن طريقي او بدوني .. لذلك فضلت ان اكون معك .."

لم تستجب له فأضاف

" لكن كما قلت لك لا شيء يجبرك على هذا اللقاء .. بامكانك اخبار السيد ...."

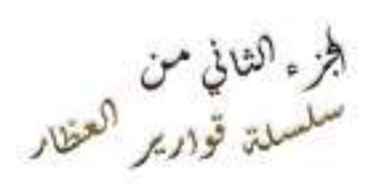
قاطعته بنفس الجمود " ها هو .. يقف هناك عند جانب السور .."

اعطى مجد اشارة جانبية وهو يتنهد باحباط بينما يلمح صديقه يقف عند السور ، اوقف السيارة جانب الطريق فرأى من بعيد كيف تأهب مهند بل خطا خطوتين ثم عاد وتوقف في مكانه ....

ملامح وجهه لم تكن واضحة تماما لكن انفاسه متسارعة بوضوح من حركة الصعود والنزول لعضلات صدره ...

عاد ليحدق في حبيبة فرآها تتطلع لمهند مثله تماما لكن ملامحها بدت غير مقروءة بشكل غريب ...







قال مجد بدعم كامل " لآخر مرة حبيبة ..
اذا شئت العودة فسأعيدك حالا و..."

قاطعته حبيبة بالقول الهادئ المريب وهي
تفتح عتلة باب السيارة " شكرا لانك
اوصلتني .. يمكنك العودة للعمل "

عندها قال مجد بلهجة قاطعة " لن اتحرك
من هنا بدونك ، انا من احضرتك حبيبة
وسانتظرك ها هنا و مهما طال الوقت
لاعيدك بنفسي .."

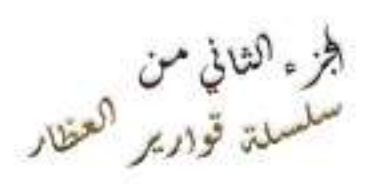
نظرت في عينيه فلاحت بعض مشاعر الامتنان
ثم سرعان ما بهت كل شيء لتهمس
" لابأس ... شكرا لك .."

ترجلت من السيارة بتمهل وبعض الصعوبة في
الحركة التي اعتادت عليها لتقف اخيرا على
قدميها.. شامخة .. أبية ..

لحظة ..

و اصطدمت عيناها بـ..عينيه ....







الفصل العشرون والاخير

ترجلت من السيارة بتمهل وبعض الصعوبة في الحركة التي اعتادت عليها لتقف اخيرا على قدميها.. شامخة .. أبية ..

لحظة ..

و اصطدمت عيناها بـ..عينيه ....

احساس متباعد غريب .. بارد .. شديد البرودة!

حتى الغضب قد ضن عليها ولو بلمحة عابرة ..

لم يخالجها الا هذا الشعور المتباعد .. شعور يجعلها تتساءل لماذا هي هنا بالضبط ؟!

فتستدرك ذاكرتها وتشحنها باسباب عديدة اهمها ان تضع النقطة نهاية سطر طويل في سلسلة احداث عايشتها لاشهر طويلة... مضنية ..

والامر لم يبتدأ بمهند بل ابتدأ حتى قبل وفاة والدها .. يوم قرر هذا الاب اتخاذ زوجة ثانية أملا بانجاب صبي !

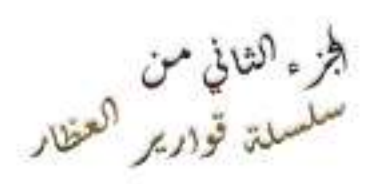
صبي لم تَكُنْه يوما ولن تكونه ابدا ..

فهي ما هي .. حبيبة .. الانثى البرية ..

تأوه من القلب مع اسمه ... يحيى ..

غامت عيناها وانفصلت عن الضوضاء حولها ... هو من صقل تلك الانثى .. هو من اطلق بريتها لتعيش تحررا من نوع خاص .. مثمر لا مدمر ..





يحيى لم يسحبها عنوة للنور ..

بل علمها كيف تجد النور النابع من داخلها لتبدد به كل ظلمة تهاجمها ..

تبددها بارداتها هي لا بإرادة غيرها ....

احساس بالذنب تسرب اليها ..

كان يفترض ان تبلغ يحيى بهذا اللقاء لكنها .. لم تفعل ..حسنا .. لقد اقدمت على الامر بمفردها وهي لديها الشجاعة الكافية لتحمل كل عواقبه ..

يحيى منحها الامان عندما منحها قلبه .. وتلك القبلة بينهما في المكتب قبل ايام كانت

اعترافا صريحا منه انه ما زال يعشقها بل واكثر ...

آه لو يعرف بماذا تشعر هي نحوه .. ماذا يمثل لها .. ماذا كتمت عنه شقاوة ومشاكسة بل رغبة عفوية للانتقام الطفولي منه .. لكن هذه هي .. لاتتنازل عن ثأرها ابدا ...

" حبيبة .. هل انت بخير ؟ هل تحتاجين ان انزل واسندك ؟"

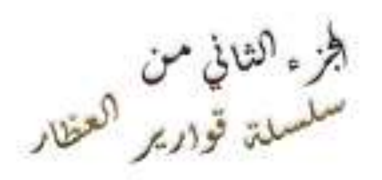
كان هذا مجد يميل بجذعه قليلا في سيارته ويتكلم معها عبر شباك المقعد المجاور له حيث كانت تجلس قبل قليل ...

التفتت اليه برأسها لتقول بهدوء

" انا بخير .. لاتقلق .."







ثم عادت لتوجه رأسها ناحية مهند ..

كان ما يزال متسمرا مكانه يحدق فيها بعجز عن الاتيان بفعل آخر فيكبت دواخله بشق الانفس، حسنا وماذا بيده ان يفعل اكثر من هذا ؟

لا .. شيء !

تحركت حبيبة تقترب منه بخطواتها الثقيلة تناظره باتزان كامل ، ومع كل خطوة كانت تستكشفه بفضول !

وكأنه حالة منفصلة عنها .. حالة اثارت فضولها مع نفس الاحساس بالبرود ...

بعين محترفة عندما تستكشف امرا اخذت تفصله تفصيلا ..

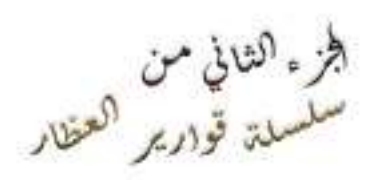
شيء انطفأ فيه واحاطه وهج من الشجن ، نحيلا .. بجاذبية مختلفة ... ربما الفتيات سيجدنه اكثر سحرا الآن .. لكنه لايبدو حاليا انه متهم برأي الاناث فيه ..

لم تستوعب الا الان كم كان رجلا نرجسيا بالفطرة .. احساسه عال بذاته .. حتى عندما احبها كان ينظر اليها ويفكر في نفسه !

لم تجد فيه يوما انعكاسا لها .. لم تجد صدى لعمق شخصها .. كما لم تجد لشخصه صدى في نفسها هي ...







هذا هو الخطأ الذي استشعرته دوما بينهما ..

مهند لم يكن لها وهي لم تكن له ..

صوته بدا باهتا وهو يهمس اسمها " حبيبة ..."

وقفت امامه بصمت تواجه تفرسه بملامحها دون ان تبدي اي ردة فعل ، ارتعشت نظراته التي استقرت على اثر جرح في اعلى جبينها ثم تحركت تلك النظرات سريعا لجبيرة ذراعها فتتصلب ملامحه وينطبق فكاه بقوة بينما يداه تتقبضان الى جانبيه ..

همس بصوت أجش " كيف .. حالك .."

ردت بهدوء " بخير الحمد لله .."

حدق في عينيها الباردتين ... مشاعرها النائية تماما عنه جعلت قلبه يتفتت ...

شعر وكأنها لم تعرفه يوما .. لم يؤثر في قلبها يوما ... لم يوشك على امتلاكها كلها مع قلبها ...يوما !

تمتم " انا .. اردت الاعتذار .."

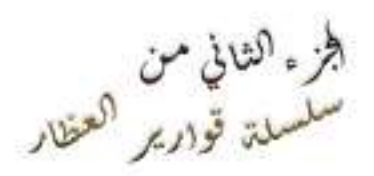
قابلت اعتذاره المشتت بنفس الصمت .. وتلك العينان الزرقاوان تشعان ... برودا !

ابتلع ريقه محاولا التماسك امام شعور الاغتراب الذي تصفعه به حبيبة دون مجهود يذكر منها !

حبيبة التي ملكت قلبه وما زالت تملكه ...







كاد ان يفتح فمه عندما سبقته بالقول الثابت النبرات

" هناك اخطاء الاعتذار لايصححها ! "

قلبه يلتاع في صدره بينما يحدق في وجهها بجوع الفراق القادم ... قلبه ادرك الحقيقة التي لا يستوعبها عقله بشكل كامل ...

انه يودع حبيبة الى الابد ....

اضافت حبيبة بسلاسة

" قد تبحث عن ردة فعل لاعتذارك حتى ترتاح .. كالعادة تبحث عن نفسك اولا ... فأقول لك راحتك ليس عندي مهند .. انسَ حبيبة التي عرفتها يوما ... انا لم اعد تلك الـ(حبيبة) التي عاصرتها في احلك ايام حياتها ..."

شمخت بأنفها لتقول بكبرياء " ما تراه الآن امامك لاتستطيع ادراك كنهه .. واجزم انك لن تستطيع يوما .. "

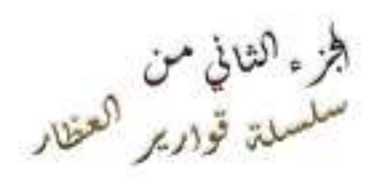
انفاسه تكاد تتلاشى وهو يراها تستدير ببساطة بينما يسمع صوتها مع نسيم الهواء

" وداعا مهند ..."

لم يستطع .. يا الهي ... لم يستطع كبح تلك الرغبة ليناديها قائلا

" انتظري حبيبة ..."





توقفت بخطواتها دون ان تستدير اليه بينما ترفع نظراتها المتراخية نحو سيارة مجد لتجده يترجل بقلق من سيارته فيقف هناك وقد بدا على أهبة الاستعداد للتدخل ...

قال مهند بصوت مخنوق " لم اطلب مقابلتك للاعتذار فقط .. وحتى اعتذاري لم يكن لاجل نفسي كما تتصورين .. انت استحقيت مني حتى ان اتذلل واطلب منك العفو .. انه لاشيء امام كل ما فعلته من حقارة معك .. "

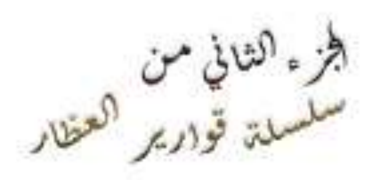
تستشعر صدقه ولكنها لاتتأثر ! شيء غريب هذا البرود نحوه .. ربما هي قاسية فعلا ولاتعرف معنى الغفران ...

اضاف بصوت مبحوح " كما قلت لك اردت رؤيتك ليس للاعتذار فقط وانما لاخبرك .. لاطلب منك بل ان اتوسلك .. لاتتعجلي بـ..الزواج .. "

بحركة عنيفة استدارت اليه وموجة من شراسة فاضت من كل خلية منها فسارع مهند للتفسير " اقسم بالله لااقصد ان اقول هذا لاجل نفسي .. انا فقط .. لااريد ان . تكملي ارتباطا .. اتخذت قراره بسبب .. ما حصل بيننا.."

ما زال العنف الشرس موجها اليه منها بينما تتمتم من بين اسنانها " أو تجرؤ ؟! "







غامت عيناه .. شاب ملامحه نفس الشجن الذي لمحته اول ما رأته قبل قليل ليقول بصوت أجش " نعم اجرؤ لاني ما زلت احبك .. حتى لو لم تكوني لي انا احبك .. وكل ما اريده ان .. تكوني متأكدة .. لتكوني س ..."

بنبرة لاتوصف قاطعته بالقول " سأخبرك من هو يحيى بالنسبة لي ... ليكون ردي هو النقطة في نهاية سطري... معك ..! "

" هل انت بخير حذيفة ؟ وجهك شاحب جدا "

لم يرد حذيفة على اخيه رضا بشيء ، فهو يعيش جحيمه الخاص منذ ان غادرا شقة اهل خلود التي كانت مشرعة الابواب والجيران ما زالوا يتجمهرون فضولا واشفاقا على اهل هذا البيت وما آل اليه حالهم !

قال رضا مطمئنا اخاه " ستكون حماتك بخير .. الجيران قالوا .."

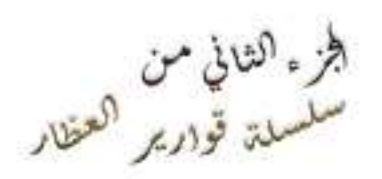
هتف حذيفة دون شعوره " لايهمني الجيران وما قالوه .. انا لن اهدأ حتى اراها بنفسي .."

عقد رضا حاجبيه قليلا ولوهلة اخبره حدسه ان حذيفة لايتكلم عن حماته فتساءل

" حذيفة ... هل انت قلق على خلود ؟ "

ضرب حذيفة قبضته بعنف على باب السيارة هادرا " تلك الغبية المتهورة المجنونة .."





غامت عينا رضا حنانا ... لم يكن مخطئا ... حذيفة يُكن لزوجته اكثر بكثير مما يفصح عنه حتى لنفسه !

التزم رضا الصمت ولم يثقل على اخيه بقول المزيد ..

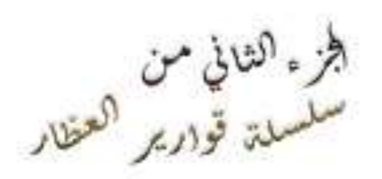
نار ... نار تلتهم احشاءه من الداخل .. انه مستعد للقتل .. ليس لديه اي ذرة تردد لفعلها للمرة الثانية في حياته...

تقبضت يدا حذيفة بتشنج رهيب وهو يقسم في سره بوحشية " اقسم باللّه ان كان اصاب خلود شيء من ذاك القذر فسأجوب الارض من اقصا لاقصاها حتى أجده .. ولن أتركه الا جثة هامدة ... "

اغمض عينيه والنار تتأجج في داخله فتشعل مزيدا من النيران .. وهذه المرة كانت نيران القلق ... بل رعب لاقِبل له بالتحكم فيه ..

يحاول ان يعيد ترتيب الاحداث بمنطقية حتى يتأكد ان تلك المجنونة لم تصل في توقيت خاطئ .. انها لم تلتق ابدا بفواز ...

كان مشوشا جدا عندما وصل لشقة اهلها بينما اخذ الناس المتجمهرون هناك يلقون بقصصهم دفعة واحدة .. فبدت كقطع متناثرة من احجية تأبى ان تكتمل ! ولولا وجود رضا لما كان استطاع فهم شيء منهم ...





ابتلع ريقه بصعوبة ...مع كل ما أكدوه ان خلود بخير لكنه لن يهدأ حتى يراها حقا .. يراها بنفسه ويتأكد انها سليمة معافاة ....

وبعدها .. سيقتلع رأسها من فوق جسدها !

تلك الغبية المجنونة ...!!

دخل مهند الى البيت ليجد والديه في انتظاره، بنظرات مستكينة لاتعبر عن تحطمه الكامل اخذ يتطلع لوالده بوجهه العابس المحمر الذي يعبر عن شدة غضبه وامه التي بدت ذابلة الملامح من شدة القلق ....

اقترب الاب منه والام تتمسك بذارعه تحاول تهدئته بصمت بينما يهدر في وجه ابنه بسؤال واحد

" الى أين خرجت يا مهند دون ان تعلمني ؟! "

يقف قبالة والده .. مستسلما يقتله الألم بينما يرد ببساطة " ذهبت لرؤية حبيبة "

لم يشعر الا بكف والده تلطم وجهه و لأول مرة في حياته كلها !

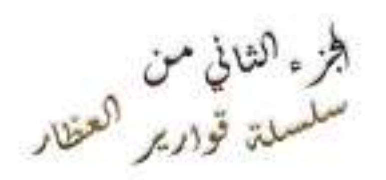
إلتاعت الام بغير تصديق " ابا مهند ! "

هدر الاب في زوجته " اخرجي من هنا .. دعيني لوحدي معه... حاااااااااااااالا "

بانكسار غادرت الام ودموعها تسبقها ..







امسك الاب بخناق ابنه يهزه بغضب وقلق على نفس المستوى من القوة " سيمزقك يحيى الصائغ دون رحمة ! هذا الرجل خطير رغم هيئة التمدن الخارجية التي يحملها .. لقد وعدته بشرفي انك لن تقربها .. قلت له لو اقترب مهند من اي شخص يعنيك فافعل به ما شئت .. انا انفض يدي ! "

رد مهند والاوجاع تهتاج

" انا اتحمل مسؤولية اعمالي ابي .. لقد فعلت ما كان يجب ان افعله .."

اخذ الاب يخفف من امساكه بخناق ولده ليسأله وهو يحاول التماسك " هل رأيتها ؟"

اعتصره الألم حتى تلوت معدته فيرد بصوت مختنق " اجل ابي .. انتهى الامر .. لاتخف .. "

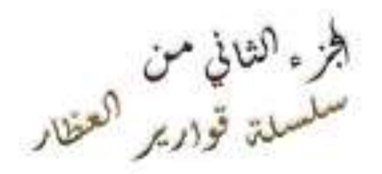
هذا الألم الذي يعتصر محيا ولده الوحيد كان يعتصره هو ايضا فتمتم الاب بجزع

" مهند .. ولدي انسها بالله عليك .. ستجد فتاة اخرى تناسبك ..."

ابتسامة باهتة فقدت كل معاني الحياة كانت كالخنجر في قلب الاب بينما ابنه يهمس بنبرة تعكس ابتسامته

" فقط امنحني بعض الوقت لأكون بمفردي .. فقط بعض الوقت واعدك ... لن اخذلك مرة اخرى .."







ثم ابتعد مهند عن والده .. مطرق برأسه ليغادر بخطوات يلفها انهزام قاتل .. انهزام كانهزام ابيه وهو يناظر بعجز عن الإتيان بشيء آخر غير الدعاء له ..

لم يشعر حذيفة الا باصابعه ترتفع تلقائيا وتنغرز عميقا في شعرها ، لم يفعل غير هذه الحركة الخشنة وهي تقف قبالته تبكي بحرقة بينما عيناه منشغلتان عن بكائها بالتمعن في كل جزء منها ليتأكد .. فقط يتأكد بنفسه حتى يهدأ الوحش المجنون في داخله ...

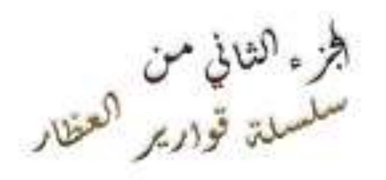
لم يعرف بعدها هل هو من سحبها لصدره ام انها ببساطة رمت نفسها عليه ، ذراعاها حول جذعه تشد قميصه من الخلف باصابعها وهي تنتحب بألم وتهذر بكلام متتابع

" كان المنظر رهيبا يا حذيفة ... رهيب .. دخلت الشقة وسط الهرج والمرج للجيران بينما عيناي تبصران اثار العنف هناك ... يا الهي اثار الدم كانت واضحة في عدة اماكن ...

لم افقه الا واحدهم يقول لي ان الاسعاف قد غادرت للتو ناقلين امي للمستشفى ومعها خليل ركضت كالمجنونة لاستقل اول سيارة اجرة وحالما وصلت رأيتها ... يا الهي ...







مدماة الوجه بشكل مريع حتى اختفت معالمه ... لو رأيتها لن تصدق انها نفس المرأة ... ذلك القذر ضربها دون رحمة قبل ان يخلصها بعض الجيران من بين يديه ليفر هو هاربا ..."

رفعت وجها شاحبا بملامح منهارة وقد اغرقته الدموع لتهمس بجزع " يا الهي ماذا كان سيحصل لنا لو ماتت قبل ان ينقذها الجيران ؟ ماذا كان سيحصل لخليل لو عاد بوقت ابكر ورآى فواز يضربها هكذا ؟ كان سيقتله .. سيقتله ..."

اعتصرها بقوة وهو يسأل بتماسك

" اين هي الآن ؟"

اغرقت وجهها في صدره تبكي وتعاود شد قميصه من الخلف لتقول بتقطع " انها مع ... مع .. طبيب الطوارئ يكمل... علاجها بعد ان تأكدوا بعدم وجود كسور في ... في ... الوجـ .."

انهارت في بكاء مرير دون ان تتم كلامها بينما حذيفة تسيطر عليه خيالاته و تصورات اخرى تنهش عقله .. فماذا لو وصلت خلود وفواز موجود بالمنطقة ؟!

كاد يحطم عظامها وهو يهدر بالقول الغاضب " لماذا لم تأتي الي في المعمل اولا .. هل فقدت كل عقلك لتذهبي هناك بمفردك؟





كان يمكن ان يتربص بك الحقير فواز

مستغلا انشغال الجميع بما حصل ... "

رفعت وجها مبللا بالدموع وقد انتفخ جفناها

من شدة البكاء لتهدر بانفعال " ماذا كان

يجب ان افعل ؟! اتصل بي خليل وهو يبكي

بهستيرية ويصرخ ان امنا ستموت دون ان يشرح

لي ما حصل فعلا "

ألجم كل مشاعره الوحشية ليهدأ قليلا وهو

يحدق بهذا الوجه امامه ، قلبه .. ينبض ..

ينبض .. يكاد يشعر بكل نبضة فيه ...

اخذ يمسح وجهها ويقول بصوت مبحوح

" هل خليل من اتصل بك ؟"

ردت بهمس متقطع

" اجل ... كان منهارا .."

سأل ببطئ وهو يضغط بخفة على عظام وجهها

" واين هو الآن ؟ "

تنهدت لتهمس بحزن مخنوق

" أبى مفارقتها لحظة واحدة وطبيب الطوارئ

عجز حتى عن اخراجه وهو يخيط لها جرحين

في وجهها .."

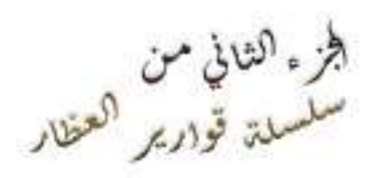
سأل " ما وضعها بالضبط ؟ "

تغرغرت عيناها بدموع جديدة وهي ترد

بانكسار " جروح في الوجه ورضوض قوية في

جسدها .. لقد .. لقد ..."





تقطعت كلماتها بينما دموعها تسيل بينما

ضم وجهها لصدره هامسا

" شششششش هذا يكفي .. ستكون بخير ..

ستكون بخير .."

اخذت تتشبث به كطفلة وتهمس في صدره

بنبرة خوف واضحة " حذيفة .. حذيفة .. ابق

معي ... لاتتركني .. "

علا وجيب نبضاته مرة اخرى وهو يرد بصلابة

" ابدا لن يحصل هذا ..."

من مسافة ليست بالبعيدة كان رضا يراقب

اخاه بابتسامة خاصة .. لقد ذهب ليسأل

الطبيب عن المرأة المسكينة بنفسه تاركا

حذيفة يطمئن على زوجته ، حماته ستحتاج

لوقت حتى تتعافى لكنها ستكون بخير ..

واخاه حذيفة .... سيكون بخير ايضا ...

اختلت بنفسها في نهاية احد ممرات الشركة

غير المطروقة عادة بينما تفتح الخط لتسمع

صوته الرجولي يقول برقة " مرحبا بريّتي .."

لم تعرف لم هطلت تلك الدمعة على خدها

واعتلت شفتاها هذه الابتسامة البلهاء لتهمس

بصوت مبحوح تخنقه العبرة " مرحبا .."

سألها ببعض القلق " ما به صوتك ؟ "



ردت بصدق وعفوية وهي تمسح دمعتها

" اشتقت اليك .."

قال بصوت مرح أجش " ارحميني حبيبة .. انا في قارة وانت في قارة اخرى ..."

ردت بتمرد وتملك " اذن تعال في الحال لقارتي أنا .."

تنهد بحسرة ليقول بانفعال وغيظ " اكره كندا ! واكره اني مضطر للذهاب لامريكا قبل العودة اليك "

وكأنه القى فوقها دلو ماء بارد ! كلمة واحدة .. اسم بلد واحد لم تزره يوما جعلها تشعر بحالة رهيبة من الخوف والاستنفار ...

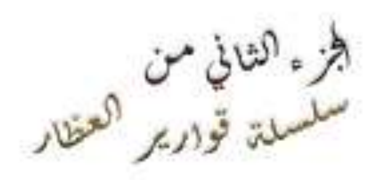
تمتمت بصوت مبحوح متسائل " امريكا ؟!! "

غمغم يحيى بنبرة معتدلة " اجل .. لدي امر مهم هناك ، لن ابقى اكثر من 48 ساعة ثم سأركب اول طائرة تنقلني لقارتك يا ملكة قارة قلبي ..."

انعقد لسانها بينما عقلها يعمل بشكل سريع .. سريع جدا يقاوم طوفان ضخ المشاعر المتناقضة في داخلها بينما تسمعه يضيف بشقاوة " ما اخبار مخالفاتك لاوامري في الراحة وعدم التنقل هنا وهناك ..؟"

توهجت نظراتها لتقول ببطئ " لقد خرجت اليوم في امر مهم اردت قضاءه قبل عودتك.."

تساءل بفضول " امر مهم ؟ "





ردت بنبرة اختلط فيها المرح بالسخرية بالرغبة في مشاكسته واثارته " اجل .. لست انت فقط من لديه امور مهمة تقضيها بين القارات .. على الاقل انا تنقلت داخل حدود مدينتي .. ولم أكن بمفردي بل مع .... مجد "

صوته تغير تماما وهو يتمتم الاسم " مجد ؟"

ثم اضاف بنبرة غامضة مستفسرا منها

" هل تعنين خرجت مع مجد ؟"

ابتلعت ريقها لكن شجاعتها لم تخنها لترد بثقة " مجد اوصلني وانتظرني ليعيدني مرة اخرى للشركة .."

طال الصمت هذه المرة ولولا سماعها لصوت انفاسه لاعتقدت ان الخط انقطع ...

نادته " يحيى .. هل ما زلت معي على الخط ؟"

رد عليها بنفس الغموض مع لمحة برود واضح

" اجل حبيبة انا معك .. سنتكلم مطولا حال عودتي للوطن .. ربما ثلاثة ايام او اربعة لااكثر .."

قبضة باردة اعتصرت قلبها ولم تجد الا كلمة يتيمة تخرج من بين شفتيها " نعم .."

لكنه قال وبنبرة صارمة لاتقبل النقاش





" هذه المرة سأقولها بشكل آخر اكثر وضوحا

يا حبيبة .. ما دمت تعنيني أنا حتى هذه

اللحظة فلا اوافق ابدا على خروجك بصحبة

ايا كان .."

جملة (حتى هذه اللحظة) استوقفتها وجعلت

قلبها يغور في صدرها لكنها لم تضعف الا

للحظات لتستعيد شجاعتها وترد عليه بشموخ

مرح " فقط سواقي الاجرة ؟ "

لكنه لم يستجب لمحاولتها بينما اصوات

ترتفع من جانبه ليقول على عجل

" يجب ان اذهب .. انهم يعلنون عن رحلتي .. "

قالت بتوتر داخلي " الى اللقاء يحيى "

فرد " الى اللقاء "

ثم مباشرة ... انقطع الخط ..

بعد بضعة ايام.. صباح يوم الجمعة

دخل حذيفة المطبخ بملامح مرهقة بعض

الشيء من قلة النوم ، وجد امه هناك تجلس

على كرسي قرب مائدة الطعام كعادتها قد

اعدت الشاي وتنتظر حضور الجميع

تمتم وهو ينحني لاثما لرأسه امه

" صباح الخير.."





ابتسمت في وجه ولدها واشارت لكرسي جنبها قائلة " صباح الخير يا حبيب امك ... اجلس لاصب لك بعض الشاي "

هز راسه موافقا وهو يجلس قربها وبينما تصب له الشاي قالت " لقد انتظرتك ليلة الامس لكني غفوت قبل عودتك .. اردت ان اطمئن على حال ام خلود الآن ؟"

رد وهو يرتشف من شايه " تتحسن الحمد للّه "

عندها سألت الحاجة سعاد بتلهف

" اذن متى ستعود ؟"

ببعض الدهشة نظر حذيفة لوجه امه وقال

" لقد عادت امي .. هل نسيتِ؟ انها لم تبق الا ليلة واحدة في المستشفى "

عندها قالت الام " انا قصدت خلود بنيّ .. فمتى تعود لبيتها هنا ؟ "

ثم اضافت بصدق " انا افتقدها .. وابنتك ايضا تفتقدها .."

وهو سيجن من شعور الافتقاد لها ... ينام كل ليلة يتقلب في السرير ولا يفكر الا بها ..

اجبر ابنته على النوم بجانبه كطفل خائف لايجرؤ على النوم بمفرده ..



وتلك الصغيرة وكأنها تدرك حاجته اليها

فلم تمانع تركها لسريرها الثمين العزيز جدا

على قلبها واصبحت تنام كل ليلة بجانبه مع

دميتها توتو ... هذه الدمية تطالعه طوال

ساعات ارقه الطويلة في الليل بعينيها

البشعتين فتذكره بالمجنونة المشعثة الشعر

التي اصبح لايستطيع النوم دونها ..

لكنه يقاوم انانيته مدركا لحاجة امها

وخليل لها ...

تمتم حذيفة وهو يرد على سؤال امه

" لااعلم امي متى تستطيع خلود العودة ... "

رأته يقف على قدميه وقد انهى شرب شايه

قائلا " سلمت يداك امي .."

ثم ابتعد متوجها ناحية باب المطبخ فسألته

" ستخرج باكرا هكذا بنيّ ؟ "

رد وهو يرخي اهدابه " نعم ... سأقضي بعض

الامور و... ربما.. سأمر بخلود .."

صوت ساخر في اعماقه يخبره (ايها الكاذب !

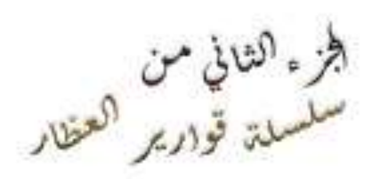
لا اعمال لديك وستذهب مباشرة اليها)

تجاهل ذلك الصوت ليضيف وهو يفتح باب

المطبخ مغادرا " سعاد تلعب مع سامي يا امي ..

انهما في جناح محسن .."







ثم لوح لها بيده وهي تدعو له وتوصيه بايصال سلامها لخلود .. اذا رآها .. وكأنه يستطيع ان يمر يوم واحد دون ان يراها ؟!!!

تنهد بغيظ وهو يسير عبر المرآب ، سمع صوت باب يفتح ثم لمح خيال آسيا وهي تهبط الدرج، بشكل تلقائي تسارعت خطواته وغض بصره بعيدا عن اتجاه وجودها ...

لكن تلك الخطوات المتسارعة منه تسمرت على حين غفلة وصوت آسيا المميز بهدوئه يأتيه ... موجها له مباشرة

" صباح الخير حذيفة .."

بذهول كامل التفت نحوها ببطئ ليرد وهو يتحاشى النظر اليها مباشرة " صباح الخير .."

كانت تقف عند نهاية الدرج الحديدي الخاص بجناحها مع رضا بينما تسأله بنفس الثبات والهدوء مع لمحة اهتمام صادقة

" كيف حال الخالة ام خلود ؟"

رد بشكل آلي " تتعافى والحمد للّه .."

قالت بلطف " عجل اللّه بشفائها .. انقل لخلود سلامي واخبرها اني ادعو لوالدتها دوما .."

ثم ببساطة تحركت لتمر من جانبه بثوبها الابيض الفضفاض متجهة ناحية باب المطبخ المطل على المرآب ...







لم يصدق ان اسمها انطلق منه دون ارادته

" آسيا ..."

توقفت خطواتها بينما انفاس حذيفة تتحبس في صدره وهو يراها تلتفت اليه وتقول

" نعم .."

لم يجرؤ على الاقتراب خطوة بينما يحدق في وجهها لاول مرة منذ عودته من سفره الطويل...

انفاسه ضاعت تماما فشعر بألم في صدره وكأنه يحتاج لمزيد من الاوكسجين ...

(انا احبك حذيفة .. احبك جدا جدا جدا)

جملة خلود ترن في اذنيه ... تلك الجملة العاطفية التي تكررها دوما على مسامعه في اكثر لحظاتهما حميمية .. وتلك الـ(جدا) التي تعلق بلسانها يود لو يجعلها تعلق للابد !

لايعلم لم تذكر جملة خلود العاطفية في هذه اللحظة وهو يواجه ماضيه الاسود ...

لكن لا ... ليس اسودا ... فهذه المرأة النقية بثوبها الابيض امامه تمحو بنقائها اي سواد ..

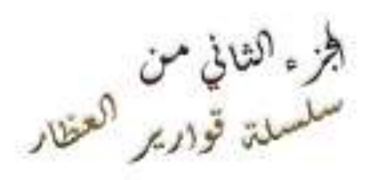
انها نقية كنقاء خلود ... آه يا خلود ...

قال حذيفة اخيرا وبشجاعة وكبرياء

" لن انسى لك ما حييت كل ما فعلته لاجل خلود .. و..لـ..أجلي ..."







وجهها الهادئ لم يعبر عن شيء لكنه لم ينتظر ردا فتابع قائلا بوعد رجل حر

" انه دين يا اسيا ... دين في عنقي سأظل اسدده لك حتى آخر نفس ... حتى مماتي.."

غامت عيناها لتبتسم بلطف وتكتفي بالقول

" اعتن بزوجتك ... فاللّه اكرمك بها "

ثم التفتت لتتركه واقفا مكانه ومشاعر جياشة تهزه من الاعماق ...

ومن الشباك المطل كانت عينا رضا تراقبان المشهد بصبر يحسد عليه ومنذ بدايته ولم يبعد ناظريه حتى تحرك حذيفة ليغادر البيت ...

ظهرا ... في بيت الحاج يونس العطار

رباب تراقب وبذهن متيقظ وجه حبيبة التي كانت تتناول طعام الغداء بشرود ..

هناك أمر تخفيه ، ترى هل تشعر بالشوق ليحيى ؟ هل هذا سر شرودها ؟

لكنها تشعر ان الامر مختلف ، تبدو كمن يفكر بعمق في أمر ما ، امر يشغل بالها ويقض مضجعها ...

من جانب آخر لم تسمع ان يحيى اتصل خلال الايام السابقة ، ربما اتصل بحبيبة نهارا لكن يحيى من النوع الذي يحب الاتصال بالليل خاصة مع فرق التوقيت مع كندا ...





وقفت حبيبة على قدميها لترفع صحنها الذي لم تنهيه فتقول لامها " سلمت يداك امي "

عاجلتها الام بالقول " لكنك لم تنهي طعامك حبيبتي ؟"

فردت حبيبة بابتسامة باهتة " انا لااشعر بالجوع تماما هذا اليوم .. "

ثم غمزت بمرح قائلة

" ربما يهاجمني الجوع ليلا ..."

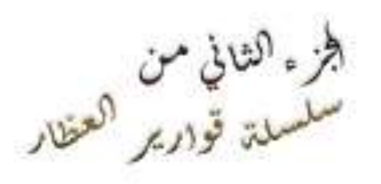
تبسمت الام في وجهها بينما تأخذ الصحن من يدها وتقول " اعطني صحنك .. واذهبي لترتاحي قليلا .. انت تحتاجين لبعض الراحة قبل عودة يحيى فلا يفترض ان تستقبليه بوجهك المتعب هذا ؟ "

لم ترد حبيبة بشيء ولدهشة رباب وجدتها تشحب اكثر ثم سارعت للابتسام وهو تغمغم بشيء ما لتغادر المطبخ حيث مائدة الطعام الصغيرة ...

التفتت الام ناحية ابنتيها الصغيرتين لتقول لهما بحزم " لاتنسيا غسل الاطباق "

اخذت رقية تتذمر بينما رباب ما زالت ساهمة تفكر بحال حبيبة ...

وبينما الفتاتان تغسلان الاطباق معا قالت رباب فجأة " انا سأتحجب حال دخولي الجامعة ان شاء الله "





التفتت اليها رقية شاهقة " تتحجبين ؟! "

قالت رباب بسخرية وهي تنظر لشقيقتها
الصغرى نظرة جانبية " تبدين خائبة الظن! "

ردت رقية ببعض التلعثم

" حسنا .. لااعرف حقا .. اعلم انه واجب علينا
... لكن ... لااعرف .. ! "

اخذت رباب تدعك الاسفنجة الصفراء التي
تستخدمها لغسل الصحون ثم اخذت تتلاعب
برغوة السائل المنظف وهي تنفخها فتتطاير
هنا وهناك ثم تبتسم بجذل وتقول " هل
تعلمين ... عندي حلم ان اصبح مصممة ازياء
.. ازياء المحجبات تحديدا "

ردت رقية وهي تستعيد بشاشتها " انت بارعة
حقا بكل ما يخص الازياء وتناسق الالوان .."

ثم اضافت رقية فجأة وبانفعال متلهف

" لم تخبريني يوما يا رباب .. كيف هو فتى
احلامك ؟"

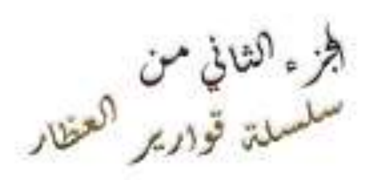
ملامح رباب تغيرت .. استكانت تماما بشكل
اثار استغراب رقية ثم ردت رباب بهدوء غريب

" انا ليس لدي فتى احلام يا رقية "

عبست رقية وهي تتساءل باستنكار واستهجان
ايضا " ماذا تعنين ؟ كل فتاة لديها فتى
احلام.. ومهما بلغت جديتك وتعقلك فأنت
فتاة ايضا حالك كحال باقي الفتيات "







ردت رباب بغموض وهي تعود لغسل الصحون

" الامر لاعلاقة له بالتعقل والجدية ... "

ثم صمتت للحظة لتفجر مفاجأة في وجه رقية

" انا ببساطة... لن اتزوج "

هتفت رقية وهي ترمي اسفنجتها " ماذا ؟!!! "

التفتت اليها رباب لتؤكد كلامها

" اجل .. لن اتزوج .. "

اخذت رقية تحدق فيها بذهول فتسألها بجزع طفولي وكأنها نهاية العالم

" لكن .. لماذا رباب ؟ لماذا ؟؟"

غامت عينا رباب لتهمس بشرود واحساس غريب بالألم " انا لن اعرض نفسي لجرح من انسان أاتمنه على قلبي وحياتي فاذا عجزت عن تحقيق اي حلم يراوده يلجأ لاخرى عسى ان تحققه لها ..."

تمتمت رقية وهي تهز رأسها بحيرة

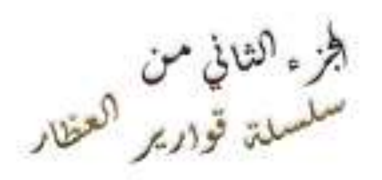
" انا لاافهمك ..! "

فرسمت رباب ابتسامة عريضة غير حقيقية ثم قالت ببشاشة متعمدة

" لاتشغلي بالك بي يا رومانسية ... كما اننا ما زلنا صغيرتين جدا لموضوع الزواج هذا "







اخذت رقية تثرثر باعتراضات شتى طفولية

بينما عادت رباب لغسل الصحون وفي داخلها

تردد " ابدا ابدا لن اسمح لرجل ان يكسرني "

عادت لتتصل به ... ولايصلها رد منه ...

رمت حبيبة هاتفها النقال على السرير بينما

تجر خطواتها حتى لوح الرسم الخاص بها ..

بروح متوهجة اخذت ترسم وتتمتم بكلمات

هامسة لاتصل الا لاذنيها ..

" هل تعاقبني يحيى ؟ ان كان عقابا فانا

املك شجاعة كفاية لاتحمله .. لن اضعف ..

كما اني .. سأرد الصاع ... صاعين ..."

عيناه .. تشعان بالعشق كما نظرتا اليها في

ذلك اليوم في المكتب عندما فاجأته

بجرأتها وهي تطالبه بقبلة من نوع خاص ...

شفتاه تحملان معنى الشغف والشوق الذي لم

يرتو من قبلتهما تلك ...

ملامحه كلها تعكس جنونه بها ... جنونه

بتفردها بالنسبة له ... هذا ما ارادت معرفته

بطلبها لتلك القبلة...

وهذا .. ما حصلت عليه ..

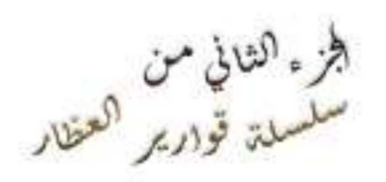
وهذا ... ما تخربشه الآن على الورقة البيضاء

امامها ... ترسم ملامحه وكل تفصيلة في

وجهه انطبعت بمخيلتها عن ردة فعله ...لتلك

... القبلة ...







تمتمت خلود باختناق وهي تعتصر يديها بينما رأسها منكس " انها لاتنظر في وجهي ..! "

فرد خليل بمواساة وهو يجلس بجانبها على الاريكة القديمة

" ولاتنظر في وجهي انا ايضا اختاه .."

كان الشقيقان يجلسان جنب بعض في غرفة معيشة اصغر من مثيلتها التي كانت في شقة والدهما التي ضاعت ...

الآن وقد ساعد حذيفة على اقتناء شقة اصغر في كل شيء وفي نفس الحي تحت اصرار خليل الذي رفض مساعدة اكبر قيمة من هذه...

راقب حذيفة في وقفته مستندا على باب المطبخ هذين الاخوين المميزين .. لايعرفان كم هما مميزان .. الحياة كانت تطحنهما يوميا لكن عظامهما اشد واصلب فتأبى التهشم امام هذه الطاحونة الهائلة التي لاتعرف الرحمة احيانا ...

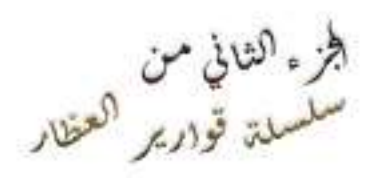
خليل بالتحديد يجد فيه رجولة فذة ونادرة ، لولا سرعة غضبه وجموحه لكان رآى فيه نسخة نادرة من رضا ...

سمع خلود ترد على خليل بنبرة مخذولة

" لكنها تستجيب لك بشكل افضل مني .. اليوم .. اليوم الحت لي وباصرار عجيب وهي تكرر القول







(عودي لبيت زوجك فانا اصبحت بخير) ...
لماذا تقول هذا ؟ لماذا ترفض اعتنائي بها ؟ "

تطلع خليل بحيرة لاخته الكبرى .. هو ايضا استشعر هذا من امه ولم يفهمه !

تمتم يحاول تخفيف الامر عليها

"عودي اختاه .. انا سأعتني بها بنفسي "

ثم حادت نظراته ناحية حذيفة وكأنه يطلب مساندته لكن حذيفة لم يقل شيئا بينما انتفضت خلود وهي تقف على قدميها وتقول

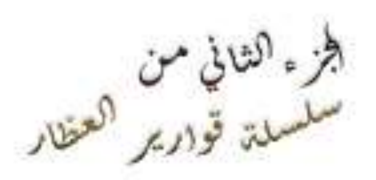
"كيف اعود واتركها ؟ كيف اتركك انت ايضا ؟ لاتستطيع الاعتناء بها طوال الوقت ويجب ان تعود للمواظبة على دراستك.."

من عند غرفة الام .. وهي غرفة النوم الوحيدة في هذه الشقة المتواضعة انطلق صوت متحشرج لكن ثابت القرار

" انا لااحتاج لعناية احد منكما .. انت ستعودين مع زوجك حيث بيتك فلا معنى لبقائك هنا اكثر من هذا واما خليل فمنذ الغد سيعود لمدرسته.. انا استطيع العناية بنفسي في غيابه "

هذا الجفاف العاطفي الذي ينضح منها يربك الشقيقان وهما يتطلعان لامهما بحيرة مخلوطة بالألم ، ألم لايفارق نظراتهما وهما ينظران لوجه امهما الذي تشوه بجرحين كبيرين تم خياطتهما باعتناء عدا الرضوض الارجوانية التي بدأت تخضر ...





تمتم خلود باعتراض قلق " امي ... لكن ..."

اوقفتها الام بحركة من يدها وهي تنكس رأسها وتستند على حافة باب الغرفة بيدها لتهمس بصوت باهت " لاجدال في هذا خلود .. عودي مع زوجك ... يكفي ما عاناه معنا .. يكفي اننا حملناه الكثير دون اي ذنب .."

كان صوت حذيفة ثابت النبرات وهو يقول

" لا يوجد اي احمال خالتي .."

هزت رأسها دون ان تتطلع اليه لكنها قالت بضعف " ارحلي معه ... المرأة مكانها في بيت زوجها "

ثم أخذ ظهرها ينحني اكثر وكأنها تعاني من شيء ما لتنادي بصوت متقطع

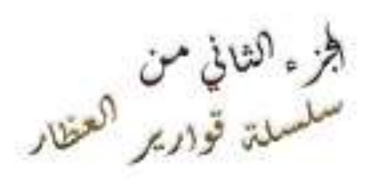
" خليل .. تعال الي بني .."

ركض اليها خليل حتى قبل ان تنهي جملتها فاستندت لذراعه بينما يدخل معها الغرفة مرة اخرى ...

بقلب متألم وقفت خلود تتطلع لامها واخيها حتى غابا عن ناظريها خلف باب تلك الغرفة

اقترب منها حذيفة ليقف خلفها فيلف ذراعيه حولها في احتواء رجولي فتستند اليه وتهمس بدموع ساخنة





" امي لاتريدني حذيفة ... انها تعاقبني .. غاضبة مني .. انا اعرف لماذا هي تفعل هذا .. لاتحتمل خسارتها لفواز .. انها تراني السبب فيما حصل "

للحظة غلبه توتر حاد فتشنجت عضلات جسده ثم سيطر على انفعاله ، أدار جسدها بين ذراعيه ليجعلها تواجهه ثم قال بهدوء وتركيز

" وربما هي تشعر بالذنب يا خلود .. لاتستطيع مواجهتك بعد كل ما جرى "

رغما عنه تجلت له صورة آسيا صباح اليوم فغامت عيناه وهو يضيف

" الاحساس بالذنب لا يأخذ دائما شكلا واحدا واضحا .. واقوى احساس بالذنب عندما يعلم صاحبه ان الاعتذار لن يقدم ولن يؤخر ! وان الضرر كان اكبر بكثير من طلب المسامحة ..."

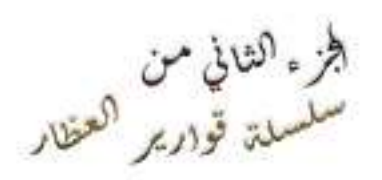
اخذت تمسح دموعها بينما هو يمسد على شعرها الثائر بابتسامة شاردة رقيقة ليضيف بفرح داخلي لم يستطع منعه " سنتغدى سوية ثم تلمين اغراضك وتعودين معي .."

اعترضت بوهن وتشتت

" لكن حذيفة ... كيف اتركها ؟ "







لم يستطع مقاومة انانيته ورغبته الحارقة ان تعود معه هذا اليوم فقال ليرضيها " ستزورينها كلما أردتِ .. وانا ساحضرك بنفسي صباح كل يوم اذا شئت .."

تهلل وجهها وارتاحت ملامحها وهي تقول

" حقا حذيفة .. ستسمح لي ان آتي هنا .. لن تمنعني عن زيارتها ؟ "

شعر ببعض الذنب لانه كان يمنعها عن زيارة امها في السابق لكنه فعل هذا لحمايتها فقط..

تمتم حذيفة " فواز غادر البلاد فعلا .. ولن يجرؤ على العودة وعليه أمر القاء قبض ...

لذلك لاخوف من مجيئك لزيارة والدتك ، كما اني سأكون قريبا جدا منك ، فقط على بعد 100 متر لااكثر .."

بدت ما زالت مترددة حائرة فأخذ يحثها اكثر وقد بلغ الشوق مبلغه فهمس بصوت أجش

" سعاد اشتاقت لك ... تسألني عنك كل يوم .."

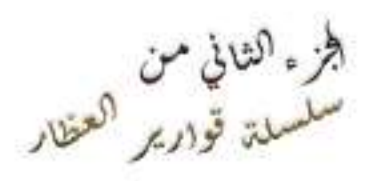
رددت بحنو وعينين لامعتين

" انا ايضا اشتقت لها ..."

ابهامه تحرك فوق شفتيها هامسا بعاطفة متأججة " لها فقط يا قطعتي الشهية ؟ "







احمرت بشدة بينما تتحاشى النظر اليه

فيضحك هو بخفوت ويهمس " اذهبي الآن

ولمي اغراضك .. الجميع بانتظارك في بيت

الحاج عقيل الصائغ ..."

عصرا ... في بيت الحاج عقيل الصائغ

على اريكة المطبخ وبينما الحاجة سعاد تعد

بعض الفاكهة للعائلة بعد تناولهم الغداء

اجلس رضا الصغيرة السمراء على حجره بينما

هي تنظر اليه بانبهار وترمش بعينيها الحلوتين

اللامعتين فيبتسم لها ويقول

" كيف حالك شروق ؟ "

ردت بابتسامة تفيض حلاوة وهي تشد كتفيها

لرقبتها بسرور " بخير .."

فيفيض حنانه لهذه اليتيمة التي لم تعرف

والديها يوما وقد توفيا معا في حادث تاركين

طفلة بعمر السنتين رماها الاقارب للميتم ..

تمتم رضا وهو يلامس احدى ضفيرتيها

القصيرتين " قولي دوما ... بخير الحمد للّه "

هزت رأسها وبنفس الابتسامة رددت

" بخير الحمد للّه .."

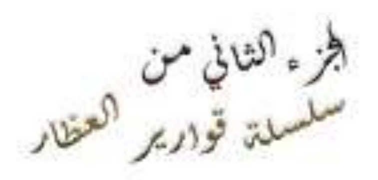
تنبه رضا لوقفة تلك الشقراء العابسة والغيرة

تفيض منها بينما تراقب شروق تجلس في حجر

عمها المفضل ...







وقف رضا على قدميه وهو يحمل شروق على ذراعه ثم اقترب ضاحكا من سعاد الصغيرة الغيورة فانحنى اليها ليحملها على الذراع الاخر..

كانت ما تزال عابسة وهي توجه نظراتها الغاضبة الرافضة لشروق بينما شروق تتطلع اليها بفضول وبعض التردد ..

قال رضا ببعض الحزم

" الن تقولي مرحبا لشروق ؟ لم أرك تسلمين عليها منذ حضورها .."

هزت سعاد رأسها بـ(لا)

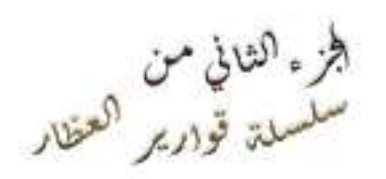
عندها قالت شروق بابتسامتها المميزة ذو الغمازتين " انا شروق .. ما اسمك انت ؟"

لم ترد سعاد فتدخل رضا وهو يجلسهما جنب بعض فوق احدى خزانات المطبخ ليقول لسعاد بحزم واضح هذه المرة " لقد قلنا عندما يسألنا احدهم سؤالا فيجب ان نرد عليه "

بعينين عاتبتين تطلعت لعمها تستدر عطفه لكن رضا لم يضعف امام هذه الحلوى الماكرة وما زالت نظراته تطالبها بالاستجابة فتنهدت سعاد بطريقة مضحكة ذكرته بسامي عندما يتنهد لتقول بعدها بتفاخر طفولي " سوسو "







انفجر رضا ضاحكا وشاركته امه الضحك من خلفه لتقول الام ببشاشة " ابنة حذيفة هذه ليست بالهينة على الاطلاق ! "

اوشك ان يعلق رضا بمزحة عندما اخذت قلبه الصغيرة شروق وهي تحني وجهها لتقبل خد سعاد وتبتسم لها ابتسامة تذيب القلب ..

انها تحاول كسب ودها ! يا الهي هذه الفتاة المسكينة تحاول شق طريقها بشجاعة ليتقبلها الجميع ..

احنى رأسه وقبل اعلى رأس شروق وهمس

" جعلك اللّه سعيدة ومباركة .. "

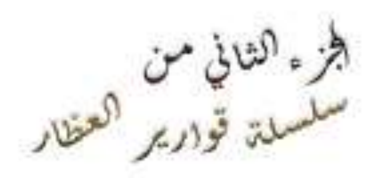
ثم فجأة شعر بذراعي سعاد الصغيرة وهي تلتف حوله وحول شروق في احتضانة جماعية !

ضحك من قلبه بينما يأتيه صوت آسيا المرح وهي تدخل المطبخ وتقول " اذن انت هنا تعانق الفتيات الصغيرات الجميلات وتترك الجميع في غرفة الضيوف يسألون عنك "

ضحكت الحاجة سعاد بينما تساعدها اسيا بحمل اواني الفاكهة ليحمل رضا الصغيرتين معا .. احداهما عادت لتتطلع اليه بانبهار والاخرى تميل برأسها لتتوسد كتفه بتدلل شقيّ ..







بينما سالم يجلس شروق بجانبه ويهتم باطعامها الفاكهة بنفسه وهي تستجيب له بعفوية غير عادية ، كأنها تعرفه ولاتشعر بأي غربة معه ...

كان رضا ينظر اليهما ليميل ناحية رفيدة ويهمس لها " انها سريعة التآلف مع الناس اليس كذلك ؟"

هزّت رفيدة رأسها بابتسامة تشع فخرا لتهمس ردا على همس اخيها التوأم " اجل .. انها فتاة رائعة .. مطيعة .. هادئة .. احبت سالم وتسعى لاسترضائه دوما وقد بدأ بتعليمها الصلاة وهي تستجيب بايجابية شديدة .."

قال رضا بتأن " انها تحاول جهدها ارضاؤكما يا رفيدة، اشعريها بالامان لتكون على طبيعتها اكثر ، انها بحاجة للشعور انكما متمسكان بها حقا "

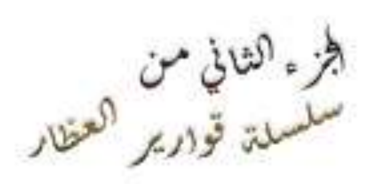
تمتمت رفيدة بتفكير " اجل .. معك حق .. احيانا كثيرة تسألني .. (هل هي فتاة جيدة ؟ هل تسمع الكلام كما يجب ؟ هل هي ابنة مطيعة ؟) لاتكف عن طرح هذه الاسئلة "

ثم قالت فجأة وبفرح حقيقي مس قلب رضا

" ليلة الامس هاجمها كابوس ولم تهدأ حتى نمت جنبها واخذتها في حضني "

ابتسم لها رضا بمحبة وقال " اسعدك اللّه وعوضك كل الخير "





ثم اخفض صوته وهو يهمس باهتمام

" كيف هو سالم معك اختاه ؟"

ردت بتورد وهي تتطلع لزوجها الذي يجلس على الجانب الاخر من غرفة الضيوف " انه رجل طيب جدا لكنه متحفظ .. اكثر مما يجب ولايحب الاختلاط كثيرا بالناس "

قال رضا " كوني على طبع زوجك رفيدة .. انه رجل من عملة نادرة فيستحق منك الطاعة وتقبل طباعه المتحفظة .. هذا فكره في حفظ اهل بيته "

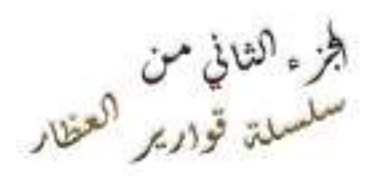
هزت راسها وهي تهمس " نعم .."

ثم اضافت بعينين تلمعان فرحا " دخول شروق في حياتي ابهج روحي يا رضا.. انها قرة للعين .. بشوشة طوال الوقت .."

قربت رضا على كفها وقال " الحمد لله على نعمه .. يقطع من جهة ويوصل من جهة اخرى دون ان نشعر ..."

عند المساء ...

دخل الملحق وهو يكاد يتعثر من شدة تلهفه لها .. تلك المجنونة غابت لساعتين مع رحاب حتى لم يعد يعرف معنى الصبر وهو يجالس امه في المطبخ بانتظارها ...



ساعتان ظل يستمع لثرثرة امه بذهن شارد
وحرارة تشع منه رغما عنه وهو يراقب السلم
عبر باب المطبخ ينتظر ظلا مشعث الشعر
بينما كان يلتقط بصعوبة كلمات أمه
وحنقها الشديد من طلبات رحاب التي لاتنتهي!
وكلها (حسب رأي الأم) طلبات تافهة
لاتستحق لكن محسن انصاع لها فأخذ ولديه
مع سعاد الصغيرة ليشتري لهم ما قالته زوجته !

عندما طال وقت انتظاره انسحب معتذرا من امه
متعللا انه متعب ثم تسلق درجات السلم حتى
جناح محسن الذي يجري توسيعه ، فيصاب
بالدهشة عندما تخبره رحاب بابتسامة
غامضة ان خلود ذهبت للملحق !

الملحق .. اخيرا هو بمفرده معها في مكان
يخصهما وحدهما ....

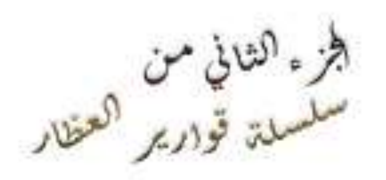
وجد باب غرفتهما مغلقا فابتسم ابتسامة
عاطفية وقلبه يرتج لهفة واشتياقا ...

فتح الباب وغريزيا عيناه جالاتا في الغرفة
بحثا عنها ...

اتسعت عيناه وهو يرى وقفتها المرتبكة
الخجول عند منضدة الزينة ... بدت مذهولة
اكثر منه وهي تنظر لنفسها ...!

تقدم منها وعيناه تمعنان النظر بجسدها
الرقيق بغلالة نوم قصيرة بلون الفراولة ..







وقف امامها مباشرة فاحنت رأسها يحطمها الخجل فتداري وجهها بشلال ناعم من شعرها الداكن ...

مد يده وللحظة شعرت بلمسه عابرة على خصل شعرها المسرح بعناية ثم فجأة ابعد تلك اليد وقبل ان ترفع وجهها اليه كان قد انحنى ليحملها بين ذراعيه ..

صخب ودوي في كل جزء منها حتى لم تعد تعرف اين يحملها بالضبط !

لم تشعر الا وهو ينزلها لتقف على ارض باردة !

عندها رفعت وجهها اخيرا ترمش بعينيها تكاد لاتصدق انه احضرها للـ.. حمام !

تمتمت بحيرة وهي تتطلع لملامح وجهه الغامضة " لماذا اتيت بي للحمام ؟! "

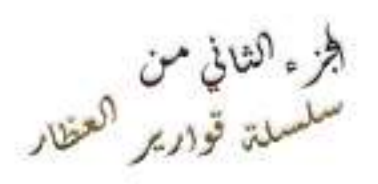
لم يرد عليها بينما يلتقط رشاش الماء وفي لحظات قليلة لاتصدق كان يرش الماء على شعرها تحديدا !!

اخذت تشهق من الماء الذي يدخل فمها وتقول " لا حذيفة ...لا ...ماذا ...تفعل ؟! رحا...ب تعبت جدا بتسـ...ريحه لي .."

تحاول التخلص منه وحتى ضربه في صدره لكنه لم يفلتها ولم يستجب لها ..

قميص النوم الجميل الذي اهدته لها رحاب تبلل تماما وفقد رقته وجماليته ...







واخيرا اوقف رشاش الماء وجذب منشفة كبيرة معلقة ليلفها بها ...

كانت تبكي بنشيج طفولي وهو يشد المنشفة حولها ثم يعود ليحملها بين ذراعيه عائدا بها لغرفتهما ..

اجلسها على كرسي منضدة الزينة وهي ما زالت تنشج ثم احضر منشفة اخرى واخذ يجفف بها شعرها بينما هي تهذر بتقطع حزين

" لماذا ..فعلت هذا بشعري ؟"

رد ببساطة وهو مازال يدلك شعرها بالمنشفة

" انا لم احبه .."

ثم رمى المنشفة ارضا وابتسم ابتسامة ذائبة وهو ينثر بحركات عشوائية شعرها الذي عاد لتشعثه ليهمس بحرارة

" اجل هكذا .. مشعثا مجنونا ..."

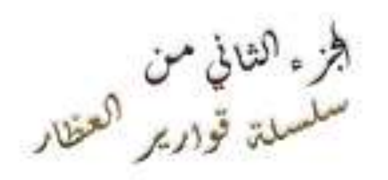
نظرت لنفسها في المرآة فهالتها هيئة شعرها المجنونة والتي كانت مختلفة تماما قبل خمس دقائق فقط ، عادت لتبكي بينما تشعر بشفتي حذيفة ترتشعان بدفئ عند رقبتها

" لماذا تبكين ؟"

همست وهي ترخي اهدابها ودموعها تجري كطفلة " احببته ناعما .."

تمتم بحرارة " وانا احبه خشنا .."







نظرت اليه عبر المرأة وهو يقف خلفها منحنيا بوجهه حتى رقبتها لتواجهها عيناه المشتعلتان وهو يضيف بانفعال عاطفي منفلت

" لماذا لاتفهمين ... انا احبك هكذا .."

لم تقف على تعبير الحب الذي نطقه فردت بحنق وهي تمسح دموعها

" انت فقط تحب السخرية مني .."

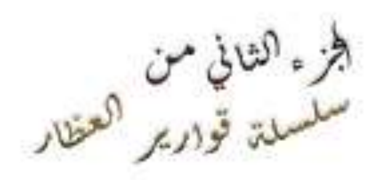
ضحك عاليا وقد بدا مبتهجا من قلبه وفي لحظة اخرى كانت محمولة مرة اخرى وهي تقاومه بوهن ، وضعها على السرير والمنشفة الكبيرة ما زالت تحاوطها فهمس بصوت مبحوح وهو يميل اليها " ما الفائدة من الشرح ؟ انت ترتجفين بردا ... تعالي الي لادفئك..."

تحدق شكرية في الفراغ حولها وتتمنى لو يسكنها فراغ مماثل ؟ اجل .. انها تريد هذا الاحساس بالطفو فوق كل شيء في هذه الحياة والعيش في منطقة فراغ تام حيث... لاشيء ..

تطلعت من سريرها للاسفل حيث يفترش خليل الارض نائما قربها ، لقد غادرت خلود مع زوجها وها هو صغيرها خليل لايفارقها ... بل يدللها وكأنها هي طفلته لا هو طفلها ..







انه متعلق بها فيبدو كما كان صغيرا في الثالثة ويده تبحث دوما عن طارف ثوبها ليتشبث به ...

يدمي قلبها بتعلقه بها .. تعلق لايهتز مهما هزت صورتها كأم امامه ... تعلق لاتستحقه !

هذا الفتى المسكين كم ظلمته وظلمت اخته ..

خنقت البكاء في جوفها ، انها لاتستحق ان ترتاح ببعض النشيج الباكي وكثير من الألم والندم ...

انها لم تعد تعرف ماهيتها حقا ؟ لاتعرف اي نفس اصبحت تسكنها ؟

ما معنى ما حصل لها طوال السنوات القليلة الماضية بعد وفاة زوجها .. لاتعرف سر احتياجها الشديد لزوج اخر يملأ مكان الزوج الرائع الذي ارتحل ..

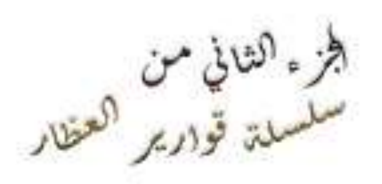
لاتعرف لم حظها العاثر اوقعها بفواز ...؟!!

ما هذه الحاجة القاتلة والادمان المهين اللذان سيطرا عليها ، ما الذي كان يعطيه لها فواز ولم تستطع الاستغناء عنه ؟

معاشرة زوجية باردة كفتات من طعام متعفن تطعم بها انوثتها الغاربة الى غير شروق جديد؟







ام ان فواز كان بالنسبة لها ظل رجل اعتقدته سيستر وحدتها الى اخر يوم في حياتها ...؟

لا ... لتكن صادقة لمرة واحدة امام نفسها وتعترف بحاجتها للاثنين معا ...!

لقد تشبثت بفواز بهوس مرضي جعلها تغض النظر عن هوسه هو الآخر بابنتها خلود ...

حلقة .. حلقة من الهوس جمعتهما معا وكان الشيطان ثالثهما يغذي هوس احدهما بتأجيج هوس الآخر ...

خلود .. تلك الصغيرة البريئة دوما قليلة الحظ حتى بأمها !

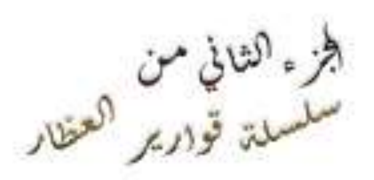
تذكرتها صغيرة بشعرها المشعث تأتيها باكية شاكية من زميلاتها اللواتي يسخرن من تشعثه المجنون ...

فتأخذها في احضانها لتهدئ بكاءها ثم يأتي والدها فيحملها بين ذراعيه يراضيها بالقول

" انهن يسخرن لغيرتهن منك لانك الاذكى والاطيب قلبا وبراءة "

وقد كان محقا .. محقا ...في وصفه لها ..

هطلت دمعة .. تتبعها اخرى .. ثم اخرى واخرى واخرى حتى علا شهيق بكاء لاقبل لها بصده ، فلم تشعر الا بذراعي ولدها تلتفان حولها يهدهدها كما كانت تفعل معه ومع اخته عندما كانا يبكيان في صغرهما ...



استيقظت خلود من نومها على احساس دافئ افتقدته لايام ، اخذت تتأمل (مصدر دفئها) في نومه وهو مضطجع على ظهره لكن ذراعه مازالت تلتف بحزم حول خصرها .. ملامحه مستكينة تماما تكاد لاتصدق استكانتها .. قبل بضع ساعات فقط كانت تلك الملامح ثائرة بالعواطف ...

تنهدت بنعومة وهي تهمس قرب وجهه

" كم احبك "

ثم اقتربت بشفتيها عند نهاية حاجبه تلامس اثر الجرح هناك .. ثم تحولت شفتاها نحو الاسفل لتلامسا بحرارة اكبر اثر جرح آخر اسفل خده ..

لم يخبرها عن سر هذه الجروح .. لكنها تحبها ... لاتعرف لماذا تحبها بالضبط .. ربما لانها جروحه هو تحديدا وهي تعشق كل شيء يتعلق به !

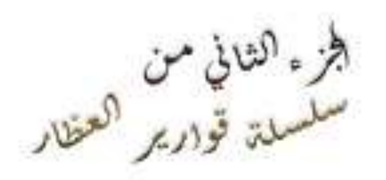
رفعت وجهها قليلا تقاوم رغبة مخجلة لملامسة شفتيه ايضا ..

شهقة ناعمة مجفلة منها عندما رأت عينيه مفتوحتين ...

تمتمت بوجه محمر " اسفة ايقظتك .."

ظل يحدق في وجهها طويلا ، قلبه يخفق بقوة كخفقان قلبها ...





يده الخشنة الملمس ارتفعت لتلامس خدها ..
ثم فكها السفلي فيهمس بصوت مبحوح

" حلمت بك ... تملكين جناحي طائر ابيض
ترفرفين بهما محلقة فوق سماء جزيرة قاحلة
لايسكنها بشر غيري .. هبطتِ الي دون ان
اناديكِ .. اقتربتِ دون ان اطلب منك .. ثم
اخذت تقبلين جروح وجهي جرحا جرحا ...
كان الامر كالسحر يا مسحورة .. لم اشعر الا
وانت ترفرفين بجناحيك فتأخذيني معك
نحلق عاليا نبلغ عنان السماء حيث الضياء
يغمرني من كل حدب وصوب فشعرت اني حي
من جديد ... حي كما لم أكن يوما .."

كان قلبها هذه المرة يقرع لاسباب مختلفة ..
تلك النظرات في عينيه التي لم ترها الا
مرتين قد عادت .. لكن هذه المرة كانت
ينظر اليها وكأنه يبثها شكوى تستعصي على
لسانه ....

يداه الاثنتان حاوطتا وجهها فيقربه اكثر من
وجهه هامسا بعينين نصف مغلقتين وبنبرة
مختنقة انفعالا " ماذا يهم من كل ما حصل
في حياتي قبلك.. المهم انك حصلتِ فيها
الآن .. ولايهم اي شيء آخر ... "



تمتمت بانفعال يوازي انفعاله وهي تذوب بين ذراعيه " انا احبك جدا .. جدا جدا جدا ...."

كان يلتهم من شفتيها كل كلمة (جدا) تكررها فيشعر انه يتحرر من اخر قيوده مع كل كلمة... بل.. مع كل حرف ..

انطلق همس مجنون من شفتيه

" انا احبك ... احبك ... جدا خلود .. جدا جدا جدا ... جدا "

هذه المرة كانت حقا مختلفة .. مختلفة عن اي مرة سابقة شاركته بها عاطفته ...

صباح اليوم التالي

بثقة لاتعرف التردد ضغطت زر الجرس ، انفتح باب الشقة لتراه امامها بملامح عابسة وعينين حمراوين ارهاقا ...

هبطت نظراتها لقميصه الازرق المجعد فقالت

" صباح الخير .."

ضغط يحيى فكيه بقوة قبل ان يقول من بين اسنانه " ما الذي أتى بك الى هنا حبيبة ؟"

ردت وهي تتجاوزه لتدخل شقته التي لم تدخلها سابقا لتقول بثبات

" جئت استعيد ما يخصني .."







كانت الآن تقف وسط غرفة المعيشة بينما هو ما زال عند الباب المفتوح يتطلع اليها بمشاعر غامضة مكبوتة ثم قال بصوت أجش وهو يمرر يده في شعره " عودي لبيتك حبيبة .. مزاجي سيء جدا بسبب فرق التوقيت وطول الرحلة بالطائرة .. لقد عدت قبل ساعات قليلة من السفر "

رمت حبيبة حقيبتها على اريكة جلدية قريبة ثم قالت بهدوء وعيناها في عينيه

" لم تكن ترد على مكالماتي .. لولا اتصالك برضا لتعلمه بوصولك فجر اليوم لما كنت علمت انا "

اشتعلت عيناه للحظة ثم خبا لهيبهما ليغلق الباب وهو يقول بصبر " سأبدل ملابسي واعيدك للبيت بنفسي او .. اذا اردت اقلك للشركة .."

تحرك يحاول تجاهل وجودها عندما لاحقته بالسؤال المباشر " ما الذي جعلك تسافر لامريكا يا يحيى ؟! كنت ذاهبا في عمل محدد لكندا .. اذن ... لماذا امريكا ؟ "

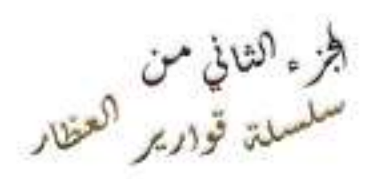
التفت اليها ليقول ببرود

" اتممت بيع شقتي هناك "

ملامحها صلبة وهي تسأله بثقة

" هل التقيت .. زوجتك السابقة ؟ "







ضيق عينيه قليلا قبل ان يرد بكلمة واحدة

" لا "

لم تبدي اي ردة فعل بل شمخت بأنفها وهي تسأل مرة اخرى " حسنا ألم تستطع توكيل محامي لينوب عنك في البيع ؟"

فقد يحيى اعصابه وقد كان يكبت الكثير منذ ايام ليهدر فيها قائلا " هل هذا تحقيق ؟ ألا يفترض ان انهال عليك انا بالاسئلة واولى تلك الاسئلة عن مشوارك الغامض مع مجد "

التمعت زرقة عينيها لتسأل بثبات " حسنا .. هل احتاج انا لتوكيل محام للدفاع عني ام تكفيك كلمتي؟"

كانت جملة تحمل الكثير فتحرك نحوها اكثر ليقف قبالتها مشحونا حتى آخره ليهمس بانفعال " لاتختبري صبري حبيبة .. "

فضحتها ارتعاشة شفتيها لكن لم تتخاذل لتقول بهمس كهمسه " اسألني .."

للحظات طويلة تواجها .. ندا لند ... هو يشتعل بالغضب والغيرة والخوف وهي مثله تشتعل بنفس الانفعالات .... وكلاهما يتلاعبان لاخفاء انفعالاتهما عن بعضهما البعض ..

سأل بصوت حاد" اين ذهبت مع مجد ؟"

لم تقاوم القول " تقصد في اخر يوم تكلمنا فيه قبل ان تقاطعني ؟"



فقد زمام حلمه عليها فامسك باعلى ذراعها الايسر وهزها بغضب يحرق كل انفعالاته الاخرى هادرا بعنف " ذهبتِ لتقابلي مهند اليس كذلك حبيبة ؟ انه صديق مجد .. صديقه المقرب... وارى في عينيك انك رأيته فعلا ... بل شعرتها في نبرة صوتك وانت تكلميني على الهاتف عندما كنت في مطار مونتريال "

ألم قلبها كان اقوى من ألم اصابعه وهي تنغرز في لحم ذراعها المكشوف من الكم القصير لثوبها الخريفي ...

ردت بشراسة وداخلها يغلي بما يجهله هو " نعم ذهبت لاقابله في الشارع عند سور النهر لانه طلب اللقاء لامر مهم ومجد رافقني ولم يتركني لحظة حتى اعادني بنفسه للشركة.."

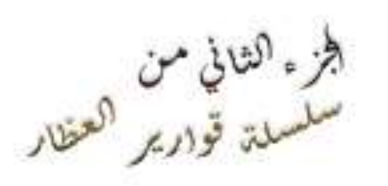
توهجت عيناه بخطورة بينما شحبت شفتاه ليتمتم بشراسة تفوق شراستها " سأقتله ... "

سألت بعبث مجنون " ولماذا تريد فعل هذا؟! "

قرب وجهه بعنف من وجهها ليقول بنبرة مجنونة وقد فقد اتزانه

" ماذا قال .. اجيبي .. ماذا اراد ؟ اخبريني .. هل طلب العفو والغفران ؟ هل قصد هذا الباب ليفتح بابا جديدا لقلبك ؟ اخبريني حبيبة .. اخبريني .."





اخر كلمة قالها صراخا لكنها لم تتراجع ولم تضعف لتواجهه بشموخها قائلة

" عندما تخبرني انت بما قالته هي لك .."

للحظة لم يستوعب ردها ! سأل بحيرة

" هي ؟! من هي ؟ عن ماذا تتحدثين ؟!! "

ردت وهي تقرب وجهها هي الاخرى حتى كادت شفتاها ان تلامسا بشرة خده لتهمس بسؤالها الشرس " عن ... سارة .. اليس هذا اسم زوجتك السابقة ؟ "

للحظة تشتت ولم يعرف مقصدها من السؤال عن سارة هكذا !

فسألها مباشرة " ماذا تقصدين بالضبط ؟ قلت لك اني لم التق سارة في امريكا .. انا لااكذب عليك "

ردت حبيبة بعنف وقد بلغ اشتعالها اوجه

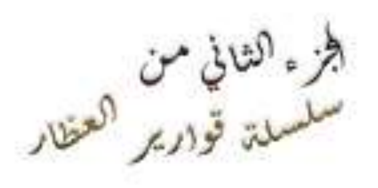
" لقد سمعت حوارك الغاضب معها في المستشفى .. على الهاتف .. هل تذكر تلك المكالمة ؟ الان .. لماذا تريد العودة للعيش في امريكا ؟ اخبرني .. ماذا قصدت ؟ "

هدأت ملامحه قليلا وهو يدرس ملامحها ليسألها ببعض الهدوء " من قال اني اريد العودة ؟"

ردت دون مراوغة وهي تواجهه دون تراجع بكل ما سمعته ذلك اليوم في المستشفى

" انت قلت لن يثنيني شيء عن العودة .."





ارتفع حاجباه قليلا بينما هي تكمل " قلت الامر لايتعلق بامرأة اخرى .. هل انا المقصودة بهذا ؟ هل انا المرأة الاخرى ...؟ "

عيناه انحدرتا لشفتيها المرتعشتين انفعالا فقال بغموض " انتِ تقتلك الغيرة فقط .."

خانها تماسكها للحظة فقط وهي تهمس اسمه بما يشبه الرجاء " يحيى ..."

ابتلع ريقه وعيناه لاتفارقان شفتيها ثم قال

" سارة تحاول اثارة المشاكل معي منذ سنة ... اي منذ طلاقنا .."

ثم رفع عينيه فجأة لعينيها ليهدر بالسؤال

" ماذا قال ؟ سأجن ان لم اعرف الآن حالا يا حبيبة.. انسي سارة للحظة فقط وردي علي .."

انفاسها تتسارع في هذا التحدي الرهيب الذي تعيشه .. انه تحدي ليس بينهما بل تحدي يلفهما معا في دوامته المشتعلة ...

ردت بصوت مبحوح وهي تحدق في ذقنه الخشنة " طلب الصفح ..."

الغيرة تتآكله وهو يسأل بانفاس هادرة

" الصفح فقط ؟ "

نظرت لعينيه المرهقتين فباغتته هامسة بسؤال جديد " اي نوع من المشاكل تسببها لك سارة ؟ "



همسه كان خشنا كخشونة ذقنه

" ما هذا ؟!!! واحدة بواحدة ؟"

لم تنصَع لخشونته فقالت باصرار

" انا انتظر اجابة افضل .."

تنهد قبل ان يقول

" سافرت لامريكا قبل اشهر والسبب انها كانت تتشاجر مع حرس المبنى الذي املك شقة فيه .. كانت تريد الدخول عنوة والبقاء فيها لبضعة ايام مدّعية حاجتها لمكان للمبيت فيه خلال زيارتها للولاية من اجل مؤتمر تحضره لبضعة ايام .."

ابتلعت ريقها قبل ان تسأل

" هل كانت هذه شقة .. الزوجية ..؟ "

رد ببساطة " نعم ..."

ثم اعاد سؤاله السابق " الصفح فقط ؟ "

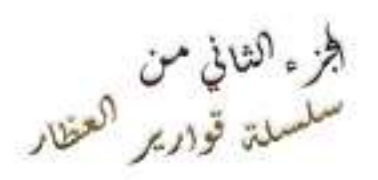
لم تشعر يوما بلذة الانتقام كما شعرت الآن وهي تهز كتفيها وتقول مدعية اللامبالاة

" حاول نصحي ان لاتعجل الزواج منك ان لم اكن واثقة .. ان لم أكن احبك حقا ... "

لتضيف وهي تتحدى عينيه المتأججتين بالعنف " حتى لا اندم فيما بعد .."

كانت تعرف انها تعذبه لكنه عذبها ايضا .. عذبها بهجره وهي لاتطيق هذا ...





كان يلهث تقريبا وهو يسألها وكأن حياته معلقة على ردها

" ماذا رددت عليه حبيبة ..؟ انت من يهمني .. ماذا رددت عليه ؟ "

واجهته بسؤال آخر

" ماذا فعلت لتحل المشكلة ؟ "

اعاد السؤال وشفتاه هبطتا تلامسان خدها بشغف مجنون " ماذا .. رددت .. عليه ؟"

يدها تلامس صدره فتهمس بشقاوة " اخبرني ماذا فعلت لتحل المشكلة معها ولماذا اتصلت بك مرة اخرى وانا في المستشفى وانا سأخبرك بردي .."

ذراعه التفت حولها وهو يتنهد قائلا باستسلام " ذهبت هناك .. وعرضت الشقة للبيع بعد ان اتصلت بها واسمعتها ما يوجعها ...هل ارتحتِ ؟"

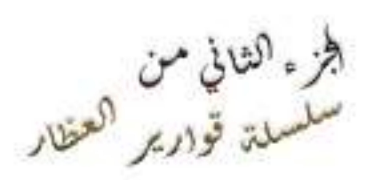
ثم ضحك بخفوت وهو يضيف " لم تكن هي من اتصل بي .. بل صديق مشترك .."

سألت وهي ترخي اهدابها مستسلمة لقبلاته على خدها " صديق مشترك ؟"

رد بهمس أجش " نعم ... هو اقرب لها مني .. حاول التلميح انها سترفع دعوى قضائية ضدي .. تتهمني بالتعدي والضرب .."

فتحت عينيها بتأهب فرفع رأسه ليواجهها بالقول الصريح " حاول دفعي للتصالح معها وارجاع العلاقة .."





احتدت نظراتها وهي تقول

" تهديد ينضح بالاغراء ..."

عبس قليلا وهو يتساءل " اي اغراء ؟! "

لكنها اضافت " اذن كنتَ تتحداه بالقول (سآتي امريكا متى ما شئت؟) "

رد وهو يمعن النظر فيها " نعم ..."

بدت عابسة لكنه لم يستطع اخفاء الامر عنها ، احتاج جدا ان يخبرها

قال " لقد ارسل لي رسالة .."

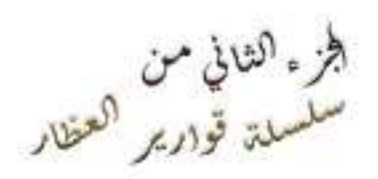
للحظة ارتبكت دون ان تفهم من ارسل له رسالة فقالت باستفهام " من ارسل رسالة ؟ تقصد الصديق المشترك؟"

هزّ رأسه نفيا وهو ما زال يتطلع اليها بنفس النظرات وتركها تتكهن بهوية من ارسل الرسالة !

اتسعت عينا حبيبة وعقلها يعطيها الاجابة بينما يقول يحيى " اخبرني انك اطهر فتاة وانه افترى عليك بالكذب وقد حاول الاعتداء عليك بالمكتب ولم يشهد الحارس الامني الا تلك المحاولة ..."

سألت بلا تصديق " متى ارسل الرسالة ؟"







رد بهدوء " وجدتها في صندوق بريدي حال وصولي فجر اليوم ؟"

ثم اضاف وهو يحدق في عينيها اللتين يعشقهما ليقول بعذاب الانتظار " هل تظنين حقا اني اهتم برسالته او اعتذاره ؟ انا لااهتم الا بما يؤثر بك .. لااهتم الا بما في قلبك .. لااهتم الا ..."

قاطعته وهي تلف ذراعها حول عنقه وتقول بتملك غيور تريحه من عذابه " قلت له ان يحيى رجل حياتي حيث يبهت الحب امام وهج ما اشعره نحوه .. قلت له .. انا التي تتمسك بيحيى وباظافري واسناني ان اقتضى الامر بل وسأمزق اي انثى تحاول الاقتراب منه ... قلت له ان يحيى جعلني اتذوق على مهل كل حرف من كلمة (احبك) عندما انطقها له وحده .."

بدا مصعوقا من كلامها بينما يردد

" هل تحـ..بينني يا ...حبيبة ؟"

تأوهت وهي تجذب رأسه اليها

" آآآآه ... ظننتك لن تسأل ابدا ..! "

لم تكن الا قبلة اكثر جنونا فيلهث وهو يبتعد ويهمس " ظننتك لن تشعريها هكذا ابدا .. وانا لااريد اقل من هذا حبيبة ... "





ضحكت وهي تناور محاولته للوصول لشفتيها
مرة اخرى هامسة بدلال

" اريد خاتمي اولا .."

تمتم وهو يمسكها بعنف وقد فقد صبره

" وانا اريدك انت ... انت يا برية ..."

تتشبث به كما يتشبث بها .. تفلت من بين
شفتيها همسات لاهبة وكأنها شهب نارية
تتلاعب بها يدا طفلة شقية لتقذفها مباشرة
نحو عمق قلبه ...

" انا احبك يحيى ... آاه .. لو تعرف كم
احبك... كيف احبك .. واشتاق لاحبك
اكثر .... "



الخاتمة

بعد عدة اشهر ... صباحا ...

ازاحت رقية الستارة قليلا لتنظر عبر الشباك تتطلع للشارع بفضول ...

لاحظت ذلك الشاب الذي يقف عند باب بيت الحاج عقيل وهو يودع حذيفة ..

تمتمت رقية " اليس هذا الشاب اسمه خليل ؟"

اقتربت رباب من الشباك لتتطلع عبره ثم قالت بهدوء وهي تعاود الابتعاد " نعم انه خليل الاخ الاصغر لخلود زوجة حذيفة "

أمالت رقية رأسها وهي تبتسم بشقاوة وتقول

" يبدو اكثر وسامة مما رأيته في زفاف خلود "

حدجتها رباب بنظرة محذرة وهي تتحرك في الغرفة فضحكت رقية وهي تعاود اغلاق الستارة وتتخصر قائلة بترفع وغرور طفوليين

" لكنه للاسف من النوع الخجول وانا...
لايعجبني هذا ! "

كانت رباب تتطلع بتدقيق مفكر لفستانها ذو الالوان المتعددة ما بين الاصفر والاحمر والاخضر والازرق وقد علقته للتو على حافة باب الخزانة لتحاول تخيل ما يلزمه ان كان يلزمه شيء اصلا من الاكسسوارات...

لقد وقع اختيارها عليه لترتديه الليلة في عرس اختها حبيبة ..





تمتمت رباب ردا على اختها وهي مستغرقة بالتفكير " انه شاب طيب ومحترم .."

تنهيدة مراهقات باحتراف اطلقتها رقية قبل ان تقول بصوت حالم وعيناها تلمعان بالنجوم " احب الشاب الذي يكون جامحا شقيا "

عقدت رباب حاجبيها باستهجان وهو تلتفت لرقية وتقول " جامحا ؟!!! من اين استعرت هذا اللفظ المضحك ؟"

هزّت رقية كتفيها لتقترب من فستانها الحريري الازرق اللامع المفرود على السرير فتلامسه بفرح ورضا وهي تقول " كل الروايات تتحدث عن الابطال من هذا النوع .. "

ثم جلست جوار فستانها وقالت بتأوه بدا مثيرا للسخرية في اذن رباب

" آه .. اريد الزواج بشاب كهذا "

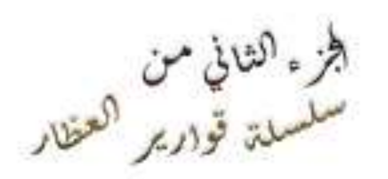
بنصف اغماضة قالت رباب ببرود " تافهة ! انت مجرد طفلة في الرابعة عشرة فقط .."

فاغتاظت رقية لترد بمشاكسة " وانت عجوز في السابعة عشرة ! "

بنبرة حازمة نهرتها رباب " تأدبي رقية .. "

توردت رقية بينما تطأطأ رأسها وتهمس ندما

" اسفة اختي .. لااقصد .. لكنك تزعجيني بتعقلك الدائم ولااعرف كيف تملكين طاقات مرح لاتنتهي وتتصرفين بتحفظ شديد مع امور الفتيات .."



غامت عينا رباب لتقول بغموض " لن تفهميني ابدا .. انا فقط من افهمك .. للاسف ! "

رفعت رقية رأسها وقد عاد لها الضيق لتقول ببعض الحدة " هل تعنين انني غبية وانت الذكية فقط ؟ "

تنهدت رباب ثم اخذت تلملم خصل شعرها الطويل وتقول " انت لست غبية ولكن (مشاعرك الفياضة) على الدوام تشوش على عقلك فتركنيه جانبا وتعفيه من مهمة التفكير !"

وقفت رقية على قدميها لتتحرك بخطوات غاضبة وتقول بنبرة شديدة الحنق

" اتمنى ان يأتيك شاب مجنون بك فيجعلك لاتعرفين اين رأسك من قدميك ! وعندما تجنين به انت الاخرى سأضحك منك لاخر يوم في حياتي ..."

ثم تركتها وغادرت الغرفة بينما رباب تتطلع اليها بفم مفتوح لتغرق خلال ثوان في موجة من الضحك .....!

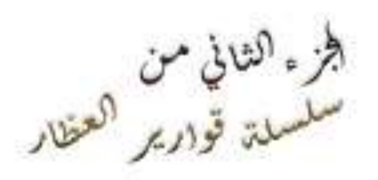
بقلب خافق تطلعت حبيبة لفستانها الابيض ...

تلامسه بنوع من الوجل والانبهار ....

بسيط التصميم لكنه مبهر بالنسبة لها ..







بذلك القماش المخرم على طول الذراعين والكتفين ، ثم ينسدل الفستان طويلا حتى الكاحلين ببضعة طبقات من القماش الناعم..

كم هي سعيدة لاختيار يحيى لهذا الفستان .. لقد اشتراه لها بنفسه من كندا مع طرحة رقيقة بطبقة واحدة ....

لاتريد بل لم تحلم باجمل من هذا ...

فجأة اخذت تبتسم .. ثم تتسع الابتسامة اكثر واكثر وتلمع عيناها الزرقاوتان بشقاوة ماكرة لتنتقل بنظراتها لتلك الحقيبة البيضاء الصغيرة المعلقة بجانب الفستان ..

لاتهم اناقة الحقيبة التي لم ينس يحيى شراءها مع فستان الزفاف .. المهم ما تحمله الحقيبة في جوفها الصغير من مفاجأة (نارية) خاصة جدا ....

بحركة مستمتعة عضت طارف لسانها وهي تكاد لاتطيق صبرا لرؤية وجه يحيى عندما يدرك نارية المفاجأة ..!

مساء في حفل الزفاف ...

للمرة الثالثة عبر محسن عن اعجابه بتسريحة زوجته وبنفس الدهشة التي لم تفارقه منذ ان رآها عائدة من صالون التزيين

" حقا احببت هذه التجعيدات .. "

ابتسمت رحاب بتورد طبيعي ولم تعد تعرف بما تعلق ليضيف محسن وهو يهدهد طفلته الرضيعة بحركة متواترة عفوية من يده لعربتها " احببت التغيير .. "

ثم اضاف ببعض العبوس " لكنه ليس دائما اليس كذلك ؟ قد احب التغيير لكني افضل شعرك الناعم .."

ضحكت رحاب بخفة وهي ترد عليه تطمئنه

" لاتخش شيئا .. سيعود كما كان .."

عاد ليحدق فيها فتهمس له بابتسامة انثوية

" كف عن التحديق بي هكذا وكأنك تراني للمرة الاولى .. !"

رد وعيناه تلمعان خلف زجاج نظارته

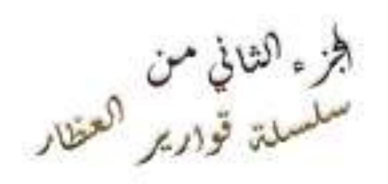
" تبدين جميلة بشكل لايصدق يا أم منة "

ضحكت بخفة بينما تقول له " انا أم عقيل اليست هذه الكنية التي تفضلها لي ؟"

رد بصوت أجش " حاليا ارى لايليق بك الا كنية أم منة .. جميلة بشكل خاص كأبنتك تماما .."

اسبلت رحاب اهدابها بينما تترك لزوجها مهمة التغزل بها بطريقته ، وهل هناك امرأة ترفض تدليلا كهذا ؟! تعلم انه يشتاق لها وقد مرت فترة طويلة لتقاربهما كزوجين منذ انجابها لمنّة قبل اقل من شهرين .. حسنا هو يستحق تدليلا مشابها الليلة ...





اقترب رضا يده تسبقه لخصرها هامسا قرب اذنها ببعض القلق " وجهك شاحب يا اميرة البنات .. هل انت بخير ؟"

ردت اسيا وهي ترفع وجها مبتسما تخفي تعبها باتقان " لاتقلق ... انه فقط جعفر قرر ان يلاعبني في عرس خالته .."

ما زالت عيناه قلقتان وهو يقول بجدية

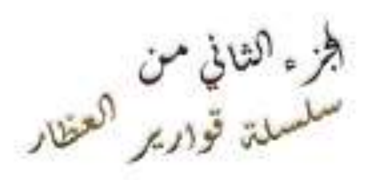
"افضل ان نعود للبيت .. انت لاتنامين بشكل جيد هذه الايام ، تتقلبين طوال الليل ولاتنامين بعمق الا قرابة بزوغ الفجر .."

همست وهي تلامس يده برقة " لااستطيع ترك حبيبة الآن .. انها ليلة عرسها يا رضا .. اهم ليلة في حياتها ..."

رد باصرار " والدتك موجودة واختاك ايضا .. انت تحتاجين لبعض الراحة .."

ناظرت اختها في جلستها جنب عريسها ، بديا كمجنونين وهما يضحكان على الدوام فيثيران بعض نظرات الاستهجان من النساء العجائز في الحفل لتشهق نفس النسوة كلما سحب العريس عروسه ليرقصا كمراهقين عابثين !







حدقت اسيا في وجه اختها الساحر وقد زادت فتنته بابتسامتها المشعة لتهمس " انها سعيدة .. فخورة ... حبيبة والدها ... كان سيكون فخورا بها الليلة كما هي فخورة بنفسها .."

تمتم رضا وهو يسحبها بسلاسة " رحمه الله .. هيا بنا اسيا .. وجهك لايعجبني ابدا.."

استسلمت اسيا ليد زوجها وقد ادركت انها فعلا لم تعد تستطيع التحامل على نفسها ..

يجب ان ترتاح قليلا ...

وبعد توديع الجميع كانت شبه نائمة على المقعد المجاور في سيارة رضا عائدين في طريقهما للبيت ... وهناك .. كانت بانتظارهما مفاجأة ....

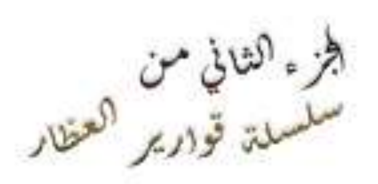
بعد ساعتين ...

لاتقاوم اشتهائها للطعام ودوما رقية تحسدها على قابليتها المفتوحة دون ان تكسب وزنا زائدا ...

عادت لمائدة الطعام تبحث عن بغيتها قبل ان يرفعوا طعام العشاء ليبدأ تقديم الحلويات ...

تمتمت بعبوس وهي تمرر عينيها بين اطباق معينة فرغت من محتواها تقريبا " سأذهب للمطبخ لاجد لنفسي مزيدا من ملفوف ورق العنب "





خيال خلفها ثم ذراع امتد امامها من الخلف وقبل ان تفقه ما يحصل كانت بضع حبات من ورق العنب تسقط في صحنها وهمس تميزه من خلفها يقول بضحكة خافته

" ورق العنب يفرقنا و يجمعنا ..."

التفتت اليه وقلبها ينبض في اذنيها حتى كادت تصاب بالصمم بينما تتطلع لهذا الطويل ببدلة انيقة سوداء وهيئة بدت مختلفة عما حفظته عنه قبل اشهر طويلة ..

تمتمت بعينين متسعتين " عبد الرحمن ..؟! "

عيناه في عينيها بينما يقول بصوت أجش

" مرحبا رباب .."

رمشت للحظة قبل ان تستعيد جدية ملامحها تحاول بفشل ذريع السيطرة على خفقات قلبها كما تسيطر على جدية تلك الملامح لتقول بثبات ظاهري

" مرحبا ... الحمد لله على السلامة .."

رد بابتسامة صغيرة وعيناه تمران على ملامحها دون تحفظ " سلمك الله من كل شر .."

ابتلعت ريقها وهي تسأل بتماسك

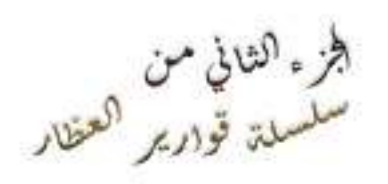
" متى .. عدت ؟ لم اسمع من احد انك ستعود الليلة "

رد بجذل " قبل بضع ساعات فقط "

ثم سأل فجأة وهي يعقد حاجبيه قائلا بملامح متفكهة " هل تبدين اقصر ؟"







ردت بشموخ وثقة

" انت من تبدو اكثر طولا .."

نظراته المتفرسة فيها غامضة لكن رباب داخليا رفضتها ولاتعلم لم رفضتها بالضبط ؟!!! تحركت تلقائيا لتبتعد واوشكت ان تلقي سلاما عابرا عندما عارض حركة جسدها بوقوفه امامها هامسا بصوت أجش

" كيف هي .. دراستك ؟"

ردت وهي مطرقة وصحنها ما زال في يدها

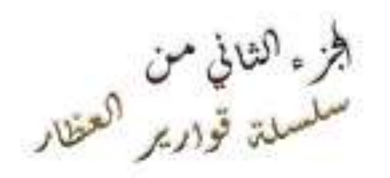
" بخير ... الحمد للّه "

رفعت رأسها تواجه نفس النظرات منه فتقول ببعض التعلثم الذي اثار غيظها

" حسنا .. سعيدة لعودتك .. الخالة سعاد كانت تفتقدك طوال الوقت .."

تحركت مرة اخرى فتحرك بسلاسة بدت طبيعية جدا ليمنعها تجاوزه بينما يهذر بالكلمات " امي كاد يغمى عليها من فرط السعادة لرؤيتي الليلة ولولا الخالة بدرية لاجلستني في حجرها تقبل وجهي كطفل تاه منها وعاد دون اي حرج من المدعوين في الحفل .."







تطلعت رباب عفويا لمكان جلوس الخالة سعاد والخالة بدرية في الجهة الاخرى من القاعة وقد بدتا لاهيتين بحديث لاينتهي والخالة سعاد تتطلع للعروس تحديدا ...

تمتمت رباب ببعض الشرود " دوما كانت الخالة سعاد عاطفية مع اولادها .."

ردد عبد الرحمن بصوت مبحوح وهو يتطلع عفويا لفستانها " وقد جعلتنا عاطفيين مثلها ونتعلق بالاخرين كمرضى مهووسين ونشتاق لهم بجنون واذا نسينا بعض تفاصيلهم تهاجمنا الاحلام حولهم فيبدون كاشعاع قوس قزح..."

بنظرة غريبة تطلعت اليه وقالت " يبدو ان البلاد الباردة جعلتك تحلم كثيرا بدفء بلادنا .. هذا امر جيد .. لكن برأيي الاحلام تبقى احلاما والواقع هو من يفرض نفسه بقوة لنتعامل معه لوقت اطول بكثير من طول الاحلام ..."

للحظة حدقا ببعض ثم كانت هي من ابدى تحركا في محاولة فاشلة جديدة لتجاوزه بينما يقول بسلاسة

" اي جامعة قررت الدخول ؟"

رفعت عينيها اليه وقد ادركت ان هذه الوقفة المضنية ستطول! لترد ببعض البرود

" انه سرّي الخاص "



بابتسامة ماكرة كان حذيفة يراقب عبد الرحمن في وقفته المعاندة امام رباب يمنعها الهرب كما يبدو عليها جليا ... لغة الجسد لاتخطئ ابدا ...

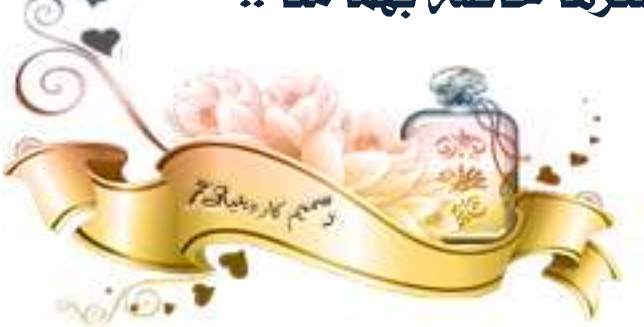
حسنا سيسلم عليه فيما بعد ، لقد كان الوحيد الذي يعلم بوصوله الليلة وعلى قدر اشتياقه له الا انه لن يحرق لقاءه الممتع بالعسلية ..

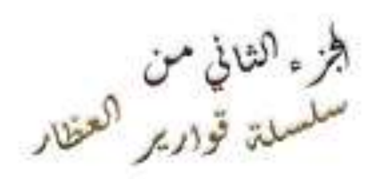
يكفي ان الحاجة سعاد التي اوشكت ان تفضح وجوده في العرس قبل ان يكشفه للعسلية بنفسه بينما كان محسن ورحاب ورفيدة اهدأ في استقباله ..

حسنا .. من الممتع له المراقبة من بعيد وهو

يحمل مليكته بثوبها الوردي المنفوش على ذراعه وقد اخذت تهتف بانفعال وتلوح بذراعيها الابيضين نحو عبد الرحمن " أبد... أبد ..." لكن حذيفة أمال وجهه ليطبع قبلة على رقبتها البيضاء هامسا بمشاكسة "(أبد) مشغول بمليكته العسلية يا مليكة بابا .. فمن هذا المسكين الذي سينشغل بك مستقبلا لاحطمه بين قبضتي الاثنتين ؟"

فتضحك سعاد بابتهاج طفولي وهي تتراقص على ذراعه دون ان تدرك حقا كنه كلمات والدها ، انها فقط تبتهج عندما يهمس لها بكلمات سرية تستشعرها خاصة بهما معا ..





توهجت عيناه بينما يراقب مليكته الاخرى ... الشعثاء المجنونة !

راقبها وهي تشرف على تنظيف المائدة الطويلة التي اعدت لطعام الضيوف بينما تلقي بارشاداتها للنادلين هنا وهناك ...

لايعرف من اعطاها الاذن لتتصرف بعرس لايخصها لا من قريب ولا من بعيد ! انها كالعادة تحشر انفها في كل شيء ..

عض شفته السفلى مستفزا بهيئتها .. لقد اوصاها ان لاتسرح شعرها ولكنها سرحته في صالون حلاقة ذهبت اليه مع رحاب ..

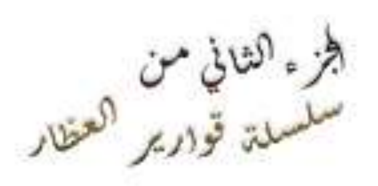
اوصاها ان لاترتدي لونا ناريا وها هي ترتدي ثوبا احمرا غافلته واشترته من راتبها كمعلمة مدرسة ...

انها تبدو جميلة جدا لاريب لكنه يحبها بهيئة مختلفة ... هيئة تلهبه بطريقة لايفهمها حتى هو !

حسنا هذا افضل .. حتى يكتمل الحفل وبعدها ستأخذ هذه الوقحة حماما سريعا لتعود كما هي ..كما يحبها..شعثاء مجنونة !

تحركت مبتعدة عن المائدة الطويلة فاقترب باتجاهها ليلاقيها منتصف الطريق بينما حاولت هي تجاهله تدعي عدم التنبه له !







لكنه لم يمنحها الفرصة ليحاصرها بضخامته وضخامة فستان صغيرته قائلا وعيناه تلمعان بالشر اللذيذ

" لماذا تهربين مني طوال الحفل ؟ ام تعرفين انك خالفت اوامري عن تعمد واصرار .."

تعبس في وجهها وتبعد بعض خصل شعرها خلف اذنها الصغيرة لتقول له بتحفز قلق

" انا احب شعري... مسرحا .."

فيرد بخطورة هامسا قرب اذنها " تعرفين ان التحدي يوصلك لعواقب وخيمة فيما بعد .. تنتهي دوما بكلمة (جدا) التي تعلق بلسانك يا مسحورة "

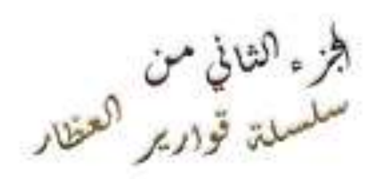
احمرت خلود بشدة بينما اخذت سعاد تضحك فأنبتها خلود وما زال خداها متوهجين

" حسن يا ابنة ابيك .. لن اخيط ملابس جديدة لتوتو "

ضحك حذيفة عاليا بينما سعاد ترمش ببراءة وهي تتطلع باستعطاف ماكر في وجه (خود) الحانق !

لكن خلود كزت على اسنانها غيظا منهما معا وتركتهما لتأخذها خطواتها الحانقة بعيدا عنهما بينما حذيفة يتوعدها الانتقام على طريقته ...







لم يكن حذيفة فقط من يراقب العسلية مع عبد الرحمن وانما بدرية كانت مستمتعة وهي ترى الفتى الاصغر من فتيان الحاج عقيل وهو يتودد لابنة يونس العطار

قالت الحاجة سعاد بتنهيدة من اعماقها

وهي تتطلع للعروس

" انظري اليها كم هي فاتنة وجميلة .. هذه الفتاة جمالها لايضاهى .."

فتمصمص شفتيها وتضيف " يا حسرة ضاعت الفتاة من يدي ! كم كنت اريدها لحذيفة.."

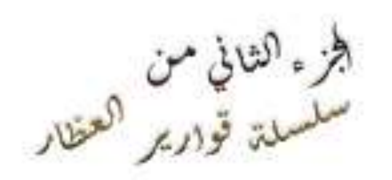
بعد كلام سعاد هذا فقدت بدرية استمتاعها بمراقبة عبد الرحمن ورباب لتحوقل تكتم غيظها وتواجه سعاد بما تأبى الاعتراف به قائلة " لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. يا امرأة ... يا امرأة يا صغيرة العقل .. بغض النظر عن كوننا نحضر عرس الفتاة على رجل آخر من اقارب زوجك لكن ساسايرك بقلة عقلك واسألك .. ما معنى الجمال اذا الارواح لم تتلاقَ ؟!! هل ترين حبيبة مع حذيفة ؟ ابدا لااراهما .. هي من الطينة وهو من طينة اخرى .. لايختلطان ولايمتزجان .. "

لكن الحاجة سعاد كالعادة تعاند ما يقف في وجه رغباتها تتساءل بتحيز امومي مغيظ

" ما فرق يحيى عن حذيفة ؟ ها ؟ ما فرقه ؟"







هزّت بدرية رأسها واوشكت ان تعض اصبعها غيظا ثم قالت معنفة صديقة عمرها كالعادة عندما يفيض الكيل منها " ماذا اقول اكثر لتفهمي ... ؟! اسمعيني يا سعاد .. انت كبرت جدا على افكارك الطفولية التي تصدر عن رغباتك الانانية لتوفير الافضل لاولادك لمجرد انك ترين انهم الافضل "

شمخت سعاد بعناد وهي تقول بفخر

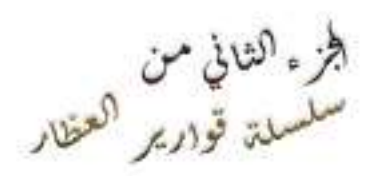
" انهم الافضل ..يكفي انهم يحملون اسم عقيل الصائغ .."

زفرت بدرية باحباط ثم قالت بمنطقية

" حسنا هم الافضل لكن الافضل لهم ليس ما ترينه انت بل ما يرونه هم بل ما يناسبهم .. حذيفة رجل يحتاج للبساطة في شريكة حياته وحبيبة لم تكن ستلائم هذه الصورة ابدا ولم تكن ستلبي احتياجاته ناهيك عن احتياجات طفلته المدللة التي اوجعت رؤوسنا ليلا ونهارا وهي تنادي (خود خود) .. حبيبة فتاة قوية عنيدة نارية وحتى لديها قسوة وشراسة ، انها تحتاج لنوع خاص من التعامل المحنك الصبور وقد كانت محظوظة ان وجدت يحيى بشخصيته المختلفة عن المألوف من رجالنا .."







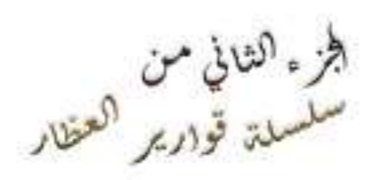
صمتت سعاد على مضض بين تلقي بدرية بجملة معبرة من مثل معروف " باختصار ... كلٌ ... وافق شن طبقه ..."

تطلعت سعاد عفويا لحذيفة فرأته كيف يقترب من زوجته يشاكسها كعادته وهو يبدو بقمة الفرح عندما تستجيب له فتمتمت سعاد معترفة بحنان " خلود فتاة طيبة جدا .. ونقية السريرة "

فاضافت بدرية بحزم " والاهم انها تعشق ولدك وهو يبادلها مشاعرها وسعيد جدا معها .. فتوقفي عن الاستماع لشيطانك الصغير هذا ! "

التمعت عينا الحاجة سعاد وهي تلتفت لصديقة عمرها تمسك ذراعها وتقول بتأثر صادق وامتنان شديد واعترافات نابعة من القلب " بدرية ... لاحرمني اللّه منك .. هل تعلمين ربما انا اتمادى احيانا لارضي افكاري فحسب ولكني في اعماقي اعلم جيدا انك موجودة لكبح هذه الافكار ومنعها من التنفيذ على ارض الواقع .."

فتبسمت لها بدرية وقالت " لاحرمني اللّه منك انت ايضا يا سعاد ، انت رفيقة عمري وطيبة قلبك التي اعرفها جيدا هي التي تجعلني اصبر على طباعك الطفولية المتدللة والتي كما يبدو اورثتها لحفيدتك التي تحمل اسمك .."





ضحكت سعاد بينما تضيف بدرية بحنو

" ربما لم اقلها لك سابقا يا سعاد .. لكن الحاج عقيل رحمه اللّه اوصاني بك وبعائلتك وهو على فراش الموت.."

التمعت عينا سعاد بالدموع وهي تهمس بتحشرج " رحمه اللّه .. كان لي دوما كل شيء .. دللني حتى افسدني بدلاله .. ثم اوصى بي القاصي والداني ليعوضوني تدليله ... لكن ابدا لن يعوضوني سعادتي معه ..."

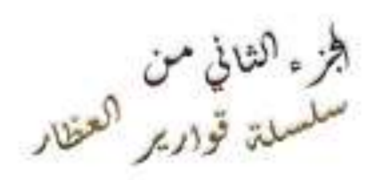
ردت بدرية باقتناع تام " وهو كان سعيدا بك و معك .. رحمه اللّه واسكنه فسيح جناته "

وبينما بدرية تقول هذا رأت رفيدة تجلس جوار سالم تتوسطهما السمراء الصغيرة شروق ، كانت نظرات رفيدة تشع فخرا بطريقة تثير بعض الشفقة !

تلك الصغيرة تثير اهتمامها ، تجيد التعامل مع الجميع ، حتى الصغيرين سامي وعقيل كسبتهما ناهيك عن كسب صداقة سعاد الصغيرة المدللة .. انها تكسب الجميع بطريقة سلسلة تثير استغرابها احيانا !

ترى هل ستعيش حتى ترى تلك الصغيرة شابة يافعة ؟ كم يساورها الفضول لمعرفة تلك الشابة التي ستكونها يوماً ؟!





نحا مجد بنفسه جانبا بينما يهمس عبر الهاتف بحنق شديد " انت تحرجني مهند ! ما معنى اتصالك هذا وانت تعلم جيدا انني في العرس "

في عتمة سيارته وهي يقف على قارعة الطريق رد مهند دون ان يبالي بغضب صديقه

" انا اتصلت خصيصا لاني اعرف انك هناك الليلة "

لم يعرف مجد هل حنقه اشد ام اشفاقه ؟!
بينما مهند يسأله بصوت مبحوح " صفها لي .."

مرر مجد يده فوق جبينه بعجز بينما يتمتم " مهند هل جننت ! اغلق الخط الآن لو سمحت وانس حبيب... إنسها الى الابد "

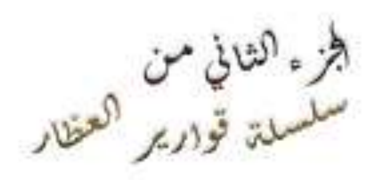
لكن مهند أصر وبنبرة شديدة الهدوء في ظاهرها " صفها لي والا سآتي بنفسي لاراها .."

ارتبك مجد وشعر حقا بخوف حقيقي من ان يفعلها مهند وهو قادر ان يفعلها فرغم تغيره الواضح خلال الاشهر الماضية وعزلته التي فرضها على نفسها الا ان طباعه ما زالت موجودة .. تهذبت .. لكنها موجودة .. في عمقه .. في جوهره .. واخطر طباعه .. تهوره اللامحسوب ... تمتم مجد بعجز

" لاتفعلها .. اتركها لحالها تسعد بيومها .."







ابتسم مهند بشجن ، انه يعرف صديقه ويعرف كيف يفكر وهو للاسف مضطر للتلاعب به ليحصل على ما يريد .. انه مجرد تلاعب بريء!

قال مهند بصوت أجش " اذن .. صفها انت لي .."

تطلع مجد لمقدمة القاعة حيث تجلس حبيبة مع عريسها ليقول بارتباك

" انها .... جميلة .."

فقال مهند ببساطة " بل جميلة جدا .. لكن ليس هذا ما اريده فقط "

انفعل مجد واوشك ان يضرب الحائط جواره بقبضته بينما يهمس من بين اسنانه

" ماذا ؟ هل تريد ان اصف ثوب عرسها او تصفيفة شعرها ؟؟"

فرد مهند بنبرة مشحونة " بل ابتسامتها .. لمعة عينيها .. هل تمسك بيده ؟"

تنهد مجد وهو يسأله باشفاق " لماذا تعذب نفسك ؟ ألم ننتهي من كل هذه القصة ؟"

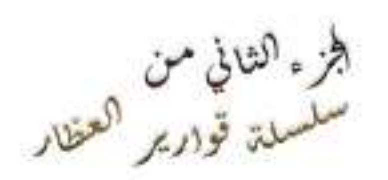
لكن مهند لم يرتدع وهو يسأله المزيد بتلهف مؤلم " هل تمسك بيده وتنظر اليه بفرح ؟"

رد مجد وهو ينظر بعيدا للعريسين المجنونين ببعضهما كما يبدو للجميع

" نعم .. تنظر اليه بفرح وتملك ايضا .."







رد مهند بنبرة مختنقة

" اذن هي حقا وجدت مرسى لقلبها .."

قال مجد وهو يشعر ببلاهة عجزه عن مواساة صديقه " نعم .."

انفاس مهند كانت تصله متحشرجة عبر الهاتف فسأله بقلق " هل انت بخير يا مهند ؟ " لم يعلم مجد ان دمعة سالت على خد مهند وهو يرد عليه باختصار وبنبرة متوازنة

" بخير ..مساؤك سعيد مجد .."

ثم اغلق الخط دون ان ينتظر ردا ...

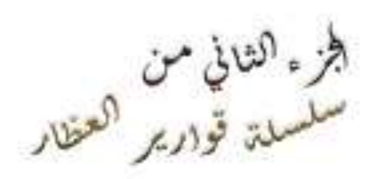
اعاد رأسه للخلف وصمت تماما وهو يغلق عينيه، الألم كان اقوى والفقد كان اكبر والجرح كان اكثر نزفا من اي وقت مضى ...

نعم .. خسر حبيبة .. لقد حظي باقوى فرصة لتكون له .. لكنه لم يفعل الا اضاعتها مرارا وتكرارا .. وكم كان واهما عندما ظن انه لا يفعل !! انه لايخسرها فعلا بتصرفاته الحمقاء!

رن هاتفه وقد كان ما زال في يده .. حدق في الشاشة المضيئة النابضة بأسم (مرمر)

تبسم وهو يفتح الخط ليأتيه صوت اخته المستبدة " لماذا تأخرت كل هذا؟! قلت ستعود بعد ساعة واحدة وقد مضت اكثر من ثلاث ساعات "







تمتم بجذل " آسف "

فردت بحنق المراهقات " اذا لم تأتي خلال ربع ساعة لن انتظرك وساشاهد الفيلم بمفردي.."

قال برقة " اجعليها نصف ساعة فقط لاحضر لنا الفشار "

هللت مروة ثم اغلقت الخط راضية بينما هو شغل سيارته و...انطلق ...

تضحك بانطلاق مرح وهو يحملها بين ذراعيه خارجا بها من المصعد ليسير بها في الممر الطويل حتى الجناح الفندقي الخاص بالعرائس...

تلف ذراعيها حول رقبته تضحك بانشراح وعيناها تبرقان بزرقتهما المميزة ، شعرها الذي كان مرفوعا بتسريحة كالتاج قد تهدلت خصلاته بعشوائية بعد رحلة السيارة المكشوفة السقف والتي اختارتها بنفسها لتكون سيارة الزفاف ...

طرحتها مفقودة لكنها لاتهتم ... وهو لايهتم ايضا ما دامت هي لاتهتم ....

همس قرب اذنها وهو ينحني قليلا ليفتح باب الجناح " لقد وصلنا ايتها الصغيرة الممتعة "







انحنت تهمس اسمه وتطبع بضع قبلات على اعلى عنقه .. لاتتحفظ معه كعادتها .. لقد اثارت جنونه الاشهر الماضية بقلة تحفظها المجنون هذا ... كان يحتاج لكل تماسكه حتى لاتفلت الامور منه ..

وهي .. هذه المتلاعبة الشقية كانت تستمتع على حسابه ! لكن الليلة .. سيشاركها كل انواع المتعة التي لاتخطر لها على بال ..

وقعا معا على السرير الواسع بفرشته الذهبية المبهرة ... تضحك وهو فوقها يضحك لضحكها العفوي ...

هدأت الضحكات وهما يحدقان في بعض ..

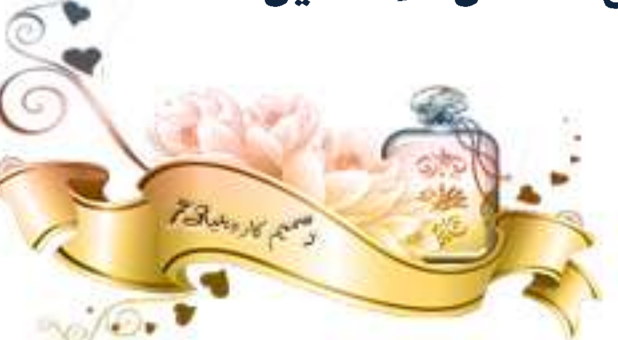
همس لها " اعشقك عندما تطلقين العنان يا برية .. روحك تتوهج بالحرية ... وانا احترق سعادة بهذا التوهج ..."

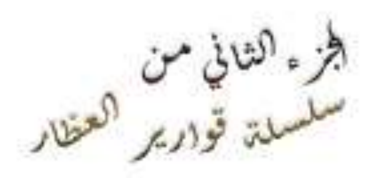
ما ان قال كلمة الاحتراق حتى تألقت عيناها فسألته على حين غرة " اين حقيبتي ؟"

سأل ببعض العبوس " اي حقيبة ؟ تقصدين حقيبة الملابس ؟"

هزت راسها نفيا وهي تهمس بشقاوة " بل حقيبتي البيضاء الصغيرة .. "

رد ببعض الاستغراب " اظنني وضعتها في كيس ما وهي مؤكد مع باقي الاغراض التي وضعوها لنا في الجناح .. لكن لم تسألين عنها تحديدا ..؟! "







دفعته في كتفه فابتعد تلقائيا لتهب قافزة تقريبا فستانها الابيض يرفرف حولها فتغادر السرير وتذهب لتبحث عن حقيبتها المنشودة!

استلقى يحيى على ظهره وهو يضحك ويهز رأسه محدثا نفسه " هذه الفتاة تثير جنوني!"

لم يشعر الا وقد عادت له ثم رمت نفسها عليه تهمس بمشاغبة ووجهها فوق وجهه " عليك ان تمر باختبار صغير حتى اعلم انك تستحق حبيبة والدها ... حبيبة يونس العطار "

عبس بابتسامة بينما يجذبه انتفاخ وتوهج شفتيها على نحو مميز ...

سألها وهو يرفع سبابته ليمررها على تلك الشفتين " وما هو الاختبار يا شقية ؟"

ضحكت ثم غمزته وهي تقترب بشفتيها من شفتيه " اكتشفه بنفسك .."

لم يفهم وربما عقله لم يعد يعمل وهي تغريه بشفتيها هكذا ..

بحركة واحدة كانت اصابعه في شعرها وهو يجذب راسها اليه يقبل تلك الشفتين المغريتين ...

لم يدرك ما يحصل له حتى ابعدها مرغما عنه وهو يشعر بلسعات حارة مشتعلة على شفتيه هو !







اخذ يلامس شفتيه باصابعه واشتعال لاسع يزداد فيهما ، كان حائرا حتى نظر في عينيها ليراها تنظر اليه بمشاكسة فادرك انها فعلت شيئا ما !

امسك وجهها بين كفيه وحاصرها بالسؤال وهي تضحك " ماذا فعلت يا برية ؟"

فردت وهي تهبط بشفتيها قريبا من شفتيه هامسة " يونس العطار قال عني انني الفلفة الحمراء الحارة ومن يحبني عليه ان يتحمل لسعاتي لابقى معه ..."

هدر يحيى ضاحكا من قلبه ... ثم همس وهو يلامس تلك الشفتين

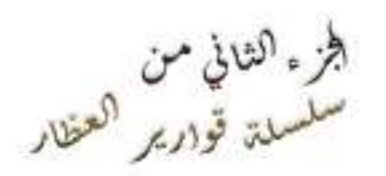
" لاصدق ! انت لاتصدقين يا حبيبة العطار ... هل اكلت للتو فلفلة حمراء حارة لتلسعيني بها وانا اقبلك؟ "

هزّت راسها بنعم لتعاوده موجة الضحك ثم قلبها معه على السرير ليشرف عليها هو بينما يشعر ببعض الخدر اللاسع في شفتيه فهمس بحرارة وهو يخلع سترته ويرميها بعيدا

" اريني يا ابنة العطار كل حيل العطارين كيف ستكون ؟! "







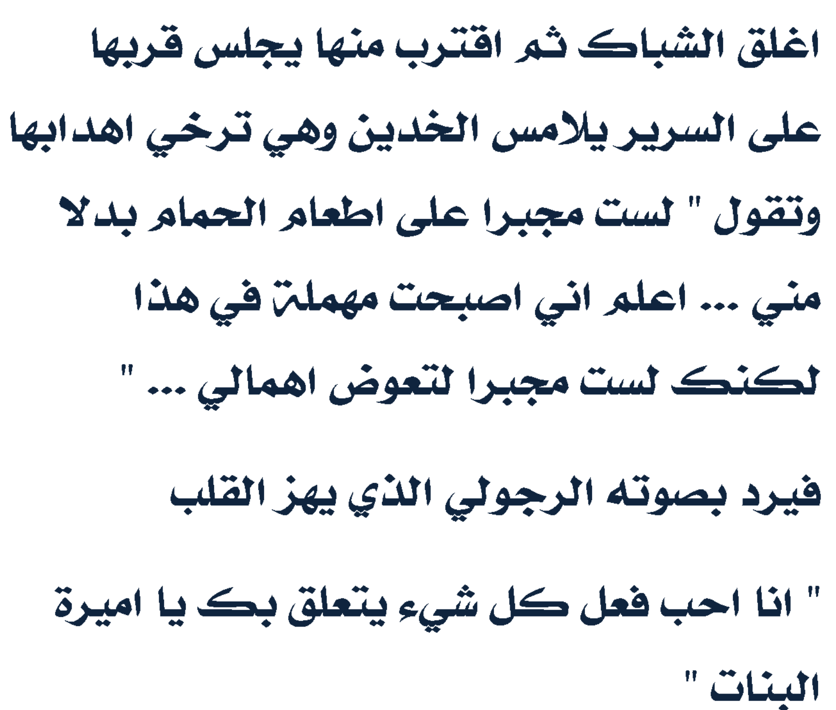
عند الفجر ...

مع اصوات خفية مألوفة تحركت في نومها لتنتابها موجات ألم جديدة ايقظتها تماما من نومها القلق ، فتحت عينيها ببعض الاضطراب لتدير رأسها عفويا ناحية الشباك ...

راته هناك يقف قرب الشباك المفتوح هديل الحمام مع رفرفة الاجنحة يصلها بوضوح الآن بينما هو يمد يده ليطعم تلك الطيور ...

نادته ببعض الوهن " رضا ؟"

التفت اليها مشرقا بتلك الابتسامة فتهدأ بعض اوجاعها ...



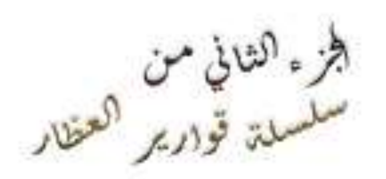
اغلق الشباك ثم اقترب منها يجلس قربها على السرير يلامس الخدين وهي ترخي اهدابها وتقول " لست مجبرا على اطعام الحمام بدلا مني ... اعلم اني اصبحت مهملة في هذا لكنك لست مجبرا لتعوض اهمالي ... "

فيرد بصوته الرجولي الذي يهز القلب

" انا احب فعل كل شيء يتعلق بك يا اميرة البنات "

عضت شفتها السفلى تتحامل على ألم متزايد حتى لاتفزع رضا عليها فتقول بعدها بصبر





" بل انت لاتغفل عن اي شيء تراه يخصك.. لا تنسى احدا على الاطلاق صغيرا أو كبيرا ..

انت لاتتنسى حتى الحمام الذي لاحقني هاجرا شباكي القديم لشباكك انت ... "

فتحت عينيها الدامعتين فتهمس لوجهه الذي لم تحب مثله " انه يجري في دمك فقط ..

كل هذا الحنان .. كل هذا الاهتمام .. كل هذا التفهم .. انه انت يا رضا وقد ادركه والدك مبكرا .. مبكرا جدا ... ليصوغ لك هذا الخاتم وانت مجرد فتى في الثامنة عشرة ويحملك به مسؤولية كل شيء "

كانت تقول هذا ويدها تلامس خاتمه فمال اليها يلامس شفتيها بشفتيه هامسا برجولة

" يا توأمة القلب .. لاتعرفين ما أنت بالنسبة لي .. لاتعرفين كم اشتقت ليوم تبحث فيه حمائمك عنك فلا تجدك الا عندي ... آسيا ... ما بك آسيا ؟!"

كانت تضغط يده بقوة وقبل ان يسأل المزيد تأوهت بوجع وهي تقول بانفاس تتسارع

" انا اتألم رضا ... أتألم ... الو...لاد..ة حانت..."





اندس يحيى تحت الغطاء معها عائدا لحبيبته المشتعلة الممتعة ، غمر نفسه فيها يقبل عنقها الطويل النحيل وهو يهمس بحرارة مجنونة

" ايتها البرية الشقية ... استيقظي ..."

تتلوى برشاقة بين ذراعيه بينما تتمتم بتدلل وهي مغمضة العينين " امممممممم ..."

همس في اذنها مباشرة " قبل ساعة.. وُلد.... جعفر رضا الصائغ ..... "

*** تمت ***

